مجلة
جامعة الملك عبد العزيز
الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ١

١٤٠٨هـ
١٩٨٨م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
جدة

مجلة
جامعة الملك عبد العزيز
الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ١

١٤٠٨هـ
١٩٨٨م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
ص.ب ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١
المملكة العربية السعودية

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م١ ، ص ص ١ - ٣٦٢ بالعربية ، ص ص ١ - ٣٦ بالانجليزية
(١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

المحتويات

■ عـــام

• مجلة سنوية تصدرها الجامعة في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية وينشرها مركز النشر العلمي بالجامعة . يُقبل للنشر فيها البحوث المبتكرة ، ترسل المواد إلى :

رئيس التحرير – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز – ص . ب ٩٠٣٢ جدة ٢١٤٩٢ – المملكة العربية السعودية

• لاتنشر المواد إلا بعد التحكيم . • المواد المقدمة للنشر يجب ألا يكون قد سبق نشرها أو مقدمة للنشر في جهة أخرى ، وإذا قبلت للنشر ، لايسمح بنشرها بنفس الشكل وبأية لغة في أية جهة أخرى إلا بتصريح كتابي من رئيس التحرير .

■ التقديم للنشر

• تقدم المواد من أصل وصورتين منسوخة على الآلة الكاتبة على مسافتين وعلى وجه واحد فقط ، مع ترك بوصة لكل هامش ، مرقمة ترقيما مسلسلا بما في ذلك الأشكال والجداول . • يشترط أن تقدم المستخلصات ، والهوامش ، والجداول ، والتعليق على الأشكال والمراجع في صفحات مستقلة .

■ الكتـــابة

• يبوب المقال على النحو التالي :

١ – عنوان المقال ويكون مختصراً ومعبراً عن مضمون المقال . ٢ – المؤلف (المؤلفون) . ٣ – عنوان المؤلف (المؤلفون) بحيث يصلح عنواناً للمراسلات ٤ – المستخلص (بلغة المقال) . ٥ – المتن ويقسم إلى عناوين رئيسة محددة وفق المنهج البحثي المتبع (على سبيل المثال ، المقدمة ، التجارب ، النتائج ، المناقشة ، الخلاصة ، المراجع ، الملاحق) ، مع مراعاة أن تكون العناوين الفرعية ذات المستوى الواحد مكتوبة بالطريقة نفسها .

• يكون لكل بحث مستخلصان أحدهما بالعربية والآخر بالانجليزية ، ويتبع في كتابتهما القواعد الدولية لكتابة المستخلصات على ألا يتجاوز عدد كلمات أي منهما ٢٠٠ كلمة . يراعي أن يتضمن المستخلص أهم الحقائق والاستنتاجات ، وأن يكون مستقلا بذاته ويغني عن قراءة المقال .

• يستخدم النظام المتري والاختصارات المقننة (SI) . • التذييلات : تكون مرقمة ترقيما مسلسلاً خلال المتن وعند الإشارة إلى مرجع للمرة الأولى يكتب كاملا على أن يكون المدخل بالاسم الأول متبوعا باسم العائلة . عند تكرار الإشارة إلى المرجع نفسه تستخدم اصطلاحات الإحالة المقننة . لايغني ذكر المراجع كاملة في التذييلات من إعداد قائمة مراجع كاملة في نهاية المتن . • يجوز أن يستخدم المؤلف ، بدلاً من التذييلات ، نظام اسم/تاريخ/صفحة في المتن ، وعليه في هذه الحالة مراعاة القواعد المتبعة في هذا المنهج . • المراجع : ترتب هجائيا حسب اسم عائلة المؤلف ، تكون جميع العناصر البليوجرافية للمرجع كاملة ، مع اتباع القواعد الدولية لكتابتها . تكتب جميع اسماء المؤلفين ولايقبل «وآخرون» . يجب التأكد من أن جميع المراجع الواردة بالمتن مذكورة بالقائمة ، كما أنه يجب ألا تكون هناك مراجع بالقائمة لم يشر إليها في المتن .

■ الجـــداول

• ترقم الجداول ترقيما مسلسلاً خلال المتن ، ويكون لكل منها عنوانه أعلى الجدول ، ومصدره أسفله . • تحدد أماكن الجداول في هامش المتن . • يراعي تنسيق كتابة الأرقام تحت بعضها البعض .

■ الأشكـــال

• تقدم في غلافة منفصلة مع مراعاة عدم طيها . • يشار إلى مواضع الأشكال في هامش المتن أو لصق **صورة** منها في أماكنها المحددة بالمتن . • تقدم الأشكال الخطية مرسومة بالحبر الصيني على ورق كلك أو لماع مقاس ١٢ × ١٨سم أو أضعافه أو أنصافه ، مع مراعاة سمك الحروف والرموز والخطوط . • تقدم الصور الظلية (الفوتوغرافية) من نسخ أصلية مطبوعة على ورق لماع مقاس ١٣ × ١٨سم أو أضعافه أو أنصافه . • لاتقبل الصور الملونة إلا إذا كان للون دلالة علمية .

■ تجـارب الطبع

• يراجع المؤلف تجربتي الطبع الأولى (سلخ) والثانية (صفحات) ، على ألا تستغرق المراجعة أكثر من ٧٢ ساعة . • ولايجوز له الإضافة أو الحذف أو التعديل ، وبخاصة على التجربة الصفحات .

■ المستـلات

• يحصل مؤلف (مؤلفو) كل بحث على ٥٠ مستلة من كل بحث بدون مقابل . • يتحمل المؤلف (المؤلفون) بتكاليف مازاد على ذلك طبقا لما يقرره المركز ، وعلى المؤلف (المؤلفين) طلب المستلات الإضافية قبل الإحالة للطبع والسداد مقدماً .

بسم الله الرحمن الرحيم

■ الاشتراك السنوي ■

■ داخل المملكة ٥ ريالات سعودية
■ خارج المملكة ٥ دولارات أمريكية (بماقي ذلك البريد)

■ البيع والاشتراك ■

مركز النشر العلمي - جامعة الملك عبد العزيز
ص . ب ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١ - المملكة العربية السعودية

■ التبادل ■

عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك عبد العزيز
ص . ب ٣٧١١ - جدة ٢١٤٨١ - المملكة العربية السعودية

مطابع جامعة الملك عبد العزيز

القسم العربي

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١ ، ص ص ١ - ٦٢ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

الميزان المائي المناخي في المملكة العربية السعودية

محمد العبد الله الجراش*

مستخلص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الملامح الأساسية لمركبات الميزان المائي المناخي في المملكة العربية السعودية ، وذلك بتطبيق نموذج «ثورنثويت - ماثر» على خمسين محطة مناخية متناثرة في أرجاء المملكة ، وتمثلها إحصاءات تُغطي فترة ستة عشر عاما (١٩٧٠ - ١٩٨٥) . ويكشف تحليل المتوسطات السنوية التأثير المُسيطر لعاملي الموقع العرضي والارتفاع التضاريسي في تحديد النطاقات المكانية لتفاوت حجم الميزان المائي . كما أن تحليل المتوسطات الفصلية أظهر مايلي :

■ أن هناك عجزا مائيا كبيرا في جميع الفصول (يصل إلى ٢٠٨م في الصيف) .

■ أن هناك فائضا مائيا طفيفا جدا في فصلي الشتاء والربيع (يصل إلى ٢٣م) ويقتصر على ثمانية نطاقات مكانية محدودة المساحة .

■ أن المرتفعات الجنوبية الغربية تتميز عن بقية أجزاء المملكة بتواتر وضع ميزانها المائي خلال الفصول الأربعة .

أما المتوسطات الشهرية فقد كشفت عن تفصيلات نمط المسيرة الشهرية لمركبي العجز المائي والفائض المائي . هذه التفصيلات أوضحت :

■ أن ظهور الفائض المائي يتراوح بين مرة واحدة في شرق وسط المملكة و ٢٣ مرة في نطاق مرتفعات الجنوب الغربية > ٢٥٠٠م ، وأن كمية هذا الفائض ترجحت بين حد أدنى قدره ٩م في شمال المملكة ، وحد أقصى قدره ٣٧٩م في نطاق مرتفعات الجنوب الغربية > ٢٥٠٠م .

■ أن هناك تقاربا بين أحجام العجز المائي ونمط المسيرة الشهرية بين شهور فصلي الربيع والخريف من جهة ، وبينها وبين شهور فصل الشتاء ، وأن شهور فصل الصيف تظل متميزة عنها بشكل حاد .

(*) أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز - جدة - المملكة العربية السعودية .

■ أن احتمالية الحاجة للري لمقابلة العجز المائي دون مستوى الحاجة المناخية للمياه تتناقص من ٨٧ر. لفصل الخريف إلى مابين ٥٥ر. - ٦٦ر. لفصل الربيع لتستقر كحد أدنى بين ٤٦ر. - ٥٥ر. لفصل الشتاء .

يمثل «نموذج الميزان المائي» الذي وضعه شارلز وارن ثورنثويت وجون ماثر (ثورنثويت ، ماثر ١٩٥٥ب) (Thornthwaite, C.W. & J. Mather 1955b) مرحلة تالية لأبحاث ثورنثويت التي أجراها في الفترة من ١٩٤٣ - ١٩٥٤ ، والتي تركزت حول وضع صيغ عملية قابلة لتقدير «التبخّر الكُلّي» على نطاق الكرة الأرضية . ومنذ البداية أدرك ثورنثويت النقاط الأساسية التالية :

(أ) أن «التبخر الكلّي» ذو شقين : «تبخّر كلّي ممكن» ، و «تبخر كلي فعليّ» .

(ب) أن «التبخر الكلّي» بشقيه يؤدي دوراً أساسياً في الميزان المائي تجاوباً مع مستوى رطوبة التربة . (ثورنثويت ١٩٤٤) (Thornthwaite, C.W. 1944) .

ومع أن ثورنثويت يدرك أن «التبخر الكلي الممكن» ، والذي هو ببساطة ، «كمية المياه التي تتعرض للتبخر والنّتح من منطقة يغطيها غطاء نباتي مكتمل النمو ، وذلك في حالة توفر الرطوبة بشكل مستمر وكافٍ لضمان حصول النبات على حاجته القصوى من المياه» (ثورنثويت ١٩٤٤) ، (Thornthwaite, C.W. 1944) يمثله عملية معقدة ترتكز على الطاقة الحرارية ، والاضطراب والتشتت في الطبقة الدنيا من الغلاف الجوي ، والخصائص الطبيعية لسطح الأرض ، إلا أنه يرى أن هذه الظاهرة ترتبط بشكل أساسي بمصدر طاقة تأتي عَبْر الإشعاع الخالص ، وبأن «الحرارة يمكن أن تمثل مؤشراً للتبخر الكلي الممكن لأن هناك علاقةً بين شقّي الإشعاع الخالص المستنفد في التسخين ، والمستنفد في التبخر حينما تتوفر الأحوال التي تؤدي إلى حدوث المعدل الممكن» (ثورنتويت ١٩٥٤) (Thornthwaite, C.W. 1954) .

وهكذا نجده يضع الصيغة الأولى لمعادلته المشهورة لتقدير كمية «التبخر الكلي الممكن» في أي موقع جغرافي على أساس متغيرين : درجة الحرارة ورديفها مؤشر التسخين لتقدير الكمية غير المعدَّلة لـ «التبخر الكلّي الممكن» ، وطول فترة النهار لتعديل هذه الكمية .

أما بالنسبة لـ «التبخر الكلّي الفعلي» فإن ثورنثويت يرى أنه يتحدد بالفرق بين كمية الأمطار وكمية التبخر الكلّي الممكن ، على أساس أن تساوي الكميتين يعني تماثل شقي التبخر الكلي في الكمية ، وأن كمية التبخر الفعلي الممكن تقلّ عن هذا التماثل بمستوى يماثل الفرق بين كميتي الأمطار والتبخر الكلي الممكن ، ومعدل تدني الطاقة الحقلية للتربة . ولعله من الحري بنا أن نشير عند هذه النقطة إلى مسألتين :

الأولى : أن معادلة ثورنثويت لتقدير كمية «التبخر الكلي الممكن» هي ، من وجهة النظر الجغرافية ، من أفضل الطرق ، لأنها تناسب معالجة مركبات «الميزان المائي» لمساحات جغرافية كبيرة

ذات تباينات مكانية واضحة . كما أنها الطريقة الوحيدة التي تستند إلى الخسارة المائية من مساحات مكانية متكاملة ، في حين أن الطرق الأخرى ، مثلاً (بنمان ١٩٤٨ ، ١٩٥٦م) (Penman, H.L. 1948,1956) ، (بلاني وكردل ١٩٥٠) (Blaney, H.F. & W.D.Criddle 1950) ، (ترك ١٩٥٥) (Turc, L. 1955) ، (هامون ١٩٦١) (Hamon, W.R.1961) و (جنسن وهايس ١٩٦٣) (Jensen, M.E. & H.R. Haise 1963) ، تستند على قياس التبخر من أجهزة صغيرة عرضة لما يعرف بالتأثير الواحي الذي يتسبب في قراءاتٍ مبالغ فيها .

الثانية : أن الأبحاث التي تلخص نتائج القياسات الحقلية للتبخر الكلي الممكن باستخدام جهاز «ليزيمتر» تشير إلى أن الفروق بين كمية القياس الفعلي المباشر وبين تقدير كمية التبخر الكلي بتطبيق معادلة ثورنثويت تنحصر في حدود ٤٪ فقط (جرينلاند وآخرون ١٩٨٤) (Greenland, D., N. Caine & O. Pollak 1984) وهو فرق ضئيل يبرر تبني طريقة ثورنثويت في الدراسات التي تمثل أبعاداً جغرافية كبيرة .

وقد استخدم ثورنثويت بمعاونة تلميذه ماثر مركب «التبخر الكلي الممكن» ، كأساس لوضع طريقة بسيطة أطلقا عليها «الميزانية المائية : السجل المتواصل» وذلك لحساب المتوسطات الشهرية للميزان المائي ، استناداً إلى تقديرات «التبخر الكلي الممكن» و«المتوسط الشهري لكمية الأمطار» معتبرين أن الطاقة الحقلية للتربة ذات حد أقصى قدره ١٠٠مم (ثورنثويت ، ماثر ١٩٥٤) (Thornthwaite, C.W. & J.Mather 1954) ، ولقد تركزت الانتقادات على هذه المحاولة الأولى في نقطتين هما :

١ – صغر قيمة الطاقة الحقلية للتربة .

٢ – افتراض أن المياه الممثلة للطاقة الحقلية للتربة يتم سحبها بمعدل يساوي كمية التبخر الكلي الممكن حتى يتم تجفيف التربة تماماً ، بصرف النظر عن كون كمية الأمطار مساوية لكمية التبخر الكلي الممكن أم لا . هذا الافتراض يتجاهل تأثير الميكانيكية التفاعلية ذات العلاقة العكسية بين إمكانية سحب المياه من التربة وبين تناقص طاقتها الحقلية . وقد دفعت هذه الانتقادات الباحثين إلى إجراء العديد من الأبحاث التطبيقية عن استخدام الميزانية المائية في الري أدت إلى تبني فكرة «الوجود المتناقص» لرطوبة التربة ، وإلى تعديل مستوى الطاقة الحقلية إلى ٣٠٠مم لوضع الصيغة الثانية لحساب الميزان المائي (ثورنثويت ، ماثر ١٩٥٥أ ، ١٩٥٥ب) (Thornthwaite, C.W. & J. Mather 1955a, 1955b) .

ولأن العمليات الحسابية لتقدير مركّب التبخر الكلي متعددة ، وتتطلب وقتاً وجهداً كبيرين ، وبخاصة في الحالات التي يتعين فيها تقديره لمواقع عديدة تمثيل منطقة جغرافية معينة ، فقد سعى المهتمون بدراسات الميزان المائي إلى وضع العديد من برامج الحاسب الآلي لنموذج ثورنثويت ماثر

(البرش ،١٩٧١) (Albrech, J.C. 1971) ، (يوشيوكا ، ١٩٧١) ، (Yoshioka, 1971) (ستون ، ١٩٧١) ، (Stone, L.A. 1971) (ويلموت ، ١٩٧٧) (Wilmot, J.C. 1977) و(مولر ١٩٨١) (Muller, R.A. 1981) مما سهل استخدام هذا النموذج لحساب الميزان المائي لأجزاء متباينة على نطاق الكرة الأرضية . وهذه الدراسة هي محاولة لإضافة بُعد جديد في هذا الاتجاه وذلك بالكشف عن الملامح الأساسية للميزان المناخي المائي في المملكة العربية السعودية التي تمثل حيزاً مكانياً متميزاً مناخياً ، ولازالت المعرفة عن مركبات بيئته الطبيعية محدودة . وقد تم الحصول على برنامج مولر (مولر ، ١٩٨١) (Muller, R.A. 1981) وتخزينه في الحاسب الآلي بجامعة الملك عبد العزيز ، ومن ثم تجربته وتطبيقه لحساب الميزان المناخي المائي لمواقع خمسين محطة مناخية (خريطة ١) روعي في اختيارها الانتشار المكاني لتغطية جميع أجزاء المملكة ، وتوفر القياسات المناخية لعنصري الحرارة والأمطار لفترة ستة عشر عاماً ، تمتد من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٥ ، وهي أقصى فترة ممكنة نظراً لحداثة الرصد المناخي المنتظم في معظم أجزاء المملكة . وقد تم تجميع بيانات هذه القياسات من ثلاثة مصادر ، هي : مصلحة الأرصاد وحماية البيئة ، ووزارة الزراعة والمياه ، وشركة أرامكو .

وسنحاول فيما يلي تحليل نتائج هذا التطبيق ، وذلك على ثلاثة مستويات زمنية تمثل : النمط السنوي ، والنمط الفصلي ، والنمط الشهري .

النمط السنوي

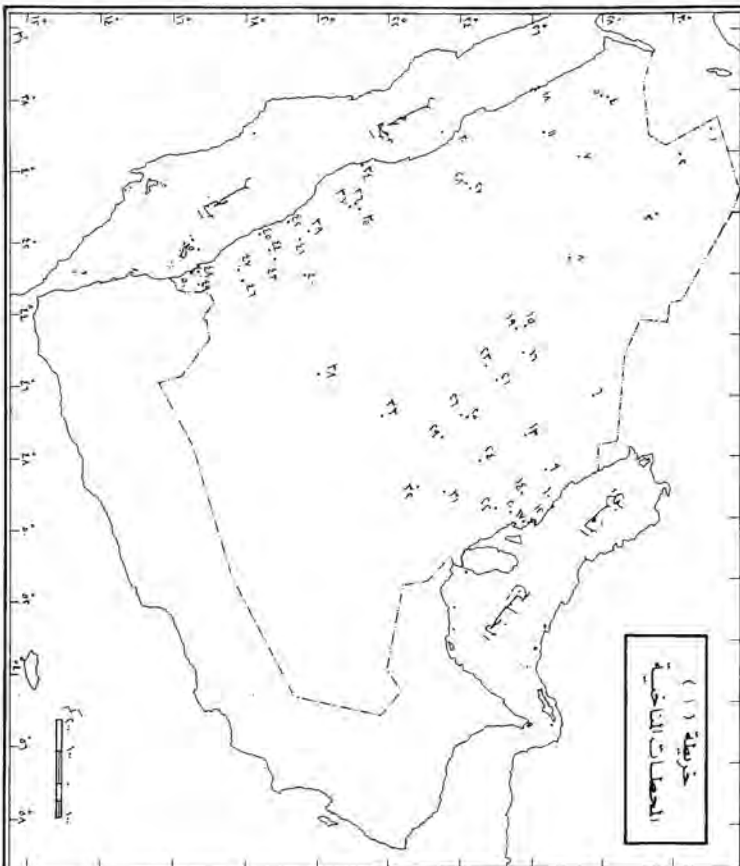
تبرز الخرائط من (٢ — ٥) المتوسطات السنوية للتبخر الكلي الممكن ، والتبخر الكلي الفعلي ، والعجز المائي ، والفائض المائي على التوالي . ويلخص الجدول رقم (١) القيم القصوى والقيم الدنيا السنوية . وبتفحص الخريطة رقم (٢) نجد أن التفاوتات المكانية للتبخر الكلي الممكن ، تعكس التأثير المسيطر لعاملين جغرافيين : الأول الموقع الفلكي (خط العرض) ، والثاني الوضع التضاريسي (الارتفاع) ، فأقل القيم نجدها في المناطق الأكثر ارتفاعاً ، أي المرتفعات الجنوبية الغربية > ٢٠٠٠م ، وفي أقصى شمال المملكة ، حيث يتراوح المتوسط السنوي لإجمالي التبخر الكلي الممكن بين ٩٠٠ و ١١٠٠م . وإلى الجنوب من هذا النطاق الشمالي تتوالى بشكل منتظم النطاقات التي يتزايد فيها حجم التبخر الكلي الممكن كلما توغلنا جنوباً ، باستثناء نطاق صغير يمثل المرتفعات الغربية بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠م يشذ عن هذا التسلسل ذي الزيادة المضطردة ممثلةً امتداداً ثانوياً لنطاق المرتفعات الجنوبية الغربية . ويبرز الساحل الغربي بشكل واضح ، هذه النطاقات الممثلة لفعل الموقع الفلكي ، حيث تتزايد حدة مستوى الإجمالي السنوي للتبخر الكلي الممكن من ١١٠٠م في أقصى الشمال إلى ٢١٠٠م في أقصى الجنوب ، أي بما يعادل ± ٩٠م في حجم إجمالي التبخر الكلي الممكن مقابل ± ١ خط عرض .

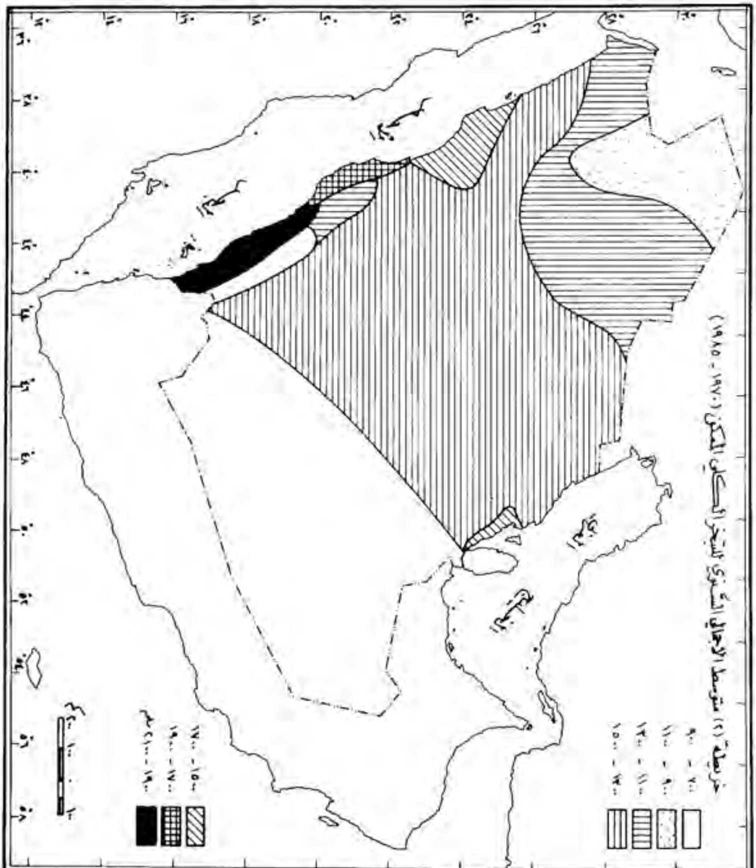
جدول رقم (١) متوسطات المجاميع السنوية (مم) لمركبات الميزان المائي على مستوى المملكة (١٩٧٠ - ١٩٨٥م)

المركب	القيمة القصوى						القيمة الدنيا					
	المتوسط	الحد الأعلى		الحد الأدنى		المدى	المتوسط	الحد الأعلى		الحد الأدنى		المدى
		القيمة	الموقع	القيمة	الموقع			القيمة	الموقع	القيمة	الموقع	
التبخر الكلي الممكن	١٤٩٩	٢٠٨٨	ملاكي (٤٩)*	٨٥٩	المحاص (٤٣)	١٢٢٩	١٢٤٨	١٩٢٢	ملاكي (٤٩)	٥٠١	حائل (٨)	١٤٢١
التبخر الكلي الفعلي	٢٩٩	٦١٤	كواش (٤٤)	١٦٤	الخرج (٢٩)	٤٥٠	٤٤	٢٦٣	المندق (٣٩)	٠ر٠	السليل (٣٨)	٢٦٣
العجز المائي	١٤٣٤	٢٠٣٠	صبيا (٤٨)	٥٧٢	المندق(٣٩)	١٤٥٨	١٠٤٠	١٧٣٧	صبيا (٤٨)	١٤٠	المحاص (٤٣)	١٥٩٧
الفائض المائي	٣٧	٣٩٧	المحاص (٤٣)	٠ر٠	—	٣٩٧	٠ر٠	٠ر٠	—	٠ر٠	—	٠ر٠

المركب	المتوسط					
	المتوسط	الحد الأعلى		الحد الأدنى		المدى
		القيمة	الموقع	القيمة	الموقع	
التبخر الكلي الممكن	١٣٨٠	٢٠٢٤	ملاكي (٤٩)	٨٣٦	المندق (٣٩)	١١٨٨
التبخر الكلي الفعلي	١٣٤	٤٢٥	المندق (٣٩)	٣٢	ينبع (٣٠)	٣٩٣
العجز المائي	١٢٤٤	١٨٩٦	صبيا (٤٨)	٣٥٤	المحاص(٤٣)	١٥٤٢
الفائض المائي	٧	١١٦	المحاص (٤٣)	٠ر٠	—	١١٦

(*) الأرقام القرينة بأسماء المواقع تدل على موقعها في الخريطة رقم (١) .


خريطة (١)
المحطات المناخية


خريطة (٢) متوسط الإجمالي السنوي للتبخر الكلي الممكن (١٩٧٠ - ١٩٨٥)
٧٠٠ - ٩٠٠
٩٠٠ - ١١٠٠
١١٠٠ - ١٣٠٠
١٣٠٠ - ١٥٠٠
١٥٠٠ - ١٧٠٠
١٧٠٠ - ١٩٠٠
١٩٠٠ - ٢١٠٠ ملم

هذا التفاوت المكاني لحجم التبخر الكلي الممكن ، أي الحاجة المناخية للمياه هو في الحقيقة ، المحدد الأساسي لنمط نطاقات تباين الميزان المائي ، أي الفائض أو العجز المائي ، بشكل تأثير إيجابي في المناطق الأغزر أمطاراً نسبياً ، وبشكل سلبي في المناطق الأكثر جفافاً نسبياً .

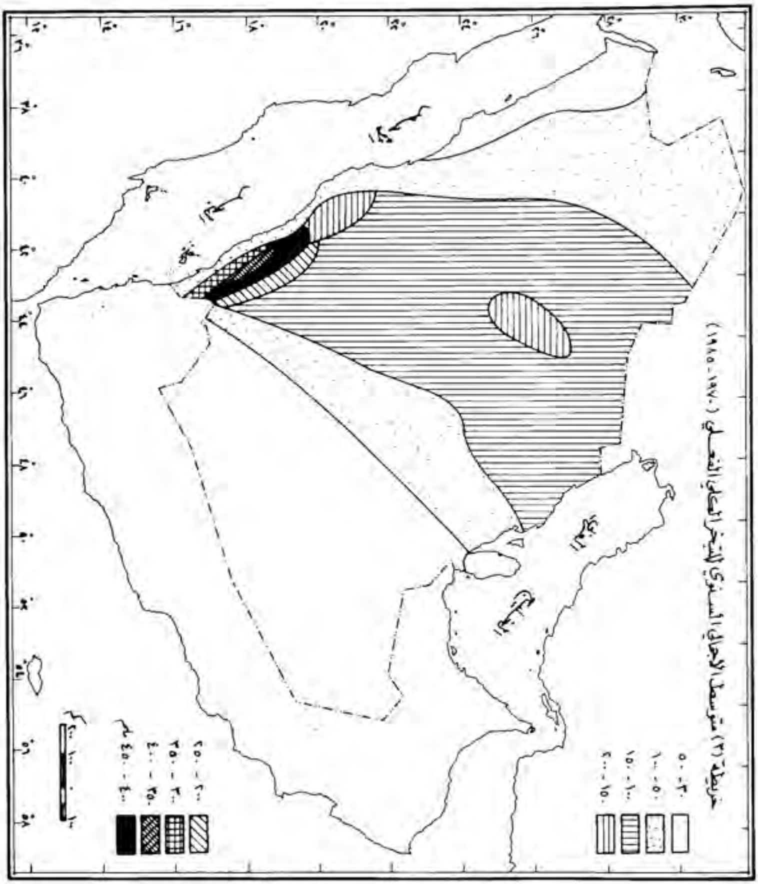
وإذا انتقلنا إلى الخريطة رقم (٣) نجد أن توزيع متوسط الإجمالي السنوي للتبخر الكلي الفعلي يمثل أنماطاً متميزة عن أنماط التبخر الكلي الممكن ، وذلك لأن كمية الأمطار التي تتساقط على أجزاء المملكة هي أقل كثيراً من مستوى الحاجة المناخية للمياه ، ويؤثر فيها بشكل حاد العلاقة المثلة للزيادة المضطردة مع الارتفاع التضاريسي ، مما جعل نطاقات تركّز حدّة التبخر الكلي الفعلي تنتشر بشكل تسلسلي منتظم على المرتفعات الجنوبية الغربية ، حيث تتدرج متوسطات الإجمالي السنوي من نطاق ٢٠٠ - ٢٥٠مم إلى نطاق ٤٠٠ - ٤٥٠مم ، وهو النطاق الممثل لأقصى مدى للتبخر الفعلي الممكن في نطاق المملكة .

وبتفحص الخريطتين ٤ و٥ الممثلتين لحصيلة الميزان المائي السنوي أو العجز المائي والفائض المائي نجد أن نطاقات الفائض المائي تمثلها قيمٌ صغيرة جداً ، تتراوح بين نطاق «صفر» لمعظم أجزاء المملكة ونطاق ١٠٠ - ٢٠٠مم للمرتفعات الجنوبية الغربية (> ٢٠٠٠م) ، في حين أن نطاقات العجز المائي تمثلها قيم كبيرة جداً تتراوح بين نطاق ٣٠٠ - ٥٠٠مم على المرتفعات الجنوبية الغربية وبين نطاق ١٧٠٠ - ١٩٠٠مم على ساحل تهامة عسير . هذا التباين يعكس ، في الحقيقة ، ضعف تواتر الفائض المائي من جهة ، وحِدّة تواتر العجز المائي من جهة أخرى خلال فترة هذه الدراسة . وعلى أية حال ، لعله من نافل القول أن نذكر هنا أن تحليل المتوسطات السنوية ينحصر في مستوى الانطباع العام الشامل دون بروز خصائص معينة كما أنه يقود ، أحياناً إلى بعض التناقضات في الاستنتاج والتعليل . وأخذاً في الاعتبار لهذه النقطة تم تبني إضافة تحليل التوازن المائي في هذه الدراسة على المستوى الفصلي والمستوى الشهري .

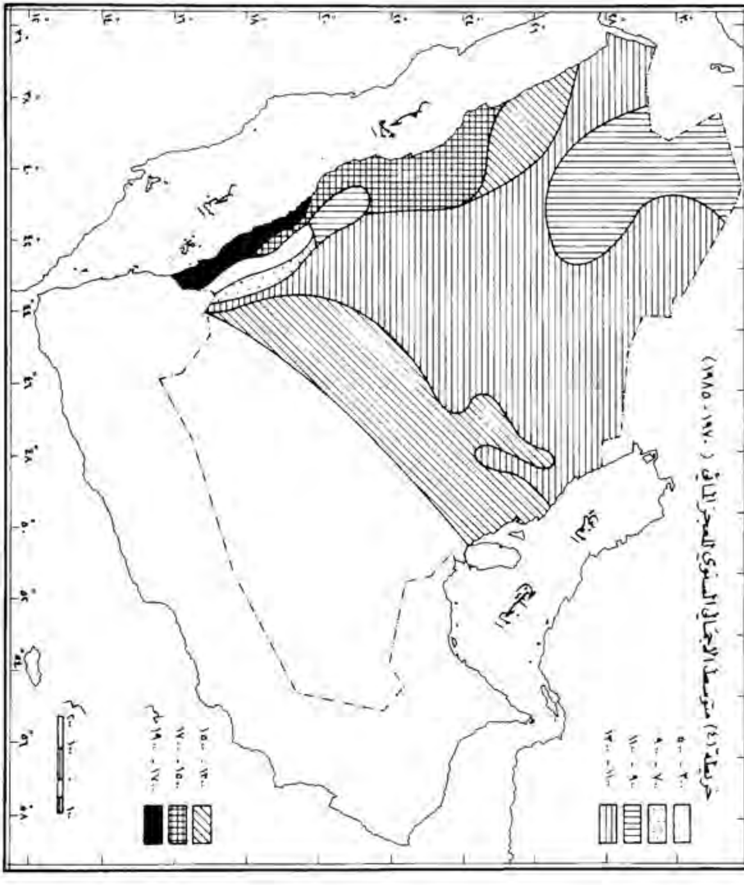
الأنماط الفصلية

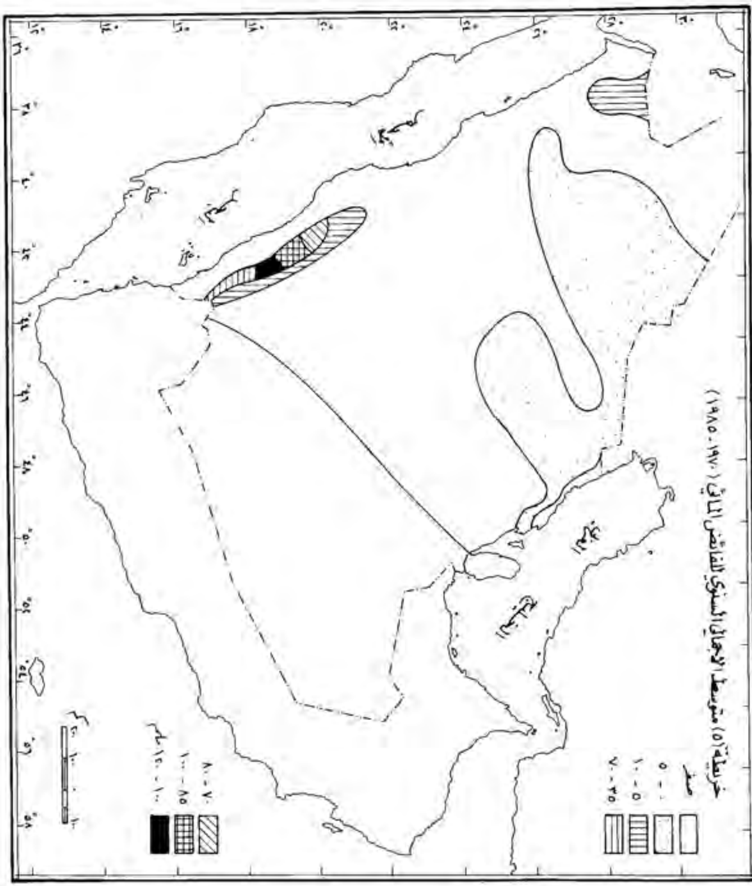
١ - فصل الشتاء

تبرز الخرائط من ٦ - ٩ أنماط مركبات الميزان المائي التي تسود شتاءً في أرجاء المملكة . ويلخص الجدول (٢) المتوسطات الفصلية لمركبات الميزان المائي . وتوضح الخريطة الممثلة لمركب التبخر الكلي الممكن (خريطة ٦) بشكل جلي أنّ التبخر الكلي الممكن في فصل الشتاء في هذا الجزء من العالم يتحكم فيه بشكل منتظم ومتواتر الموقع الفلكي (خط العرض) ، وأن العامل التضاريسي (الارتفاع) يفقد تأثيره تماماً . وسبب هذا أن الشتاء تزيد فيه درجة الحرارة نسبياً من الشمال الى الجنوب تحت تأثير الرياح الشمالية الشرقية والشمالية التي تسود أجزاء المملكة الى الشرق من الحاجز الجبلي الغربي ، وأن تأثير الارتفاع الشاهق في جنوب غربي المملكة هو تأثير تعديلي وليس ترجيحي .



خريطة (٣) متوسط الإجمالي السنوي للتبخر/النتح الفعلي (١٩٧٠-١٩٨٥)


خريطة (٤) متوسط الاجمالي السنوي للعجز المائي (١٩٧٠ - ١٩٨٥)
٣٠٠ - ٥٠٠
٧٠٠ - ٩٠٠
٩٠٠ - ١١٠٠
١١٠٠ - ١٣٠٠
١٣٠٠ - ١٥٠٠
١٥٠٠ - ١٧٠٠
١٧٠٠ - ١٩٠٠ ملم


خريطة (٥) متوسط الإجمالي السنوي للفائض المائي (١٩٧٠-١٩٨٥)

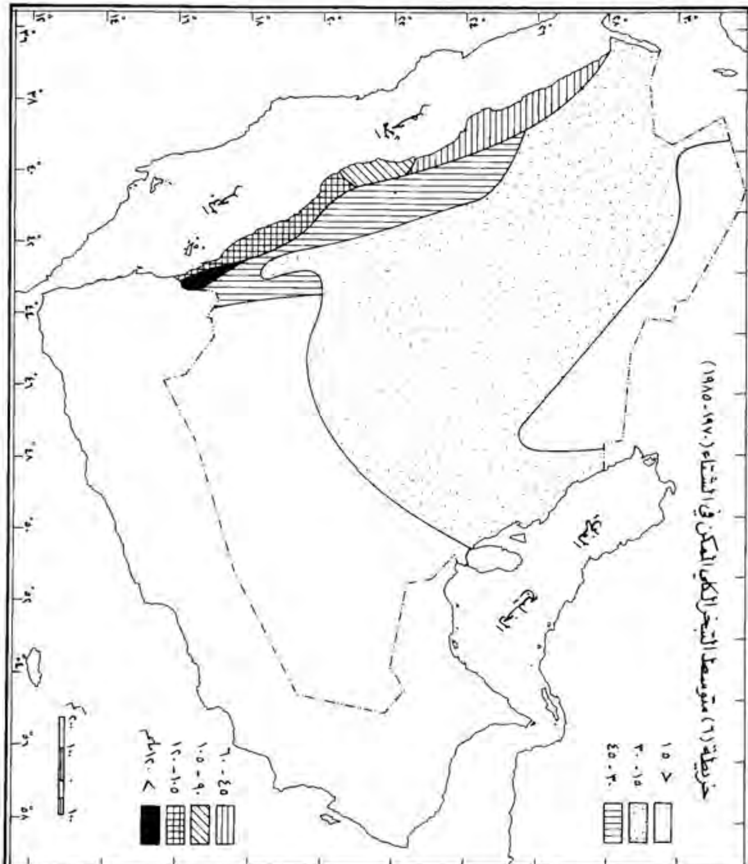
ولذا نجد أن مستوى التبخر الكلي الممكن في فصل الشتاء في مرتفعات جنوب غربي المملكة ، حيث يتراوح بين ٣١م و٤٥م ، أكبر من مستواه في وسط المملكة والساحل الشرقي ، حيث يسود نطاق ١٥ - ٣٠م الذي يقع إلى الجنوب من النطاق الشمالي ، وهو أقل النطاقات بمستوى ١٥م . ومرة أخرى نجد أن الساحل الغربي يبرز فيه تدرج واضح للنطاقات الأربعة الأكبر ، ابتداء من نطاق ٤٦ - ٩٠م إلى نطاق > ١٢٠م على السفوح الجنوبية الغربية (< ٥٠٠م) جنوب خط عرض ١٨ شمالاً . وبمقارنة هذا النمط الشتوي مع النمط السنوي نجد تجانساً فيما يخص أنماط الساحل الغربي ، وانحرافاً كاملاً فيما يخص أنماط الأجزاء الأخرى من المملكة ، مما يؤكد شمولية الأنماط السنوية .

وإذا تمعنا في الخريطة رقم (٧) الممثلة لمستويات التبخر الكلي الفعلي ، نجد أنها تتراوح بين مستوى ٥م ومستوى ٢٥م ، وتمثلها أنماط ضعيفة في انتظام تسلسلها المكاني . وأضعف الأنماط نجده في أقصى شمال غرب المملكة وفي أقصى جنوبها . كما أن المستوى الثاني (٥ - ١٠م) نجده على جميع أجزاء وسط وشمال المملكة وفي أقصى جزء من جنوب الساحل الغربي . كما أن المستوى الثالث (١٠ - ١٥م) ينتشر على الساحل الشرقي وعلى جزء ضئيل من وسط الساحل الغربي . إلا أننا نجد أن تهامة عسير والسفوح الجنوبية الغربية والمرتفعات التي تليها تمثل نمطاً من النطاقات المنتظمة في تسلسلها بتأثير عامل الارتفاع التضاريسي الذي يتسبب في غزارة مطرية نسبية في أمطار هذا الجزء من البلاد ، مما ينجم عنه زيادة موازية في حجم المياه التي تتبخر فعلاً من النبات وسطح الأرض . ويبدو أن عامل التركز المطري في جنوب غربي المملكة ، والتفاوت في حجمه ، من منطقة لأخرى في الأجزاء الأخرى من البلاد ، يفسر تطابق النمط الشتوي مع النمط السنوي لمركب التبخر الكلي الفعلي في كلتا الخاصيتين ، أي في التسلسل المنتظم في جنوب غرب المملكة ، والعشوائية في توزيع النطاقات على بقية أجزاء المملكة ، كما توحي بذلك مقارنة الخريطتين ٣ و٧ .

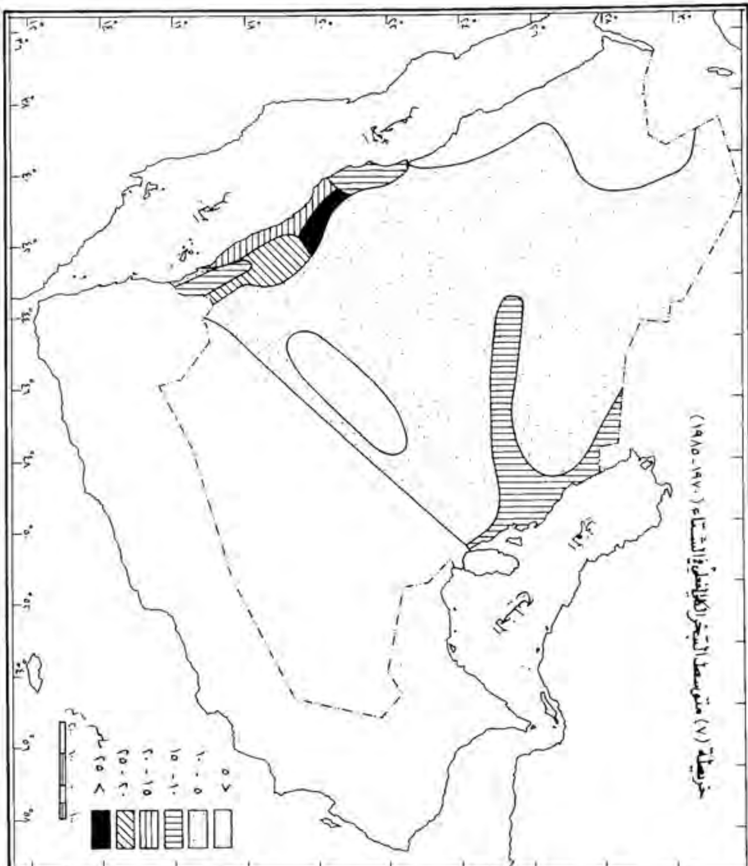
وإذا انتقلنا إلى مركب العجز المائي (خريطة رقم ٨) نجد أن هناك ثمانية مستويات للعجز المائي خلال فصل الشتاء ، مقارنة بسبع مستويات تمثل المتوسط السنوي . إلا أن فئة مستويات الشتاء ضئيلة جداً ، تتراوح بين ٥ - ١٠م و٨٥ - ١٢٠م ، مقارنة بالفئات الممثلة لمتوسطات الإجمالي السنوي التي تتراوح بين ٣٠٠ - ٥٠٠م و١٧٠٠ - ١٩٠٠م . وتأخذ نطاقات نمط العجز المائي خلال فصل الشتاء في المملكة انتظاماً ملحوظاً في تسلسلها المكاني بفعل عامل الموقع العرضي ، وذلك في جميع أجزاء المملكة باستثناء المرتفعات الجنوبية الغربية التي يقتصر فيها تأثير العامل الارتفاعي على الأجزاء التي تقع فوق مستوى ارتفاع ٢٢٠٠م ، حيث يسود نطاق أقل الفئات (٥ - ١٠م) ، ومثله في ذلك شمال المملكة . ومرة أخرى نجد أن الساحل الغربي يتميز بتسلسل منتظم يتزايد عكسياً مع قيمة خط العرض ابتداءً من المستوى الثاني حتى المستوى الأخير .

جدول (٢) المتوسطات الفصلية لمركبات الميزان المائي (مم)على مستوى المملكة (١٩٧٠ - ١٩٨٥م)

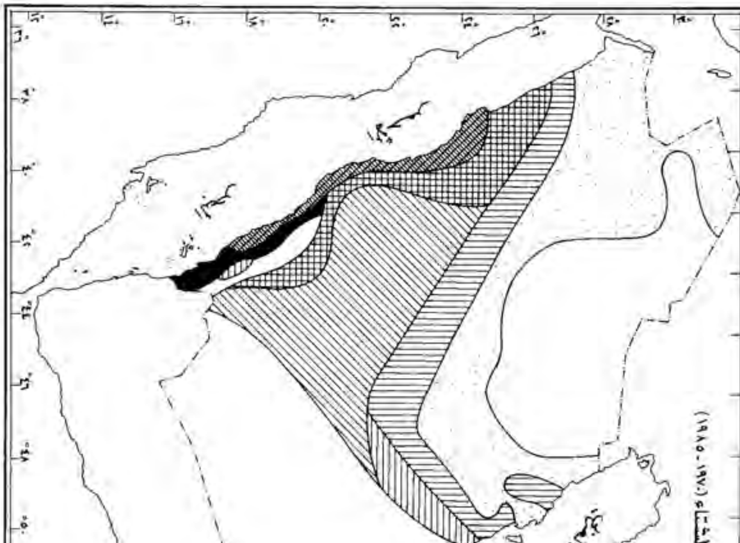
المركب	فصل الشتاء						فصل الربيع					
	المتوسط	الحد الأعلى	الموقع	الحد الأدنى	الموقع	المدى	المتوسط	الحد الأعلى	الموقع	الحد الأدنى	الموقع	المدى
التبخر الكلي الممكن	٣٨ر٥	١٢٨ر٥	ملاكي (٤٩)	١٣ر٨	القيصومة (٦)	١١٤ر٧	١٢٠ر٠	١٨١ر١	ملاكي (٤٩)	٦٤ر١	الحماص (٤٣)	١١٧ر٠
التبخر الكلي الفعلي	٩ر٦	٢٥ر٦	المدق (٣٩)	٣ر٧	السليل (٣٨)	٢١ر٩	٢١ر٤	٥٦ر٥	الحماص (٤٣)	٢ر٧	الوجه (١٨)	٥٣ر٨
العجز المائي	٢٨ر٥	١١٧ر١	ملاكي (٤٩)	٥ر٠	القيصومة (٦)	١١٢ر١	١٠٠ر٤	١٦٩ر٢	صبيا (٤٨)	٧ر٨	الحماص (٤٣)	١٦١ر٤
الفائض المائي	١ر٢	٢٠ر٠	بلجرشي (٤١)	٠ر٠	—	٢٠ر٠	١ر٢	٢٣ر٢	الحماص (٤٣)	٠ر٠	—	٢٣ر٢
	فصل الصيف						فصل الخريف					
	المتوسط	الحد الأعلى	الموقع	الحد الأدنى	الموقع	المدى	المتوسط	الحد الأعلى	الموقع	الحد الأدنى	الموقع	المدى
التبخر الكلي الممكن	١٨٦ر٢	٢٠٩ر٤	القيصومة(٦)	١٠٢ر٠	الحماص (٤٣)	١٠٧ر٤	١١٢ر٥	١٦٥ر٤	صبيا (٤٨)	٦٣ر٠	الحماص (٤٣)	١٠٢ر٤
التبخر الكلي الفعلي	٧ر٢	٤٤ر٢	الحماص (٤٣)	١ر٠	ينبع (٣٠)	٤٤ر١	٦ر٧	٣٤٩ر٤	ملاكي (٤٩)	٠ر٠	السليل (٣٨)	٣٩ر٤
العجز المائي	١٧٨ر١	٢٠٨ر٥	أبقيق (٢٠)	٤٠ر٨	المدق (٣٩)	١٣٧ر٣	١٠٧ر٩	١٥٦ر٥	جيزان (٥٠)	٢٢ر٠	المدق (٣٩)	١٣٤ر٥
الفائض المائي	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—



خريطة (٦) متوسط التبخر الكلي الممكن في الشتاء (١٩٧٠-١٩٨٥)



خريطة (٧) متوسط التبخر الكامن في فصل الشتاء (١٩٧٠-١٩٨٥)

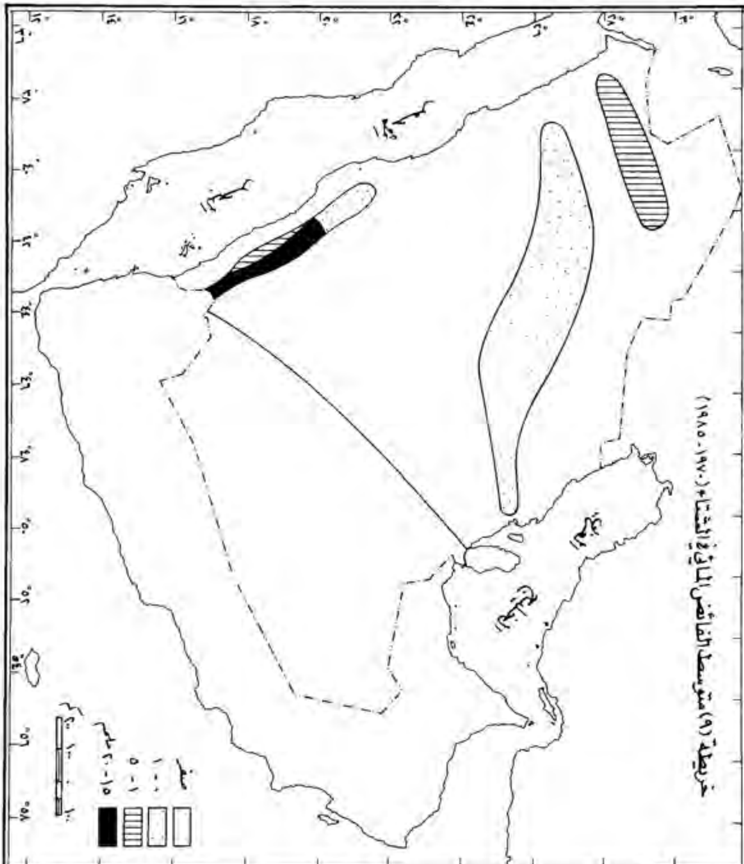

خريطة (٨) متوسط العجز المائي في الشتاء (١٩٧٠-١٩٨٥)
٥ - ١٠
١٠ - ١٥
١٥ - ٢٠
٢٠ - ٢٥
٢٥ - ٣٠
٣٥ - ٤٠
٥٠ - ٨٥
٨٥ - ١٢٠ ملم
الخليج
البحر

وإذا انتقلنا إلى مركب الفائض المائي (خريطة ٩) نجد أن هناك أربعة مستويات ، مستوى ينعدم فيه الفائض المائي ، ويسود على جميع أجزاء المملكة ، باستثناء إقليم سدير – القصيم – حائل ، ومنطقة سكاكة – تبوك ، والمرتفعات الجنوبية الغربية حيث تسود ثلاثة نطاقات ذات فئات ضئيلة . هذه المستويات ذات الفئات الضئيلة تمثل متوسطات لثلاثة أشهر خلال السنة ، ممايعني أن الفائض المائي قد يتركز في جزء من أي من هذه الأشهر ، مما ينجم عنه أن حساب الميزان المائي يعطينا نتيجتين متضاربتين بوجود عجز وفائض مائي متزامنين في نفس الفصل . على أية حال ، أقل مستويات الفائض المائي الشتوي (٠ – ١مم) نجده في نطاقين : الأول يسود على إقليم سدير – القصيم – حائل ، والثاني على المرتفعات الغربية (< ١٥٠٠م) ، كما أن المستوى الذي يليه (١ – ٥مم) يسود على نطاقين : إقليم سكاكة – تبوك ، وعلى المرتفعات الجنوبية الغربية (< ٢٢٠٠م) وسفوحها الغربية ، في حين أن المستوى ذا الفئة الأكبر (١٥ – ٢٠مم) يسود على نطاق المرتفعات الجنوبية الغربية (٢٢٠٠م) .

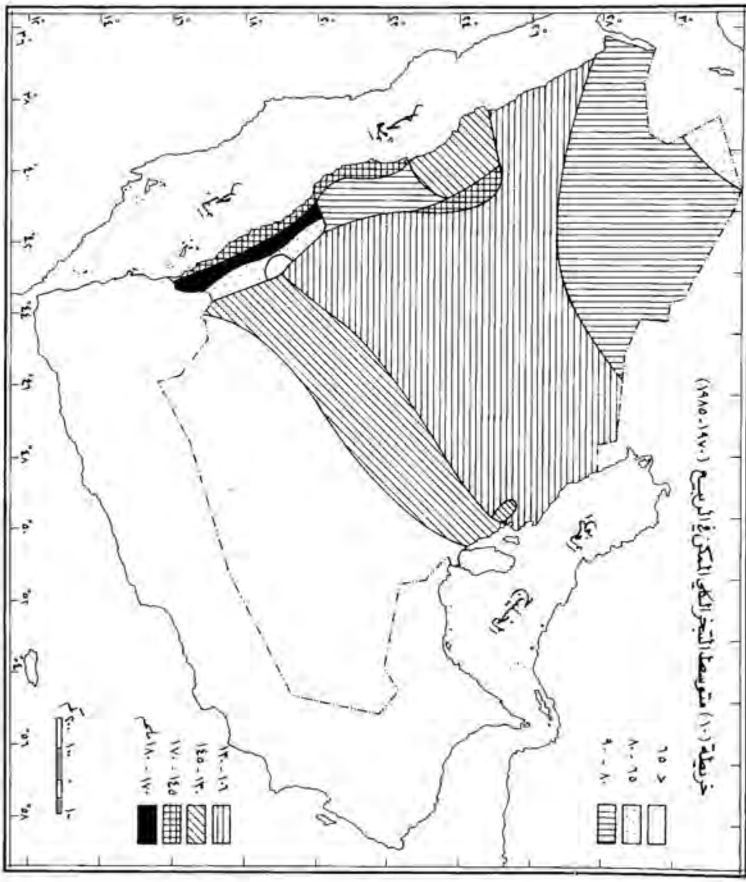
٢ – فصل الربيع

تمثل الخرائط من ١٠ – ١٣ أنماط مركبات الميزان المائي في فصل الربيع . وبتفحص خريطة التبخر الكلي الممكن (خريطة رقم ١٠) ومقارنتها بقرينتها على مستوى متوسط الإجمالي السنوي ، نجد أن هناك تطابقاً في عدد فئات مستويات هذا المركب ، حيث إن هناك سبع فئات تمثل فصل الربيع ومثلها تمثل السنة . إلا أنه منطقياً أن حجم الفئات الربيعية يتراوح بين فئة ٦٥مم ، التي تقتصر على منطقة صغيرة في أعلى مستويات المرتفعات الجنوبية الغربية (> ٢٥٠٠م) ، وبين فئة ١٧١ – ١٨١مم التي تسود على نطاق السفوح الجنوبية الغربية (< ٥٠٠م) جنوب خط عرض ١٨° شمالا . ومن الملاحظ أن هناك تطابقاً إلى حد كبير في نمط التوزيع المكاني للفئات السبع في الخريطتين ، مما يدلل على أن النمط المكاني للتبخر الكلي الممكن في فصل الربيع أقرب إلى نمط التوزيع على المستوى السنوي ، باستثناء تفصيلات معينة ، لعل أهمها انشطار المرتفعات الجنوبية الغربية إلى مستويين : الأول يقتصر على المناطق ذات الارتفاع (> ٢٥٠٠م) ، والثاني على المناطق التي ينحصر ارتفاعها بين (> ٢٢٠٠م) و (< ٢٥٠٠م) ويمثلها الفئة الثانية (٦٥ – ٨٠مم) . كما أن ساحل الجنوب الغربي ، جنوب خط عرض ١٨° شمالاً ، والسفوح اللصيقة به دون مستوى ٥٠٠م أيضاً انشطر على المستوى الربيعي إلى مستويين ، الأول تمثله الفئة قبل الأخيرة (١٤٦ – ١٧٠مم) على السهول الساحلية ، والثاني تمثله الفئة الأخيرة على السفوح . كما نلاحظ أن جنوب المملكة انشطر عن وسطها بتسلسل منتظم يمثله الفئة الرابعة (١٣١ – ١٤٥مم) .

على أية حال ، هناك ثلاثة أنماط متميزة لنطاقات توزيع فئات مستويات التبخر الكلي الممكن في هذا الفصل .



خريطة (٩) متوسط الفائض المائي في الشتاء (١٩٧٠-١٩٨٥)


خريطة (١٠) متوسط التبخر الكلي في الربيع (١٩٧٠-١٩٨٥)
< ٦٥
٦٥ - ٨٠
٨٠ - ٩٠
١٣٠ - ١٤٥
١٤٥ - ١٧٠
١٧٠ - ١٨٠ملم

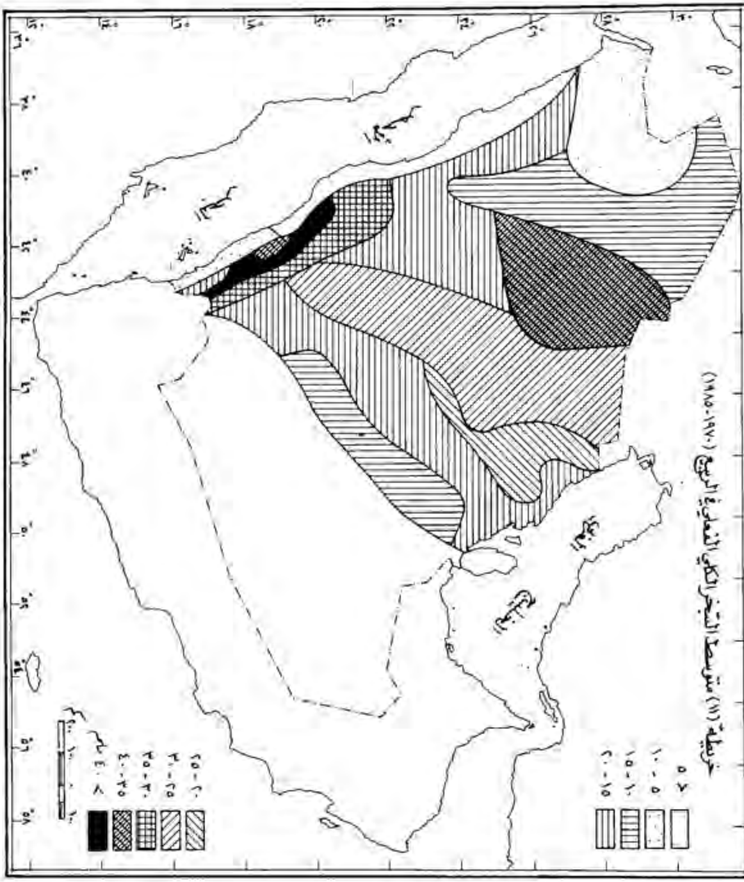
النمط الأول ، ويمثله شمال ووسط جنوب المملكة حيث تتوالى بشكل منتظم من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، أربعة نطاقات ابتداءً من المستوى الثاني (٦٥ – ٨٠مم) في أقصى الشمال إلى المستوى الخامس (١٣١ – ١٤٥مم) في أقصى الجنوب .

والنمط الثاني يمثله الساحل الغربي حيث تتابع خمسة نطاقات من أقصى الشمال وابتداءً بالمستوى الثالث (٨١ – ٩٠مم) إلى أقصى الجنوب انتهاء بالمستوى السابع (١٧١ – ١٨١مم) . ويبدو أن توزيع نطاقات هذين النمطين يتحكم فيه بشكل أساسي الموقع العرضي .

أما النمط الثالث وهو نمط المرتفعات الجنوبية الغربية فيمثله ثلاثة نطاقات تمثل الثلاثة مستويات الأولى ، والتى تتناقص أحجام فئاتها على أساس علاقة عكسية مع عامل الارتفاع .

وبمعاينة خريطة التبخر الكلي الفعلي في فصل الربيع (خريطة ١١) نجد أن هناك تسعة مستويات مكانية ، تبدأ بالفئة الأولى (< ٥مم) ، وتنتهي بالفئة التاسعة (< ٤٠مم) . كما أن التوزيع المكاني لهذه الفئة لايأخذ شكل النطاقات التسلسلية المنسجمة ، بل إن بعضاً من هذه النطاقات يسود على مناطق متباعدة مكانياً . وكما هو الحال بالنسبة نمط متوسطات الإجمالي السنوي ، نجد أن قلة عشوائية التوزيع المطري تنعكس بشكل واضح أيضاً على نمط التوزيع المكاني لفئات التبخر الكلي الفعلي في فصل الربيع على جميع أرجاء المملكة باستثناء المرتفعات الغربية والجنوبية الغربية ، والتي يمثلها نمط ذو نطاقات منتظمة ، يرتبط زيادة فئات أحجامها بنفس العلاقة المضطردة التي أضفت على الأمطار فى هذا الجزء من البلاد ميزة النطاقية التي تتزايد في كميتها مع زيادة الارتفاع . وبمقارنة خريطة التبخر الكلي الفعلي بمثيلتها لفصل الشتاء ، نلاحظ أن هذا المركب يكون أنشط نسبياً في فصل الربيع حيث إن عدد مستويات فئات الربيع أكبر بثلاث فئات ، وتمثل أحجاماً عالية نسبياً لايشملها النمط الشتوي . ولعل هذه الحدة الربيعية تعود إلى تركز الأمطار على أرجاء البلاد ، مع أنها غالباً شتوية – ربيعية ، في فصل الربيع .

وإذا انتقلنا إلى مركب العجز المائي في الربيع ، فإننا نجد أن الخريطة ١٢ توضح أن هناك سبع فئات مكانية لهذا المركب ، متساوية بذلك مع عدد فئات متوسط الإجمالي السنوي ، وتقل بفئة واحدة عن فئات فصل الشتاء الذي تتميز فئاته الأكثر بأنها أقل حجماً من حجم الفئات الربيعية التي تتراوح بين فئة (< ١٠مم) وفئة (١٥٠ – ١٧٠مم) مقارنة بفئات الشتاء التي تتراوح بين فئة ٥ – ١٠مم وفئة ٨٥ – ١٢٠مم . هذا الكبر في حجم الفئات المكانية للعجز المائي ، مع أن مركب التبخر الكلي الفعلي في فصل الربيع يعكس تركزاً مطرياً نسبياً في هذا الفصل مقارنة بفصل الشتاء ، سببه الدفء النسبي في الربيع ، عنه في الشتاء ، مما ينجم عنه زيادة في حجم التبخر الإجمالي الممكن ، أي الحاجة المناخية للمياه . هذا العامل الحراري ينعكس بشكل واضح في كون الفئتين الأولى (< ١٠مم) والثانية (٢٠ – ٤٠مم) تقتصران على المرتفعات الجنوبية الغربية (< ٢٥٠٠م و



خريطة (١) متوسط التبخر الكلي الفعلي الربيع (١٩٧٠-١٩٨٥)

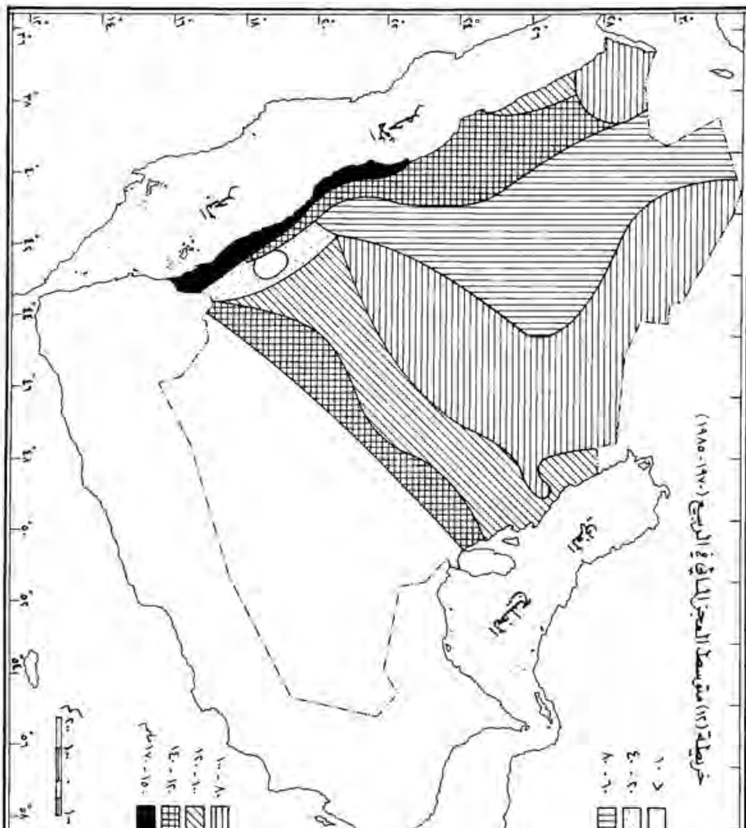
> ٢٢٠٠م) على التوالي . أما شمال ووسط وجنوب المملكة فيسودها نمط منتظم من النطاقات التي تأخذ اتجاهاً شمالياً – غربياً ، جنوبياً – شرقياً ، معه تتزايد قيم الفئات النطاقية . كما أن الساحل الغربي يسوده ، مرة أخرى نطاقات منتظمة التدرج ، ويمثلها من الشمال إلى الجنوب على التوالى الفئة الرابعة (٨٠ – ١٠٠مم) ، الخامسة (١٠٠ – ١٢٠مم) ، السادسة (١٢٠ – ١٤٠مم) ، والسابعة (١٥٠ – ١٧٠مم) ، عاكسة بذلك وبشكل دقيق ، السيطرة الكاملة لعامل الوضع المكاني على مدى خطوط العرض .

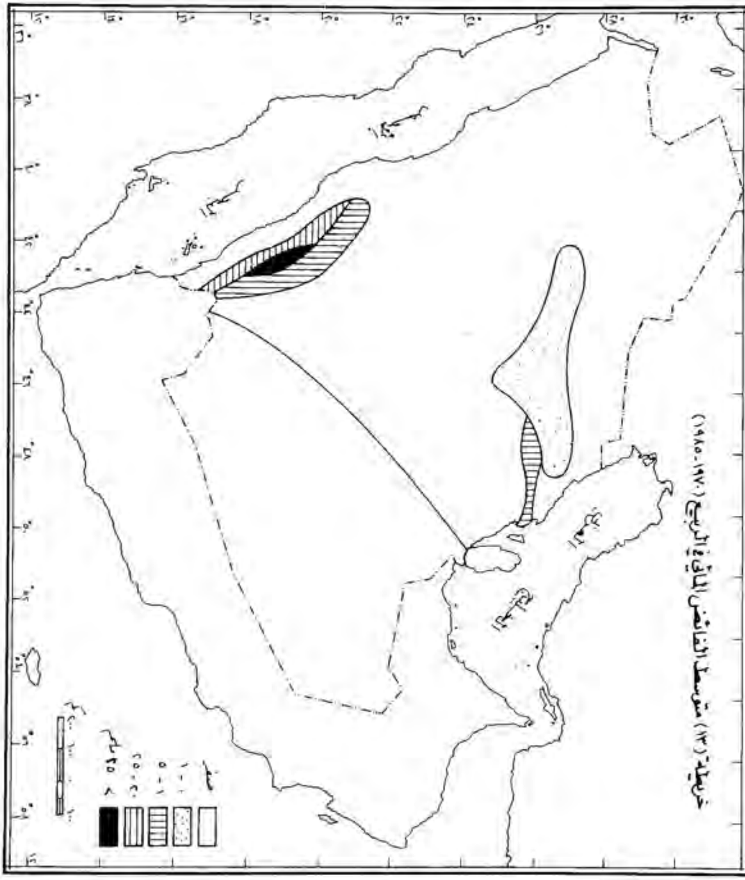
وبتفحص الخريطة الممثلة للمركب الأخير للميزان المائي في فصل الربيع (خريطة ١٣) ، نجد أن هذا المركب يتفاوت حجمه مكانياً بفئات خمسة تبدأ من فئة الصفر ، أي انعدام وجود فائض مائي ، وتنتهي بالفئة الأخيرة الممثلة للفائض المائي ، والتي يتراوح حجمها بين ٢٠ و٢٥مم . وتعكس مرة أخرى الكمية الأكبر نسبياً لتساقط الأمطار في هذا الفصل ، مقارنة بالفصول الأخرى في كونه ذا فئات أكبر عدداً ، مقارنة بفصل الشتاء مثلاً ، وبأن الفئة الأخيرة ذات حجم أكبر أيضاً ، وأكبر فئات مستويات الفائض المائي ، الفئة الخامسة ، يمثلها نطاق محدود من المرتفعات الجنوبية الغربية (> ٢٥٠٠م) ، والذي بدوره يمثل قمة انتظام نطاقي على هذا الجزء من البلاد حيث يتلوه نطاق الفئة الرابعة (٥ – ١٠مم) في المناطق التي تنحصر بين ارتفاع (> ٢٠٠٠م و > ٢٥٠٠م) . وعلى أية حال ، وكما هو الحال بالنسبة للفائض المائي الشتوي ، نجد أن الجزء الأكبر من البلاد يسود عليه نطاق الفئة الصفرية التي تدلل على عدم وجود فائض مائي ربيعي ، وذلك على طول الساحل الغربي ، شمال ووسط وجنوب المملكة والساحل الشرقي . أما الجزء الشمالي الشرقي من المملكة والسفوح الجنوبية الشرقية فتمثله الفئتان الثانية (٠ – ١مم) والثالثة (١ – ٥مم) على التوالي .

٣ - فصل الصيف

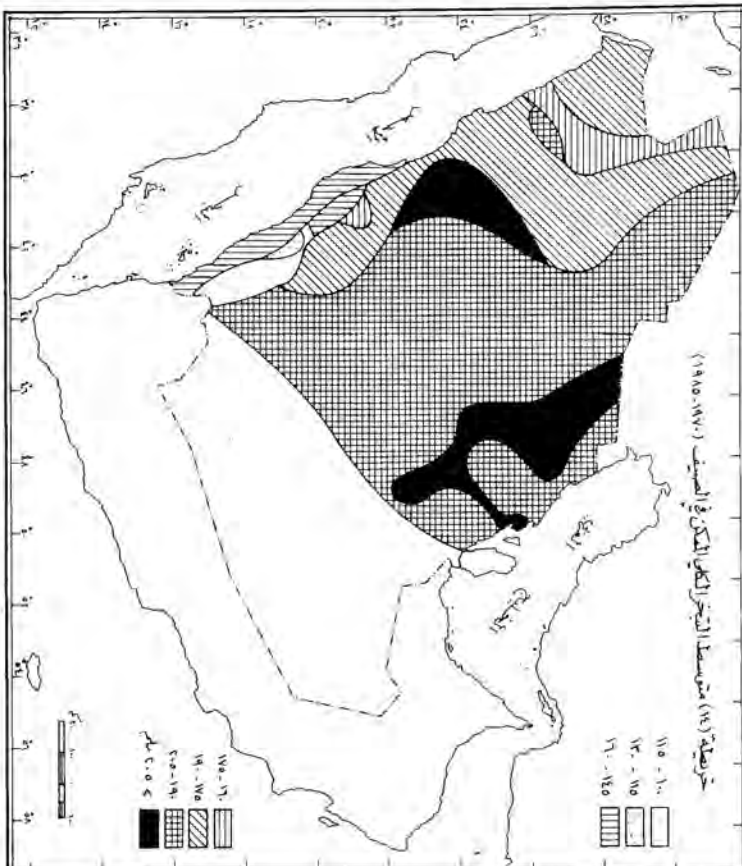
يمثل مركبات الميزان المائي في فصل الصيف ثلاث خرائط فقط (١٤ ، ١٥ ، ١٦) وذلك لأن مركب الفائض المائي ذو قيمة صفرية خلال هذا الفصل في جميع أجزاء المملكة ، دون استثناء . مما يعني عدم حدوث فائض مائي خلال أي شهر من شهور الصيف طوال فترة الستة عشر عاماً التي بنيت على إحصاءاتها هذه الدراسة . وبتفحص خريطة التبخر الكلي الممكن (خريطة ١٤) نلاحظ أن حجم فئات النطاقات المكانية أكبر نسبياً ، مقارنة بفصلي الشتاء والربيع ، حيث أن أولى الفئات ذات حجم (١٠٠ – ١١٥مم) ، وآخرها ذات حجم ٢٥٠مم . وعلى النقيض من نمط متوسط الإجمالي السنوي ونمطي فصلي الشتاء والربيع ، نجد هنا أن نطاقات الفئة الأكبر ليست على الجزء الجنوبي من الساحل الغربي ، بل يمثلها نطاقان : الأول الجزء الغربي من وسط الجزيرة (منطقة المدينة المنورة ٢٧ ، ٢٨)* والثاني على شكل حزام يمتد من القيصومة (٦) شمالاً ، في الجزء الشرقي من وسط

(*) الأرقام التي تتبع أسماء المحطات المناخية تدلل على موقعها في الخريطة رقم (١) .


خريطة (١٢) متوسط العجز المائي في الربيع (١٩٧٠-١٩٨٥)
< ٦٠
٤٠ - ٢٠
٨٠ - ٦٠
١٠٠ - ٨٠
١٢٠ - ١٠٠
١٤٠ - ١٢٠
١٧٠ - ١٥٠ ملم
٢٠٠ ١٠٠ ٠ ١٠٠ كم



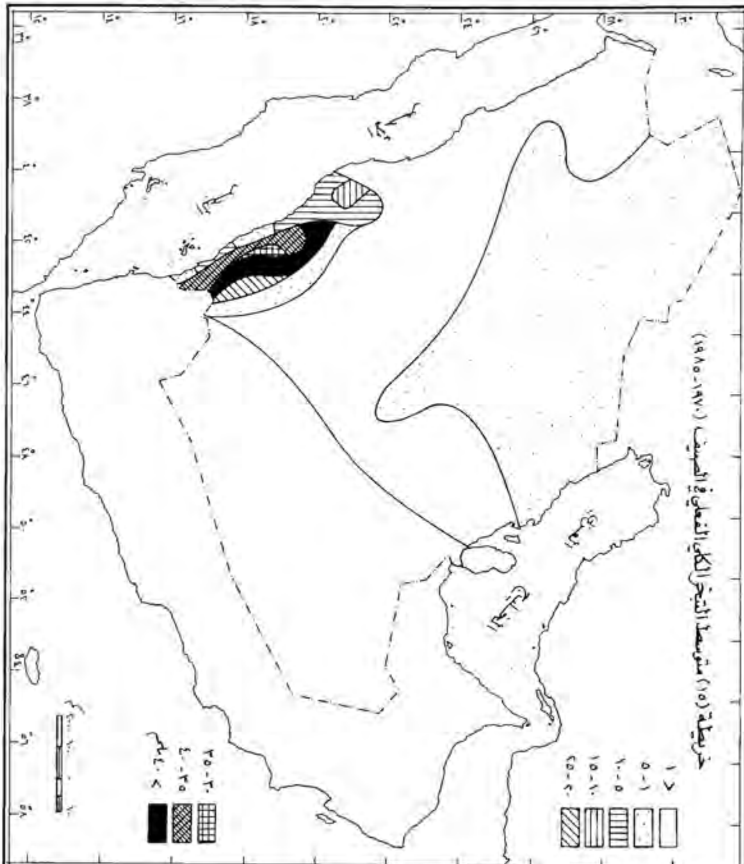
خريطة (١٣) متوسط الفائض المائي في الربيع (١٩٧٠-١٩٨٥)



خريطة (١٤) متوسط التبخر الكلي الممكن في الصيف (١٩٧٠-١٩٨٥)

الجزيرة ، حتى يبرين (٣٢) جنوباً . كما أن بقية وسط الجزيرة العربية والساحل الشرقي يسود عليه نطاق الفئة قبل الأخيرة (١٩١ – ٢٠٥مم) ، مثله في ذلك مثل الساحل الغربي جنوب خط العرض ٢٣° شمالاً . وتتميز أنماط النطاقات المكانية لحجم التبخر الكلي الممكن في هذا الفصل بأنها ذات امتدادات طولية ، ينعدم فيها التسلسل المنتظم لحجم التبخر الكلي الممكن ، مما يعني انعدام تأثير الوضع العرضي على مدى خطوط العرض ، لأن زاوية إسقاط الإشعاع الشمسي خلال هذا الفصل تكون متقاربة على جميع أجزاء البلاد ، مما ينجم عنه تقارب أحجام الميزان المناخي الحراري على جميع المناطق ذات الارتفاعات المتقاربة . وعلى أية حال نجد أن العامل الجغرافي الآخر ، وهو عامل الارتفاع ، يحافظ على تأثيره الفعال في جنوب غربي المملكة حيث تتركز على مرتفعاته النطاقات ذات الفئات الأقل ، فعلى المناطق ذات الارتفاعات (> ٢٢٠٠م) ، والتي تمتد من المندق شمالاً (٣٩) حتى الحدود السعودية اليمنية جنوباً ، يسود نطاق الفئة الأولى (١٠٠ – ١١٥مم) ، ويسود نطاق الفئة الثانية (١١٦ – ١٣٠مم) على نطاق ضيق إلى الغرب من بلجرشي (٤١) في المناطق ذات الارتفاعات (< ٢٢٠٠م و > ٢٠٠٠م) . أما الفئة الثالثة (١٤٦ – ١٦٠مم) فنجد نطاقها إلى الشمال من نطاق الفئة الأولى في المناطق ذات الارتفاعات الأقل نسبياً (> ١٢٠٠م و < ١٥٠٠م) .

وبالتمعن في خريطة التبخر الكلي الفعلي في فصل الصيف (خريطة ١٥) نلاحظ أن أحجام فئات النطاقات المكانية متقاربة مع تلك التي تمثل فصل الربيع ، وهذا سببه النشاط المطري الكبير نسبياً ، كما هو الحال بالنسبة لفصل الربيع ، إلا أن تفحص نمط التوزيع المكاني لهذه النطاقات يدّلل على أن حدة هذا النشاط تتركز بشكل مقتصر على المرتفعات الجنوبية الغربية بحيث على النقيض من النمط الربيعي ، نجد أن الفئة الأولى (< ١ مم) تسود على الساحل الغربي شمال خط عرض ٢٠° شمالاً ، وعلى جنوب البلاد والأجزاء الغربية من وسطها ، وعلى الساحل الشرقي إلى الجنوب من خط عرض ٢٦° شمالاً ، في حين أن الفئة الثانية (١ – ٥مم) يمثلها أربعة نطاقات ، الأول يضم وسط وشمال المملكة ، والثاني السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوب الغربية ، والثالث والرابع نطاقين ضيقين على الساحل الغربي بين خطي عرض ١٧° – ١٩° شمالاً وخطي عرض ٣٠ ١٥° – ٣٠َ ١٦° شمالاً . وهكذا نجد أن المرتفعات الجنوبية الغربية تستحوذ على النطاقات ذات الفئات الأكبر . إلا أن التوزيع النطاقي يميل ثقله صوب الغرب ، بحيث نجد أن السفوح الغربية (< ٥٠٠م) من خط العرض ١٨° شمالاً حتى حدود اليمن يسود عليها نطاق الفئة قبل الأخيرة (٣٥ – ٤٠مم) بعد نطاق المرتفعات العالية (> ٢٢٠٠م) التي يسود عليها الفئة الأخيرة (> ٤٠مم) . في حين أن السفوح الشرقية يسود عليها نطاقات ذات فئات ضعيفة نسبياً . هذا الوضع المتميز للسفوح الغربية الذي لانجده في أنماط متوسطات المجاميع السنوية والأنماط الشتوية والربيعية ، سببه أن هذه السفوح تستأثر بحكم اتجاه


خريطة (١٥) متوسط النتح الكلي الفعلي في الصيف (١٩٧٠-١٩٨٥)
< ١
١-٥
٥-١٠
١٠-١٥
٢٠-٢٥
٣٠-٣٥
٣٥-٤٠
< ٤٠ ملم

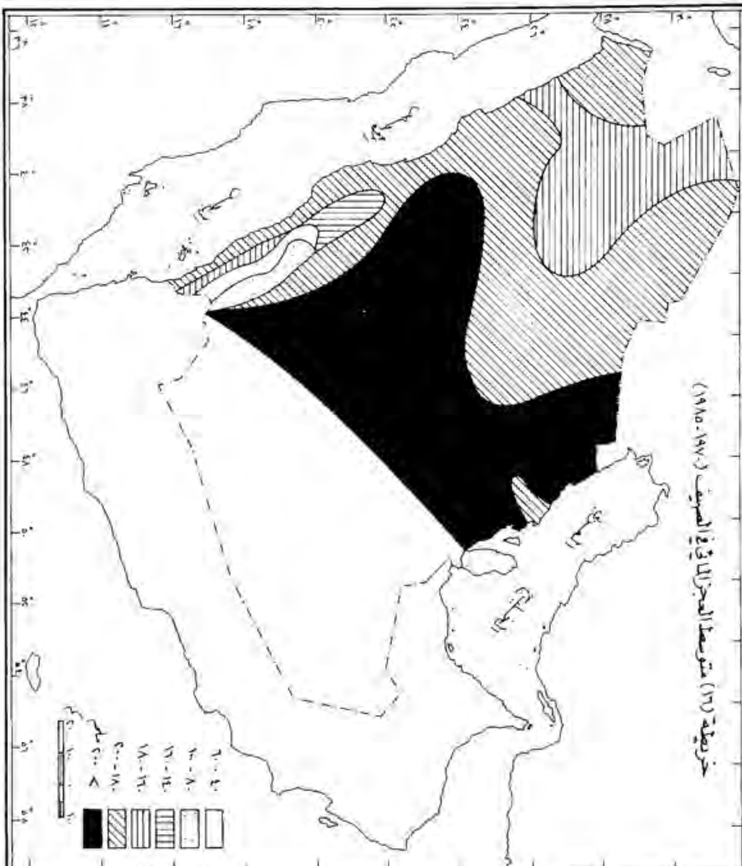
تضرّسها بخاصل الإرهاص الأول والمركز للأمطار الصيفية ذات الأصل الموسمي والاتجاه الجنوبي الغربي .

وإذا انتقلنا إلى المركب الثالث والممثل للعجز المائي (خريطة ١٦) نجد أنه يتميز بخاصتين : الأولى كون نمط نطاقاته أقل تعقيداً من أنماط فصلي الشتاء والربيع ، لأن عدد نطاقاته أقل ، والثانية أن حجم فئات هذه النطاقات أكبر نسبياً ، وهذا سببه قلة الأمطار بشكل عام في هذا الفصل ، وتركز غزارتها على جزء بسيط من البلاد وارتفاع مستوى الحاجة المناخية للمياه . كما يمثلها مركب التبخر الكلي الممكن في هذا الفصل . على أية حال من الملاحظ أن الفئة القصوى (> ٢٠٠مم) من العجز المائي يسود نطاقها على وسط وجنوب المملكة ومعظم أجزاء الساحل الشرقي ، وأن الساحل الغربي يتساوى في حجم عجزه المائي مع إقليم القصيم - سدير الذي يسود عليه نطاق الفئة قبل الأخيرة (١٨٠ - ٢٠٠مم) . وإلى الشمال من هذا النطاق يمتد نطاق الفئة الأدنى (١٤٠ - ١٦٠مم) على مناطق حائل ، تيماء ، طبرجل ، والقريات . هذه النطاقات الثلاثة المتسلسلة بشكل منتظم تأخذ اتجاهاً شمالياً - غربياً ، جنوبياً - شرقياً عاكساً مرة أخرى ضعف تأثير عامل البعد المكاني على مدى خطوط العرض على مركبات الميزان المائي خلال فصل الصيف .

وتمثل نطاقات النمط السائد على جنوب غربي البلاد وضعاً هرمياً متميزاً ومنسجماً إلى حد كبير يميزه تماماً عن أنماط فصلي الشتاء والربيع . وهذا التدرج المنسجم يبدو أنه بسبب التأثير المزدوج لعاملي التركز المطري والارتفاع التضاريسي . فقاعدة هذا النمط يمثلها نطاق فئة ١٨٠ - ٢٠٠م الذي يسود على السهل الساحلي (تهامة - عسير) ، ويمتد بشكل دائري حول المرتفعات الغربية ليشمل السفوح الشرقية . ويلي هذا النطاق القاعدي نطاق الفئة الأدنى (١٦٠ - ١٨٠مم) الذي يقتصر على السفوح الغربية (> ٥٠٠م) ، يتلوه إلى الشمال نطاق الفئة الأقل (١٤٠ - ١٦٠مم) ، والذي يسود على المرتفعات الغربية إلى الشمال من خط العرض ٢٠° شمالاً ذات الارتفاع (> ١٥٠٠م) ، يليه نطاق الفئة الثانية (٨٠ - ١٠٠مم) على المرتفعات ذات الارتفاع (> ٢٢٠٠م و > ٢٥٠٠م) . ثم يلي ذلك نطاق الفئة الأولى الممثلة لقمة الهرم (٤٠ - ٦٠مم) الذي يغطي المناطق المرتفعة جداً من جنوب غربي البلاد (> ٢٥٠٠م) على شكل حزام طويل يمتد من شمال المندق (٣٩) حتى الحدود اليمنية - السعودية .

٤ - فصل الخريف

نجد مرة أخرى ، كما هو الحال بالنسبة لفصل الصيف ، أن نتائج حساب الميزان المائي لفصل الخريف تدلل على عدم ظهور فائض مائي خلاله . ولأن الميزان الحراري ، بحكم الانفراج النسبي لزاوية إسقاط الإشعاع على المملكة خلال هذا الفصل لايماثل قرينه خلال فصل الصيف ، فإن سبب



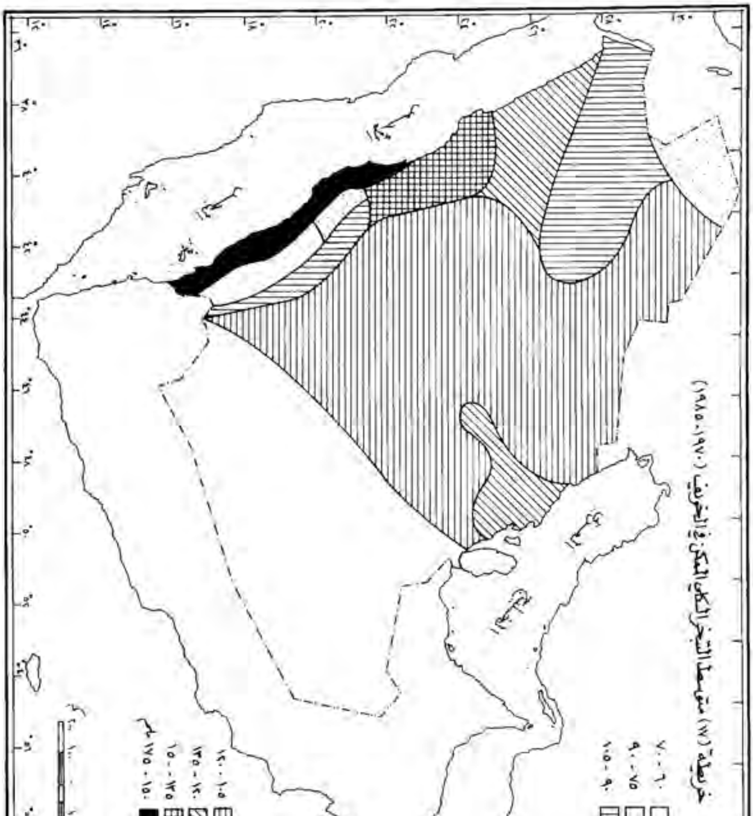
خريطة (١٦) متوسط العجز المائي في الصيف (١٩٧٠-١٩٨٥)

انعدام ظهور فائض مائي خلال الفصلين ليس واحداً . وبمقارنة مركبات الميزان المائي للفصلين نجد أن النشاط المطري أضعف نسبياً خلال الخريف ، كما يدلل عليه مركب التبخر الكلي الفعلي . كما أن العجز المائي ذو فئات أقل نسبياً في فصل الخريف ، مما يعني أن فصل الخريف أقرب إلى حافة مركب الفائض المائي ، أو الوضع الصفري في التوازن المائي .

ومن هذا يتضح أن سبب عدم ظهور فائض مائي خلال فصل الخريف هي الضآلة النسبية لتساقط الأمطار بشكل عام في هذا الفصل ، كما أن التأثير الإيجابي لضعف الميزان الحراري أدى إلى الضآلة النسبية للحاجة المناخية للمياه ، مماتبلور عنه عجز مائي أقل نسبياً من فصل الصيف . على أية حال ، أنماط نطاقات مركبات الميزان المائي خلال هذا الفصل تبرزها الخرائط ١٧ و١٨ و١٩ .

وبالنظر في نمط نطاقات التبخر الكلي الممكن في فصل الخريف (خريطة ١٧) نجد أنه شبيه في عدد وحجم فئاته ، وفي تسلسله المكاني بالنمط الممثل لفصل الربيع (خريطة ١٠) . كما نلاحظ اقتسام عاملي الارتفاع والموقع العرضي تحديد نطاقات الفئات على مرتفعات الجنوب الغربية ، بالنسبة للعامل الأول ، وبقية أجزاء المملكة بالنسبة للعامل الثاني ، مما أدى إلى انشطار نطاق الفئة الثانية (٧٦ - ٩٠مم) بحيث نجده على منطقة أقصى شمال المملكة القريات (١) ، وطبرجل (٢) ومنطقة المرتفعات الغربية (< ١٢٠٠م و < ١٥٠٠م) شمال خط العرض ٢٠° شمالاً ، وكذلك انشطار نطاق الفئة الثالثة (٩١ - ١٠٥مم) بين نطاق شمالي يغطي منطقة حائل (٨) ، تيماء (٧) ، وتبوك (٤) ونطاق جنوبي يسود على السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية على ارتفاع (< ٨٠٠م و < ١٢٠٠م) . هذا الوضع أدى إلى ظهور التسلسل النطاقي على طول الساحل الغربي بحيث يسود عليه نطاقات الفئات الثلاث الأخيرة من الشمال إلى الجنوب على التوالي ، في حين أن وسط وشمال شرق وجنوب المملكة يسود عليه نطاق الفئة الوسطى (١٠٦ - ١٢٠مم) وإلى الشرق منه على الساحل الشرقي نجد نطاق الفئة الأكبر (١٢٠ - ١٣٥مم) . كما أن من الملاحظ أن تأثير عامل الارتفاع التضاريسي تبلور في وجود نمط بسيط ومحدد الملامح يتمثل في نطاقات ثلاثة فقط ، هي نطاق الفئة الأولى (٦٠ - ٧٥مم) ، ويسود على مناطق المرتفعات (< ٢٢٠٠م) إلى الجنوب من خط العرض ٢٠° شمالاً حتى الحدود اليمنية - السعودية ، ثم نطاق الفئة الثانية (٧٦ - ٩٠مم) على المرتفعات (< ١٢٠٠م و < ١٥٠٠م) شمال خط العرض ٢٠° شمالاً ، ثم الفئة الثالثة (٩١ - ١٠٥مم) على السفوح الشرقية (< ٨٠٠م و < ١٢٠٠م) .

وبتفحص الخريطة رقم (١٨) الممثلة لمركب التبخر الكلي الفعلي في فصل الخريف ، ومقارنتها بالخرائط المماثلة للفصول الأخرى ، نجد أن هناك تطابقاً بين فصلي الخريف والصيف في عدد وحجم فئات النطاقات المكانية ، وفي تركّز وتعدد النطاقات ذات الفئات العالية على جنوب غربي البلاد . كما أن نطاق الفئة الأقل (< ١مم) يمثله حزام ضيق يمتد على طول جنوب نجد ، من خَرَض (٣١) شرقاً

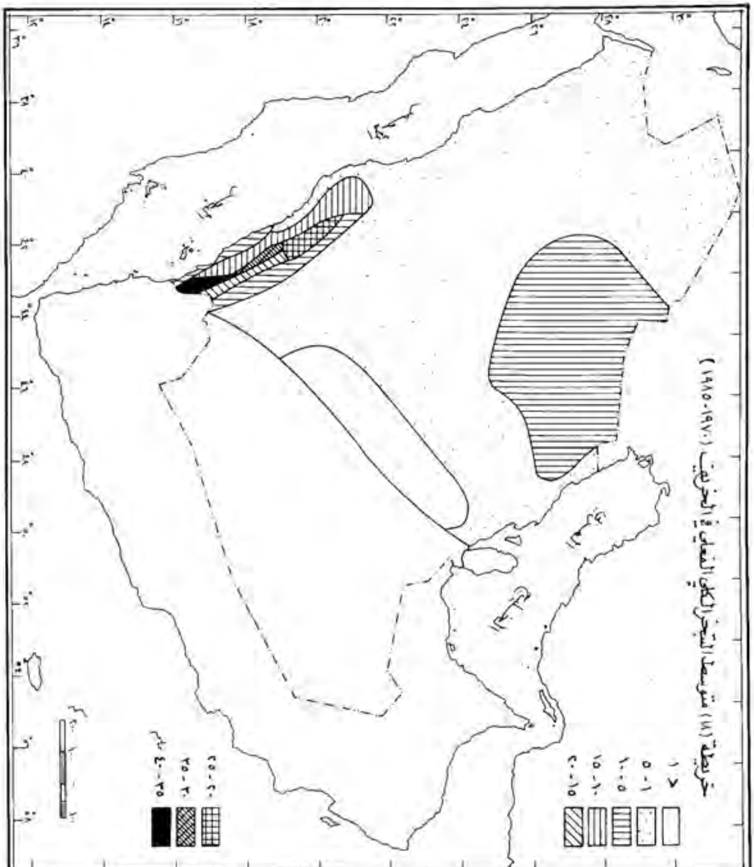


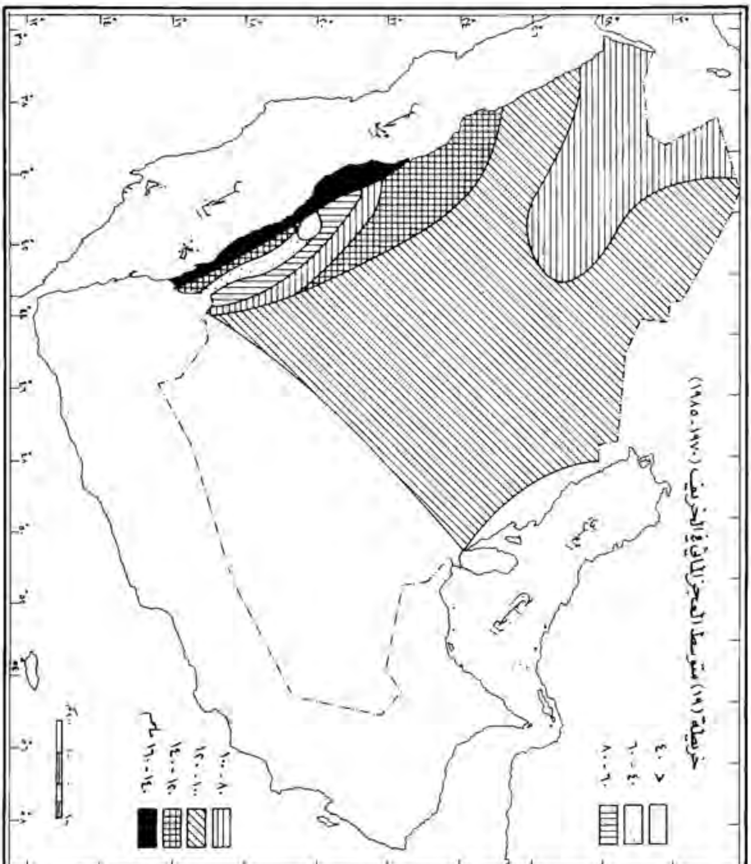
خريطة (٧) متوسط التبخر الكلي الممكن في الخريف (١٩٧٠-١٩٨٥)

حتى السُّلَيِّل (٣٨°) غرباً ، في حين أن بقية أجزاء المملكة بما في ذلك الساحل الغربي حتى خط عرض ١٩° شمالا ، وباستثناء جنوبي غربها ، يسود عليها نطاق الفئة الثانية (١ - ٥مم) ، والثالثة (٥ - ١٠مم) وهو نمط يشابه نمط فصل الشتاء . ومع أن نمط الجزء الجنوبي الغربي يشابه أمثاله في الفصول الأخرى من حيث التعدد والتداخل ، إلا أنه يتميز بميزة فريدة تتمثل في كون نطاقي الفئة الأكبر (٣٠ - ٥٠مم) و(٣٥ - ٤٠مم) يسودان على السفوح الغربية (< ٥٠٠م) بين خطي عرض ١٩° و١٨ شمالاً وخطي عرض ١٨° و١٦° شمالاً على التوالي ، في حين أن مناطق المرتفعات العالية (< ٢٥٠٠م) يسود عليها الفئة الخامسة (١٥ - ٢٠مم) في الجزء الجنوبي والفئة السادسة (٢٠ - ٢٥مم) في الجزء الشمالي المتمثل في منطقتي المندق (٣٩) وبلجرشي (٤١) . ويبدو أن التفسير المحتمل صحته لهذا الوضع المتميز أن الرياح الشمالية الغربية التي تسود على غرب المملكة في هذا الفصل ، وتتشبع ببخار الماء على مدى قطعها الشبه طولي للبحر الأحمر ، وازدياد حرارتها بمواصلة اتجاهها إلى الجنوب تكون عرضة للتفريغ المطري تحت تأثير أي تعديل طفيف في درجة حرارتها ، بسبب أي تصعيد تضاريسي . ويبدو أن السفوح الجنوبية الغربية تحدث هذا التأثير بشكل فجائي ومُرَكز يؤدي إلى تفريغ الجزء الأكبر من رطوبة الرياح المتسلقة عليها ، مما يوفر رطوبة أكبر نسبياً في جسم التربة ، تسمح بإحداث هذا التركز المتميز للتبخر الكلي الفعلي على هذه السفوح في هذا الفصل .

وإذا انتقلنا إلى المركب الثالث للميزان المائي في هذا الفصل ، وهو العجز المائي ، نجد أن الخريطة ١٩ تبرز نطاقات مكانية للعجز المائي في فصل الخريف ، تماثل في عددها نطاقات فصل الربيع ، كما أن أحجام فئات هذه النطاقات متقاربة جداً مع مثيلاتها في فصل الربيع ، باستثناء الفئتين الأولى والثانية . وإذا استثنينا الساحل الشرقي والساحل الغربي ومرتفعات الجنوب الغربية نجد أن بقية أجزاء البلاد يسود عليها الفئتان الرابعة (٨٠ - ١٠٠مم) في الشمال والشمال الغربي ، والخامسة (١٠٠ - ١٢٠مم) في الشمال الشرقي والوسط والجنوب . هذا النمط البسيط يشابه النمط السائد على هذا الجزء من البلاد في فصل الصيف ، ويختلف تماماً عن ذلك الذي يسود في فصل الربيع . وهكذا فإن التشابه في العدد ، والاختلاف في أبعاد النطاقات سببه أن جنوبي غرب المملكة عليه ستة نطاقات من النطاقات الخريفية السبعة مقابل أربعة نطاقات ربيعية .

ويبرز الساحل الغربي ، على أية حال ، مرة أخرى كتمثيل جيد لتحكم عامل الموقع العرضي في التوزيع النطاقي لحجم العجز المائي على هذا الجزء من البلاد ، حيث تتوالى عليه الأربعة نطاقات الأخيرة بشكل تسلسلي تصاعدي منتظم من الشمال إلى الجنوب ، ابتداءً بنطاق الفئة الرابعة (٨٠ - ١٠٠مم)في أقصى شمال له ، وانتهاءً بنطاق الفئة السابعة (١٤٠ - ١٦٠مم) في أقصى جنوبه . ويمثل النمط السائد على المرتفعات الغربية نطاقات منتظمة في تدرجها التنازلي من الشرق في اتجاه ذرى هذه المرتفعات ، حيث نجد أن نطاق الفئة الرابعة (٨٠ - ١٠٠مم) يسود على السفوح الشرقية


خريطة (٨) متوسط التبخر الكلي الفعلي في الخريف (١٩٧٠-١٩٨٥)
> ١
١-٥
٥-١٠
١٠-١٥
١٥-٢٠
٢٠-٢٥
٢٥-٣٠
٣٥-٤٠ ملم



خريطة (١٩) متوسط العجز المائي في الخريف (١٩٧٠-١٩٨٥)

(< ٨٠٠م و < ١٢٠٠م) ، ثم نطاق الفئة الثالثة (٦٠ - ٨٠مم) على المرتفعات المنحصرة بين (< ١٢٠٠م و< ٢٠٠٠م) ، ثم نطاق الفئة الثانية على المناطق التي تقع على ارتفاع (< ٢٠٠٠م و< ٢٦٠٠م) ويمتد من منطقة بلجرشي (٤١)[*] شمالاً إلى الحدود اليمنية - السعودية جنوباً ، وأخيراً نطاق الفئة الأولى ، ويمثل دائرة صغيرة نسبياً تحيط بمنطقة المندق (٣٩) . كما نلاحظ انفراد الساحل الشرقي بنطاق ذي فئة عالية (١٢٠ - ١٤٠مم) على النقيض من وضعه في الفصول الأخرى ، وهذا سببه أن نمط التوزيع النطاقي للعجز المائي خلال هذا الفصل يميل إلى الانسياب التصاعدي من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي باستثناء الساحل الغربي ومرتفعاته . ويبدو أن سبب اتجاه هذا الانسياب ، على الأرجح ، مرتبط بالنمط العكسي للتوزيع المكاني للأمطار الخريفية الذي يميل بشكل عام إلى الانسياب التنازلي في هذا الاتجاه .

وتتمثل ، على أية حال ، حصيلة هذا السرد التحليلي لمركبات الميزان المائي خلال فصول السنة في إبراز الحقائق التالية :

١ - أن هناك عجزاً كبيراً نسبياً في جميع الفصول يمثله نطاقات مكانية كبيرة العدد ومعقدة التوزيع .

٢ - أن هناك فائضاً مائياً طفيفاً جداً خلال فصلي الشتاء والربيع فقط يمثله نطاقات مكانية أقل عدداً وحجماً ، كما أنها بسيطة في توزيعها المكاني .

٣ - أن المرتفعات الجنوبية الغربية تتميز عن بقية أجزاء المملكة الأخرى في تواتر وضع ميزانها المائي خلال الفصول الأربعة حيث يسود عليها النطاقات ذات الفئات الأقل بالنسبة لمركب العجز المائي والنطاقات ذات الفئات الأكبر بالنسبة لمركب الفائض المائي .

كما نجد ، على أية حال ، أن نمط العجز المائي الشتوي أكثر تعقيداً حيث يمثله ثمانية نطاقات مكانية ذات فئات حجمية هي الأقل بين قريناتها في الفصول الأخرى . وعلى النقيض من هذا نجد أن نمط فصل الصيف هو الأقل تعقيداً في توزيعاته المكانية حيث يمثله ستة نطاقات فقط ، تتميز بأن فئاتها الحجمية هي الأكبر مقارنةً بالفصول الأخرى . أما نمطا الربيع والخريف لمركب العجز المائي فهما متقاربان في عدد نطاقاتهما المكانية (٧ نطاقات) وفي أحجام فئات هذه النطاقات . ولتوضيح تركيبة مايبدو أنه تناقض بين وجود فائض وعجز مائي خلال فصلي الشتاء والربيع ، يتعين علينا أن ننقل مسار هذا البحث إلى المرحلة الأخيرة ، وهي الكشف عن الملامح الشهرية لمركبي العجز المائي والفائض المائي ، وذلك بتتبع قيمها الشهرية خلال الفترة الممثلة لهذه الدراسة ، وهي ١٩٢ شهراً تنحصر في الفترة ١٩٧٠ - ١٩٨٥ . ولأن هذه الخطوة تلتزم تحليلاً أكثر تفصيلاً من سابقتيها ، فإن

(*) الأرقام القرينة بأسماء المواقع في هذه الجداول والجداول التالية تدلل على موقعها في الخريطة رقم (١) .

الحيّز المكاني المسموح به عادةً لمثل هذا البحث يدفعنا إلى اقتصار التحليل على مواقع مختارة تمثل النطاقات المكانية التي يظهر فيها العجز المائي والفائض المائي في نفس الفصل .

الأنماط الشهرية

لتحليل الأنماط الشهرية لمركبي العجز المائي والفائض المائي ، تم اختيار ثمانية مواقع تشملها نطاقات الفائض المائي في خرائط الأنماط الشتوية والربيعية (خرائط ٩ و١٣) . وقد تم انتقاء ثماني محطات مناخية ممثلة لهذه النطاقات ، كما تسود في شمال غرب المملكة (تبوك ، ٥) ، شمال المملكة (حائل ، ٨) ، شرق المملكة (معقلة شملول ، ١٣) ، السفوح الجنوبية الغربية (كواش ، ٤٤) ، المرتفعات الغربية (> ٢٠٠٠م) (الطائف ، ٣٦) ، مرتفعات الجنوب الغربية (> ٢٠٠٠ و > ٢٢٠٠م) (أبها ٤٧) ، المرتفعات الجنوبية الغربية (> ٢٢٠٠م و > ٢٥٠٠م) (المندق ، ٣٩) والمرتفعات الجنوبية الغربية (> ٢٥٠٠م) (النماص ٤٣) . وقد تم تمثيل المسيرة الشهرية لمركبي العجز المائي والفائض المائي بشكل رسوم ذات شقين حول محور القيمة الصفرية للميزان المائي ، الشق الأعلى يمثل العجز المائي (−) ، والشق الأسفل يمثل الفائض المائي (+) ، وكل رسم يشتمل على أربعة أجزاء ، كل جزء منها يجمع ثلاثة أشهر ، تتبع الفصل الواحد (الرسوم ١ − ٨) . ويلخص الجدول ٣ تكرار الفائض المائي والوضع الصفري . والجدول (٤) يشتمل على بيانات توضح حدود العجز المائي ، وذلك في هذه النطاقات الثمانية المختارة ، كما تلخص الجداول (٥ − ١٢) المتوسطات الشهرية لجميع مركبات الميزان المائي في هذه النطاقات ، كما تمثلها المواقع المختارة .

وبتفحص الرسم (١) الممثل لشمال غرب المملكة ، نجد أن الفائض المائي في هذا الجزء من البلاد ظهر في شهرين فقط ، وفي فصل واحد هو فصل الشتاء (١٢٥م ، ١١م) وفي سنة واحدة هي ١٩٧٠ ، وذلك خلال المائة واثنين وتسعين شهراً التي تمثل فترة هذه الدراسة (١٩٧٠ − ١٩٨٥) . وهذا يعني أن احتمالية حدوث فائض مائي خلال أي شهر من شهور السنة هي ٠١ر، (انظر الجدول ٣) ، وإذا اعتبرنا اقتصار حدوث الفائض المائي على فصل الشتاء بشكل قاطع يرتفع مستوى الاحتمالية إلى ٠٤ر، ، وهي في كلتا الحالتين احتمالية في غاية الضعف . ويوضح الرسم ، على أية حال ، وجود تقارب بين أجزاء من فصلي الخريف والربيع وبين فصل الشتاء ، وكذلك وجود تشابه ، إلى حد كبير ، بين أنماط وقيم فصلي الربيع والخريف ، مما يجعل فصل الصيف فصلاً شاذاً ومتميزاً في أنماط مسيرة شهور وقيمها ، وإن كان يتماثل مع فصلي الخريف والربيع في عدم حدوث فائض مائي فيه . ونلاحظ أيضاً أن القيمة الصفرية الممثلة لعدم وجود عجز أو فائض مائي تكررت ستّ مرات في فصل الشتاء ، كما أن مستوى العجز المائي لم يتخط حد الـ ٣٥م في أي شهر من شهوره الثلاثة . وقد ظهرت القيمة الصفرية مرة واحدة في الشهر الأول من فصل الربيع ، ومرة

جدول (٣) تكرار الفائض المائي والوضع الصفري للميزان المائي في نطاقات الفائض المائي في المملكة العربية السعودية (١٩٧٠ – ١٩٨٥م)

النطاق	تكرار الفائض المائي						تكرار الوضع الصفري						
	فصل الشتاء		فصل الربيع		مستوى الاحتمالية على مدى الفصلين	مستوى الاحتمالية على مدى السنة	فصل الشتاء		فصل الربيع		فصل الخريف		مستوى الاحتمالية على مدى الفصول الثلاثة
	العدد	مستوى الاحتمالية	العدد	مستوى الاحتمالية			العدد	مستوى الاحتمالية	العدد	مستوى الاحتمالية	العدد	مستوى الاحتمالية	
المرتفعات الجنوبية الغربية > ٢٥٠٠م	٩	٠٫١٨٧	١٤	٠٫٢٩١	٠٫٢٣٩	١١٩	١٦	٠٫٣٣٠	٨	٠٫١٦٦	٥	٠٫١٠٤	٠٫٢٠١
المرتفعات الجنوب الغربية < ٢٥٠٠م و > ٢٢٠٠م	١٢	٠٫٢٥٠	٧	٠٫١٤٥	٠٫١٩٧	٠٫٠٩٨	١٤	٠٫٢٩١	٥	٠٫١٠٤	٦	٠٫١٢٥	٠٫١٧٣
المرتفعات الجنوب الغربية < ٢٢٠٠م و > ٢٠٠٠م	٣	٠٫٠٦٢	٧	٠٫١٤٥	٠٫١٠٤	٠٫٠٥٢	٨	٠٫١٦٦	١٣	٠٫٢٧٠	٣	٠٫٠٦٢	٠٫١٦٦
المرتفعات الغربية < ٢٠٠٠م	١	٠٫٠٢٠	١	٠٫٠٢٠	٠٫٠٢٠	٠٫٠١٠	٢	٠٫٠٤١	٢	٠٫٠٤١	٣	٠٫٠٦٢	٠٫٠٤٨
السفوح الغربية	١	٠٫٠٢٠	٠	٠	٠٫٠١٠	٠٫٠٠٥	٢	٠٫٠٤١	١	٠٫٠٢٠	٠	٠	٠٫٠٢٠
شرق المملكة	٠	٠	١	٠٫٠٢٠	٠٫٠١٠	٠٫٠٠٥	٢٠	٠٫٤١٦	٥	٠٫١٠٤	٢	٠٫٠٤١	٠٫١٨٧
شمال المملكة	١	٠٫٠٢٠	١	٠٫٠٢٠	٠٫٠٢٠	٠٫٠١٠	١٣	٠٫٢٧٠	٥	٠٫١٠٤	٤	٠٫٠٨٣	٠٫١٥٢
شمال غرب المملكة	٢	٠٫٠٤١	٠	٠	٠٫٠٢٠	٠٫٠١٠	٦	٠٫١٢٥	١	٠٫٠٢٠	١	٠٫٠٢٠	٠٫٠٥٥

جدول (٤) حدود العجز المائي (مم) في فصلي الفائض المائي في المملكة العربية السعودية ١٩٧٠ - ١٩٨٥م

النطاق	فصل الشتاء								
	ديسمبر			يناير			فبراير		
	الحد الأقصى	الحد الأدنى	المدى	الحد الأقصى	الحد الأدنى	المدى	الحد الأقصى	الحد الأدنى	المدى
المرتفعات الجنوبية الغربية > ٢٥٠٠م	٢٥٫٩	٠٫٣	٢٥٫٦	٢٩٫٠	٥٫٨	٢٣٫٢	٢٨٫٢	١٫٥	٢٦٫٧
المرتفعات الجنوبية الغربية < ٢٥٠٠ و > ٢٢٠٠م	٣٠٫٠	١٫٨	٢٨٫٢	٣٥٫٣	٤٫١	٣١٫٢	٢٠٫٣	١٫٠	١٩٫٣
المرتفعات الجنوبية الغربية < ٢٢٠٠ و < ٢٠٠٠م	٤٠٫٦	١٩٫٨	٢٠٫٨	٤١٫٧	١٩٫٣	٢٢٫٤	٣٩٫٩	٢٫٥	٣٧٫٤
المرتفعات الغربية < ٢٠٠٠م	٤١٫٤	٧٫٩	٣٣٫٥	٥٠٫٠	٣٫٠	٤٧٫٠	٤٧٫٨	٦٫٩	٤٠٫٩
السفوح الغربية	١٣٠٫٣	٥٣٫٨	٧٦٫٥	١٢١٫٤	١٣٫٧	١٠٧٫٧	١٢٣٫٤	٣٥٫١	٨٨٫٣
شرق المملكة	٢١٫١	١٨٫٠	٣٫١	١٢٫٢	١٫٣	١٠٫٩	٣١٫٥	١٫٠	٣٠٫٥
شمال المملكة	٣٣٫٨	٠٫٥	٣٣٫٣	١٤٫٠	٠٫٣	١٣٫٧	٢٦٫٩	٢٫٠	٢٤٫٩
شمال غرب المملكة	٢٧٫٤	٦٫٩	٢٠٫٥	٢٢٫٩	٦٫١	١٦٫٨	٢٦٫٩	١٠٫٨	١٦٫١
	فصل الربيع								
	مارس			ابريل			مايو		
	الحد الأقصى	الحد الأدنى	المدى	الحد الأقصى	الحد الأدنى	المدى	الحد الأقصى	الحد الأدنى	المدى
المرتفعات الجنوبية الغربية > ٢٥٠٠م	٤٧٫٨	١٫٠	٤٦٫٨	٥١٫٦	١٫٥	٥٠٫١	٣٣٫٣	١٫٥	٣١٫٨
المرتفعات الجنوبية الغربية < ٢٥٠٠ و > ٢٢٠٠م	٤٤٫٧	٠٫٥	٤٤٫٢	٤٠٫٩	١٫٠	٣٩٫٩	٥٦٫٥	٦٫١	٥٠٫٤
المرتفعات الجنوبية الغربية < ٢٢٠٠ و < ٢٠٠٠م	٦٢٫٧	١٫٥	٦١٫٢	٨٥٫٣	١٠٫٤	٧٤٫٩	٨٦٫٦	٩٫٤	٧٧٫٢
المرتفعات الغربية < ٢٠٠٠م	٧٨٫٥	٨٫١	٧٠٫٤	٢٠٧٫٧	١٢٫٧	٩٥٫٠	١٣٧٫٢	٤٫٨	١٣٢٫٤
السفوح الغربية	١٦٤٫٩	١٩٫٣	١٤٥٫٦	١٧٨٫٣	٢٤٫٩	١٥٣٫٤	١٩٨٫١	٩٨٫٠	١٠٠٫١
شرق المملكة	١٠٢٫١	٦٫٤	٩٥٫٧	١٥٤٫٧	٣٫٠	١٥١٫٧	٢١٠٫٨	١١٢٫٣	٩٨٫٥
شمال المملكة	٤٢٫٤	١٢٫٤	٣٠٫٠	٩١٫٤	٠٫٣	٩١٫١	٢٦٧٫٩	٣٣٫٨	١٣٤٫١
شمال غرب المملكة	٥٤٫٤	٨٫٩	٤٥٫٥	١١٣٫٣	٤٥٫٧	٦٧٫٦	١٦٠٫٥	١٢٤٫٧	٣٥٫٨

جدول (٥) المتوسطات الشهرية لمركبات الميزان المائي في شمال غرب المملكة (تبوك ٥) ١٩٧٠ - ١٩٨٥م

الشهر	درجة الحرارة (مئوية)	البخر الإجمالي الممكن (مم)	كمية الأمطار (مم)	الأمطار ناقصاً البخر الإجمالي الممكن (مم)	رطوبة التربة (مم)	التغير في رطوبة التربة (مم)	البخر الإجمالي الفعلي (مم)	العجز في رطوبة التربة (مم)	الفائض في رطوبة التربة (مم)	الانسياب السطحي (مم)
يناير	١٢٫٥	١٤٫٠	١٤٫٠	٠٫٠	١٣٫٧	٢٫٣	٣٫٨	١٠٫٢	٧٫٩	٣٫٨
فبراير	١٣٫٠	٢١٫٣	٨٫٠	١٢٫٩-	١٥٫٢	١٫٣	٦٫٤	١٥٫٠	٠٫٨	٢٫٣
مارس	١٦٫٨	٤٥٫٧	٦٫٩	٣٨٫٨-	١٢٫٢	٢٫٩-	٩٫٩	٣٥٫٨	٠٫٠	١٫٣
أبريل	٢١٫٨	٩٠٫٢	٣٫٨	٨٦٫٥-	٦٫٦	٥٫٥-	٩٫١	٨١٫٠	٠٫٠	٠٫٥
مايو	٢٦٫٠	١٤٨٫٨	٢٫٥	١٤٦٫٢-	٢٫٠	٤٫٢-	٦٫٩	١٤١٫٧	٠٫٠	٠٫٣
يونيو	٢٩٫٢	١٨٠٫٦	٠٫٠	١٨٠٫٥-	٠٫٥	١٫٤-	١٫٥	١٧٩٫١	٠٫٠	٠٫٣
يوليو	٣٠٫٤	١٩٤٫٦	٠٫٠	١٩٤٫٢-	٠٫٢	٠٫٤-	٠٫٥	١٩٤٫١	٠٫٠	٠٫٠
أغسطس	٣٠٫٣	١٨٥٫٢	٠٫٠	١٨٥٫١-	٠٫١	٠٫٠	٠٫٣	١٨٤٫٩	٠٫٠	٠٫٠
سبتمبر	٢٨٫٣	١٥٣٫٩	٠٫٠	١٥٣٫٨-	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	١٥٣٫٩	٠٫٠	٠٫٠
أكتوبر	٢٣٫٦	٩٩٫٣	٢٫٨	٩٦٫٤-	٠٫٠	٠٫٠	٢٫٨	٩٦٫٥	٠٫٠	٠٫٠
نوفمبر	١٧٫٥	٤٦٫٧	٨٫٩	٣٧٫٧-	٢٫٠	٢٫٠	٦٫٩	٣٩٫٩	٠٫٠	٠٫٠
ديسمبر	١١٫٥	١٦٫٣	٥٫١	١١٫١-	٤٫٣	٢٫٣	٣٫٠	١٣٫٢	٠٫٠	٠٫٠
المجموع السنوي		١١٩٦٫٧	٥٢٫٣	١١٤٤٫٠-			٥١٫١	١١٤٥٫٦	٨٫٦	٨٫٦

واحدة في الشهر الأخير من فصل الخريف ، أي في الشهور اللصيقة بفصل الشتاء . وفي فصلي الربيع والخريف ، ارتفع مستوى العجز المائي إلى ١٦٠مم في الشهر الأخير من فصل الربيع ، و١٧٥مم في الشهر الأول من فصل الخريف ، أي في الشهور اللصيقة بفصل الصيف . وهكذا نجد أن نمط المسيرة الشهرية يأخذ حجماً تزايدياً في شهور الربيع كلما ابتعدنا عن فصل الشتاء واقتربنا من فصل الصيف ، وحجماً تناقصياً في شهور الخريف كلما ابتعدنا عن فصل الصيف واقتربنا من فصل الشتاء . وهذا الوضع التوازني سببه الاختلاف الحاد بين فصلي الشتاء والصيف فيما يخص مستوى العجز المائي الذي يصل حده الأقصى ٣٥مم في فصل الشتاء ، و٢٠٥مم في فصل الصيف ، وكذلك التشابه الكبير فيما يخص ضآلة الفروق بين شهورهما .

جدول (٩) المتوسطات الشهرية لمركبات الميزان المائي في شمال المملكة (حائل) ١٩٧٠ - ١٩٨٥م

الشهر	درجة الحرارة (مئوية)	التبخر الإجمالي الممكن (م)	كمية الأمطار (م)	الأمطار ناقصاً التبخر الإجمالي الممكن (م)	رطوبة التربة (م)	التغير في رطوبة التربة (م)	التبخر الإجمالي الفعلي (م)	العجز في رطوبة التربة (م)	الفائض في رطوبة التربة (م)	الانسياب السطحي (م)
يناير	٩٫٦	١٢٫٢	٢٤٫١	١١٫٧	١٨٫٦	١٦٫٠	٧٫٦	٤٫٦	٠٫٥	٠٫٥
فبراير	١٢٫٠	١٨٫٨	١١٫٤	٧٫٣-	٤٠٫٤	١٫٨	٩٫٧	٩٫١	٠٫١	٠٫٣
مارس	١٥٫٨	٤١٫٧	١٩٫٦	٢٢٫٠-	٤٠٫١	٠٫٠	١٨٫٨	٢٢٫٩	١٫٨	٠٫٥
أبريل	٢٠٫٩	٨٤٫٦	٢٥٫١	٥٩٫٣-	٢٧٫٩	١٢٫٣-	٣٧٫٣	٤٧٫٢	٠٫٠	٠٫٣
مايو	٢٥٫٧	١٤٨٫١	١٠٫٢	١٣٧٫٦-	١٢٫٧	١٥٫١-	٢٥٫٤	١٢٢٫٧	٠٫٠	٠٫٣
يونيو	٢٨٫٩	١٧٤٫٨	٠٫٣	١٧٤٫٤-	٣٫٨	٨٫٨-	٩٫١	١٦٥٫٦	٠٫٠	٠٫١
يوليو	٣٠٫٣	١٩٠٫٥	٠٫٠	١٩٠٫٤-	١٫٠	٢٫٧-	٢٫٨	١٨٧٫٧	٠٫٠	٠٫٠
أغسطس	٢٩٫٩	١٨٠٫٣	٠٫٠	١٨٠٫٢-	٠٫٣	٠٫٧-	٠٫٨	١٧٩٫٦	٠٫٠	٠٫٠
سبتمبر	٢٨٫٥	١٥٣٫٩	٠٫٠	١٥٣٫٨-	٠٫٣	٠٫٢-	٠٫٣	١٥٣٫٧	٠٫٠	٠٫٠
أكتوبر	٢٢٫٦	٩٥٫٣	٨٫٠	٨٦٫٥-	٠٫٠	٠٫٠	٨٫٦	٨٦٫٦	٠٫٠	٠٫٠
نوفمبر	١٥٫٩	٣٧٫٦	٣٧٫٣	٠٫٤-	١٧٫٠	١٧٫٠	١٩٫١	١٨٫٨	١٫٣	٠٫٨
ديسمبر	١١٫١	١٧٫٥	٦٫٦	١٠٫٨-	١٧٫٨	٠٫٨	٥٫٨	١١٫٧	٠٫٠	٠٫٣
المجموع السنوي		١١٥٥٫٥	١٤٣٫٣	١٠١٢٫٢-			١٤٥٫٣	١٠١٠٫٣	٢٫٨	٢٫٨

وإذا انتقلنا إلى نطاق شمال المملكة كما تمثله حائل (٨) (رسم ٢) نجد أن الفائض المائي ظهر مرتين أيضا خلال فترة الدراسة ، ولكن مرة في الشتاء ، ومرة في الربيع ، وذلك بكميات أقل نسبياً من النطاق السابق (٩مم في الشتاء ، ١٥مم في الربيع) . ونلاحظ أن فصل الشتاء يحافظ على المستوى الضئيل من العجز المائي بحد أقصى قدره ٤٠مم ، وعلى تقارب مسيرة أنماطه الشهرية إلا أن القيمة الصفرية تحققت خلاله ١٣ مرة ، أي ضعف مستوى النطاق السابق . هذا التكرار الكبير نسبياً نجده أيضاً في فصلي الربيع (٥ مرات) وفي فصل الخريف (٤ مرات) ، كما نلاحظ زيادة في حدة تفاوت القيم الشهرية في فصول السنة باستثناء فصل الشتاء . وعلى أية حال ، يظل مستوى الحد الأقصى للعجز المائي كبيراً ، إذ يصل إلى ١٧٠مم في فصلي الربيع والخريف وبمدى للشهر الواحد يصل إلى

جدول (٧) المتوسطات الشهرية لمركبات الميزان المائي في شرق وسط المملكة (معدلة شملول ١٣) ١٩٧٠ - ١٩٨٥م

الشهر	درجة الحرارة (مئوية)	التبخر الإجمالي الممكن (مم)	كمية الأمطار (مم)	الأمطار ناقصاً التبخر الإجمالي الممكن (مم)	رطوبة التربة (مم)	التغير في رطوبة التربة (مم)	التبخر الإجمالي الفعلي (مم)	العجز في رطوبة التربة (مم)	الفائض في رطوبة التربة (مم)	الانسياب السطحي (مم)
يناير	١٢٫٢	٩٫٧	١٦٫٨	٧٫١	٣٠٫٧	١٠٫٢	٦٫٦	٣٫٠	٠٫٠	٠٫٠
فبراير	١٤٫١	١٦٫٨	١٤٫٧	١٫٩-	٣٦٫٨	٦٫١	٨٫٦	٨٫٦	٠٫٠	٠٫٠
مارس	١٩٫٠	٥٠٫٠	٢٣٫١	٢٦٫٨-	٣٦٫٦	٠٫٠	١٨٫٥	٣١٫٥	٤٫٨	٢٫٣
أبريل	٢٤٫٧	١١٦٫١	٢٠٫١	٩٥٫٩-	٢٣٫٩	١٢٫٦-	٣٢٫٨	٨٣٫٣	٠٫٠	١٫٣
مايو	٣٠٫٥	١٩١٫٣	٢٫٥	١٨٨٫٦-	٦٫٩	١٦٫٩-	١٩٫٦	١٧١٫٧	٠٫٠	٠٫٥
يونيو	٣٣٫٠	٢٠٣٫٧	٠٫٣	٢٠٣٫٤-	١٫٨	٥٫١-	٥٫٣	١٩٧٫١	٠٫٠	٠٫٣
يوليو	٣٤٫٦	٢١٢٫٣	٠٫١	٢١٢٫٢-	٠٫٥	١٫٢-	١٫٨	٢١١٫١	٠٫٠	٠٫٣
أغسطس	٣٣٫٨	٢٠١٫٢	٠٫١	٢٠١٫١-	٠٫٠	٠٫٢-	٠٫٣	٢٠٠٫٧	٠٫٠	٠٫٢
سبتمبر	٣١٫٥	١٧٩٫٥	٠٫١	١٧٩٫٤-	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	١٧٩٫٥	٠٫٠	٠٫١
أكتوبر	٢٧٫١	١٣٢٫٦	٦٫٩	١٢٥٫٦-	٠٫٠	٠٫٠	٦٫٩	١٢٥٫٧	٠٫٠	٠٫١
نوفمبر	١٩٫٧	٤٧٫٨	٩٫٤	٣٨٫٠-	٢٫٠	٢٫٠	٧٫٤	٤٠٫٤	٠٫٠	٠٫٠
ديسمبر	١٤٫٢	١٨٫٣	٢٠٫٦	٢٫٣	١٠٫٩	٨٫٩	١١٫٧	٦٫٦	٠٫٠	٠٫٠
المجموع السنوي		١٣٦٩٫٧	١١٤٫٣	١٢٥٥٫٣			١١٩٫١	١٢٥٠٫٥	٤٫٨	٤٫٨

١٣٤م في الربيع و١٠٩م في الخريف ، كما أن الحد الأقصى للعجز المائي في فصل الصيف يصل إلى ٢٠٦م بتفاوت شهري يصل مداه ١٢١م ، (جدول ٤) .

ويمثل الرسم (٣) الجزء الشرقي من وسط المملكة ، وفيه نجد أن الفائض المائي ظهر في شهر واحد فقط ، وذلك في فصل الربيع بمستوى وسط بين النطاقين السابقين (٧٨م) ، مما يعني انخفاض مستوى الاحتمالية إلى النصف ، مقارنة بالشمال والشمال الغربي . كما نلاحظ استمرار صغر حجم كمية العجز المائي فيه في النمط الشتوي ، حيث لاتتعدى ٣٥م لأي شهر من شهور الشتاء ، وكذلك تقارب الكمية بين شهوره . وفي المقابل نجد أن فصل الصيف أيضاً يحافظ على نمطه المتميز بارتفاع مستوى العجز المائي فيه ، حيث يصل حده الأقصى إلى ٢١٣م ، وكذلك صغر المدى بين

جدول (٨) المتوسطات الشهرية لمركبات الميزان المائي في السفوح الجنوبية الغربية (كواش ٤٤) ١٩٧٠ - ١٩٨٥م

الشهر	درجة الحرارة (مئوية)	التبخر الإجمالي الممكن (مم)	كمية الأمطار (مم)	الأمطار ناقصاً التبخر الإجمالي الممكن (مم)	رطوبة التربة (مم)	التغير في رطوبة التربة (مم)	التبخر الإجمالي الفعلي (مم)	العجز في رطوبة التربة (مم)	الفائض في رطوبة التربة (مم)	الانسياب السطحي (مم)
يناير	٢٥٫٠	١٠٧٫٧	٣٥٫١	٧٢٫٥-	١٤٫٥	٢٫٣	٢٨٫٢	٧٩٫٥	٤٫٦	٢٫٣
فبراير	٢٥٫٤	١٠٨٫٠	٦٫٩	١٠١٫٠-	٧٫١	٧٫٣	١٤٫٢	٩٤٫٠	٠٫٠	١٫٠
مارس	٢٨٫١	١٥١٫١	٢٠٫٨	١٣٠٫٠-	٣٫٦	٣٫٧-	٢٤٫٦	١٢٦٫٥	٠٫٠	٠٫٥
أبريل	٣٠٫٦	١٧٣٫٠	٤١٫٩	١٣١٫٠-	٣٫٨	٠٫٣	٤١٫٧	١٣١٫٣	٠٫٠	٠٫٣
مايو	٣٣٫٠	٢٠٠٫٢	٤٢٫٧	١٥٧٫٤-	١٫٣	٢٫٤-	٤٥٫٢	١٥٤٫٩	٠٫٠	٠٫٣
يونيو	٣٤٫٢	١٩٨٫٦	٢٦٫٤	١٧٢٫١-	٠٫٣	٠٫٧-	٢٧٫٢	١٧١٫٢	٠٫٠	٠٫٠
يوليه	٣٤٫٢	٢٠٦٫٨	١٩٫٨	١٨٦٫٨-	٠٫٣	٠٫٢-	٢٠٫١	١٨٦٫٧	٠٫٠	٠٫٠
أغسطس	٣٣٫٥	١٩٧٫٦	٤٨٫٠	١٤٩٫٣-	٠٫٠	٠٫٠	٤٨٫٠	١٤٩٫٤	٠٫٠	٠٫٠
سبتمبر	٣٢٫٢	١٧٧٫٨	٥٥٫١	١٢٢٫٦-	٠٫٠	٠٫٠	٥٥٫١	١٢٢٫٧	٠٫٠	٠٫٠
أكتوبر	٢٩٫٩	١٦١٫٨	٢٥٫٧	١٣٦٫٠-	٠٫٠	٠٫٠	٢٥٫٧	١٣٦٫١	٠٫٠	٠٫٠
نوفمبر	٢٧٫٧	١٣٣٫٩	١٦٫٥	١١٧٫٣-	٠٫٠	٠٫٠	١٦٫٥	١١٧٫٤	٠٫٠	٠٫٠
ديسمبر	٢٥٫٧	١١٧٫١	٢١٫٦	٩٥٫٤-	٢٫٥	٢٫٥	١٩٫١	٩٨٫٣	٠٫٠	٠٫٠
المجموع السنوي		١٩٣٣٫٥	٣٦٠٫٤	١٥٧٣٫٠-			٣٦٥٫٣	١٥٦٨٫٣	٤٫٦	٤٫٦

قيم شهوره الثلاثة . ومع أن نمط المسيرة الشهرية يتشابه في فصلي الربيع والخريف إلا أن العجز المائي يصل في الشهور الحرجة (مايو في الربيع ، سبتمبر في الخريف) إلى ٢١٠مم في الربيع و١٨٠مم في الخريف ، وهو مستوى كبير نسبياً مقارنة بقيم النطاقين السابقين ، إضافة إلى كون المدى بين قيم الشهور في هذين الفصلين كبير أيضاً ، حيث يصل إلى ١٥٢مم في الربيع ، و٩٨مم في الخريف . ومع أن شهور الشتاء لم يظهر فيها فائض مائي خلال فترة الدراسة ، إلا أننا نلاحظ ارتفاع عدد تكرار الوضع الصفري إلى ٢٠مم ، ممايعني ارتفاع احتمالية ظهور الوضع الصفري خلال هذا الفصل إلى ٤ر٠ وهو مستوى ، وإن كان أفضل من المستويات التي تحققت في النطاقين السابقين ، إلا أنه لايزال دون المتوسط .

جدول (٩) المتوسطات الشهرية لمركبات الميزان المائي في المرتفعات الغربية <٢٠٠٠م (الطائف ٣٦) ١٩٧٠ – ١٩٨٥م

الشهر	درجة الحرارة (مئوية)	التبخر الإجمالي الممكن (مم)	كمية الأمطار (مم)	الأمطار ناقصاً التبخر الإجمالي الممكن (مم)	رطوبة التربة (مم)	التغير في رطوبة التربة (مم)	التبخر الإجمالي الفعلي (مم)	العجز في رطوبة التربة (مم)	الفائض في رطوبة التربة (مم)	الانسياب السطحي (مم)
يناير	١٤ر٩	٣٣ر٥	١٣ر٧	١٩ر٧-	١٥ر٠	٣ر٦	٩ر٩	٢٣ر٦	٠ر٣	٠ر١
فبراير	١٦ر٢	٣٩ر١	٤ر١	٣٥ر٠-	١٠ر٩	٣ر٧-	٧ر٩	٣١ر٢	٠ر١	٠ر١
مارس	١٨ر٨	٦٢ر٢	٢٤ر٩	٣٧ر١-	١٠ر٩	٠ر٠	٢٤ر٩	٣٧ر٣	٠ر١	٠ر١
أبريل	٢١ر٢	٨٥ر١	٤١ر٧	٤٣ر١-	١٨ر٨	٧ر٦	٢٧ر٧	٥٧ر٤	٩ر٤	٣ر٣
مايو	٢٤ر١	١٢٢ر٧	٣٧ر٨	٨٤ر٧-	١٠ر٧	٨ر٠-	٤٥ر٧	٧٧ر٠	٠ر١	١ر٥
يونيو	٢٦ر٦	١٥٠ر٦	٧ر٦	١٤٣ر٢-	٤ر٣	٦ر٣-	١٤ر٠	١٣٦ر٧	٠ر٠	٠ر٨
يوليه	٢٦ر٩	١٥٦ر٧	٥ر١	١٥١ر٥-	١ر٥	٢ر٤-	٧ر٦	١٤٨ر٨	٠ر٠	٠ر٥
أغسطس	٢٧ر١	١٥٥ر٥	٦ر٩	١٤٨ر٥-	٠ر٨	٠ر٩-	٧ر٦	١٤٧ر٨	٠ر٠	٠ر٣
سبتمبر	٢٥ر٤	١٢٥ر٢	٨ر٩	١١٦ر٣-	٠ر٣	٠ر٣-	٩ر٤	١١٦ر١	٠ر٠	٠ر١
أكتوبر	٢١ر١	٨٠ر٠	١٧ر٠	٦٢ر٩-	٢ر٠	١ر٨	١٥ر٢	٦٤ر٨	٠ر٠	٠ر٠
نوفمبر	١٨ر٨	٥٧ر٤	١٦ر٣	٤١ر٠-	٤ر٣	٢ر٠	١٤ر١	٤٣ر٤	٠ر٠	٠ر١
ديسمبر	١٥ر٥	٣٦ر٣	٩ر٧	٢٦ر٦-	٤ر٣	٠ر٣	٩ر٤	٢٦ر٧	٠ر٠	٠ر٠
المجموع السنوي		١١٠٤ر٥	١٩٣٠ر٣	٩١١ر٠-			١٩٣ر٦	٩١٠ر٦	٩ر٦	٦ر٦

وإذا انتقلنا إلى نطاق السفوح الجنوبية الغربية ، كما يمثلها كواش (٤٤) (رسم ٤) نجد أن فصل الشتاء يكتسب سمتين . الأولى : كبر مدى الفرق بين شهوره ، بحيث قد يصل إلى ١٣٠مم ، مقارنة بمدى ٣٤مم في أي من النطاقات السابقة . والثانية : ارتفاع مستوى الحد الأقصى للعجز المائي فيه ، حيث قد يصل إلى ١٣٠مم مقارنة بـ ٣٥مم في أي من النطاقات السابقة . هذا الوضع المتميز لفصل الشتاء سببه التأثير المركب للموقع العرضي ، حيث يقع هذا النطاق جنوب خط العرض ١٩° شمالاً مما يعني الارتفاع النسبي لدرجة الحرارة فيه ، وللحاجز التضاريسي الكبير الذي يحول دون وصول الرياح الشمالية والشمالية الشرقية الباردة إلى هذا النطاق ، وهي باردة ، لأنها تفقد جزءاً كبيراً من برودتها بتأثير احتكاكها بهذه السهول التي تأخذ وضعاً جنوبياً غربياً يجعلها في ظل اتجاه تلك

جدول (١٠) المتوسطات الشهرية لمركبات الميزان المائي في المرتفعات الجنوبية الغربية < ٢٢٠٠م (أبها ٤٧) ١٩٧٠ - ١٩٨٥م

الشهر	درجة الحرارة (مئوية)	التبخر الإجمالي الممكن (مم)	كمية الأمطار (مم)	الأمطار ناقصاً التبخر الإجمالي الممكن (مم)	رطوبة التربة (مم)	التغير في رطوبة التربة (مم)	التبخر الإجمالي الفعلي (مم)	العجز في رطوبة التربة (مم)	الفائض في رطوبة التربة (مم)	الانسياب السطحي (مم)
يناير	١٢٫٣	٣٣٫٨	٣٥٫١	١٫٣	٣٢٫٨	١٥٫٢	١٨٫٣	١٥٫٧	١٫٨	٠٫٨
فبراير	١٣٫٣	٣٦٫٨	٤٢٫٢	٥٫٣	٤٦٫٧	١٤٫٠	١٦٫٣	٢٠٫٦	١١٫٩	٦٫٤
مارس	١٥٫٤	٥٣٫٨	٧٣٫٢	١٩٫٣	٧٠٫٦	٢٣٫٩	٣٦٫٨	١٧٫٣	١٢٫٧	٩٫٤
أبريل	١٧٫١	٦٦٫٥	٦٥٫٦	٠٫٩-	٨٣٫٣	١٢٫٧	٤٨٫٨	١٧٫٨	٤٫١	٦٫٩
مايو	١٩٫٥	٨٩٫٢	٦٤٫٥	٢٤٫٥-	٧٣٫٩	٩٫٦-	٦٨٫٣	٢٠٫٦	٥٫٦	٦٫١
يونيه	٢٢٫٠	١٠٨٫٠	١١٫٧	٩٦٫٢-	٤١٫٤	٣٢٫٤-	٤٤٫٢	٦٣٫٨	٠٫٠	٣٫٠
يوليه	٢٢٫٠	١١٠٫٢	٣٨٫٩	٧١٫٣-	٢٤٫٩	١٦٫٤-	٥٥٫٤	٥٤٫٩	٠٫٠	١٫٥
أغسطس	٢١٫٥	١٠٤٫١	٤١٫٩	٦٢٫١-	١٧٫٠	٧٫٨-	٤٩٫٨	٥٤٫٤	٠٫٠	٠٫٨
سبتمبر	٢٠٫٦	٩٠٫٤	٥٫٨	٨٤٫٥-	٩٫٩	٧٫٠-	١٣٫٠	٧٧٫٢	٠٫٠	٠٫٥
أكتوبر	١٧٫٢	٦٤٫٣	١٢٫٢	٥٢٫٢-	٧٫٩	١٫٩-	١٤٫٠	٥٠٫٣	٠٫٠	٠٫٣
نوفمبر	١٤٫٧	٤٥٫٧	٨٫١	٣٧٫٢-	٦٫٦	١٫٢-	٩٫٤	٣٦٫١	٠٫٠	٠٫٠
ديسمبر	١٢٫٩	٣٦٫٦	١٠٫٢	٢٦٫٦-	٨٫٤	١٫٨	٨٫٤	٢٨٫٤	٠٫٠	٠٫٠
المجموع السنوي		**٨٣٩٫٧**	**٤٠٩٫٥**	**٤٣٠٫٢-**			**٣٨٢٫٥**	**٤٥٧٫٢**	**٣٥٫٨**	**٣٥٫٨**

الرياح . ونلاحظ أن الفائض المائي في هذا النطاق ظهر مرة واحدة فقط وذلك في فصل الشتاء . كما أن الوضع الصفري تكرر مرتين في هذا الفصل ، ومرة واحدة في فصل الربيع ، وانعدم في فصل الخريف . هذه النتائج هي بمثابة مؤشرات تؤكد التأثير المركب للموقع العرضي والحاجز التضاريسي . على أية حال حَرِيّ بنا أن نشير هنا إلى أن الحاجز التضاريسي الذي يجعل هذا النطاق يقع في ظل اتجاه الرياح الشمالية الشرقية والشمالية الباردة ، ومانيجم عن ذلك من تأثير سلبي أيضاً يؤدي دوراً إيجابياً حيث يجعل هذا النطاق في واجهة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية الممطرة في فصل الصيف ، مما ينجم عنه قلة نسبية في حجم العجز المائي في هذا النطاق خلال فصل الصيف مقارنة بالنطاقات السابقة ، وذلك على الرغم من الارتفاع النسبي لمستوى الحاجة المناخية للمياه .

جدول (١١) المتوسطات الشهرية لمركبات الميزان المائي في المرتفعات الجنوبية الغربية > ٢٢٠٠ و < ٢٥٠٠م (المدق ٣٩) ١٩٧٠ - ١٩٨٥م

الشهر	درجة الحرارة (مئوية)	التبخر الإجمالي الممكن (مم)	كمية الأمطار (مم)	الأمطار ناقصاً التبخر الإجمالي الممكن (مم)	رطوبة التربة (مم)	التغير في رطوبة التربة (مم)	التبخر الإجمالي الفعلي (مم)	العجز في رطوبة التربة (مم)	الفائض في رطوبة التربة (مم)	الانسياب السطحي (مم)
يناير	١١٫٧	٣٠٫٧	٨٢٫٣	٥١٫٦	٩٢٫٥	٣٧٫٨	٢٦٫٢	٤٫٦	١٨٫٣	١٢٫٢
فبراير	١٢٫٣	٣٠٫٧	٤٦٫٠	١٥٫٠	٩٩٫٦	٦٫٩	٢٦٫٧	٤٫١	١٢٫٤	١٢٫٢
مارس	١٤٫٤	٤٦٫٢	٥٦٫٦	١٠٫٧	١٠٩٫٠	٩٫٧	٣٩٫٦	٦٫٦	٧٫٦	٩٫٩
أبريل	١٧٫٥	٦٧٫١	٦١٫٧	٥٫٢-	٩٦٫٨	١٢٫٣-	٥٤٫٤	١٢٫٧	١٩٫٨	١٥٫٠
مايو	١٩٫٥	٨٨٫٩	٤٧٫٥	٤١٫٠-	٧٧٫٥	١٩٫٠-	٦٥٫٨	٢٢٫٩	٠٫٨	٧٫٩
يونيه	٢٢٫٠	١٠٧٫٢	١٩٫١	٨٨٫٣-	٤٥٫٢	٣٢٫٢-	٥١٫٣	٥٥٫٩	٠٫٠	٤٫١
يوليه	٢٢٫٢	١١٠٫٧	٢٣٫٩	٨٦٫٨-	٢٨٫٤	١٦٫٧-	٤٠٫٦	٧٠٫١	٠٫٠	٣٫٠
أغسطس	٢٢٫١	١٠٨٫٥	١٩٫٣	٨٩٫١-	١٧٫٠	١١٫٣-	٣٠٫٥	٧٧٫٧	٠٫٠	٢٫٠
سبتمبر	٢١٫٥	٩٥٫٣	١٢٫٢	٨٢٫٧-	١٠٫٤	٦٫٥-	١٩٫١	٧٦٫٢	٠٫٠	٠٫٥
أكتوبر	١٩٫٢	٧٥٫٧	١٨٫٨	٥٦٫٨-	٧٫٤	٢٫٩-	٢١٫٦	٥٤٫١	٠٫٠	٠٫٣
نوفمبر	١٤٫٥	٤٣٫٤	٥٢٫٦	٩٫١	٣٤٫٥	٢٦٫٩	٢٥٫٤	١٨٫٠	٠٫٠	٠٫٠
ديسمبر	١٢٫٣	٣٢٫٣	٥٢٫٦	٢٠٫٣	٥٠٫٥	١٦٫٠	٢٤٫١	٨٫١	١٢٫٤	١٦٫٤
المجموع السنوي		٨٣٦٫٧	٤٩٢٫٥	٣٤٤٫١-			٤٢٥٫٥	٤١١٫٢	٧١٫٤	٧١٫٤

ولعل السمة البارزة في أنماط المسيرة الشهرية خلال فصلي الربيع والخريف هي التداخل والتبادل في المواضع بالنسبة لشهور الفصل الواحد ، حيث لانجد السمة الترتيبية المنتظمة لأوضاع الأنماط الشهرية التي تظهر في النطاقات السابقة .

والرسم (٥) يمثل الوضع في نطاق المرتفعات الغربية (< ٢٠٠٠م) ، وفيه نجد أن فصل الشتاء يستعيد ، تحت تأثير الارتفاع ، صغر مستوى الحد الأقصى للعجز المائي حيث نجده لايتخطى ٥٠مم خلال هذا الفصل ، وكذلك صغر مدى الفرق بين قيم الشهر الواحد على مدى فترة الدراسة والذي يصل ، أيضاً في حده الأقصى إلى ٥٠مم . كما أن فصل الصيف لم يتخط لنفس السبب ، مستوى الحد الأقصى للعجز المائي فيه ١٩٢مم ، وهي قيمة أصغر نسبياً مقارنة بالنطاقات السابقة ،

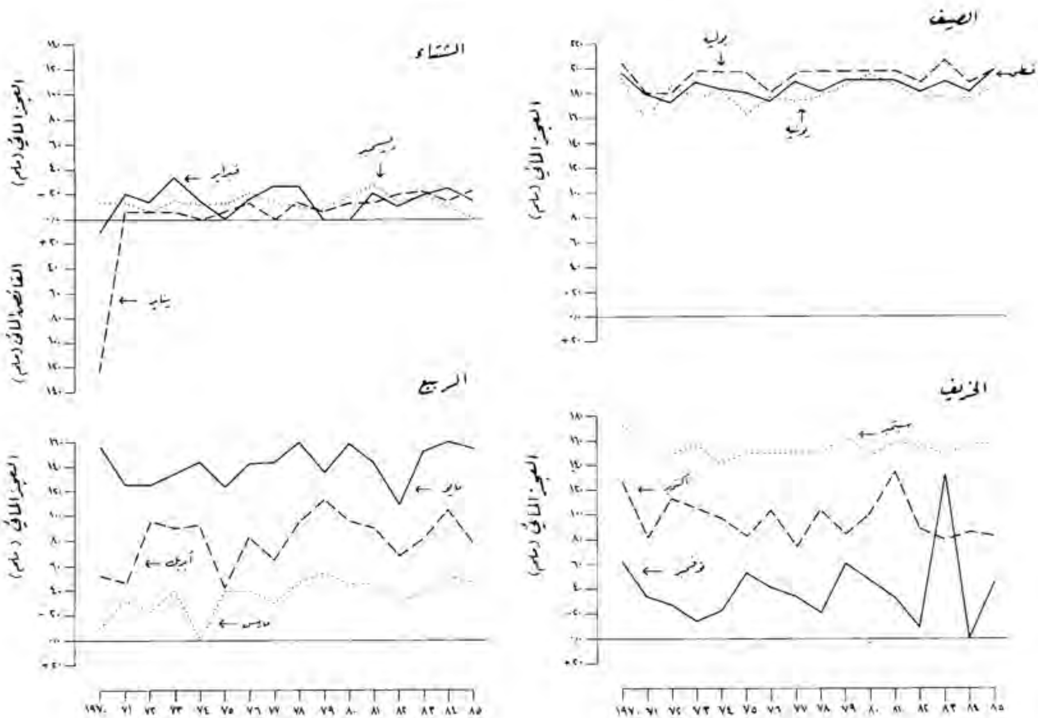
جدول (١٢) المتوسطات الشهرية لمركبات الميزان المائي في المرتفعات الجنوبية الغربية و > ٢٥٠٠م (النماص ٤٣) ١٩٧٠ - ١٩٨٥م

الشهر	درجة الحرارة (مئوية)	التبخر الإجمالي الممكن (م)	كمية الأمطار (م)	الأمطار ناقصاً التبخر الإجمالي الممكن (م)	رطوبة التربة (م)	التغير في رطوبة التربة (م)	التبخر الإجمالي الفعلي (م)	العجز في رطوبة التربة (م)	الفائض في رطوبة التربة (م)	الانسياب السطحي (م)
يناير	١٠٫١	٢٩٫٠	٣٤٫٣	٥٥٫٤	٨٦٫٤	٢٦٫٩	٢٣٫١	٥٫٨	٣٤٫٣	١٧٫٣
فبراير	١٠٫٤	٣٠٫٥	٤٩٫٨	١٩٫٣	٩٩٫٦	١٣٫٢	٢٤٫١	٦٫١	١٢٫٢	١٤٫٧
مارس	١٣٫٠	٤٨٫٠	٧٧٫٧	٢٩٫٥	١٠٥٫٤	٥٫٨	٣٩٫٩	٨٫٤	٣٦٫٠	٢٣٫٤
أبريل	١٥٫٠	٥٩٫٩	٩١٫٤	٣١٫٥	١١٣٫٥	٨٫٤	٥٣٫١	٦٫٩	٣٠٫٢	٢٦٫٧
مايو	١٧٫٨	٨٤٫٦	٧٧٫٧	-٦٫٨	١٠٧٫٤	-٦٫٠	٧٦٫٥	٨٫١	٧٫٤	١٧٫٠
يونيه	٢٠٫٣	٩٩٫٦	٤٫١	-٩٥٫٤	٥٧٫٧	-٤٩٫٧	٥٣٫٨	٤٥٫٧	٠٫٠	٨٫٦
يوليه	٢٠٫٥	١٠٥٫٩	٢٣٫٤	-٨٢٫٥	٣٧٫١	-٢٠٫٥	٤٣٫٩	٦١٫٧	٠٫٠	٤٫٣
أغسطس	٢٠٫٣	١٠٠٫٦	٢٠٫٨	-٧٩٫٧	٢٢٫٦	-١٤٫١	٣٥٫١	٥٦٫٥	٠٫٠	٢٫٠
سبتمبر	١٩٫٧	٨٨٫٤	١٫٨	-٨٦٫٥	١٣٫٠	-٩٫٦	١١٫٤	٧٧٫٠	٠٫٠	١٫٠
أكتوبر	١٦٫٠	٦٣٫٢	١٥٫٩	-٤٧٫٤	١٣٫٠	٠٫٠	١٥٫٧	٤٧٫٨	٠٫٠	٠٫٥
نوفمبر	١١٫٩	٣٧٫٦	٢٩٫٠	-٨٫٨	٢٩٫٨	٦٫٩	٢٢٫١	١٥٫٥	٠٫٠	٠٫٣
ديسمبر	١٠٫٠	٣٠٫٠	٥٤٫٩	٢٥٫١	٥٠٫٣	٣٠٫٥	٢٤٫٤	٥٫٦	٠٫٣	٠٫٣
المجموع السنوي		٧٧٧٫٢	٥٣٠٫٤	٢٤٦٫٨			٤٢٣٫٢	٣٥٤٫١	١١٦٫٣	١١٦٫٣

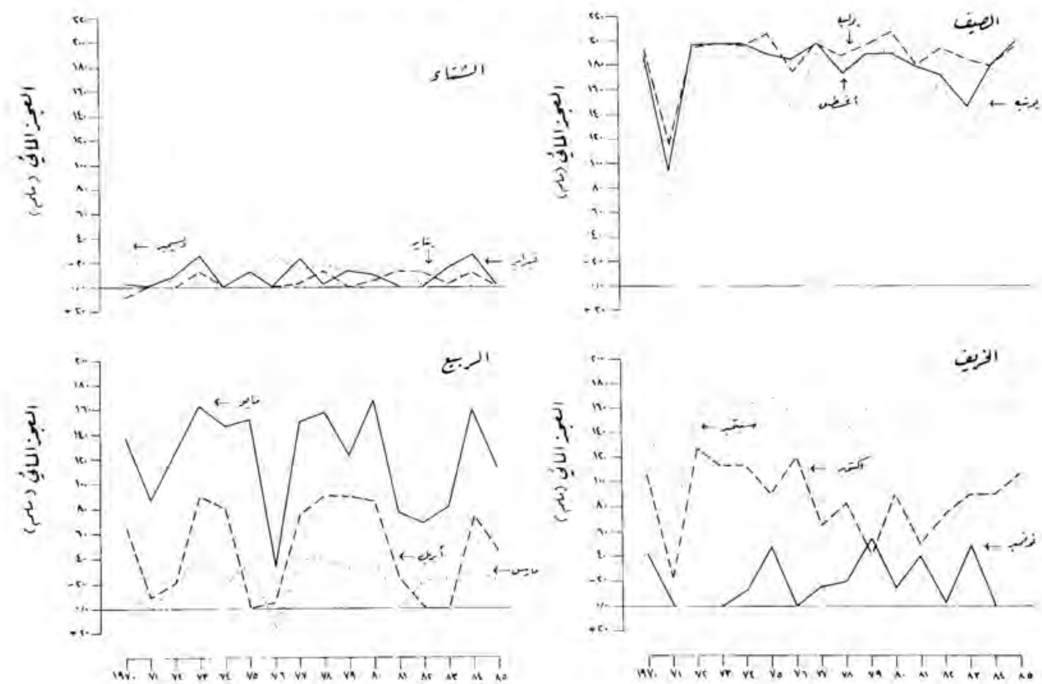
كما أن المدى بين شهوره لم يتخط ٨٨مم . وعلى أية حال فإن الفائض المائي في هذا النطاق ضعيف جداً ، حيث ظهر مرة واحدة خلال فصل الشتاء ، وأخرى في فصل الربيع ، كما أن الوضع الصفري لم يتحسن كثيراً في تكراره ، حيث لم يتخط المرتين خلال كلٍ من فصل الشتاء والربيع ، وثلاث مرات خلال فصل الخريف . كما نلاحظ أيضاً الانخفاض النسبي في مستوى العجز المائي خلال فصل الربيع والخريف ١٤٠مم مقارنة بنطاق السفوح الغربية ، إلا أن السمة التداخلية لأنماط المسيرة الشهرية تظهر مرة أخرى .

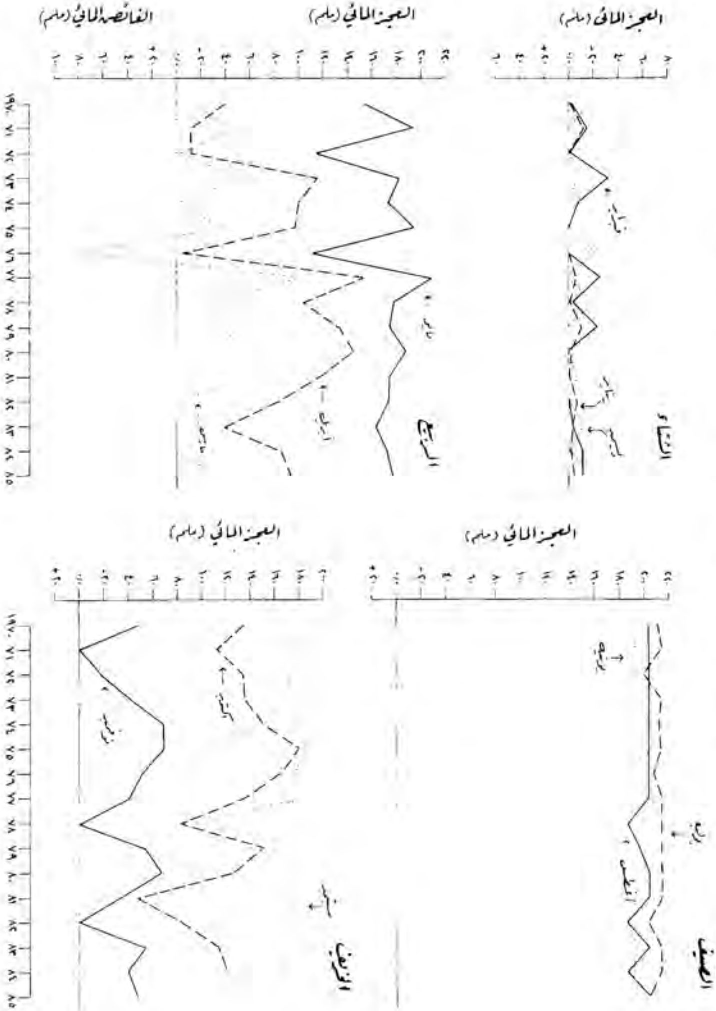
وبالانتقال إلى النطاق الأكبر ارتفاعاً ، وهو نطاق المرتفعات الجنوبية الغربية (> ٢٠٠٠م و > ٢٢٠٠م) كما تمثله أبها (٤٧) رسم (٦) ، نلاحظ تغييرين هامين ظهرا على نمط المسيرة الشهرية للعجز المائي :

رسم (١) المسيرة الشهرية لمركبي العجز المائي والفائض المائي في شمال غرب المملكة (تبوك) ١٩٧٠-١٩٨٥



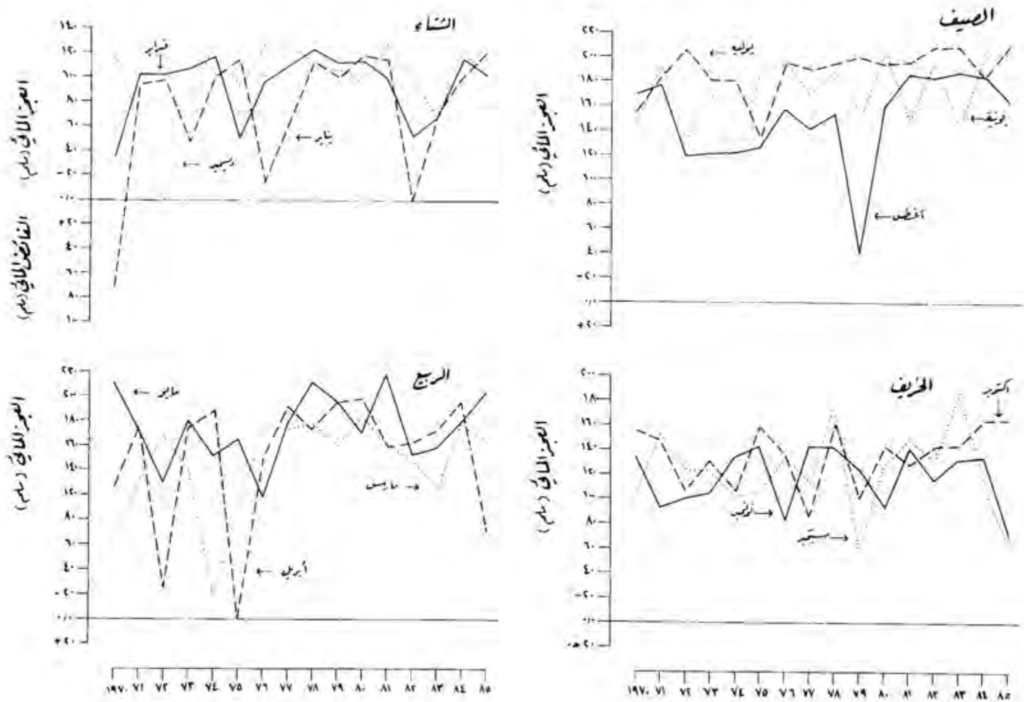
رسم (٢) المسيرة الشهرية لمركبي العجز المائي والفائض المائي في شمال المملكة (حائل) ١٩٧٠-١٩٨٥



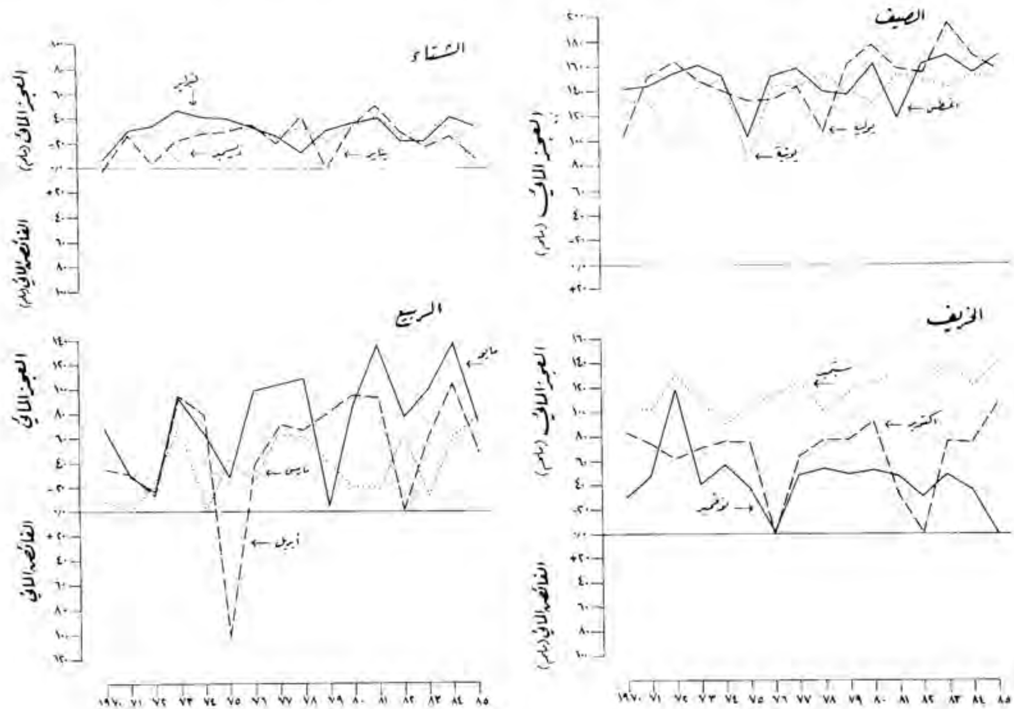


شكل (٣) السيرة الشهرية لكمية العجز المائي والفائض المائي في شمال شرق المملكة (محطة حفر الباطن) ١٩٧٠ - ١٩٨٥

رسم (٤) المسيرة الشهرية لمركبي العجز المائي والمركب المائي في السفوح الجنوبية الغربية (كواش ٤٤) ١٩٧٠-١٩٨٥



رسم (٥) المسيرة الشهرية لمركبي العجز المائي والفائض المائي في المرتفعات الغربية < ٢٠٠٠م (الطائف ٣٦) ١٩٧٠-١٩٧٥

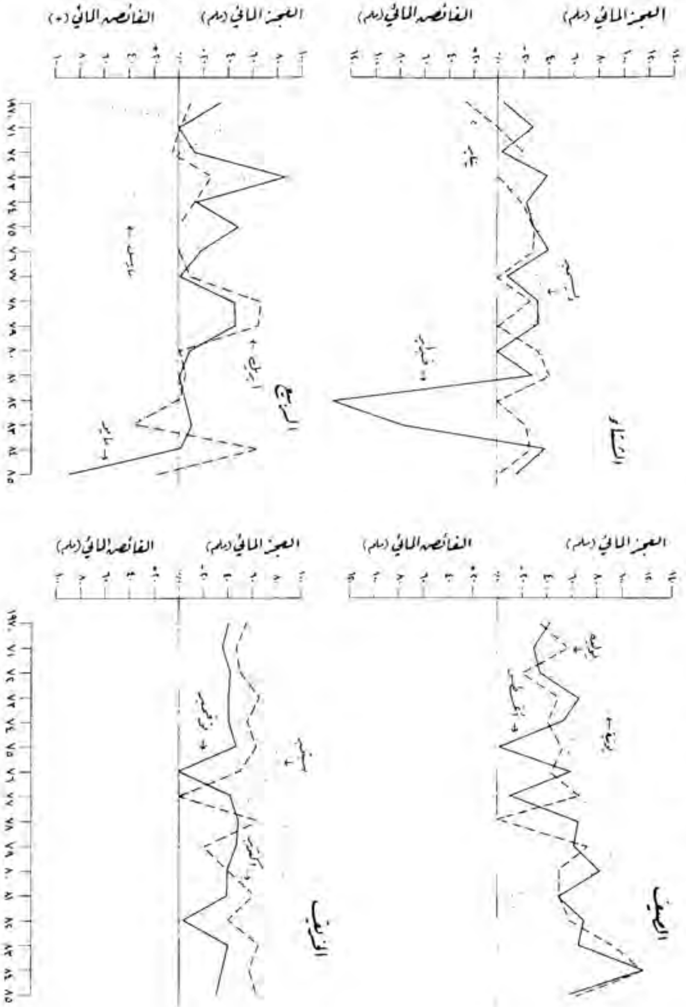


١ – إن مستوى الحد الأقصى للعجز المائي لم يتخط ١٢٢م خلال أي من شهور فصل الصيف .

٢ – ظهور الوضع الصفري في فصل الصيف ، وتركز الاقتراب النسبي لأنماط المسيرة الشهرية من الحد الصفري .

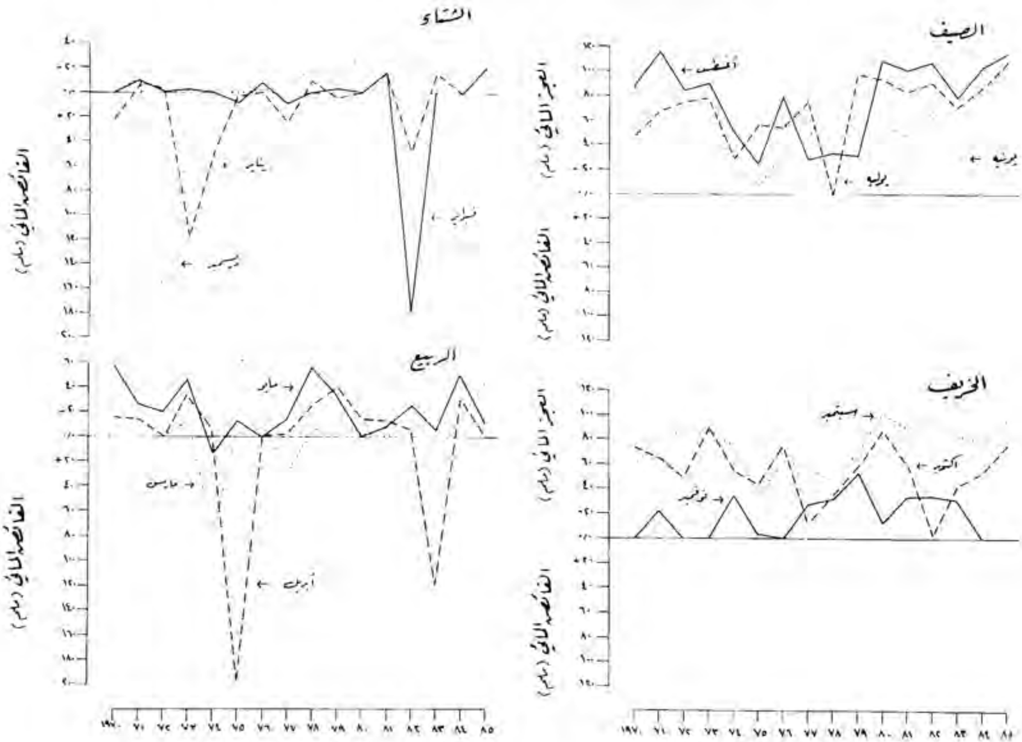
هذا التناقص الإيجابي في العجز المائي ، والاقتراب من الوضع الصفري ، هو إفراز لارتفاع مستوى النشاط المطري على هذا النطاق في فصل الصيف ، بفعل التأثير المركب للارتفاع ، والموقع العرضي الذي يحصر هذا الجزء من البلاد في نطاق انتشار الرياح الموسمية الصيفية الممطرة . على أية حال ، نلاحظ من الرسم زيادة في عدد تكرار مرات الفائض المائي والوضع الصفري في فصلي الشتاء والربيع ، إلا أن فصل الربيع تتركز فيه هاتان الظاهرتان بشكل أكبر نسبياً ، حيث نجد أن عدد تكرار الفائض المائي وصل إلى ٧ مرات ، أي بمستوى احتمالية فصلية ١٥ر٠ مقابل ثلاث مرات خلال فصل الشتاء . كما أن عدد تكرار الوضع الصفري وصل إلى ١٣مرة ، أي بمستوى احتمالية فصلية ٢٧ر٠ مقابل ٨ مرات خلال فصل الشتاء ، ونجد أيضاً أن مستوى الحد الأقصى للعجز المائي خلال فصلي الربيع والخريف تناقص مقارنة بالنطاقات السابقة حيث لم يتخط ٩٠م مع زيادة طفيفة بالنسبة لمدى الفرق في مسيرة الشهر الواحد خلال فصل الربيع ، مقارنة بفصل الخريف . ويظل فصل الشتاء ، على أية حال هو الأقل ، وفصل الصيف هو الأكبر في مدى الفرق في المسيرة الشهرية .

ومن الرسم (٧) الممثل لنطاق المرتفعات الجنوبية الغربية (< ٢٥٠٠م و > ٢٢٠٠م) كما تمثله المندق (٣٩) نلاحظ مقارنة بالنطاقات السابقة ، زيادة في عدد تكرار مرات الفائض المائي وزيادة في حجم هذا الفائض الذي وصل إلى ١٩٨م في أبريل ١٩٧٥ . والزيادة العددية تركزت في فصل الشتاء حيث بلغ عدد تكرار الفائض المائي ١٢ مرة ، أي بمستوى احتمالية فصلية ٢٥ر٠ مقابل ٧ مرات في فصل الربيع . هذا التفاوت في عدد مرات الفائض المائي بين فصلي الفائض المائي ينطبق أيضاً على الوضع الصفري للميزان المائي فيهما حيث بلغ ١٤ مرة في فصل الشتاء أي بمستوى احتمالية ٢٩ر٠ مقابل ٥ مرات في فصل الربيع . ويواكب هذه الزيادة في إيجابية الميزان المائي في فصلي الشتاء والربيع ميزة إيجابية أخرى تتمثل في إنحسار الحد الأقصى للعجز المائي في فصلي الشتاء والربيع إلى (< ٣٠م و< ٦٠م) على التوالي . كما نلاحظ من الرسم أيضاً عدم حدوث فائض مائي خلال فصل الخريف خلال فترة هذه الدراسة . إلا أن وضع العجز المائي تحسن مقارنة بالنطاقات السابقة حيث نجد أن عدد تكرار مرات الوضع الصفري وصل إلى ٦ ، أي بمستوى احتمالية فصلية ١٢٥ر٠ . وفي فصل الصيف أيضاً تحسن وضع العجز المائي حيث ظهر الوضع الصفري مرة واحدة في يولية ١٩٧٨ ، كما أن الحد الأقصى للعجز المائي فيه لم يتخط ١١٨ م .

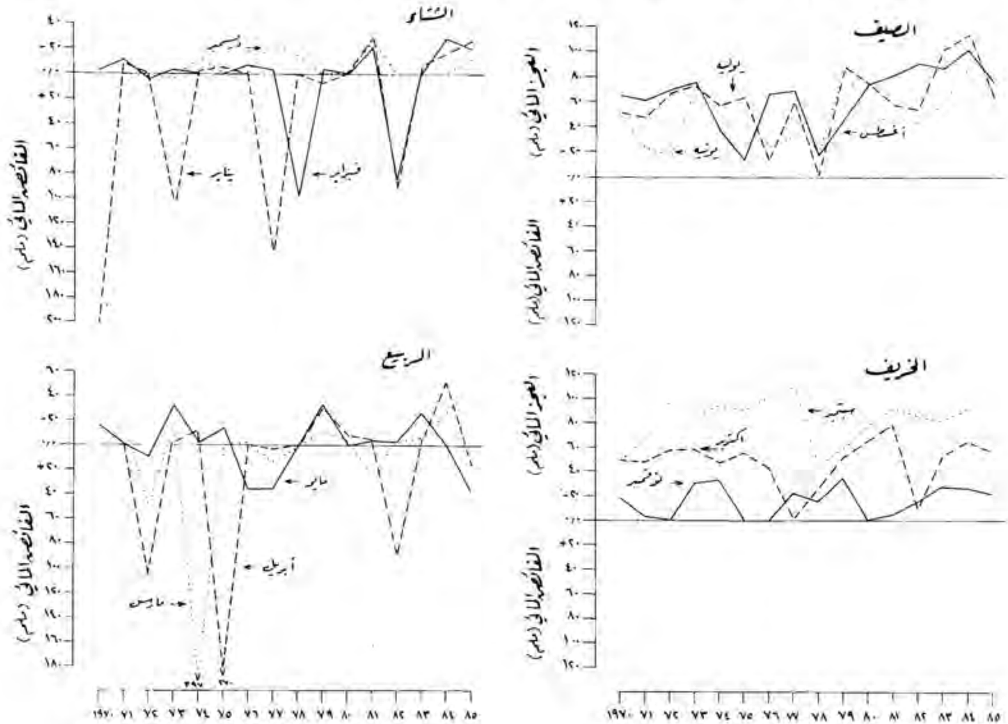


رسم (٦) المسيرة الشهرية لمركبي العجز المائي والفائض المائي في المرتفعات الجنوبية الغربية ٢٠٠٠-٢٢٠٠م (أبها ٤٧) ١٩٧٠-١٩٨٥

رسم (٧) السيرة الشهرية لمركبي العجز المائي والفائض المائي في المرتفعات الجنوبية الغربية > ٢٠٠٠ < ٢٥٠٠م (المحطة ٣٩) ١٩٧٠-١٩٨٥



رسم (٨) المسيرة الشهرية لمركبي العجز المائي والفائض المائي في المرتفعات الجنوب غربية > ٢٥٠٠م (النماص ٤٣) ١٩٧٠-١٩٨٥



وبالانتقال إلى النطاق الأخير من نطاقات الفائض المائي ، ويمثله الرسم (٨) نصل إلى النطاق الأكبر ارتفاعاً في المرتفعات الجنوبية الغربية (< ٢٥٠٠م) ، كما تمثله النماص (٤٣) . ومن الرسم نستشف أن هذا النطاق يتميز عن النطاقات السابقة بزيادة ملحوظة في عدد تكرار مرات الفائض المائي والوضع الصفري حيث بلغتا خلال فترة الدراسة ٢٣ مرة و٣٠ مرة على التوالي ، أي بمستوى احتمالية على مدار السنة ١٢٠ر٠ ، و١٥٦ر٠ على التوالى . وإذا تمعنا في الرسم نجد أن الفائض المائي يقتصر حدوثه أيضاً على فصلي الشتاء والربيع فقط ، مع تركز ملحوظ في فصل الربيع بمستوى احتمالية فصلية ٢٩ر٠ ، كما أن الوضع الصفري يظهر في جميع فصول السنة مع تركز ملحوظ في الشتاء بمستوى احتمالية فصلية ٣٣ر٠ . ويواكب هذه الزيادة في عدد مرات الفائض المائي أيضاً زيادة في حجم هذا الفائض حيث وصلت إلى مستوى ٣٩٧مم في مارس ١٩٧٤ . كما أن الغالبية العظمى تخطت مستوى (< ٥٠مم) على مدى الفصلين . ونلاحظ أيضا أن فصلي الصيف والخريف يتماثلان في مستوى الحد الأقصى للعجز المائي ، حيث بلغ ١١٢مم للأول ، ولم يتخط ١١٠مم للثاني ، إلا أن وضع العجز المائي أفضل في الخريف ، حيث تكرر الوضع الصفري ٥ مرات مقابل مرة واحدة في فصل الصيف .

على أية حال ، يظل الهدف الأساسي لمعرفة وتحليل الأنماط المكانية لمركبي الميزان المائي المتمثلين في الفائض المائي والعجز المائي التعرف على الأبعاد المكانية للنطاقات التي تفيض أو تقل فيها المياه المناخية عن مستوى الحاجة المناخية لها ، وتقدير مدى تفاوت العجز المائي كمًّا وزماناً من نطاق لآخر ، وذلك لتحديد المناطق ذات الاحتمالات الأكبر ، لمقابلة الحاجة المناخية للمياه ، أو بكلمة أخرى تناقص الحاجة للري اللازم لتعويض العجز في مقابلة الحاجة القصوى للنبات من المياه . لذا لعله من المناسب أن نختتم هذه الدراسة بالنظر في مسألة احتمالية تناقص العجز لمقابلة الحاجة المناخية للمياه (الري) في فصول الشتاء والربيع والخريف ، وذلك على أساس اعتبار أن إجمالي عدد تكرار مرات الفائض المائي والوضع الصفري يمثل مدى الاقتراب من وضع عدم الحاجة لتعويض النقص في مقابلة الحاجة المناخية للمياه . وتلخص المعلومات التي يشملها الجدول (١٣) هذه النقطة . ومن هذا الجدول يمكننا أن نستشف النقاط التالية :

١ – أن احتمالية الحاجة للري في فصل الخريف عالية بالنسبة لجميع النطاقات التي تناولها تحليل الأنماط الشهرية حيث لاتقل عن ٨٧ر٠ .

٢ – أن فصل الربيع يأخذ وضعاً وسطاً بالنسبة لنطاقات المرتفعات الغربية والجنوبية الغربية فقط (< ٢٠٠٠م) حيث تتفاوت احتمالية الحاجة للري بين ٥٥ر٠ و٦٩ر٠ .

٣ – أن فصل الشتاء يظهر فيه المستوى الأقل من احتمالية الحاجة للري فقط في نطاقين متباعدين مكانياً هما : نطاق مرتفعات الجنوب الغربية (< ٢٢٠٠م) ، وشرق وسط المملكة حيث

يتراوح مستوى احتمالية الحاجة للري بين ٤٦ر٠ و٥٩ر٠ وهكذا يتضح جلياً أن فصلي الشتاء والربيع هما الأفضل فيما يخص احتمالية الحاجة للري ، وأن نطاق المرتفعات الغربية والجنوبية الغربية وشرق وسط المملكة هي النطاقات التي تقتصر عليها هذه السمة .

وإذا انتقلنا بهذا التحليل خطوة أخرى لمعرفة مقدار العجز المائي في حجميه : الأقصى والأدنى في شهور فصلي الشتاء والربيع ، نجد أن شهور فصل الشتاء تعكس أحجاماً أصغر نسبياً من شهور فصل الربيع . مما يؤكد مرة أخرى أن فصل الشتاء هو الأفضل من حيث ضعف مستوى احتمالية الحاجة للري وحجم هذه الحاجة . ومع أن المستوى الجيد للاحتمالية يقتصر على نطاقات معينة كما يتضح من الجدول رقم (١٣) إلا أن حجم النقص يظل متقارباً على النحو التالي : ≧ ٤٢م كحد أقصى ، و ٣ر٠م كحد أدنى في شهر ديسمبر ، ≧ ٠ر٥٠م كحد أقصى ، و ≧ ٣ر٠م كحد أدنى في شهر يناير ، و ≧ ٤٨م كحد أقصى و ≧ ٠ر١م كحد أدنى في شهر فبراير وذلك في جميع النطاقات التي تم تحليل أنماطها الشهرية باستثناء نطاق السفوح الغربية (انظر الجدول ٤) . أما بالنسبة لأحجام العجز المائي في فصل الربيع ، فإن النطاقات التي يظهر فيها فائض مائي تنشطر إلى مجموعتين متميزتين : المجموعة الأولى وتشمل النطاقات التي لم يتخط فيها الحجم الأقصى للعجز المائي حد الـ ١٠٠م ، ويمثلها النطاقات الثلاث على المرتفعات الجنوبية الغربية (< ٢٠٠٠م) ، والمجموعة الثانية وتشمل النطاقات التي تخطى فيها الحجم الأقصى للعجز المائي حد الـ ١٠٠م ، ويمثلها بقية النطاقات الخمس .

ولعله حري بنا أن نؤكد هنا أن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة هي نتائج أولية لاتتعدى قيمتها مستوى الكشف عن الملامح الأساسية لمركبات الميزان المائي في المملكة العربية السعودية ، وتحديد الإطارات المكانية والزمنية العامة للمستويات المختلفة لهذا الميزان ، لذا يجب اعتبارها مقدمة لدراسات تفصيلية أخرى للنطاقات ذات المستوى والاحتمال الأفضل نسبياً في ميزانها المائي .

مصادر إحصاءات الحرارة والأمطار

١ - شركة أرامكو (١٩٧٠ - ١٩٨٥)

تم الحصول من شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) على جداول تحتوي على المتوسطات الشهرية لدرجات الحرارة وكمية الأمطار للمحطات التالية : رأس تنورة (١٠) ، والظهران (١٢) ، وأبقيق (٢٠) وذلك عن طريق مكتبها في المنطقة الغربية بتاريخ ١٩٨٣/٣/٥م عن الفترة ١٩٧٠ - ١٩٨٢ وبتاريخ ١٩٨٦/٦/١٧م عن الفترة ١٩٨٣ - ١٩٨٥ .

جدول (١٣) احتمالية عدم النقص في الحاجة المناخية للمياه

النطـــاق	فصـل الشتـاء		فصـل الربيـع		فصـل الخريـف	
	احتمالية عدم النقص في الحاجة المناخية للمياه	احتمالية الحاجة للري	احتمالية عدم النقص في الحاجة المناخية للمياه	احتمالية الحاجة للري	احتمالية عدم النقص في الحاجة المناخية للمياه	احتمالية الحاجة للري
مرتفعات الجنوب الغربية > ٢٥٠٠م	٠٫٥٨	٠٫٤٢	٠٫٤٥	٠٫٥٥	٠٫١٠	٠٫٩٠
مرتفعات الجنوب الغربية < ٢٥٠٠م و > ٢٢٠٠م	٠٫٥٤	٠٫٤٦	٠٫٣١	٠٫٦٩	٠٫١٣	٠٫٨٧
مرتفعات الجنوب الغربية < ٢٢٠٠م و > ٢٠٠٠م	٠٫٢٣	٠٫٧٧	٠٫٤١	٠٫٥٩	٠٫٠٦	٠٫٩٤
المرتفعات الغربية < ٢٠٠٠م	٠٫٠٦	٠٫٩٤	٠٫٠٦	٠٫٩٤	٠٫٠٦	٠٫٩٤
السفوح الغربية	٠٫٠٦	٠٫٩٤	٠٫٠٢	٠٫٩٨	٠٫٠	١٫٠٠
شرق المملكة	٠٫٤١	٠٫٥٩	٠٫١٣	٠٫٨٧	٠٫٠٤	٠٫٩٦
شمال المملكة	٠٫٢٩	٠٫٧١	٠٫١٣	٠٫٨٧	٠٫٠٨	٠٫٩٢
شمال غرب المملكة	٠٫١٦	٠٫٨٤	٠٫٠٢	٠٫٩٨	٠٫٠٢	٠٫٩٨

٢ - مصلحة الأرصاد وحماية البيئة (١٩٧٠ - ١٩٨٥)

(أ) التقارير المناخية السنوية (١٩٧٠ - ١٩٧٦)

(ب) التقارير البيئية السنوية (١٩٧٧ - ١٩٨١)

(جـ) إحصاءات الفترة ١٩٨٢ - ١٩٨٥ تم تجميعها من السجلات التي يحتفظ بها قسم المناخ بالمصلحة والتي لازالت قيد الطبع . وقد تم الحصول عليها في مارس ١٩٨٦م .

والمحطات التي تديرها مصلحة الأرصاد واستخدمت في هذه الدراسة هي : القيصومة (٦) ، تبوك (٥) ، حائل (٨) . القصيم (١٥) ، الظهران (١٧) ، الوجه (١٨) ، الرياض (٣٥) ، المدينة (٢٧) ، ينبع (٣٠) ، جدة (٣٤) ، الطائف (٣٥) خميس مشيط (٤٦) ، وجيزان (٥٠) .

٣ - وزارة الزراعة والمياه (١٩٧٠ - ١٩٨٥)

- النشرة الهيدرولوجية رقم ٤٥ (١٩٧٠)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ٥٣ (١٩٧١)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ٦١ (١٩٧٢)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ٧٤ (١٩٧٣)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ٨٢ (١٩٧٤)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ٨٩ (١٩٧٥)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ٩٠ (١٩٧٦)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ٩١ (١٩٧٧)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ٩٢ (١٩٧٨)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ٩٤ (١٩٧٩)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ٦٩ (١٩٨٠)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ٩٩ (١٩٨١)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ١٠٢ (١٩٨٢)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ١٠٧ (١٩٨٣)
- النشرة الهيدرولوجية رقم ١١٠ (١٩٨٤)

والاحصاءات الخاصة لسنة ١٩٨٥ تم استخراجها من سجلات قسم الهيدرولوجيا بوزارة الزراعة والمياه ، حيث كانت لاتزال قيد الطبع في فترة تجميع لمعلومات البحث في أوائل ١٩٨٦م .

وتغطي المعلومات المستخلصة من النشرة الهيدرولوجية المحطات التالية : القريات (١) ، طبرجل (٢) ، سكاكة (٣) ، تبوك (٤) ، تيماء (٧) ، السرار (٩) ، القطيف (١٢) ، معقلة شملول

(١٣) ، الزلفي (١٦) ، عنيزة (١٩) ، حوطة سدير (٢١) ، الهفوف (٢٢) ، شقراء (٢٣) ، خريص (٢٤) ، الرياض (٢٦) ، المدينة (٢٨) ، الخرج (٢٩) ، حرض (٣١) ، جبرين (٣٢) ، الأفلاج (٣٣) ، الطائف (٣٦) ، حمى سيسد (٣٧) ، السليل (٣٨) ، المندق (٣٩) ، بيشة (٤٠) ، بلجرشي (٤١) ، المظيلف (٤٢) ، النماص (٤٣) ، كواش (٤٤) ، كيات (٤٥) ، أبها (٤٧) ، صبيا (٤٨) ، رحى المدرة (ملاكى) (٤٩) .

References

Albrech, J.C., "A computer programme for monthly climatic water balance, with potential evapotranspiration calculated from the original equation", *Publication in Climatology*, Vol. **24**, No. 3, pp. 11-20, Drexel Institute of Technology, Laboratory of Climatology, Centeron, New Jersey, (1971).

Blaney, H.F. and Criddle, W.D., "Determining water requirements in irrigated areas from climatological and irrigation data", *Technical Paper 96*, p. 48, Soil Conservation Services, Department of Agriculture, Washington, D.C. (1950).

Greenland, D., Caine, N. and Pollak, 0., "The summer water budget and its importance in the Alpine Tundra of Colorado", *Physical Geography*, Vol. **5**, No. 3, (1984), pp. 221-239.

Hamon, W.R., "Estimating Potential Evapotranspiration", Amer. Soc. of Civil Eng. Proceedings, *Journal of Hydraulics Division*, Vol. **87**, No. HY3, (1961), pp. 107-120.

Jensen, M.E. and Haise, H.R., "Estimating evapotranspiration from solar radiation", Amer. Soc. of Civil Eng., Proceedings, *Journal of the Irrigation and Drainage Division*, Vol. **89**, No. IR-4, (1963), pp. 14-41.

Muller, R.A., *"A Computer Programme for Computation of the Continuous Monthly Water Budget"*. Dept. of Geography, Louisiana State University, Baton Ronge, (1981).

Penman, H.L., "Natural evaporation from open water, bare soil and grass". *Proc. Roy. Soc. Series A*, Vol. **193**, (1948), pp. 120-146.

Penman, H.L., "Evaporation: An Introductory Survey", *Netherlands Journal of Agricultural Sciences*, Vol. **4**, No. 1, (1956), pp. 9-29.

Stone, L.A., "Water balance computer program using consecutive monthly data", *Publication in Climatology*, Vol. **24**, No. 3, pp. 1-10. Drexel Institute of Technology, Laboratory of Climatology, Centeron, New Jersey (1971).

Thornthwaite, C.W., "Report of the Committee on transpiration and evaporation, 1943-44". *Trans. Amer. Geogphys. Un.*, Vol. **25**, Part 5, (1944), pp. 686-693.

Thornthwaite, C.W., "A re-examination of the concept and measurement of potential evapotranspiration", *Publication in Climatology*, Vol. **7**, (1954), (No. 1), pp. 200-209.

Thornthwaite, C.W. and Mather, J., "Climate in relation to crops", *Meteo, Monogr.* Vol. **2**, No. 8, (1954), pp. 1-10.

Thornthwaite, C.W. and Mather, J., "The water budget and its use in irrigation", *Yearbook of Agriculture*, Dept. of Agr., Washington, D.C. (1955a).

Thornthwaite, C.W. and Mather, J., "The Water Balance", *Publication in Climatology*, Vol. **8**, No. 1, Drexel Institute of Technology, Centeron, New Jersey, (1955b).

Turc, L., "Le bilan d'eau des sols, relations entre les precipitations, l' evaporation et l'ecoulement", *Ann. Agronomie*, Vol. **5**, (1955), pp. 5-31.

Wilmot, C.J., "Watbug: A fortran IV algorithm for calculating the climatic water budget", *Publication in Climatology*, Vol. **30**, No. 2, (1977).

Yoshioka, G.A., "A Computer Program for the daily water balance", *Publication in Climatology*, Vol. **24**, No. 3, (1971), pp. 21-28.

Climatic Water Balance in Saudi Arabia "An Application of Thornthwaite-Mather Model"

Mohammed A. Al-Jerash
Associate Professor, Department of Geography,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah.

ABSTRACT

This article aims at uncovering the basic features of the climatic water balance of Saudi Arabia. The method used was the application of a computer programme of the Thornthwaite-Mather model on data representing fifty climatic stations extending over a period of sixteen years (1970-1985).

The Analysis of the results obtained progressed through three period components; yearly, seasonaly and monthly. The yearly level reveals that latitude and altitude are the main controlling factors of the water components. The seasonal level indicates that:

- There is a great moisture deficiency in all seasons (up to 208 mm in summer).

There is a very little moisture surplus in winter and spring only (up to 23 mm).

The south-west highlands are distinguished from the rest of the country by the consistency of its water balance components throughout the year.

The monthly analysis reveals :

- The occurrence of moisture surplus ranged between once, during the 192 months period, and 23 times in the east of central Arabia and in the highlands > 2500 (M) respectively.
- The volume of moisture surplus ranged between 9 mm and 379 mm in the north of the country and in the S.W. highlands > 2500 (M) respectively.
- The occurrence of the zero position ranged between twice and 30 times in the western slopes and the S.W. highlands respectively.
- There is a closeness of the monthly march pattern of the moisture deficiency and moisture surplus components between the months of spring and

those of autumn on the one hand, and between them and those of the winter on the other which leaves those of the summer very distinct.

- The probability for the need of irrigation water to compensate for the moisture deficiency, below the level of the climatic need for water, decreases from 0.87 in autumn to 0.66-0.55 for spring to reach its minimum range of 0.46-0.55 for the winter in the eight spatial units that the monthly analysis was limited to.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١ ، ص ص ٦٣ - ٩٢ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

المنظور الاجتماعي في دراسة جمهور وسائل الإعلام

محمد عبد الحميد أحمد*

مستخلص البحث

تفرض الدراسة الخاصة بجمهور وسائل الإعلام على الباحث ، تكاملاً في المنهج وفي الإطار النظري ، حتى تنتهي إلى نتائج يمكن الاستفادة منها في تفسير العلاقات بين عناصر النموذج الإعلامي ، وتحديد الأثر ، بالإضافة إلى أهداف التخطيط والتقويم التي يجب أن تتحقق من خلال الدراسة المتكاملة التي تستهدف الإجابة عن السؤال .. لمن .. ؟ أحد العناصر الأساسية في النموذج الإعلامي .

وفي مجال الدراسات المنهجية التي أجريت على جمهور وسائل الإعلام في الوطن العربي ، نجد أنه بينما نلحظ تقدماً في مجال دراسة السمات العامة أو الأولية أو السكانية لهذا الجمهور ، سواء كانت لخدمة الأهداف التجارية والتسويقية ، أو في مجال دراسة هذه السمات في علاقتها بالتفضيل والاهتمام ، بينما نلحظ تقدماً في هذا المجال ، نجد نقصاً شديداً أو ندرة في الدراسات التى تتناول السمات الاجتماعية لهذا الجمهور ، على الرغم من أهميتها في الكشف عن الطبيعة الاجتماعية لهذا الجمهور ، وعلاقتها باستخدام وسائل الإعلام وقبوله لها ، وكذلك معرفة أقصر الطرق إلى التأثير في هذا الجمهور من خلال تحقيق دوافعه وحاجاته من استخدام هذه الوسائل .

ولذلك يناقش هذا البحث المنظور الاجتماعي في دراسة الجمهور ، باعتباره مدخلاً من المداخل الأساسية لدراسة هذا الجمهور والكشف عن سماته الأجتماعية ودوافعه وحاجاته .

وينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث ، يتناول الأول منها أهمية دراسة السمات الاجتماعية لجمهور وسائل الإعلام ، التي فرضتها الظروف الإعلامية المعاصرة ، ابتداءً من التغير في المفاهيم وحتى تحقيق الأهداف البحثية في الكشف عن هذا الجمهور

(*) أستاذ مساعد ، قسم الإعلام ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز - جدة - المملكة العربية السعودية .

لأغراض التخطيط والتقويم ودراسة الأثر ، وكذلك الاتجاهات التي يسلكها الباحث في دراسة هذه السمات لتحقيق الأهداف البحثية .

ويعرض المبحث الثاني لأهم السمات الاجتماعية ذات العلاقة بتصميم الرسالة الإعلامية واختيار رموزها ، التي يهتم الباحث بدراستها لتكون مدخلاً سليماً للإقناع وتحقيق الأثر ، وبالتالي التفسير العلمي لطبيعة العلاقة التي تكشف اتجاهات التفضيل والاهتمام ، وكذلك الرضا والإشباع .

ويركز المبحث الثالث على أهم الدوافع والحاجات التي يستهدفها أعضاء الجمهور من التعرض إلى وسائل الإعلام ومفرداتها ومحتواها ، ويعتبر تحقيق هذه الدوافع والحاجات مقياساً لرضا الجمهور وقبوله لوسائل الإعلام ، وماتقدمه من مفردات أو موضوعات .

وفي ختام البحث يوصي الباحث ، بضرورة الاستفادة من المنظور الاجتماعي في دراسة الجمهور في إطار متكامل ، مع دراسة السمات العامة أو الأولية أو السكانية ، حتى يمكن التعرف بدقة على جمهور الوسائل الإعلامية ومفرداتها ، ليكون مدخلاً علمياً سليماً إلى التخطيط والتقويم والتفسير العلمي للسلوك الاتصالي مع هذه الوسائل .

على الرغم من تزايد البحوث والدراسات التي اهتمت بجمهور وسائل الإعلام في العالم العربي خلال السنوات الأخيرة ، ممثلة في الدراسات الأكاديمية والعلمية ، أو الدراسات التي تجريها أجهزة البحوث والدراسات في هذه الوسائل ، على الرغم من هذا التزايد إلا أننا نلاحظ غياب المنظور الاجتماعي في هذه الدراسات ، اكتفاءً بالوصف الكمي لهذا الجمهور والتعرف على تركيبه السكاني ، في إطار علاقته بالتعرض إلى الوسائل الإعلامية ، والتعرف على مستويات تفضيله واهتمامه بهذه الوسائل ومفرداتها ومحتواها ، سواء لخدمة الأهداف الترويجية والتسويقية ، أو تقويم الأعمال والإنجازات .

وفي هذا الإطار نشطت القياسات التي تجريها أجهزة البحوث في المؤسسات الصحفية أو أجهزة الراديو والتليفزيون للتعرف على القراء أو المستمعين أو المشاهدين واتجاهات تفضيلهم واهتمامهم ومستوياتهم ، وذلك في إطار المنظور الفردي لعضوية الجمهور ، ولذلك لم تزد هذه القياسات ، التي يطلق عليها في كثير من الأحيان «بارومتر الاستماع أو المشاهدة» ، عن كونها إحصاءات لتصنيف هذا الجمهور في إطار الفئات الخاصة بالتركيب السكاني في محاولة للإجابة عن السؤال .. لمن .. ؟ دون أن تتخطى ذلك إلى التعرف على دوافع التعرض وحاجات الجمهور ، التي ترتبط بالعديد من السمات الاجتماعية ، التي تسهم إلى حد كبير في تفسير العلاقة بين هذه السمات والسلوك الاتصالي مع وسائل الإعلام ، وتطوير المفاهيم والأسس الخاصة بالتخطيط الإعلامي ودراسة الأثر في الظروف الإعلامية المختلفة .

وعلى الرغم من أن مثل هذه الدراسات قد حققت تقدماً ملموساً في الدراسات الغربية من خلال دراسة الأثر ، ودراسة التفضيل والاهتمام ، ودراسة الاستخدام والإشباع ، إلاّ أن الدراسات الخاصة بالاتصال الجماهيري والإعلام في الوطن العربي لم تقترب منها بعد الاقتراب الكافي الذي يسهم في صياغة المفاهيم والمعارف المرتبطة بالمنظور الاجتماعي لعضوية جمهور وسائل الإعلام ، نظراً لحداثة هذه الدراسات ، أو اكتفاءً بما تقدمه العلوم الاجتماعية والسلوكية الأخرى في هذا المجال ، وهي مازالت نادرةً سواء في المكتبة الغربية أو العربية .

ولذلك تهدف هذه الدراسة إلى صياغة المفاهيم والمعارف ذات العلاقة بالمنظور الاجتماعي ، كأحد المداخل الأساسية لدراسة جمهور وسائل الإعلام ، حتى نصل إلى إجابة متكاملة على السؤال .. لمن .. ؟ من خلال الوصف الشامل لجمهور وسائل الإعلام في إطار المنظور الفردي ، والاجتماعي لعضوية هذا الجمهور ، وحتى تتخذ أساساً لتفسير العلاقات والتأثيرات الخاصة بالنموذج الإعلامي في إطار الظروف الإعلامية المتغيرة .

ويعتمد منهج هذه الدراسة على مسح الدراسات والبحوث التى تمت في هذا المجال ، وتناولتها علوم الاتصال والاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم النفس الاجتماعي ، ونعرض خلاصة الدراسة الاستطلاعية لهذه الدراسات والبحوث في ثلاثة مباحث رئيسية ، تتناول موضوع هذه الدراسة مقسماً إلى :

المبحث الأول : أهمية دراسة السمات الاجتماعية لجمهور وسائل الإعلام واتجاهاتها .
المبحث الثاني : الفئات الرئيسية للسمات الاجتماعية لجمهور وسائل الإعلام .
المبحث الثالث : الدوافع والحاجات الفردية والاجتماعية للجمهور .

المبحث الأول
أهمية دراسة السمات الاجتماعية لجمهور وسائل الإعلام واتجاهاتها

من أهم العوامل التي ساعدت على غياب المنظور الاجتماعي في الاتجاهات البحثية لجمهور وسائل الإعلام حتى العقد الخامس من هذا القرن تقريباً ، التعريف الخاص بالاتصال الجماهيري الذي تبنّته النظريات المبكرة ، والتي كانت تنظر إلى جمهور وسائل الإعلام على أنه مجرد حشد mass أو أعداد كبيرة من الناس ، لا تجمعهم خصائص أو سمات واحدة hetrogeneous ، غير معروفين للقائم بالاتصال anonymous ، منعزلين عن بعضهم اجتماعيا socially isolated ، ولا يملكون

القدرة على العمل كوحدة أو تنظيم اجتماعي متماسك(١) ، وبالتالي فإنهم يتعرضون لوسائل الإعلام ، ويتأثرون بها بشكل فردي(٢) .

وهذه السّمات التي كانت تميز جمهور وسائل الإعلام ، والتي سادت وقتئذ أثرت إلى حد بعيد في تناول الدراسات المبكرة لجمهور وسائل الإعلام ، فركزت على الجوانب الإحصائية والعددية الخاصة بفئات الجمهور المختلفة في علاقاتها بالوسيلة ، أو المفردات ، أو المحتوى الإعلامي . وتفسير هذه العلاقة في إطار التصنيف الذي يجعل الفرد عضواً في فئة من الفئات ، مثل السن ، أو النوع أو المهنة ، أو الحالة الاقتصادية(٣) .

وإذا كان هناك اتفاق حول بعض هذه السمّات ، مثل ضخامة الحجم أو العدد ، والتشتت والانتشار ، والتباين في الصفات والخصائص ، إلا أن غياب التواصل الاجتماعي ، والعزلة الاجتماعية كسمة لهذا الجمهور ، لم تجد قبولاً بين علماء الاجتماع والاتصال بعد ذلك . فالفرد في جمهور وسائل الإعلام لايتفاعل كشخصية منعزلة ، ولكن كعضو في الجماعات التي ينتمي إليها ويتفاعل معها ، وأن سلوكه الاتصالي هو جزء من السلوك الاجتماعي ، ونادراً مايكون مجهول الهوية ، لأنه عضو في شبكة من الجماعات الأولية والثانوية مثل العائلات وجماعات الأصدقاء ، ودوائر العمل .. إلى آخره ، التي تؤثر في السياق الاجتماعي لاتجاهات الفرد وآرائه حتى لو تعرض منفرداً إلى وسائل الإعلام .

وبذلك فإن عمليات وتأثيرات الإعلام يجب أن تفسر في ضوء مفهوم جمهور المتلقين ، النشط ، الذي يبحث عمايريده ، ويرفض مالاتوقعه ، ويتفاعل مع أعضاء الجماعات المرتبط بها(٤) .

---

(١) Chales. R. Wright, *Mass Communication: A Sociological Perspective.*, 2nd ed. (New York: Randan Hous 1975), P. 5.

(٢) John R. Bittner, *Mass Communication: An Introduction*, 2nd., (New Jersey: Printice-Hall, Inc. 1980), P. 376.

(٣) من الأمثلة على هذه الدراسات المبكرة التي أجريت في الأربعينات متأثرة بهذا المفهوم :

Paul F. Lazarsfeld, and Patricia, Kendall, «The communication behavior of average american», In Schramm, Wilbur (ed)., *Mass Communication*, 2nd ed. (Urbana: University of Illinois Press, 1960) pp. 425-427.

Wilbur Schramm and David M. White, «age, education and economic states as factor in newspaper reading», *Ibid* pp. 437-450.

(٤) راجع بالتفصيل :

Eliot. Freidson, «communication research and concept of mass» In: Schramm Wilbur and Donald F.Roberts, (eds), *The Process and Effects of Mass Communications*. 3rd ed., (Urbana: Illinois University Press 1975), pp. 201-205.

وساعد على دعم التغير في المفهوم الخاص بجمهور وسائل الإعلام ، الدراسات العديدة التي تمت في الستينيات ومابعدها ، لتغير في الكثير من المفاهيم الخاصة بالاتصال الجماهيري والإعلام التي سادت في الدراسات المبكرة .

ومن أبرز الاتجاهات في هذه الدراسات مايلي :

١ – النظر إلى الاتصال الجماهيري والإعلام كعملية ، يتفاعل أطرافها ، ويؤثر كل منهم في الآخر ، وبالتالي لم يصبح الجمهور في إطار هذه العملية سلبياً في اتجاهاته وتأثيراته ، وإنما أصبح يمثل في العملية كعنصر إيجابي يؤثر في اتجاهات المصدر نحوه ، وفي اتجاهاته أيضاً نحو المحتوى ، ويؤثر في الوسيلة من خلال الاختيار المتبادل . فالوسيلة تميل إلى اختيار جمهورها من خلال المحتوى ، والجمهور يميل إلى اختيار الوسيلة من خلال المحتوى أيضا[٥] .

وهذا يعني أن يفسر الاتصال الجماهيري في ضوء هذا المفهوم ، والاهتمام بكل الأطراف أو العناصر عند صياغة أو تخطيط العملية ، وعلاقة عناصرها ببعضها .

وأصبح تعريف الاتصال الجماهيري يصاغ على أنه عملية ، يستخدم فيها المرسل أو القائم بالاتصال وسائل الإعلام لنشر رسائل كثيرة ، ومستمرة ، تستهدف استجابات معينة من جمهور المتلقين الكبير والمتنوع ، والتأثير فيهم بطرق متعددة[٦] .

٢ – النظر إلى الاتصال الجماهيري أو الإعلام كنظام اجتماعي ، يعتبر الجمهور الذي يتسم بالتنوع والانتماء إلى طبقات وفئات متعددة ، أحد عناصر هذا النظام . ويتأثر الجمهور في تحديد الدور الذي يقوم به في هذا النظام بمتغيرات عديدة يتصدرها حاجات واهتمامات أفراده ، والفئات الاجتماعية المتنوعة التي ينتمي إليها ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين هؤلاء الأفراد ، والتي تشير بدورها إلى حركة السلوك واتجاهاته behavioral mechanisms التي تحدّد أنماط واهتمام الجمهور وتفسيراته ، واستجابته إلى نوع معين من محتوى الاتصال[٧] .

٣ – تطور النظرة إلى جمهور وسائل الإعلام وعلاقاته المتبادلة مع كل من النظام الاجتماعي بثقافاته وبنائه . واتجاهات الحركة فيه من جانب ، ونظام وسائل الإعلام من جانب آخر ، وارتباط هذه العلاقات المتبادلة بالتأثيرات الخاصة على سلوك الجمهور واهتماماته ، وذلك في نموذج موحّد

Kathleen.K. Reardon, *Persuasion: Theory and Context,* (California and London: SAGE Publication, 1981), pp. 194-195.

Charles R. Wright, *op. cit,* pp. 79-80.

(٥) Theodore. Peterson Jay W. Jensen and William L Rivers, *The Mass Media and Modern Society,* (New York: Holt, Rinehert and Winston, Inc, 1965), p.125.

(٦) Melvin L. Defleur and Everett E. Dennis, *Understanding Mass Communication.,* (Boston: Mifflin Company, 1981), pp. 6-11.

(٧) Melvin L. Defleur and Sandra-Ball. Rokeach, *Theories of Mass Communication.,* 3rd ed., (New York, Longman, 1975), p. 172.

يحدد طبيعة هذه العلاقات واتجاهاتها ونتائجها على كل من النظام الاجتماعي، ونظام الإعلام، والجمهور(٨).

وهذا الاتجاه يؤكد على وجود التفاعل الاجتماعي ليس بين الأفراد أعضاء الجمهور فقط، ولكن بين هذا الجمهور كتنظيمات أو بنايات اجتماعية، وبين النظم الاجتماعية في المجتمع، ونظام الإعلام كنظام اجتماعي يعمل في سياق هذه النظم.

وانعكست هذه الاتجاهات المعاصرة على دراسة المداخل الأساسية في التأثير في سلوك جمهور المتلقين باعتباره يتكون من أعضاء كثيرين، ومتباينين، ومنتشرين، ينتمون إلى وحدات اجتماعية منتظمة تؤثر في اتجاهات العضو وسلوكه. حيث لم تعد النظريات المبكرة في التأثير التي اعتمدت عليها الدعاية قبل الحرب العالمية الثانية، كافية لتفسير السلوك والاتجاهات الفردية في المجتمع.

ولذلك لايمكن أن نغفل في دراساتنا الطبيعية الاجتماعية لجمهور المتلقين في الاختيار والتعرض لوسائل الإعلام، ودوافع استخدام هذه الوسائل ومفرداتها(٩) من جانب، كما لايمكن أن نغفل السمات الفردية، أو خصائص الشخصية أو السمات النفسية للجمهور audience psychographics، خصوصاً عندما لاتصبح السمات العامة أو الخصائص السكانية كافية للتخطيط الإعلامي أو تفسير رد الفعل نحو الرسالة الإعلامية(١٠) من جانب آخر.

وبالإضافة إلى ذلك، فإننا لايمكن أن نغفل هذه السمات في علاقتها بالعملية الإعلامية، التي ننظر إليها كعملية اجتماعية تتسم بالحركة والتدفق المضطرد للحياة الإنسانية، شأنها شأن كل العمليات الاجتماعية، فتؤثر في سمات الأفراد، وسمات المجتمع، وتتأثر بهما في نفس الوقت(١١).

كما أن دراسة المهارات والسمات الشخصية ونمط الحياة لأفراد جمهور المتلقين، بجانب السمات العامة، تعتبر أحد المدخلات الرئيسية أو المتغيرات المستقلة في عملية الاتصال الإقناعي عند تحليلها كمدخل في تخطيط الحملات الإعلامية التي تستهدف الإقناع وتوجيه السلوك(١٢).

---

(٨) *Ibid.*, pp. 261-281.

(٩) Steven H. Chaffee, «the interpersonal context of mass communication» In: F. Gerald Kline, and Phillip J. Tichenor, (eds), ***Current Perspective in Mass Communication Research***, (London: Beverly Hills-SAGE Publication, 1972), p. 98.

(١٠) John R. Bittner, *op, cit*, p. 347.

(١١) يتفق هذا التفسير مع مدخل «العملية الاجتماعية Social Process» الذي يتجه إليه الكثير من علماء الاجتماع في دراستهم للفرد والمجتمع و علاقتهم بالعمليات الاجتماعية – راجع:

George H. McCall, and J.L. Simmons, ***Social Psycohology: A Sociological Approach.***, (New York: The Free Press and Macmilan Publishing Company, Inc, 1982), pp. 13-14.

(١٢) William J. McGuire, «Theoritical foundation of campaigns» In: Ronald E.Rice, and William J. Paisly, (eds) ***Public Communication Campaigns***, (London: Beverly-Hills-SAGE Publication, 1981), p. 45.

وقد تطورت دراسة الجمهور في اتجاه الوصف الدقيق للسمات الاجتماعية والنفسية ، والمحتوى التفضيلي للأفراد الذين يشكلون هذا الجمهور ، لعدم كفاية الأبعاد التفسيرية لبحوث تركيب الجمهور ، أو المسوح الروتينية لها التي تقدمت في دراسة الفئات الرئيسية في السمات العامة مثل السن ، والنوع ، والتعليم ، والمهنة ، والدخل ، ولكنها لم تتجه إلى معرفة التركيب الاجتماعي المعاصر لجمهور وسائل الإعلام . ولم تركز بدرجة كافية على الأنسجة المشتركة في حياة الجماعات التي يندمج من خلالها الفرد في المجتمع الأكبر .

وفي هذا الإطار يمكن أن نقول إن دراسة الجمهور في تركيزها على السمات الاجتماعية والنفسية والشخصية حققت تقدماً من خلال الاتجاهات النظرية والتطبيقات العملية ، لأهمية تقرير المواقف الاجتماعية والنفسية التي يمكن من خلالها تعبئة جماهير جدد ، أو تغيير أنماط التعرض للأفراد الحاليين .

وفي البعض من اتجاهات دراسة الجمهور ، اندمجت في الدراسة المباشرة لردود فعل هذا الجمهور audience reaction ، وتأثير وسائل الإعلام media impact . وشملت أيضاً دراسات تفضيل وسائل الإعلام media preference التي اهتمت ببعض أنماط المحتوى والرسائل والصورة الجماهيرية للوسيلة ومستوى الثقة فيها(١٣) . وأصبحت هذه الدراسات تمثل نوعاً آخر يختلف عن تحليل تركيب الجمهور ، أكثر تعقيداً لاهتمامها بالاستخدام والإشباع uses and gratification ، والكشف عن الأسباب الكامنة وراء نماذج أو أنماط الاهتمام ، وتجيب عن السؤال .. لماذا يهتم الأفراد بوسيلة معينة أو بمحتوى معين ؟(١٤) .

وأصبح الاتجاه إلى التركيز على السمات الاجتماعية والفردية في البحوث الخاصة بالاستخدام والإشباع ضرورة ترتبط بالحاجة الملحة إلى تقديم الدليل حول تأثيرات وسائل الإعلام . بعد أن أخفق الاتجاه المبكر في تقديم الدليل على التأثير المباشر لهذه الوسائل في الأفراد .

فاتجه البحث إلى دراسة عضوية الفرد في الجماعة ، كعامل يتخلل عملية الاتصال ، وكذلك إلى تأثير السياق الاجتماعي والنفسي الذي يعيش فيه الفرد ، من خلال التفرقة بين من يستخدمون أو لايستخدمون وسائل الإعلام ، واتجه ايضاً إلى دراسة تأثيرات أنماط القيم ، والاهتمامات والمشاركات ، والأدوار الاجتماعية في توجيه الأفراد إلى مايرونه أو يشاهدونه .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن هناك الكثير من البحوث التي قدمت نتائجها آراء في تفسير الاتصال في إطار علاقة الفرد ببيئته ، وتفسير التأثير في إطار الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام

---

(١٣) David L. Sills (ed.) , *International Encyclopedia of Social Sciences*. (New York: The Macmillan Company and Free Press, 1972, Vol 9, No.10) pp. 48-49.

(١٤) Melvin L. Defleur, and Everette E. Dennis, *Understanding Mass Communication.*, op. cit., pp. 399-400.

حول العلاقات والاتجاهات الأكثر رضاً للفرد في علاقته بذاته والعالم الذي يعيش فيه[١٥] ، ولذلك أصبح التوسع في دراسات الجمهور من خلال المنظور الاجتماعي ضرورياً ، ومنظور الاختلافات الفردية ، بجانب السمات العامة أو الخصائص السكانية أو الأولية ، في الاتجاه إلى رسم صورة متكاملة لهذا الجمهور لدى الوسيلة الإعلامية أو القائمين بالاتصال فيها ، تكون دليلاً لاختيار المحتوى وطريقة تقديمه إلى الأفراد .

وإذا كان الإعلان والتمويل التجاري لوسائل الإعلام قد ساهم إلى حد كبير في تطور الدراسات الخاصة بالحجم والسمات العامة للجمهور وتطوير الوسائل والأدوات اللازمة للقياس ، فإن الاهتمام بالسمات الاجتماعية والفردية ، أو دراسة الجمهور في ضوء المنظور الاجتماعي ، والاختلافات الفردية ، يعتبر مطلباً أساسياً في تفسير السلوك الاتصالي ، كأحد أنماط السلوك ، تفسيراً علمياً يعتمد على الضوابط الاجتماعية والنفسية التي تؤثر في حركة واتجاه السلوك الفردي .

وكما تدق الحاجة إلى التعرف على أنماط السلوك الاتصالي في علاقتها بهذه السمات ، لأغراض التخطيط أو التقويم في العملية الإعلامية ، فإن أنماط السلوك الاتصالي تفسر أيضاً المراحل التي يمر بها الفرد في علاقته بالرسالة الإعلامية اعتباراً من مرحلة التعرض ، وحتى مرحلة الاستجابة وتعزيزها كسلوك مستهدف . وهذا يعتبر أيضاً مطلباً أساسياً في التخطيط الإعلامي .

وهذه المطالب تحدد الاتجاهات الأساسية في دراسة السمات الاجتماعية لجمهور وسائل الإعلام في الآتي :

أولاً : دراسة السمات الاجتماعية لجمهور المتلقين ، بغرض الكشف عنها واتخاذها معياراً لتصنيف الجمهور ، والتعرف على السمات الشائعة لهذا الجمهور . حتى يمكن التخطيط الأمثل لاستخدام عناصر النموذج الإعلامي في تحقيق أهدافه .

وتظهر أهمية هذه الدراسات عند تخطيط السياسات والحملات الإعلامية التي توضع فيها الأهداف الإعلامية ، ومعدلات الوصول إلى تحقيقها . وفق مرحلة الاستجابة المستهدفة ، والاستجابة القائمة التي تتفق وهذه السمات .

فقد يصل الفرد إلى مرحلة الاقتناع بأفكار الحملات الإعلامية ، لكنه يستجيب لهذه الأفكار كفرد منعزل ، مالم يكن عضواً في جماعة يسود بينها التواصل الاجتماعي ، بالشكل الذي يسمح له أن يتخطى مرحلة الاستجابة الذاتية للأفكار إلى تبنيها والدعوة لها في إطار التنظيم الاجتماعي الذي ينتمي إليه .

وكذلك فإن السلوك المستهدف من تخطيط السياسات أو الحملات الإعلامية ، يجب أن يتفق

---

(١٥) Denis. McQuil, *Toward a Sociology of Mass Communication*, (London: Collier, Macmillan Publishers, 1969), p. 72.

بداية مع المعايير والقيم الاجتماعية السائدة ، التي يخضع لها أو يتبناها أفراد الجمهور المستهدف ، وهذا يفسّر نجاح حملات تنظيم الأسرة في مجتمعات معينة وعدم قبولها أصلاً في مجتمعات أخرى نظراً للتباين بين هذه المجتمعات في القيم السائدة التي تؤثر في قبول أو رفض مثل هذه الأفكار .

فمن الأسس الرئيسة في تخطيط الحملات الإعلامية فيما يتعلق بالجمهور المستهدف ، أن تصل إلى أكبر عدد ممكن من الأفراد ، أو الأفراد المناسبين منهم ، وألاّ يشكل هذا الجمهور أي مقاومة أو عداء لأهداف الحملة وأفكارها ، بمايفرض توافقها مع المعايير والثقافات المحلية التي يمثلها الإجماع في المجتمع(١٦) .

ومثل هذه الأمور التي تدخل في إطار السمات الاجتماعية كما سنقدمها بعد ، لايمكن تحديدها والتعرف عليها دون دراسة منهجية مسبقة تستهدف الكشف عنها ووصفها ، لضمان نجاح الحملات الإعلامية في تحقيق أهدافها .

ثانياً : دراسة السمات الاجتماعية في علاقتها بالسلوك الاتصالي ، كمدخل لتفسير السلوك ، وفي أغراض المتابعة والتقويم للسياسة والحملات الإعلامية .

وفي هذه الحالة يتم دراسة هذه السمات كمتغيرات مستقلة في علاقات فرضية مع أنماط السلوك الاتصالي المختلفة أو التغير فيها ، لاختبار هذه العلاقات ، وتحقيق الفروض الخاصة بها . ويعتبر اختبار مثل هذه العلاقات وتحقيقها مدخلاً علمياً سليماً لتفسير تأثير وسائل الإعلام في إطار هذه العلاقات .

وقد انتهى العديد من البحوث العلمية إلى أنه لايمكن عزل الرسالة الإعلامية عن شخصية المتلقي . وأن عدداً من المتغيرات المرتبطة بالشخصية يكون سبباً في تباين التأثير في اثنين من المتلقين ، وهذا مادعا الباحثين إلى الاهتمام بردّ فعل الجمهور الكلي عن رد فعل فرد واحد منه(١٧) ودراسة السلوك الاتصالي أو التغيير فيه ، في علاقته بالسمات المحددة لجمهور الحملات الإعلامية ، يساعد على متابعة وتقويم هذه الحملات ، وبصفة خاصة تقرير مدى اتفاق الرسائل الإعلامية مع سمات وحاجات الجمهور المستهدف ، ونجاح هذه الرسائل في تحقيق الأثر الإقناعي أو الاتصالي . ويمكن بالتالي إعادة تخطيط وتوجيه مراحل الحملات في ضوء نتائج عملية المتابعة والتقويم المستمرة التي تتم من خلال دراسة الأثر المستهدف ومدى تحقيقه .

ثالثاً : دراسة المتغيرات الخاصة بالسمات الاجتماعية والفردية في علاقتها بالمتغيرات الخاصة

---

(١٦) Denis. McQuil, «The Influence and effects of mass communications» In: James. Curran Mechael Gurevitch and Janet Woollacott, (eds) *Mass Communication and Society*, (London: Edward Arnold with the Open University Press, 1977), p. 79.

(١٧) John C. Merill, and Ralph L. Lowenstein, *Media Message and Men: New Perspective*, 2nd ed New York: Longman, 1979), p. 122.

بالسمات العامة أو السكانية ، وأنماط السلوك الاتصالي ، للإسهام في بناء إطار نظري متكامل ، وقاعدة معرفية لحركة واتجاهات عناصر العملية الإعلامية وعلاقتها مع بعضها في المجتمعات المختلفة التي تختلف تأثيراتها في السمات العامة والاجتماعية والفردية لأفراد جمهور وسائل الإعلام . مما يثير الحاجة إلى الكشف عن هذه العلاقات أو وصفها وتفسيرها من خلال البحوث والدراسات المنهجية . خاصة أن هذه المجتمعات تختلف إلى حد كبير في مقوماتها الاجتماعية عن المجتمعات المتقدمة التي حققت السبق والريادة في مثل هذه الدراسات .

كما أن التغير الاجتماعي الذي يتم في الكثير من المجتمعات يشكل أفراده سمات وخصائص جديدة تتفق مع اتجاهات هذا التغير وآثاره ، مما يستلزم استمرار الدراسات التتبعية لهذه السمات وعلاقتها بأنماط السلوك الذي يتغير أيضاً في إطار السلوك الاجتماعي الذي يفرضه التغير واتجاهاته .

المبحث الثاني
الفئات الرئيسية للسمات الاجتماعية لجمهور وسائل الإعلام

تقتضي طبيعة الدراسة المنهجية التي تستهدف التعرف على جمهور وسائل الإعلام والإجابة عن السؤال : لمن .. ؟ وصف هذا الجمهور وتصنيفه في فئات تجتمع لها الصفات أو السمات المشتركة التي يمكن الوصف من خلالها ، ودراسة العلاقات المختلفة التي يمكن أن تكون هذه السمات أو الصفات طرفاً فيها . وبصفة خاصة السمات ذات العلاقة بالسلوك الاتصالي مع وسائل الإعلام ، التي يمكن من خلالها الكشف الدقيق عن طبيعة التعرض واتجاهاته ، والإجابة عن الأسئلة الخاصة بالأسباب أو الدوافع أو الأثر .

وكما يتم تصنيف جمهور وسائل الإعلام إلى فئات متعددة في إطار مجموعة السمات العامة أو الأولية أو السكانية ، مثل السن ، ودرجة التعليم ، والحالة الاقتصادية .. إلى آخره ، فإن وصف جمهور وسائل الإعلام في إطار المنظور الاجتماعي ، يقتضي تصنيفه أيضاً في إطار عدد من السمات الاجتماعية ذات العلاقة بالسلوك الاتصالي إلى فئات يتم وصف الجمهور في إطارها ، أو تسهم في الإجابة عن الأسئلة المرتبطة بالعلاقات المتشابكة مع هذه الفئات والتي تخضع للاختبار أو التجريب .

وعلى الرغم من تعدد السمات الاجتماعية التي تخضع للدراسة في مجال علوم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعي ، وعلوم الاتصال ، فإننا نرى أن أهم السمات الجديرة بالدراسة هي السمات ذات العلاقة بالسلوك الاتصالي مع وسائل الإعلام التي تؤثر في أنماط الاستخدام والرضا والإشباع وحدود تأثير وسائل الإعلام .

وفيمايلي هذه السمات :

١ - العزلة والانتماء الاجتماعي Loneliness and Social Belongingness

ففي حالة غياب الانتماء الاجتماعي بين أفراد الجمهور ، يصعب على القائم بالاتصال في العملية الإعلامية توقع سلوك أو رد فعل أفراد الجمهور المنعزلين ، لأن سلوكهم في هذه الحالة - حالة العزلة - سوف يتمثل في سلوك الحشد Crowd الذي يصعب احتواؤه في إطار المعايير العامة للمجتمع ، والقواعد الإجرائية للسلوك المنظم ، حيث يحدد الأفراد المعزولون الذين يميزون الحشد ، اهتمامهم بسرعة دون الحاجة إلى الأدلة المرتبطة بالتفاعل القائم على التفكير بين الأفراد .

وأهم مايميز سلوك الحشد ، أنه لايعتمد على التواصل بين الأفراد ، ويتم بعفوية دون الاعتماد على المنطق . ويتميز بميكانيكية النقل بين أفراده(١٨) .

وهذه السمة كانت من المحددات الرئيسية لجمهور وسائل الإعلام في المرحلة المبكرة ، والتي قادت إلى التفكير في التأثير المباشر لوسائل الإعلام على الأفراد ، أو ماكان يسمى بنظرية الطلقة ready built theory . وذلك نتيجة لإدراك الرسالة كفرد منعزل ، ليس له اتصال بالغير .

ولكن الانتماء الاجتماعي يساعد على تنميط السلوك الاتصالي في إطار السمات المميزة لجماعات الانتماء ، وبالتالي سهولة التخطيط له وتوقع اتجاهاته .

وقد أكدت البحوث والدراسات الخاصة بجمهور وسائل الإعلام على العلاقة بين هذه السمات والسلوك الاتصالي . حيث ركزت على الطبيعة الاجتماعية لجمهور المتلقين ، وأكدت نتائجها على سبيل المثال أن التليفزيون يشاهد كثيراً بجماعات العائلة التي كثيراً مايتفاعل أفرادها مع بعضهم بطريقة أو أخرى خلال عرض البرامج .

وكذلك أكد ماكليد وآخرون (١٩٧١) Maclead, et al أن ثلاثة أرباع العينة من المراهقين في مدينة متوسطة في غرب أمريكا نادراً مايشاهدون التليفزيون وحدهم ، واستخدام التليفزيون في الترفيه لايكون بديلاً عن التفاعل الاجتماعي ، وأجاب ١/٦ العينة فقط بأنهم يشاهدون التليفزيون عندما يشعرون بالوحدة ، وعشر الفتيان يستمعون إلى الموسيقى ، وربما تكون القراءة فقط هي التي يعتقد أنها نشاط فردي ، فالكتب والمجلات تصبح أكثر غنى في المعلومات عن الوسائل المسموعة والمرئية ، وتمدنا بالكثير من المحتوى عن تفاعلاتنا اليومية(١٩) .

ويعتقد آخرون أن الوسائل المطبوعة تعتبر رفيقة الوقت ولكن بدرجة أقل ، لأن التليفزيون أكثر رضاً لكثير من الأفراد الذين يميلون إلى أن يكونوا مع وسائل الإعلام أكثر من الأشخاص

---

(١٨) Lowis A. Penner, *Social Psychology: A Contemporary Approach,* (New York: Oxford University Press 1978) pp. 322-330.

(١٩) Steven H. Chaffee, *op. cit.* p. 98

الآخرين ، حيث لايشكل ضغوطاً اجتماعية عليهم[٢٠] .

والأفراد الذين يميلون إلى العزلة والاعتماد على وسائل الإعلام في تحقيق الألفة والصحبة ، يكون اختيارهم وتعرضهم لوسائل الإعلام وسلوكهم تجاهها اختياراً لحظياً يرتبط بقرارات وقتية ، تغفل المؤثرات الاجتماعية الخارجية ، والحاجات أو الدوافع المرتبطة بهذه المؤثرات . وعلى الجانب الآخر ، فإن الانتماء الاجتماعي يسهم في تطوير السلوك الاتصالي مع وسائل الإعلام ومفرداتها بصورة واضحة ، نتيجة التفاعل الذي يميز جماعات الانتماء ، ونتيجة التأثير الشخصي الذي يتم من خلال الاتصال المواجهي أو المباشر بين أفراد هذه الجماعات التي تطبع أفرادها بشكل مميز في إدراكهم ، وأحكامهم ، ومعتقداتهم ، واتجاهاتهم ، وآرائهم ، ودوافعهم ، وسلوكهم ، وعاداتهم ، حيث تكون عمليات التطوير والتغيير ، التأثير ، من خلال الجماعة أكثر قوة على التغييرات الشخصية من غيرها من المؤثرات[٢١] .

وهناك العديد من المؤشرات الدالة على الانتماء الاجتماعي أو العزلة ، التي يمكن استخدامها في وصف الجمهور من خلال هذه السمات . ومن الأمثلة على هذه المؤشرات أن الأفراد الذين يميلون إلى العزلة نجد أن توحدهم مع الجماعات واعتمادهم على غيرهم واستعدادهم للمساعدة أو المساندة أو تقديم الخبرات الجديدة للآخرين ، كل هذه المؤشرات تتسم بالضعف عند قياسها . بالإضافة إلى أن استعدادهم للخدمة الاجتماعية يتسم بالسلبية . وأكد عدد من الدراسات أن الأشخاص الذين يتسمون بدرجة محدودة من الاندماج الاجتماعي ، غالباً مايعبّرون عن عدم ثقتهم بالمراكز الاجتماعية والإعلام ، ويعتمدون بشدة على اختيار القنوات المؤيدة لرأيهم .

ومثل هذه الحالات التي يضعف فيها التأثير غير الرسمي أو المواجهي ، نجد أن وسائل الإعلام يمكنها التأثير مباشرة على اتجاهات الأفراد وقيمهم وسلوكهم[٢٢] .

وفي دراسة خاصة حول جمهور التليفزيون وضع الباحثان عدة مؤشرات لمعرفة استعداد الفرد للانتماء ، واهتمامه بالتفاعل الاجتماعي مع الآخرين ، ضمن أوتار أخرى يمكن أن تعكسها برامج التليفزيون في التليفزيون . وكانت من خلال معرفة استجابات الأفراد نحو العبارات التالية :

(أ) أتابع البرنامج مع الآخرين .

(ب) أحب أن أتناقش مع الآخرين الذين يشاهدون البرنامج .

(جـ) أحب أن أفكر في الإجابات مع العائلة .

(د) آمل أن يكتسب الأطفال منها كثيراً .

---

(٢٠) John C. Merill and Ralph L. Lowenstive, *op. cit* P. 118.

(٢١) David L. Sills, (ed.), *op. cit* P. 51

(٢٢) George J. McCall and J.L. Simmons, *op. cit*, p. 375

(هـ) الأطفال يكسبون منها كثيراً .
(و) العائلة كلها تحسّ بنفس الاهتمام معاً .
(ز) يكون موضوع المناقشة بعد ذلك .
(ح) ليس صحيحاً أنه يناسب كل الناس الذين يتشابهون معي .

ووجد الباحثان في علاقة الانتماء والتفاعل الاجتماعي مع المؤشرات الدالة على دوافع الاستخدام ومصادر الإشباع في هذه البرامج ، أن هناك ارتباطاً إيجابيا بين العزلة والاتجاه الهروبي(٢٣) .

٢ - جماعات الانتماء Membership Groups

ينتمي الفرد إلى جماعات عديدة سواء بطريقة جبرية أو اختيارية . فهو عضو في الجماعات الديموغرافية أو السكانية جبرياً من خلال تصنيفه في إحدى الفئات الخاصة بالسمات السكانية مثل السن والنوع والأصول العرقية .. إلى آخره .

وينتمي أيضاً خلال تاريخ نموه إلى جماعات أخرى بطريقة اختيارية يتآلف معها ، مثل الجماعات التعليمية ، الجماعات الاجتماعية ، الجماعات الوظائفية ، والتنظيمات السياسية .

ويوصف الفرد من خلال مفهوم كل الجماعات التي ينتمي إليها . ويترتب على ذلك وجود العديد من الأفراد يحملون نفس الصفات التي يستهدفها القائم بالاتصال(٢٤) .

وتعتبر جماعة الانتماء هي الجماعة المرجعية reference group التي يشارك فيها الفرد أعضاءها في الدوافع ، والميول ، والاتجاهات ، ويتمثل قيمهم ومعاييرهم في سلوكه الاجتماعي .

وتحديد جماعة الانتماء أو الجماعة المرجعية يعني التعرف على كل المحددات الأساسية التي تشكل إطاراً مرجعياً لأفرادها .

فعندما تمتلك الوسائل الإعلامية أو القائم بالاتصال فيها ، المعلومات الأساسية حول الجماعات المرجعية لأفراد الجمهور المستهدف ، فإنه يسهل التخطيط للأعمال وصياغة الرسائل على أساس سليم ، خاصة أن هذه الجماعات تقرر أنماط السلوك والمعتقدات لأعضائها . ويصبح بالتالي من السهولة استثارة الأفراد إلى السلوك المستهدف من خلال هذه المعلومات(٢٥) .

---

(٢٣) Denis McQuail, and Jay Cr. Blumler, «the television audience: A revised persepective», In: Denis McQuail, (ed)., *Sociology of Mass Communication: Selected Reading*, (England: Penguin Books Ltd. 1972), pp. 142-153.

(٢٤) Erwin P. Bettinghaus, *Persuasive Communication*, (New York: Holt, Rinehart and Winston Inc., 1968), p. 31.

(٢٥) *Ibid.*, p. 47

وهناك وظيفتان رئيسيتان يستفاد منهما في دراسة الجماعات المرجعية(٢٦) .

الأولى : تقويم السلوك الفردي مقارنة بالسلوك المعياري لجماعة نمطية ، فسلوك الجماعة هو سلوك معياري لأفرادها يلتزمون به ويلتفون حوله بما يخدم أهداف الجماعة ومصالحها .

الثانية : استخدامها كأساس تجريبي لصنع القرار حول الرسائل الإقناعية المستقبلية .

والجماعات المرجعية إما أن تكون الجماعات التى ينتمي إليها الفرد فعلاً ، أو لايكون عضواً فيها ، ولكنه يتخذها نمطاً لاتخاذ أحكامه وسلوكه .

وهي إما جماعات موجبة يطمح الفرد في الانتماء إليها ، أو سالبة يرفضها(٢٧) .

وعلى الرغم مما يثيره هذا التقسيم حول عدم الحاجة إلى دراسة الجماعات التي لاينتمي إليها الفرد أو السالبة التى يرفضها ، مع موضوعية مطلب دراسة جماعة الانتماء الموجبة . إلا أننا نرى أنه في تخطيط السياسات الإعلامية ، وصياغة الرسائل الإقناعية ، نجد أن إدراك القائم بالاتصال لأنماط هذه الجماعات يضع حدوداً لهذه الرسائل ويقدم بعداً في استمالة الفرد . ذلك أن رفض قيم ومعايير الجماعات المرفوضة يكون مدخلاً إقناعيا سليماً لاستمالة الفرد العضو في جماعة الانتماء الموجبة ، أو في تلك التي لاينتمي إليها ويرجع إليها في تقدير أحكامه وسلوكه .

وهناك أيضاً الجماعات ذات المصلحة interest groups التي تميل إلى رؤية كل الأحداث وتفسيرها في إطار مفهومها الضمني لاهتمامها المشترك الذي تجمعت حوله . وهذه الجماعات تجذب كثيراً من الأفراد إلى صفوفها ، يؤمنون بمعتقداتها وأفكارها واتجاهاتها ، وتطبع سلوك الأفراد الذين ينتمون إليها بما يحقق ترويج وجهات نظر وآراء المنتجين وبرامجهم ، الذين يشكلون أعلى قمة في تنظيم هذه الجماعات ، والذي يتكون من المنتجين ثم الموزعين ثم المستهلكين لهذه الأفكار والآراء والبرامج . وهذا التنظيم يعكس البناء الاجتماعي لهذه الجماعات .

والبناء الاجتماعي في مثل هذه الجماعات يقوم بدور كبير في تسهيل عملية الإقناع ، وتنميط السلوك خلال قنوات الاتصال ، للوصول إلى الجماهير العامة التي تؤمن بأفكار هذه الجماعات واتجاهاتها(٢٨) .

ويرتبط بتحديد جماعات الانتماء ، درجة الانتماء أيضا إلى هذه الجماعات . ذلك أن مجرد الانتماء في حد ذاته ليس كافياً ، ولكن يجب أن يكون الانتماء مصحوباً بالتفاعل النشط داخل هذه

---

(٢٦) H.H. Kelly «Two functions of reference group» In: Harold Prohansky and Bernard Seidenberg, (eds), *Basis Studies in Social Psychology*, (New York: Holt-Rinehart and Winston Inc., 1965), pp. 210-214.

(٢٧) T.M. New Comb, «attitude developments as function of refernce groups», In: Harold Prohansky and Bernard Seidenberg), *op. cit.*, pp. 215-225.

(٢٨) George J. McCall, and J.L. Simmons, *op. cit.*, pp. 383-384

الجماعات ، الذي يؤخذ في الاعتبار عند تصميم الرسائل الاتصالية ، نظراً لتأثير هذه الجماعات وأفكارها واتجاهاتها على إدراك وتفسير الفرد للرسائل الاتصالية .

ولذلك يصبح من متطلبات الدراسة التركيز على الفئات التالية :

(أ) فئات جماعات الانتماء . وهذه يمكن أن تحددها المهنة أو السلالة العرقية أو النشاط الاجتماعي والسياسي والعقائد والمذاهب والهوايات الشخصية .. وغيرها من نماذج أو أنماط الجماعات الجبرية أو الاختيارية .

(ب) درجة انتمائه وتمسكه بهذه الجماعات . وهذه يعكسها نشاطه داخل الجماعة والدور الذي يقوم به فيها ، ومدى التزامه باجتماعاتها أو لقاءاتها ، ومدى تمسكه بأهدافها .

(جـ) نمط التفاعل الاجتماعي السائد داخل الجماعات ، الإيجابي والسلبي . والذي يعكس درجة التماسك والاتصال داخل الجماعة ، ومستوى انتقال المعرفة بين أعضائها . وقبولهم لمعاييرها أو رفضهم لها ، والإحساس بالرضا أو التوتر .

ويشير نمط التفاعل الاجتماعي عادة إلى التأثير المتبادل بين الأفراد وتأثير رأي الأغلبية ، واتجاهات السلوك نحو الأفراد وبعضهم . وبالتالي تأثير هذا في السلوك الاتصالي نحو وسائل الإعلام ومفرداتها ومحتواها .

٣ – الأطر المرجعية والمعايير الثقافية السائدة Frame of References and Cultural Norms

يكتسب الفرد بصفته عضواً في جماعات متعددة جبرياً أو اختيارياً خلال مراحل النمو في حياته العديد من المعارف والخبرات والمهارات ، نتيجة تفاعله واتصاله مع الآخرين سواء في جماعات الانتماء أو الجماعات المرجعية أو خارجها . وهذه المكتسبات تشكل له أحكاماً مسبقة ومقاييس أو قواعد نمطية ، تصبح إطاراً يرجع إليه الفرد في إدراكه واتجاهاته وسلوكه الاجتماعي .

وتعتبر المعايير الاجتماعية أيضاً من أهم الأسس في بناء هذا الإطار المرجعي ، والتي تضم عدداً كبيراً من نتائج التواصل الاجتماعي بين الأجيال السابقة والحاضرة ، وتواصلها مع غيرها من الشعوب والثقافات فتشمل التعاليم الدينية والأخلاقية والقيم والأعراف والعادات والتقاليد السائدة .. إلى آخره من الأمور التي استقر المجتمع أو الجماعة على قبولها في تحديد ماهو مقبول أو مرفوض اجتماعياً ، ويرجع إليها الفرد في سلوكه الاجتماعي .

وهذه المعايير هي التي تتخذ أساساً في تعريف الثقافة الخاصة بالمجتمعات ، وتعتبر هي ذاتها المعايير الثقافية التي تشمل فيما تشمل المعاني والقيم التي تميز الجماعات والمجتمعات خلال مراحلها التاريخية(٢٩) .

---

(٢٩) James Curran, Mechael Gurevitch and Janet Woollacot, «the study of media: theoretical approaches», In: Mechael Gurevitch, Tonny Bennot, James Curran and Janet Woollacot (eds) *Culture, Society and the Media,* (London: Methner, 1982), p. 27.

وتعتبر نظرية المعايير الثقافية أحد النماذج الأساسية في عملية التأثير ، وتقوم على أساس ارتباط ماتقدمه وسائل الإعلام وماتؤكد عليه من أفكار بالمعايير الثقافية السائدة ، أو النماذج التي يلتزم بها الجمهور لموضوع معين أو مركز معين ، وذلك لأن السلوك الفردي أيضاً يسترشد عادة بهذه المعايير أو النماذج . ومن هنا يتضح اتجاه كل من وسائل الإعلام والجمهور إلى تبني الموضوعات والنماذج التي ترتبط بهذه المعايير(٣٠) .

وتظهر أهمية دراسة المعايير الثقافية فيمايلي :

١ – تعتبر مرشداً كجزء من الإطار المرجعي للجمهور في بناء الرسالة الاتصالية ، حتى يتحقق لها التأثير المطلوب لارتباط إدراك الفرد للرسالة بالأطر المرجعية بصفة عامة والمعايير الثقافية بصفة خاصة . وبالتالي فإنها تعتبر أيضا مرشداً للجمهور في إدراك وفهم رموز الرسالة الاتصالية واتخاذ السلوك المؤيد نحوها في حدود اتفاقها مع هذه المعايير .

٢ – إن إدراك المعايير الثقافية والتمسك بها يقدم دليلاً على الانتماء الاجتماعي للفرد وعدم العزلة ، وبالتالي توافر مقومات الجمهور المتلقي المتفاعل والنشط في هذا الفرد ، بينما يعتبر عدم إدراكها أو رفضها دليلاً على العزلة التي تؤثر في السلوك الاتصالي للفرد ودوافعه .

٣ – إن هذه المعايير ليست ثابتة ولكنها تتعرض للتغيير نتيجة تواصل المجتمع وأفراده مع المجتمعات والثقافات الأخرى ، ونتيجة تغيّر الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعكس معايير جديدة ترتبط بهذه التغيرات . ولذلك فإن دراستها ودراسة التغير فيها يفرض أهمية دراستها ، لارتباط الإعلام كعملية اجتماعية بهذه التغيرات ومظاهرها .

ويعتبر التغير الثقافي cultural change ذاته مطلباً من متطلبات الدراسة ، ذلك لأن هناك بعض الأفراد الذين سيكون لديهم الاستعداد لقبول المعايير الثقافية الجديدة ، بما يقتضي معرفة حجم هؤلاء الأفراد والتغييرات التي شملت المعايير الثقافية . بالإضافة إلى التباين القائم في هذه المعايير بين الجماعات بعضاً والذي يظل قائماً حتى مع استمرار عملية الانتقال الثقافي المتبادل أو مايطلق عليه الانتشار الثقافي cultural diffusion الذي يختلف تأثيره في الجماعات لاختلاف أعضاء الجماعات في درجات الارتباط بالثقافات الجديدة ، وكذلك في درجات قابلية هذه الجماعات للتغيير .

كما أن دراسة التغيير بين الجماعات يعتبر أيضاً مطلباً لتأكيد الاستدلال من خلال دراسة التباين بينها الذي يعتبر أكثر صدقاً عن دراسة حالة واحدة فقط . بالإضافة إلى مايقدمه من إضافات لفهم مايحدث في أي ثقافة فهماً أفضل لجوهر الإنسان(٣١) .

---

(٣٠) Denis McQuail, «The influence and effect of mass media», In: James Curran, Mechael Gurevitch and Janet Woollacot (eds) *op. cit.* pp. 75-76.

(٣١) David J. Stang, *Introduction to Social Psychology*, (California Brooks and Cole Publishing Company, 1981), pp. 111-116.

والأُطُر المرجعية هي الكُلّ الذي يشمل كافة المتغيرات التي يرجع إليها الفرد في بناء أحكامه وسلوكه ، ومنها الجماعات المرجعية ومعاييرها والمتغيرات المرتبطة بالعوامل أو السمات العامة أو السكانية .

ولذلك تبقى المعايير الثقافية التي يتبناها الفرد والجماعة في الحكم على الأشخاص والأشياء ، والتي تقترب من مفهوم القيم values التي يكتسبها الفرد ، ويضمها إلى إطاره المرجعي في الحكم والسلوك .

ويصبح تصنيف المعايير الثقافية إلى فئات في إطار تصنيف القيم السائدة هو أقرب التصنيفات التي تتفق وإطار الظاهرة الإعلامية . وهذا التصنيف يرتبط باتجاهات الفرد أوالجماعة في الحكم على الأشياء والمعاني وأوجه النشاط الإنساني ، والتي تجعله يتبنى نمطاً أو أنماطاً معينة من هذه المعايير .

ويتفق هذا التصنيف مع الاتجاهات الأساسية للتعريف الذي ساقه ادوارد تيلور E. Tailor في البدايات المبكرة ، والذي يعتبر أساساً للعديد من التعاريف المستخدمة لمفهوم الثقافة والحضارة ، والتي تركز على المفهوم الوصفي لعناصر الثقافة التي تشمل المعارف والمعتقدات والعادات والمهارات والأخلاقيات والقانون ، وأي قدرات أخرى أو سلوكيات يكتسبها الفرد بصفته عضواً في المجتمع .

ويتفق أيضاً مع الاتجاهات الأساسية لكل من نظريتي الأنماط الثقافية Pattern Theory of Culture التي تهتم بالتركيز على العناصر الظاهرة والخفية للسلوك ومصادره المكتسبة والمتوارثة ، التي تحدد النمط الثقافي للجماعات والمجتمعات . ونظرية البناء الاجتماعي Social structure التي تهتم بنظم العلاقات الاجتماعية والتي تشمل تواصل الجماعات الاجتماعية وتباين الطبقات والنظم الاجتماعية . ولاتنظر إلى العناصر الثقافية كعناصر مجردة ، ولكن في إطار علاقتها المباشرة وغير المباشرة بالبناء الاجتماعي . وكذلك في كونها مرجعاً يُعتَمد عليه أو يؤثر في العلاقات بين الأفراد والجماعات(٣٢) .

ويمكن أن نوجز تصنيف المعايير الثقافية بناءً على ذلك إلى فئات كالآتي :

١ - الاتجاه العلمي

وهو الذي يحكم على الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه النشاط الإنساني في إطار القوانين والنظريات والعلاقات العلمية . ويصبح الإطار المعرفي هو الأساس في النظر إلى القيمة من خلال هذا الاتجاه . ويتأثر سلوك الفرد الاتصالي تجاه وسائل الإعلام بهذا المفهوم ، فهو يقبل أو يرفض بمعيار الموافقة والقبول مع المعايير العلمية ، وكذلك بقيمة مايضيفه العمل إلى المعرفة الإنسانية .

ويتأثر هذا الاتجاه بمستوى التحصيل العلمي المنظم ، كذلك سعة الاطلاع على العلوم والثقافات المختلفة .

---

(٣٢) David L. Sills, *op. cit.*, Vol 3, No. 4, pp. 527-541.

٢ - الاتجاه المادي أو العملي

والذي يصدر أحكامه في إطار المنفعة المباشرة والعائد المادي ، وكذلك بمفهوم الجزاء المباشر للسلوك الاتصالي ، مثل الحصول على المعرفة المتخصصة التي تفيد الفرد في اتخاذ قراراته اليومية .

٣ - الاتجاه المعنوي

وهذا الاتجاه عكس الاتجاه السابق تماماً . حيث تتأثر أحكام الفرد بالمنفعة أو العائد المعنوي الذي يتمثل في التوافق والانسجام والإشباع الوجداني والعاطفي . ويتركز اهتمام أصحاب هذا الاتجاه حول مصادر التوافق والإشباع الوجداني ، مثل الجمال والإبداع الإنساني الذي يكون مصدره الفن والأدب بفروعه المختلفة .

والمعايير السائدة في هذا الاتجاه هي المعاني والرموز التي تدعم الحب والخير والسلام ، والأخوَّة ، والتعاطف والمودة ، والأُلفة ، وغيرها من المعاني والرموز الإيجابية في العلاقات الإنسانية في إطارها المعنوي .

٤ - الاتجاه الاجتماعي

ويرتبط بإطار الأحكام التي تتوارثها الجماعات والمجتمعات كنمط سائد للتقاليد والأعراف والعادات التي تحكم علاقة الفرد بغيره داخل الجماعات بأنواعها المختلفة ، مثل العلاقات داخل الأسرة أو الجيران أو الأصدقاء .

وهذا التصنيف لايقدم حدوداً كاملة بين هذه الفئات لاحتمال تداخل الفئات بعضها مع بعض عند بعض الأفراد ، ولكن اختيارها قد يشير إلى سيادة اتجاه معين في التمسك بأنماط معينة من المعايير الثقافية ، والتي يمكن اتخاذها أساساً للتفسير في العلاقات والسلوك الاتصالي .

والتقسيم الذي قدمه جون ميلر J. Miller لجمهور وسائل الإعلام إلى جماعات فرعية أساسية يقترب كثيراً من التقسيم الذي يمكن أن تنتهي إليه نتائج التصنيف السابق القائم على الاتجاهات الأساسية في تبني نمط المعايير الثقافية .

ووجد ميلر أن أبسط التقسيمات هو التقسيم الثلاثي التالي(٣٣) :

١ - الجمهور الأمّيّ Illitrate

وهذا الجزء من الجمهور ممن يقرأون ويكتبون ولكنهم لايميلون إلى ذلك ، فهناك أميون حقيقيون يعرضون أنفسهم للصور ويذهبون إلى السينما ويشاهدون التليفزيون ويستمعون إلى

---

(٣٣) John C. Merill and Ralph L. Lowenstein, *op. cit.* pp. 110-116.

الراديو . ولكن هذا الجمهور يكون ولاؤه لوسائل الإعلام ذاتياً ، فهو يبحث عن الترفيه وكذلك عن الإثارة في تعرضه لوسائل الإعلام ، ربما يقرأ مقالة خفيفة تشبع شهيته أو يكتفي بالعناوين وتعليقات الصور ، وربما يقرأ قصص المعارك في الصحف ، ولكنه يظل دون رغبة حقيقية في القراءة ، لأنه يحاول أن يبذل أقل جهد في استقباله للرسالة .

فهو ليس صاحب اتجاهات فكرية ، يميل إلى الإشباع الذاتي وغالباً مايبحث عن الرضا الوقتي أو اللحظي momentary satisfaction وهذا النمط من الجمهور كسول ، يميل إلى المشاهدة وليس القراءة ، متفرج ولكنه لايميل إلى التفكير . ولهذا ترضيه الصور السطحية للمجتمع دون حاجة إلى التفسير أو فهم الأحداث أو الآراء ، ولا يجد ميلاً إلى المشاركة في النشاط السياسي والاجتماعي ، يميل إلى الوحدة ويشعر بأن تأثيره قليل أو لا تأثير له في القرارات الرئيسية من أي نوع . وكثيراً ماينسحب من النشاط الإنساني الجاري .

ومن الطبيعي أن هذا النمط من الجمهور لايميل إلى أي نوع من وسائل الإعلام أو مفرداتها التي تحاول أن تدفعه إلى المشاركة أو التفكير أو إبداء الآراء . يهتم فقط بدوافعه الخاصة للهروب من روتين الحياة ، وغالباً ماتكون الحالة الاجتماعية والاقتصادية لهذا الجزء من الجمهور متدنية ، أو في أسفل الطبقة الوسطى .

وكذلك قد يمتلكون القدرات ، ولكن لايتوفر لديهم الدافع أو الاهتمام والنشاط لبذل أي مجهود في العملية الإعلامية .

٢ - الجمهور النفعي ، المادي ، العملي Practical, Paragmatistic

ويميل هؤلاء إلى الاندماج في آلية المجتمع ، مشاركون ، يميلون إلى التنظيمات ، من أصحاب الهوايات ، يتعرضون لوسائل الإعلام ، يرغبون في الارتفاع بمستواهم وزيادة دخولهم ، يهتمون كثيراً بالمركز أو المنزلة التي تمثلها الملكية المادية ، ولذلك يهتمون بتراكم الثروات والملكيات ، وهذا يدفعهم إلى أن يكونوا عملاء للرسالة الإعلامية .

ونظرا لأنهم يريدون التقدم بصفة مستمرة ، فهم يتعرضون إلى وسائل الإعلام بانتظام للتعرف على كيفية الوصول إلى المقدمة ، ويبحثون عن المعرفة التي تساعدهم على التقدم وتجعلهم متميزين بين الآخرين . ولذلك فهم يملكون السبب العملي لعاداتهم الاتصالية ، ويتميزون بأنهم عمليون واجتماعيون ومقتنعون بتفوقهم ، يتعالون بدون مبرر على من هم أدنى منهم ، وهم يشبهون الأميين كثيرا في أنهم لايميلون إلى التفكير ، ولا إلى الأفكار ، ويميلون باتجاهاتهم إلى الأشياء المادية ، وإلى فلسفة الأشياء والتحليل الدقيق ، وغالبا مايتجهون إلى المحتوى الجاد لأنهم يتوقعون أن يعرفوا شيئا حول اهتماماتهم . ويظهرون اهتمامهم بالآراء والأفكار كمظهر فقط ، لأنهم يشعرون أن ذلك ينفعهم في الأجل الطويل ، أو لأسباب عملية جداً .

٣ - المفكرون Intellectuals

ويكونون أقل نسبةً من جمهور وسائل الإعلام ، يهتمون بالآراء ووجهات النظر والمشكلات الفلسفية والمفاهيم والأحداث الفنية والجمالية ، ولايهتمون بالماديات ويترفعون عنها . مفكرون مبدعون . وهذا الجزء من الجمهور ليس معارضاً للحياة الاجتماعية . كما أنه ليس اجتماعياً ، يتركز حول ذاته ، ويبحث عن الصحبة ، ولكنه ضد مفهوم الجمهور العام general publics ، دكتاتور في اتجاهاته الأساسية رغم أنه ينكر ذلك ، يعتبر نفسه من الصفوة . يبحث عن المجتمع الأفضل من خلال الاهتمامات النظرية ، ونجده أقل اهتماماً بوسائل الإعلام ، لأنه لايهتم بالمجتمع الجماهيري . فالإعلام من وجهة نظره يستهدف السطحية بسبب انخفاض مستواه ، ويعطي الجماهير العامة مايظهر أنها تريده ، ولايستهدف الارتفاع بهذه الجماهير العامة .

ومن هؤلاء المفكرين : العقائديون الذين يهتمون بموضوع واحد ، يفكرون فيه للإقناع أو الاقتناع ، ولكن المفكرين من يفكرون للإبداع ولمجرد التفكير والرضا الذاتي .

ومن نتائج ملاحظة البحوث والدراسات التي اهتمت بمدخل السمات الاجتماعية في دراسة الجمهور وعلاقتها بالسلوك الاتصالي ، أنها لم تتجه إلى دراسة هذه السمات كلها مجتمعة ، وإنما عادة ماتكتفي بإحداها أو بعض منها والمؤشرات الدالة عليها أو يتداخل العديد من المؤشرات الخاصة بكل سمة مع غيرها ، دون تمييز أو تصنيف يدل على تغليب إحدى السمات على الأخرى ، أو الاهتمام بكل منها عن الأخرى .

وهذا يفسر العلاقة الارتباطية الإيجابية بين هذه السمات وبعضها ، فقد يكفي معرفة جماعات الانتماء وتحديدها أو اتجاه الفرد إلى التفاعل الإيجابي أو التزامه بالمعايير الاجتماعية والثقافية ، يكفي معرفة هذا لوصف الفرد في جمهور المتلقين بأنه منعزل أو مُنْتَمٍ اجتماعياً ، وتشير سيادة هذه السمة إلى التعامل مع الجمهور على أساس اشتراكه فيها .

كما أن معرفة جماعات الانتماء يقود إلى معرفة المعايير الاجتماعية والثقافية ، التي تشكّل الأطر المرجعية لهذه الجماعات ، والتي تتخذ مدخلاً أساسياً في اختيار وتحديد أساليب الاستمالة ووسائل الإقناع في الرسائل الإعلامية ، والتي تتفق مع حدود واتجاهات هذه المعايير ، وتوقع تأثيرات هذه الرسائل .

وقد يرد على ذلك بأن الانتماء في حدّ ذاته لايكفي للدلالة على الالتزام بالمعايير الاجتماعية والثقافية لتعدد أنماط التفاعل الاجتماعي وتباينها ، ولكن السلوك السوي والمستهدف في هذه الدراسات يضع في اعتباره دائماً التفاعل الإيجابي الذي يقوم على التعاون والتوافق الذي يسهم في سيولة تدفق الإعلام بين الجماعات والأفراد وتحقيق أهدافه .

بالإضافة إلى أن تعدد أنماط التفاعل الاجتماعي لايعني الخروج على الإطار العام لهذا التفاعل ، الذي يتكون من إطار المعايير الاجتماعية والثقافية للمجتمع ، التي تحكم حركة التفاعل واتجاهاتها ،

ويعتبر الخروج على هذا الإطار اعترافاً بالعزلة وعدم الانتماء ، وبالتالي يتم تصنيف الأفراد في هذه الفئات واتخاذ القرارات الإعلامية في إطار نتائج هذا التصنيف .

المبحث الثالث
أنماط الدوافع والحاجات الفردية والاجتماعية لجمهور وسائل الإعلام

لايمكن دراسة السمات الاجتماعية لأعضاء جمهور وسائل الإعلام بمعزل عن دوافع هؤلاء الأعضاء وحاجاتهم من التعرض إلى وسائل الإعلام التي تؤثر في السلوك الاتصالي لهم .

فالدوافع والحاجات الفردية لأعضاء جمهور وسائل الإعلام تعتبر من العوامل المحركة للاتصال . وتمثل مجموعة الأهداف والرغبات التي يسعى الفرد إليها ، لتحقيق التكيف مع البيئة الاجتماعية أو الجماعات التي ينتمي إليها . فإذا جاءت الرسالة محققة لأحدها ، فإن الفرد كمتلق سوف يستجيب مؤيداً لها .

وهذه الأنماط من الدوافع والحاجات ليست واحدة عند كل الأفراد ، ولكنها تتغير بتغير المواقع والأدوار والأعمار . وكذلك بتغير المعايير الثقافية والاجتماعية(٣٤) .

وهناك أنماط عديدة من الدوافع والحاجات الفردية يصنفها الباحثون في خمس فئات رئيسية تبدأ بالحاجات الأولية ، وهي الحاجات الفسيولوجية ثم تليها الحاجات الثانوية التي تتمثل في الحاجة إلى الأمن والاستقرار والبناء ، ثم الحاجة إلى الانتماء بما في ذلك الاتصال والمشاركة ، ويأتي بعد ذلك الحاجة إلى التقدير ، ثم الحاجة إلى تحقيق الذات(٣٥) .

ولا خلاف على أهمية الحاجة إلى التواصل مع الغير أو الاستجابة مع البيئة الاجتماعية ، وكذلك الحاجة إلى تحقيق الأمن والاستقرار ، والتقدير والاعتراف والاهتمام الخاص ، ولكن يضيف إليها آخرون فئات أخرى ضمن الفئات الرئيسية لمجموعة الدوافع والرغبات ، تتمثل في الحاجة إلى الخبرات الجديدة ، والحاجة إلى المعرفة والإدراك والتي تجعل الفرد يتوق إلى التعرض إلى مفردات الإثارة التي تشغل جزءاً كبيراً من المساحات في وسائل الإعلام(٣٦) .

---

(٣٤) Wayne N. Thompson, *Responsible and Effective Communication*, (Boston: Houghton Mifflin, 1978), pp. 122-123.

(٣٥) Abraham H. Maslow, *Motivation and Personality*, (New York: Harber and Row, 1970) pp. 35-47.

(٣٦) Edmund H. VolKart, (ed)., *Social Behavior and Personality*, 2nd ed, (U.S.A.): Greenwood Press Publishers 1981), pp. 121-122.

وهذا التصنيف للدوافع والحاجات يعتبر إطاراً للعديد من الدوافع والحاجات الفرعية ، والتي يتوسل بها الفرد في طريقه إلى تحقيق الدوافع والحاجات الرئيسية .

وهذه الدوافع الفرعية تقدم نموذجاً للأنماط التي يمكن أن يتم تحقيقها من خلال التعرض إلى وسائل الإعلام ، ويرتبط بتحقيقها تحقيق الرضا والإشباع الذي يعتبر مجالاً رئيسياً من مجالات دراسة اهتمام وتفضيل الجمهور ، كمظهر من مظاهر السلوك الاتصالي مع وسائل الإعلام .

وقد خضعت هذه الأنماط من الدوافع والحاجات التي يستهدفها الفرد من التعرض إلى وسائل الإعلام إلى العديد من الدراسات التي استهدفت الكشف عن أسباب اهتمام وتفضيل الجمهور ، كمدخل للكشف عن دوافع التعرض ومستويات الرضا والإشباع الذي يرتبط بتحقيق هذه الدوافع والحاجات .

ويمكن اتخاذ نتائج هذه الدراسات مرشداً في تصنيف أنماط الدوافع والحاجات إلى فئات فرعية لأغراض الدراسة التي تستهدف الكشف عن اتفاق أو تباين الأفراد في حاجاتهم أو دوافعهم التي ترتبط بالتعرض إلى وسائل الإعلام . وباعتبارها مدخلا إلى الاتصال الإقناعي ، لأن الفرد كما سبق أن ذكرنا يستجيب مؤيداً للرسائل التي تتفق وتحقق هذه الدوافع أو الحاجات .

ومن الدراسات المبكرة التي أجريت لمعرفة دوافع الفرد من استخدام وسائل الإعلام ، دراسة بيرلسون Berlson التي أجراها عام ١٩٤٥م عندما توقفت ثماني جرائد في نيويورك عن الصدور لمدة تزيد عن أسبوعين نتيجة لإضراب رجال التوزيع . واستغل بيرلسون هذه المناسبة للكشف عما يعنيه اختفاء الصحف بالنسبة للقراء . وقد وجد أن الصحف تقوم بعدة أدوار تعتبر سبباً في ارتباط الأفراد بها ، من هذه الأدوار مايلي(٣٧) :

(أ) أنها تقدم المعلومات أو التفسيرات حول الشؤون العامة .

(ب) يرى البعض الآخر أنها أداة ضرورية في نظام الحياة اليومية ، لكونها مصدراً إعلامياً ، وتقدم المعلومات المالية وأحوال الطقس والترفيه .

(جـ) تساعد البعض على الهروب من عالمهم اليومي ، حيث تعتبر شكلاً اجتماعياً مقبولاً للهروب من متاعب الحياة اليومية وأعبائها .

(د) يرى آخرون أنها تساعدهم من خلال الأخبار والآراء والتفسيرات حول الشؤون العامة في الظهور بالمظهر الاجتماعي الذي تجسده المعرفة بالأمور .

(هـ) أنها أيضاً أداة للتواصل الاجتماعي social contact والتعرف على مشكلات واهتمامات الناس ، وبصفة خاصة في المدن الكبيرة التي يصعب فيها التقارب المباشر بين الناس .

---

(٣٧) Bernard. Berlson, «What missing the Newspaper means» **In: Daniel Katz,** *et al.,* (eds) *Public Opinion and Propaganda,* (New York: Holt Rinehart and Winston, 1954) pp. 263-270.

وتشير البحوث المعاصرة إلى أن دوافع الفرد من التعرض إلى وسائل الإعلام أو الأشكال المختلفة للمفردات أو المحتوى ، يمكن تصنيفها من خلال مقابلة حاجات الناس إلى الهروب بحاجة الآخرين إلى المعرفة والتعليم . كما يمكن تصنيفها أيضاً إلى الدوافع والحاجات التالية(٣٨) :

(أ) الحاجة إلى اكتساب المعلومات والمعرفة المرغوبة .

(ب) التزود بعادة التعرض إلى وسائل الإعلام .

(جـ) الاستخدام من أجل الراحة أو الإثارة .

(د) الهروب من الملل أو الضجر المتمثل في نمطية الحياة اليومية .

(هـ) الحاجة إلى الصحبة أو الرفيق .

كما تعتمد استجابات الأفراد إلى الرسائل الإقناعية لوسائل الإعلام في كثير من الأحوال على مايبحثون عنه في هذه الرسائل . والتي تمثل حاجات الأفراد منها مثل : التسلية ، المركز الاجتماعي ، المعلومات ، الأمن ، الإرشاد(٣٩) .

وبالإضافة إلى حاجة الأفراد إلى وسائل الإعلام للصحبة ، كبديل عن العزلة الاجتماعية ، وحاجتهم إليها لتلبية حاجة حب الاستطلاع التي تستهدف التزود بالمعلومات والمعرفة عما يدور حولهم . يضاف إلى ذلك دافع تعظيم الذات **self-aggrandizement** ، ذلك أن الإنسان يبحث عن المعلومات التي تساعده في تأكيد أفكاره الذاتية ، وتؤكد تميزه أو تعصبه . بالإضافة إلى الرسائل العملية أو الفنية التي تقدم خدمة شخصية له ، وتساعده على اتخاذ القرارات ، وتمثل قيمة له على المدى الطويل . بالإضافة إلى التسلية والمتعة في التعرض إلى وسائل الإعلام(٤٠) .

وفي دراسة أخرى ، استخدم عدد من المؤشرات الدالة على الدوافع الخاصة بالمشاهدة ، لاختبار أو تحقيق الأنماط الرئيسية للدوافع والرضا لمختلف أنواع جمهور التليفزيون(٤١) .

وصنفت الدراسة دوافع المشاهدة إلى :

(أ) التقدير الذاتي .

(ب) التفاعل الاجتماعي .

(جـ) الإثارة .

---

(٣٨) Melvin L. Defleur and Everette E. Dennis, *Understanding Mass Communication., op. cit.* pp. 402-403.

(٣٩) Dana R. Ulloth, Peter Klinge and Sandra Eells, *Mass Media: Past, Present and Future.*, (New York: West Publishing Company, 1983), p. 377.

(٤٠) John C. Merill, and Ralph L. Lowenstein, *op. cit*, p. 118.

(٤١) Denis McQuil, and Jay G. Blumler, «the television audience: a revised perspective»., In: Denis McQuil, (ed) *Sociology of Mass Communication: Selected Reading., op. cit.* pp. 142-153.

(د) التعليم وزيادة المعرفة .
(هـ) التسلية .

ومن مؤشرات التقدير الذاتي التي استخدمت الاستجابة المؤيدة أو السالبة للعبارات التالية :
(أ) يمكن مقارنة نفسي بالخبرات التي يظهرها البرنامج .
(ب) أحب أن أتخيل نفسي في البرنامج وأحقق نتائج طيبة .
(جـ) أشعر بالسعادة لفوز الجانب الذي أؤيده .
(د) أتخيل أنني كنت في البرنامج وكانت نتائجي طيبة .
(هـ) أتذكر عندما كنت في المدرسة .
(و) أضحك لأخطاء المنافس .
(ز) صعب أن أتابع .

ومن مؤشرات الإثارة التي استخدمها الباحثان :
(أ) أحب النهايات المثيرة .
(ب) أحب أن أنسى همومي وقتها .
(جـ) أحب أن أخمّن بمن يكسب .
(د) عندما تتفق الإجابات مع تخميني أشعر بالسعادة .
(هـ) أنسى همومي تماماً .
(و) أشعر بأنني في منافسة .

ومن مؤشرات الأحكام التعليمية المستخدمة في البحث المذكور :
(أ) أحس أنني أعرف أكثر مما كنت أظن .
(ب) أشعر أنني أؤكد ذاتي .
(جـ) أشعر باحترام الأفراد في البرنامج .
(د) أفكر أبعد من بعض الأسئلة بعد ذلك .

وفي دراسة أخرى لتقويم الاتجاهات نحو الصحف ، وكان من أهدافها معرفة الدوافع التي تجعل القارئ يختار بين صحيفة وأخرى ، اهتم الباحث بعدد من الدوافع كانت محور الأسئلة الموجهة إلى القراء[٤٢] .

وسأل الباحث عن أسباب الاشتراك في الجريدة ، وعرض عدداً من البدائل الآتية :
(أ) متابعة التعرض للإعلان في الصحيفة .

---

(٤٢) V.A. Piramidin, «Evaluation attitude toward the Newspaper» , In: Denis McQuil (ed.) *Ibid*. pp. 220-231.

(ب) من خلال العادة .
(جـ) لإرضاء الحاجات الذاتية .
وكانت البدائل حول دور الصحف .. «أنها تساعد على» :
(أ) اتخاذ القرارات الصحيحة في العمل .
(ب) اتخاذ بعض الخطوات الهامة في حياة الشخص .
(جـ) إقناع البعض بآراء الآخرين الصحيحة .
(د) التعرف على أخطاء الفرد .
(هـ) تخطي الشك ، تغيير الآراء .
وتتحدد علاقة الفرد بالجريدة ، لأنها :
(أ) مصدر للمعلومات حول الآراء اليومية .
(ب) لتوسيع الآفاق .
(جـ) المساعدة في العمل أو الدراسة .
(د) تقدم النصح في الأحداث الاجتماعية .
(هـ) المشاركة في الرأي العام .
(و) المشاركة في الحياة السياسية .
(ز) كمصدر للمعلومات حول الخبرات المتقدمة والإنجاز العلمي .

وفي دراسة لاختبار الارتباط بين الوظائف الرئيسية لبرامج التليفزيون ، وحاجات ودوافع المشاهدين التي تحقق معدلات الإشباع لديهم ، كانت الحاجات التي افترضها الباحث وكانت محوراً للدراسة ، هي(٤٣) :

(أ) المساعدة في مرور الوقت .
(ب) إثارة الضحك أو البكاء .
(جـ) تساعد على الاسترخاء .
(د) تحقق البهجة والسرور .
(هـ) تساعد على نسيان المشاكل .
(و) تساعد على القيام بعمل ما .
(ز) تساعد على معرفة الأمور المرتبطة بالحياة اليومية .
(حـ) تساعد على معرفة الأحداث الجارية ، والمعرفة بالآخرين .

---

(٤٣) Serena Stanford and Betsy Riccomini, «Linking T.V. Program Orientation and Gratification: An Experimental Approach., *Journalism Quarterly,* Vol. 61 (1984- 1), pp. 76-82.

(ط) تساعد على فهم مايدور في الداخل وفي الخارج .
(ى) الإمداد بالمعلومات الحقيقية .
(ك) تساعد في معرفة كيفية الأداء أو العمل .
(ل) تساعد على اتخاذ القرار .
(م) تساعد على معرفة الذات .
(ن) تساعد على معرفة أفكار الناس في الآخرين أمثالي .
(س) تعطي أمثلة لاكتساب الآخرين .
(ع) تدعم الآراء والأفكار .

وفي دراسة أخرى حول ارتباط الإشباع باختيار البرامج الإخبارية الصباحية ، قام الباحث بوضع فئات لدوافع المشاهدة تتمثل في معرفة الأحداث الجارية ، التسلية ، الإثارة ، التعرف على كيفية اكتساب الآخرين ، ومراقبة الشؤون السياسية ، كما صنف دوافع التعرض للمعلومات إلى الحصول على المعلومات عن الشؤون الاستهلاكية ، الأفلام المعروضة ، أحوال الطقس ، التعرف على المشاهير من الناس والمسؤولين ونجوم السينما(٤٤) .

ومما يلاحظ على الدوافع والحاجات التي صاغها الباحثون وقاموا بدراستها في علاقتها بالتعرض ، كنموذج للتعرف على معدلات الرضا والإشباع عند الجمهور ، أنها ترتبط بطريق مباشر أو غير مباشر بالدوافع الثانوية الرئيسية للفرد التي صاغها علماء علم النفس ، وعلم النفس الاجتماعي .

فاكتساب المعرفة والمعلومات والتزود بعادة التعرض إلى وسائل الإعلام ، والتزود بالنصح والإرشاد حول العمل أو الحياة الاجتماعية والمشاركة في الرأي العام والحياة السياسية ، والتعرف على أخطاء الآخرين ، واكتساب الخبرات والمهارات والتعرف على الأخطار والمشكلات المحيطة بالبيئة الاجتماعية أو التي يتعرض لها الآخرون ، وكيفية مواجهتها أو تخطيها .. وغيرها مما استخدم في الدراسات التي قدمنا أمثلة لها ، هذه كلها أسباب ترتبط بالدوافع الرئيسية وتلبية الحاجات الثانوية عند الفرد لتحقيق الأمن والاستقرار والانتماء والتواصل الاجتماعي ، ثم الحاجة إلى التقدير وتحقيق الذات من خلال هذه المكتسبات المرتبطة بالتعرض إلى وسائل الإعلام ومفرداتها ، والتي يعتبر تحقيقها مؤشراً ودليلاً على الرضا والإشباع عند الفرد من العملية الإعلامية باعتباره طرفاً فيها .

ونظرا لأن الدوافع والحاجات تتغير باستمرار مع تغير المراكز والأدوار والمعايير الثقافية والاجتماعية ، وتتغير أيضاً وسائل تحقيقها ، فإن الدراسة المتابعة لها تعتبر على جانب كبير من الأهمية

---

(٤٤) J.D. Rayburn, Pallingreen Philip and Acker Tawrney «Media Gratification and Choosing a Morning News Program», *Journalism Quarterly*, Vol 61, (1984-1) pp. 149-160.

في دراسة جمهور وسائل الإعلام وذلك للتعرف عليها وعلى التغيير فيها ، حتى تعمل وسائل الإعلام على تلبيتها أو تحقيقها فيرتفع اهتمام الجمهور بوسائل الإعلام ومفرداتها ، وترتفع عنده معدلات الرضا بما يحققه من إشباع بالتعرض إليها . وذلك بالإضافة إلى أن دراسة أنماط الدوافع والحاجات تعتبر من المداخل الأساسية في صياغة الرسائل الإقناعية المرتبطة بأهداف التخطيط الإعلامي بصفة عامة .

خاتمـة

تؤكد المفاهيم المتجددة ، التي قدمها هذا البحث لتعريف جمهور وسائل الإعلام وعلاقته بالنظم الاجتماعية ، على أهمية دراسة هذا الجمهور في إطار المنظور الاجتماعي ، عندما يستهدف الباحث الإجابة عن السؤال : لمن .. ؟ في العملية الاتصالية مع وسائل الإعلام ، وذلك من خلال وصف السمات الاجتماعية لهذا الجمهور ، ودوافعه وحاجاته من التعرض إلى هذه الوسائل ومفرداتها ومحتواها . بجانب دراسة السمات العامة أو السكانية ، لتفسير العلاقة بين هذه السمات في إطار كلي أو بعضها مع السلوك الاتصالي لأعضاء هذا الجمهور مع وسائل الإعلام .

وتفسير هذه العلاقة يسهم في الإجابة عن الأسئلة المتعددة المرتبطة بالاتصال الجماهيري التي مازالت تحتاج إلى إجابات من الباحثين في مجال الدراسات الاجتماعية والإعلامية ، حتى تشكل في مجموعها قاعدة معرفية وإطاراً نظرياً لعلوم الاتصال الجماهيري وتطبيقاتها في المجالات المختلفة .

وإذا كانت دراسة السمات العامة والسكانية قد قطعت شوطاً متقدماً في مجال دراسة جمهور وسائل الإعلام ، فإن دراسة السمات الاجتماعية والدوافع والحاجات في إطار المنظور الاجتماعي ، يعتبر مطلباً متجدداً ، يتجاوز الندرة التي تتسم بها البحوث والدراسات الخاصة بهذا المنظور .

ولايكفي الاعتماد على النتائج التي توصلت إليها البحوث والدراسات الغربية في هذا المجال ، وإن كانت مازالت قليلة وفي المرحلة الارتيادية وذلك لارتباط هذه الدراسات بالفرد ، كإنسان حر متغير من جانب يصعب تفسير قراراته في ضوء قرارات الآخرين ، وكذلك لارتباطها بالظروف الاجتماعية المتغيرة أيضاً ، التي يصعب معها تطبيق نتائج البحوث والدراسات التي تتم في بعض المجتمعات على المجتمعات الأخرى ، وخاصة فيما يتعلق بالبحوث الاجتماعية والسلوكية .

ولذلك نوصي في ختام هذا البحث بالدعوة إلى استثارة الباحثين لتناول هذا المنظور الاجتماعي بالبحث والدراسة ، حتى يتوفر لنا إطار علمي ومعرفي متميز في مجال علوم الاتصال الجماهيري والإعلام .

المراجع

Bettinghaus, Erwin P., *Persuasive Communication*, New York, Holt, Rinehart & Winston Inc., 1968.

Bittner, John R., *Mass Communication: An Introduction.*, 2nd ed., New York, Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs., 1980.

Curran, James; Gurievitch, Michael and Woollacott, Janet (eds). *Mass Communication and Society*, London, Edward Annatold with Open University Press, 1977.

Defleur, Melvin L. and Dennis Everette E., *Understanding Mass Communication*, Boston, Mifflin Company, 1981.

Defleur, Melvin L. and Rokeach, Sandra Ball., *The Theories of Mass Communication* 3rd ed., New York, Longman, 1975.

Gurevitch, Michael; Bennet, T.; Curran, J. and Woollacott, Janet (eds), *Culture, Society and the Media*, London, Methuen, 1982.

Katz, Daniel, *et al.*, (eds) *Public Opinion and Propaganda*, Holt, Rinehart & Winston, New York, 1954.

Kline, Gerald and Tichenor, Phillip J. (eds), *Current Perspective in Mass Communication Research.*, London, Beverly Hills, SAGE Publication, 1972.

Maslow, Abraham M., *Motivation and Personality*, New York, Harper & Row, 1970.

McCall, George J. and Simmons J.L., *Social Psychology: A Sociological Approach.*, New York, the Free Press & Macmillan Publishing Company Inc., 1982.

McGee, Reece Jerome (ed), *Sociology: An Introduction*, New York, Holt, Rinehart & Winston, 1980.

McQuail, Denis (ed), *Sociology of Mass Communication: Selected Reading*, England, Penguin Books Ltd, 1972.

McQuail, Denis, *Toward a Sociology of Mass Communication*, London, Macmillan Publishers, 1969.

Merill, John C. and Lowenstein, Ralph L., *Media-Message and Men: New Perspective in Communication*, 2nd ed., New York, Longman, 1979.

Prohansky, Harold and Seidenberg, Bernard (eds), *Basic Studies in Social Psychology*, New York, Rinehart and Winston Inc, 1965.

Penner, Lauis A., *Social Psychology: A Contemporary Approach*, New York, Oxford University Press, 1978.

Peterson, Theodor; Jensen, Jay W. and Rivers, William L., *The Mass Media and Modern Society*, New York, Holt, Rinehart and Winston Inc., 1965.

Rayburn, II, J.D.; Palingreen, Philip and Acker Tawney, "Media gratification and choosing a morning news program" *Journalism Quarterly*, Vol. **61, 1984 -1**, pp. 149-160.

Reardon, Kathleen K., *Persuasion: Theory and Context*, London, SAGE Publication, Beverly Hills, 1981.

Schramm, Wilbur (ed), *Mass Communication, 2nd* ed., Urbana, University of Illinois Press, 1960.

Schramm, Wilhure and Roberts, Donald F. (eds), *The Proses and Effects of Mass Communication, 3rd* ed., Urbana, University of Illinois Press, 1975.

Sills, David L., (ed), *International Encyclopedia for Social Science*, New York, the Macmillan Company & Free Press, 1972.

Stang, David J., *Introduction to Social Psychology*, California, Brooks, Cole Publishing Company, 1981.

Stanford, Serena and Betsy, Riccomini, "Linking t.v. program orientation and gratification: An experimental approach., *Journalism Quarterly*, Vol. **61,** 1984 **-1,** pp. 76-82.

Thompson, Wayne N., *Responsible and Effective Communication*, Boston, Houghton Mifflim, 1978.

Volkart, Edmond M., (ed) *Social Behavior and Personality*, 2nd ed., U.S.A., Greenwood Press, Publishers, 1981.

Ulloth, Dana R.; Klunge, Peter and Eelles, Sandra, *Mass Media: Past, Present, Future*, New York, West Publishing Company, 1983.

Wright, Charles R., *Mass Communication: A Sociological Perspective*, 2nd ed., New York, Randam House, 1975.

The Social Perspective in the Study of Mass Media Audience

Mohamed Abdul Hamid Ahmed
Assistant Professor, Department of Mass Communication,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah.

ABSTRACT

The present research discusses the social perspective in the study of mass media audience as one of the basic and major approaches to the study of that audience and exploring its social traits, its motives and needs.

The research falls into three chapters. Chapter I deals with the importance of studying the social traits of the mass media audience; such traits which have been created by the contemporary conditions of mass communication starting with the change of concepts until it finally ends with the realization of the research objectives in revealing and exploring that audience for the purposes of planning and evaluation. It also deals with the effects as well as the various ways used by the researcher in studying these traits in order to realize the research objectives.

Chapter II discusses the most important social traits related to designing the mass communication message and the choice of its symbols which the researcher studies in detail as it constitutes a correct entry towards persuasion and realization of effect and consequently the scientific explanation of the nature of the relation that reveals the tendencies of preference as well as satisfaction and gratification.

Chapter III concentrates on the most important motives and needs of the audience members when exposed to mass media and their content. The realization of such motives and needs is considered a measure of the audience's satisfaction with the mass media and the items or subjects they offer.

In conclusion the researcher recommends and emphasises the need for making use of the social perspective in the study of the audience in an integral framework with the study of the general or the demographic traits of the audience in order to precisely determine and recognize the mass media au-

dience which will eventually constitute a correct and scientific approach to the planning, evaluation and scientific explanation of the communicative behaviour toward the mass media.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١ ، ص ص ٩٣ - ١١٩ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

ضوابط التوزيع الجغرافي للقرى السعودية

مختار على الشهاوي*

مستخلص البحث

جغرافية العمران الريفي هي أحد فروع الجغرافية البشرية ، وقد ظهرت كفرع مستقل له مناهجه العلمية المنظمة في مطلع القرن الحالي تقريباً . وتعتبر دراسة العمران الريفي أولى مراحل التخطيط العمراني السليم .

ويعرض البحث هنا بصفة عامة الصورة التوزيعية للقرى في المملكة العربية السعودية وأهم العوامل الطبيعية والبشرية التي كان من نتاج تفاعلها وجود العمران على هذه الصورة الحالية .

هذا ومن خلال الدراسة أمكن تحديد مناطق تركز القرية السعودية وتجمعها ومناطق انتشارها وتباعدها ، وذلك باستخدام بعض الأساليب الكمية في التحليل .

مقدمة

حظيت المدينة في المملكة العربية السعودية باهتمام كبير من الجغرافيين ، وظهرت دراسات كثيرة عن المدن السعودية بعضها دراسات عن مدن بعينها كدراسة في جغرافية العمران ، وبعضها ضمن دراسات جغرافية إقليمية ، وبعضها الآخر ضمن دراسات سكانية ، وأخرى ضمن دراسات في الجغرافية الاقتصادية .

ولم تحظَ القرية السعودية بمثل هذا الاهتمام الذي حظيت به المدينة في مجال الدراسات الجغرافية ، إلى أن جاء الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله الذي وَحَّد أجزاء المملكة ، وأقام الدولة الحديثة ، وعمل على التنمية والتطوير في كل المجالات ، وقام بإنشاء قرى لتوطين البدو الرحل واستقرارهم سميت بالهُجَر . ولايختلف أهل الهُجَر هؤلاء عن البادية إلا في تركهم معيشة التجوال

(*) أستاذ مساعد ، قسم الجغرافيا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز - جدة - المملكة العربية السعودية - سابقاً

والتنقل إلى معيشة القرى والاستيطان والاستقرار . وسار على طريق الملك عبد العزيز من جاءوا بعده . وزاد اهتمامهم بالقرية وتنميتها ، وظلت هدفاً من أهداف الدولة ضمنته خططها .

وأخيراً يتجلى هذا الاهتمام بأن أصدرت الدولة لائحة لتنمية وتطوير قرى المملكة[١] وأسندت إلى وزارة الشؤون البلدية والقروية بالإضافة إلى اختصاصاتها الحالية مسؤولية وضع الخطط والبرامج واقتراح السياسة العامة للتنمية الشاملة للقرى بالمملكة من النواحي الاقتصادية والثقافية والعمرانية .

وهنا يأتي دور الجغرافيين ، ففي تصوري أن القرية تشكل مجالاً خصباً للدراسة والبحث الجغرافي من أجل تخطيط عمراني قائم على أسس علمية ، ومن خلال دراسات ميدانية ، تتعرف على المشاكل بنظرة الجغرافي الشمولية بعد تحليل للعلاقات المكانية والظروف البيئية ، ثم اقتراح الحلول في إطار السياسة العامة للدولة .

وتلك إطلالة على القرية السعودية من حيث التوزيع الجغرافي والعوامل المؤثرة في هذا التوزيع ، وهي دراسة عامة كما سنرى ، كانت أدواتي في هذه الدراسة هي الخريطة ، خريطة المملكة العربية السعودية بمساحتها الشاسعة وتباين ظروفها الجغرافية على هذه المساحة . ثم البيانات الرسمية التي أهمها تعداد السكان ١٣٩٤هـ . بالإضافة إلى بعض الدراسات عن السكان والظروف المناخية ، وتوزيع الأراضي الزراعية والمظاهر التضاريسية .

ويود الباحث أن ينّوه هنا إلى أن مفهوم القرية في هذا البحث قد اعتمد على ماورد بالتعداد عن أعداد القرى .

وهناك دراسات أخذت بتعريف لسكان الريف على أنه يشتمل على جميع الأماكن العمرانية التي يقل عدد سكان كل منها عن ٥٠٠٠ نسمة ، وأنهم السكان الذين لايقطنون المدن ، وكذلك من غير السكان الرحل[٢] .

وتأخذ بهذا المعيار خطة التنمية الثالثة للدولة تحت الأهداف المحددة لقطاع المياه لفترة الخطة (١٤٠٠ – ١٤٠٥هـ) من حيث إمدادات المياه للمناطق الريفية (مراكز يقل عدد سكانها عن ٥٠٠٠ نسمة)[٣] . وهناك دراسة أخرى عن أحوال السكان بالمملكة اتخذت معياراً لتحديد سكان القرى بأنهم سكان المسميات السكنية بما فيها سكان مراكز الإمارات التي يقل سكانها عن ٢٠٠٠ نسمة[٤] ، وتتمثل فروض البحث في الآتي :

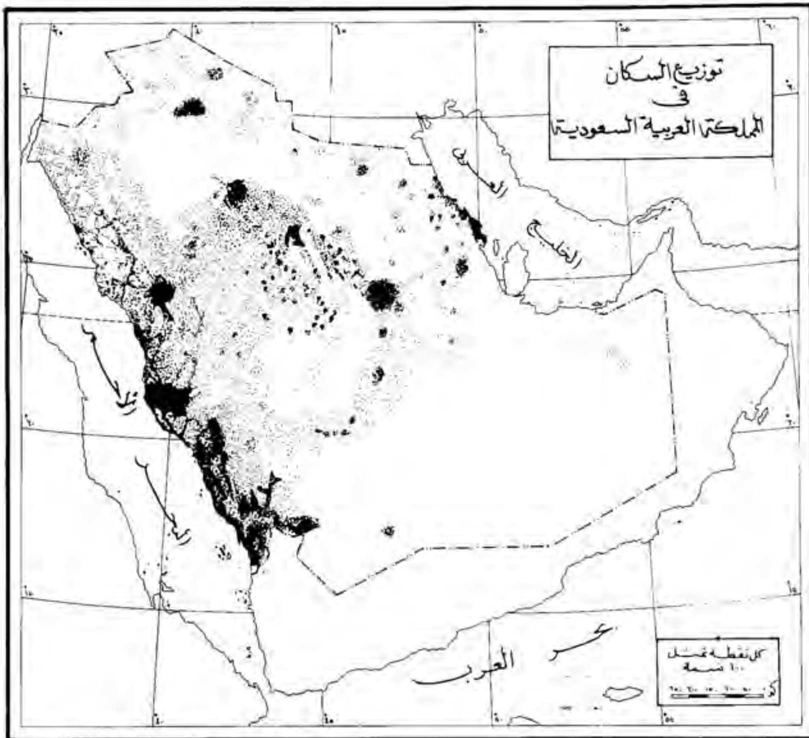
---

(١) وزارة الشؤون البلدية والقروية ، المملكة العربية السعودية ، **لائحة تنمية وتطوير قرى المملكة ولوائحها الداخلية** ، الرياض ، ١٤٠٣هـ .

(٢) جامعة الرياض – قسم الجغرافيا بكلية الآداب ، **أطلس السكان للمملكة العربية السعودية** ، الرياض ، ١٩٨١ ، ص ١٦ .

(٣) وزارة التخطيط ، المملكة العربية السعودية ، **خطة التنمية الثالثة** الرياض – (١٩٨٠ – ١٩٨٥م) ، ص ١٢٣ .

(٤) ناصر عبد الله الصالح ، أحوال السكان بالمملكة العربية السعودية ، **مجلة كلية التربية** ، **جامعة أم القرى** ، مكة المكرمة ، رجب ١٤٠٢هـ ، ص ٥٩ .



شكل (١)

عن حسين بن فتحي - أطلس المملكة ص ٥

• إن القرى في المملكة العربية السعودية تتوزع على أرض الدولة توزيعاً متبايناً .

• إن هذا التباين نتيجة للاختلافات البيئية (من حيث السطح ، والظروف المناخية ، وتوزيع مصادر المياه ، ثم العوامل التاريخية) .

• إن القرى تتكاثف وتتركز حيث تسمح الظروف الطبيعية بقيام الزراعة وتوافر مقومات وجودها .

هذا ويهدف البحث إلى إظهار السمات العامة لشخصية القرية السعودية من حيث التوزيع الجغرافي .

الصورة التوزيعية العامة للقرى السعودية

يصل سكان المملكة حسب تعداد ١٣٩٤هـ إلى ٧٫٠١٢٫٦٤٢ نسمة ، يتوزعون في مساحة قدرها ٢٫٢٤٠ مليون كم٢ هي مساحة المملكة . بمتوسط كثافة عامة (٢٫١٣ نسمة/كم٢) . ويتبين من ذلك قلة سكان المملكة بالنسبة لمساحتها .

وحسب التقسيم الإداري الوارد بالحصر الأول لسكان المملكة فإنها تنقسم إلى ١٤ منطقة إدارية تضم ٢٠٫٩٩٥ تجمعاً سكانياً . وهذه المسميات السكانية تشمل المدن والقرى والهُجَر والمزارع وموارد المياه وأماكن تجمع البادية . وقد توزعت هذه المسميات بين عدد من التجمعات السكانية تحت اسم الإمارات ، والإمارات التابعة وجملتها ٥٦١ تجمعاً ، ويتباين توزيع هذه المسميات والتجمعات بين مناطق المملكة .

ويعطي هذا التباين توضيحاً عاماً لأنماط التوزيع الذي يوضحه الشكل (١) .

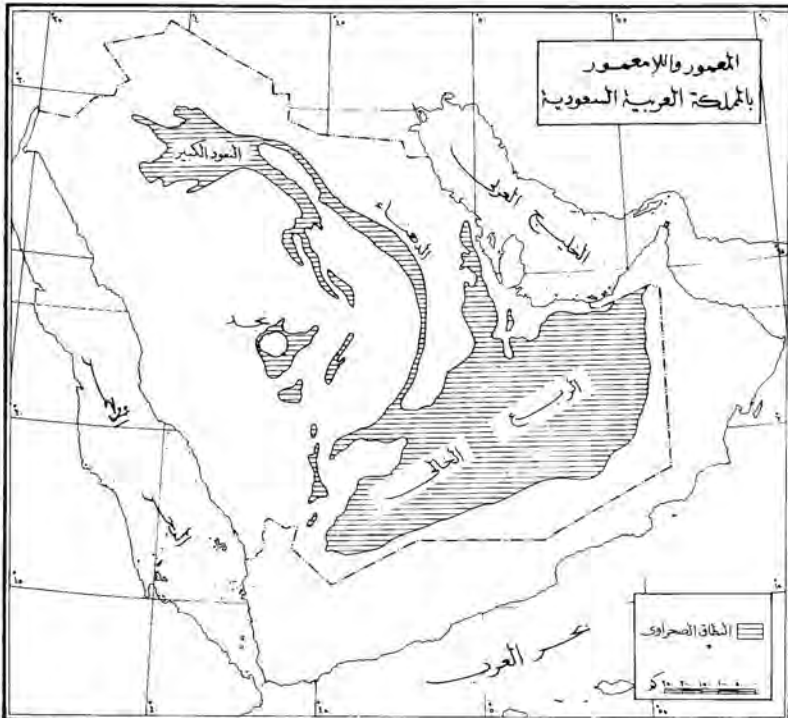
ولم يأت هذا التوزيع عشوائياً ، وإنما هناك ضوابط جغرافية أدت إلى وجوده . إذ ترتبط الصورة التوزيعية للقرية السعودية ارتباطاً وثيقاً بالمساحات المعمورة وغير المعمورة في المملكة .

وأكبر الأجزاء غير المعمورة منطقة الربع الخالي في الجنوب ، وتغطي مساحة قدرها ٦٤٠٫٠٠٠ كم٢ ، ثم صحراء النفود في الشمال ، وصحراء الدهناء التي تربط بين المنطقتين (شكل ٢) .

كما أن هناك مجموعة من العوامل الطبيعية يمكن أن يكون لها أثرها في توزيع القرى السعودية . فبحكم أن البيئة صحراوية يصبح الماء هناك من أهم ضوابط مواطن مراكز الاستقرار البشري .

جدول رقم (١) الكثافة الاستيطانية الريفية في المناطق الإدارية
(قرية لكل ١٠٠ كم٢)

المنطقة	الكثافة الاستيطانية قرية/١٠٠ كم٢	المنطقة	الكثافة الاستيطانية قرية/١٠٠ كم٢
الباحة	٦	الجوف	٠٫٠٤
جيزان	٢٥	مكة المكرمة	٢٫٣
عسير	٤	نجران	٠٫١
القصيم	٠٫٥	الرياض	٠٫٢
حائل	٠٫١	تبوك	٠٫١
القريّات	٠٫١	المدينة المنورة	٠٫٣
المنطقة الشرقية	٠٫٠٢	الحدود الشمالية	٠٫٠٢
		جملة المملكة	٠٫٦

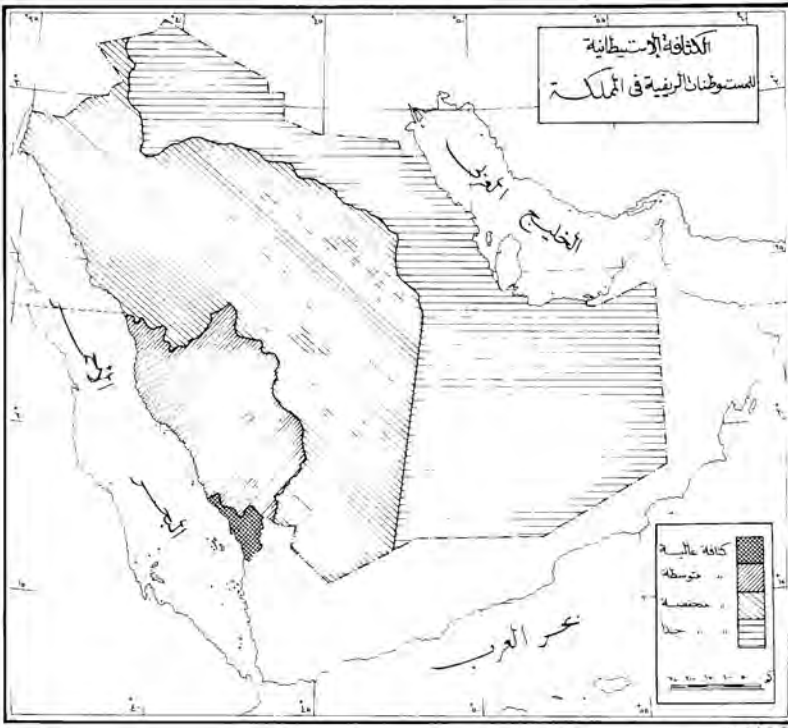


شكل (٢)

عن حسين بندقجي - أطلس المملكة ص ١٥

ويمكن التعرف على الصورة التوزيعية العامة من خلال الكثافة الاستيطانية الريفية في المناطق الإدارية والتي يوضحها الجدول التالي ، وتحدد عدد القرى في كل ١٠٠ كم٢ ، كما يوضحها الشكل (٣) .

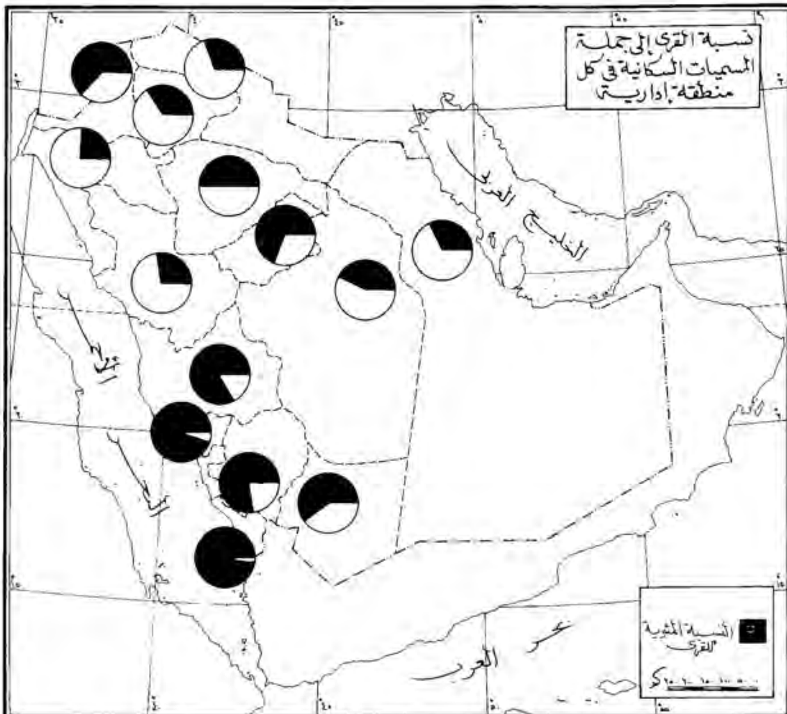
ومن الجدول يتضح أن أعلى كثافة استيطانية توجد في أربع مناطق إدارية من إقليم الحجاز ، هي حسب ترتيبها : جيزان (٢٥ قرية/١٠٠كم٢) ، الباحة (٦ قرى/١٠٠كم٢) عسير (٤ قرى/١٠٠كم٢) ثم منطقة مكة المكرمة (٣ر٢ قرية/١٠٠كم٢) . فهذه المناطق الأربع تشكل في مساحتها نسبة ٩ر١١٪ من جملة مساحة المملكة ، ولكنها تستأثر بنسبة ٢ر٨٣٪ من جملة عدد القرى ، فهي بذلك تمثل مناطق تركز الاستقرار الريفي .



شكل (٣)

يليها في المرتبة الثانية مجموعة مناطق القصيم والقريات ونجران وحائل ، فهي تمثل مانسبته ١٧،١٪ من جملة مساحة المملكة ويتركز بها مانسبته ٥،٤٪ من جملة عدد القرى .

أما منطقة الرياض والشرقية فنسبة مساحتهما إلى جملة مساحة المملكة ٥٠،٥٪ ، ورغم ذلك يحتويان على نسبة ٦،٩٪ من جملة عدد القرى . ومن الصورة التوزيعية العامة للقرى يتبين أن المنطقة الغربية من المملكة هي منطقة التركز بصفة عامة ، وتشكل محوراً أساسياً يمتد امتداداً طولياً جنوبي – شمالي من الحدود الجنوبية لمنطقة عسير حتى الحدود الشمالية لمنطقة مكة المكرمة . يوازيه في المنطقة الوسطى من المملكة محور آخر ، يمتد مع امتداد وادي حنيفة بين جبال طُوَيق في الغرب وهضبة العرمة في الشرق لمسافة ٥٧٦ كم باتجاه شمالي – جنوبي حتى الخَرْج ، ثم وادي السَّهباء الذي يمتد من



شكل (٤)

منطقة الخرج جنوب الرياض باتجاه غربي – شرقي حتى السهباء على شاطئ الخليج العربي بطول ٤٤٠ كم ، ثم محور ثالث يتركز في المنطقة الشرقية : واحات الأحساء وواحة القطيف ، ووادي مياه ذي الإمكانات المائية الكبيرة نسبياً وهو أهم وديان المنطقة . وتضم المنطقة الشرقية ٢١٢ قرية .

ويوضح الجدول رقم (٢) النسبة المئوية لعدد القرى في كل منطقة إدارية من مناطق المملكة إلى جملة المسميات السكانية بها ، كما يوضحها أيضاً (الشكل ٤) .

ويعدّ وادي حنيفة من أهم الأودية المرتبطة بالسكن والزراعة ، ويخترق وسط هضبة نجد بروافد عديدة ، وقد أنشئت عليه وعلى روافده مجموعة سدود لحجز مياه السيول .

جدول رقم (٢) نسبة عدد القرى في كل منطقة إدارية إلى جملة المسميات السكانية بها

المنطقة	٪	المنطقة	٪
الباحة	٩٥	الجوف	٣٤
جيزان	٩٨	مكة المكرمة	٨٣٫٦
عسير	٧٧٫٦	نجران	٥٩
القصيم	٦٩	الرياض	٤٢٫٦
حائل	٥٠	تبوك	٢٤
القريّات	٦٣	المدينة المنورة	٢٧
المنطقة الشرقية	٣١٫٧	الحدود الشمالية	٢٨
		جملة المملكة	٧٢

ويرتبط توزيع سكان الريف بتوزيع القرى . وإذا استعرضنا الجدول رقم (٣) ، والشكل رقم (٥) فسنجد أن منطقة الباحة وهي المنطقة التي تمثل القرية ، فيها ٩٥٪ من جملة مسمياتها تصل نسبة سكان الريف بها إلى ٨٢٪ من جملة سكانها . تليها في ذلك منطقة جيزان التي تمثل القرية فيها مانسبته ٩٨٪ من جملة مسمياتها السكانية . وتصل نسبة سكان الريف بها إلى ٧٨٪ من جملة سكانها . وفي المرتبة الثالثة منطقة عسير التي يصل بها نسبة سكان الريف إلى ٥٠٪ ، ونسبة عدد القرى إلى جملة المسميات ٧٧٫٦٪ . ويرجع ارتفاع النسبة في هذه المناطق الثلاث إلى كونها مناطق زراعية .

أما الجزء الشمالي من المملكة ويشمل مناطق الحدود الشمالية والجوف والقريات وتبوك وحائل فتتراوح نسبة سكان الريف بها مابين ٣٪ في منطقة الحدود الشمالية ، ٣١٪ في حائل ، وتصل في تبوك إلى ١٠٪ ، وفي الجوف ٢١٪ ، وفي القريات ٢٥٪ ، وذلك لارتفاع نسبة السكان الرحَّل بوجه عام في هذه المناطق . فالمناطق الشمالية تقل فيها المياه اللازمة للزراعة ، ومن ثم أصبحت حياة الترحال أكثر ملاءمة في تلك المناطق .

تجمع وانتشار القرى في مناطق المملكة

من خلال الصورة التوزيعية العامة للقرى ، أمكن تحديد أهم محاور التوزيع . وحتى تكتمل الصورة وتتضح يجدر بنا أن ندرس العلاقة بين المساحات المكانية وعدد القرى ، وذلك لأن مساحات المناطق الإدارية متباينة .

وسنحاول استخدام بعض الأساليب الكمية لتوضيح مدى التجمع والانتشار ونسبة التركز .

جدول رقم (٣) نسبة سكان الريف إلى جملة سكان المناطق الإدارية(*)

المنطقة	نسبة سكان الريف إلى سكان المنطقة ٪	المنطقة	نسبة سكان الريف إلى سكان المنطقة ٪
الباحة	٨٢	الجوف	٢١
جيزان	٧٨	مكة المكرمة	٢١
عسير	٥٠	نجران	٢٠
القصيم	٣١	الرياض	١٧
حائل	٣١	تبوك	١٠
القريات	٢٥	المدينة المنورة	٨
المنطقة الشرقية	٢٥	الحدود الشمالية	٣
		جملة المملكة	**٢٨**

(١) حساب نسبة التركز للقرى

وتحكمه المعادلة التالية(٦) :

نسبة التركز = ١/٢ مج (س − ص) حيث :

س = النسبة المئوية لمساحة الوحدة الإدارية (المنطقة) إلى جملة مساحة المملكة .

ص = النسبة المئوية لعدد قرى الوحدة الإدارية (المنطقة) إلى جملة قرى المملكة .

مج = مجموع الفرق الموجب بين هذه النسب بعضها ببعض .

وبالتعويض في المعادلة السابقة ينتج :

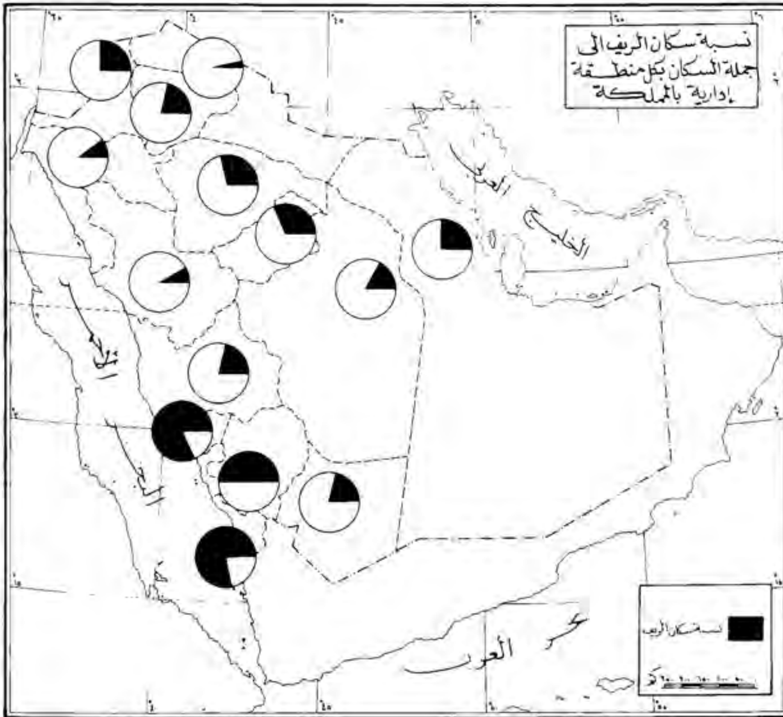
نسبة التركز = ١/٢ × ١٤٢٫٤ = ٧١٫٢٪

ويتضح من النتيجة أن توزيع القرى على مساحة المملكة غير متساو . بحيث إنه إذا كانت نتيجة المعادلة تساوي صفراً فإنه يكون توزيعاً مثالياً . وكلما كبرت هذه النسبة كما هو واضح في حالتنا هذه ، دلّ ذلك على شدة التركز والعكس صحيح ، إذْ كلما قلت التركز يبدأ في القلة ، ويبدأ التشتت في توزيع القرى .

---

(٥) جامعة الرياض ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

(٦) R.Hammond, and MCC Ullagh, **Quantitative Techniques in Geography-An Introduction**, (New York, 1978) p. 55.



شكل (٥)

٢ - حساب متوسط التباعد بين القرى

ويوضح متوسط التباعد التوزيع الكثافي للمستوطنات البشرية وقد حسب متوسط التباعد بين المستوطنات بالجدول رقم (٥) .

حساب متوسط التباعد طبقا للمعادلة التالية[٧] :

$$س = ١٫٠٧٤٦ \quad (\sqrt{م ÷ ع})$$

(٧) محمد محمد سطيحة ، **خرائط التوزيعات الجغرافية : دراسة في طرق التمثيل الكرتوجرافي** ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٧م) ، ص ٣٨١ .

جدول (٤) النسبة المئوية لمساحة الامارات وعدد القرى بها بالنسبة لمساحة وقرى المملكة

المنطقـــة	٪ من مساحة المملكة س	٪ من عدد قرى المملكة ص	نسبة التركز س - ص
الباحـة	٠ر٨	٨ر٢	٧ر٤
جيزان	٠ر٨	٢٩ر٢	٢٨ر٤
عسير	٣ر٨	٢٣ر٤	١٩ر٦
القصيم	٢ر٧	٢ر٣	٠ر٤
حائل	٦ر٩	١ر٧	٥ر٢
القريـات	١ر٩	٠ر٥	١ر٤
المنطقة الشرقية	٣٤ر١	١ر٣	٣٢ر٨
الجـوف	٢ر٧	٠ر٣	٢ر٤
مكة المكرمة	٦ر٦	٢٢ر٤	١٥ر٨
نجـران	٥ر٦	١ر٠	٤ر٦
الرياض	١٦ر٤	٥ر٦	١٠ر٨
تبـوك	٤ر٦	٠ر٨	٣ر٨
المدينة المنورة	٦ر٩	٣ر١	٣ر٨
الحدود الشماليه	٦ر٢	٠ر٣	٦ر٠
الجملـــة	١٠٠	١٠٠	١٤٢ر٤

جدول رقم (٥) متوسط التباعد بين القرى في المناطق الإدارية بالمملكة بالكيلومتر

المنطقة	متوسط التباعد	المنطقة	متوسط التباعد
الباحـة	٣ر٩	الجـوف	٤٩ر٣
جيـزان	٢ر٠	مكة المكرمـة	٦ر٩
عسـير	٥ر١	نجـران	٣١ر٤
القصيـم	١٣ر٩	الريـاض	٢٢ر٢
حائـل	٢٥ر٣	تبـوك	٣٢ر٥
القريّـات	٢٨ر٤	المدينة المنورة	١٩ر٣
المنطقة الشرقية	٦٤ر٢	الحدود الشمالية	٦٦ر٤
		جملة المملكة	١٢ر٩

باعتبار أن : س : هي متوسط المسافات بين القرى

م : مساحة المنطقة بالكم[٢]

ع : عدد القرى
ويحقق الثابت ١,٠٧٤٦ افتراض التباعد في شكل سداسي .

والعلاقة هنا عكسية ، فكلما قلّ متوسط التباعد دلّ على تجمع وتكاثف العمران ، وكلما ارتفع متوسط التباعد دلّ ذلك على انتشار العمران dispersion وتباعده . ويلاحظ أن أعلى متوسط للتباعد يوجد في منطقة الحدود الشمالية ، ويمكن تعليل ذلك بطبيعة المنطقة . فموارد المياه فيها تزيد على المستوطنات المستقرة . يليها المنطقة الشرقية التي تتميز بسَعَة مساحتها وقلة عدد المستوطنات مما يؤثر في كثافة العمران بها .

ومن الجدول رقم (٥) يمكن تقسيم العمران في المملكة من حيث الكثافة إلى الأنماط التالية حسب (الشكل ٦) :

١ - مناطق ذات كثافة مرتفعة جداً ، وهي المناطق التي يصل متوسط التباعد فيما بين المستوطنات البشرية بها من (٢ - ٧كم) وتوجد في جيزان والباحة وعسير ومكة .

٢ - مناطق ذات كثافة عمرانية مرتفعة ، ويتراوح متوسط التباعد بين مستوطناتها أكثر من ٧كم وأقل من ٣٠كم وتوجد في مناطق القصيم والمدينة المنورة والرياض وحائل والقريات .

٣ - مناطق ذات كثافة عمرانية متوسطة ، ويتراوح متوسط التباعد بين مستوطناتها من (٣٠ - ٥٠كم) وتوجد في مناطق نجران ، تبوك ، الجوف .

٤ - مناطق ذات كثافة عمرانية منخفضة ، ويصل متوسط التباعد بين مستوطناتها أعلى من ٥٠كم ، وهي المنطقة الشرقية ومنطقة الحدود الشمالية .

٣ - معامل الانتشار (التشتت)

ويعطي صورة عن شكل انتشار المستوطنات ، ومدى توازن التوزيع على كل من المساحة ، فقد تتقارب المستوطنات لتتركز في قطاع من المساحة . كما قد تتباعد في نمط مبعثر ، ويمكن إدراك ذلك من التحليل الكرتوجرافي .

وتعتبر معادلة ديمانجون من أشهر مااستخدمه الجغرافيون في هذا الشأن ، فهي تأخذ في الاعتبار عدد التوابع ، وبدرجة كبيرة ، الحجم السكاني للكتلة الرئيسية والتوابع .

والمعادلة هي[٨] :

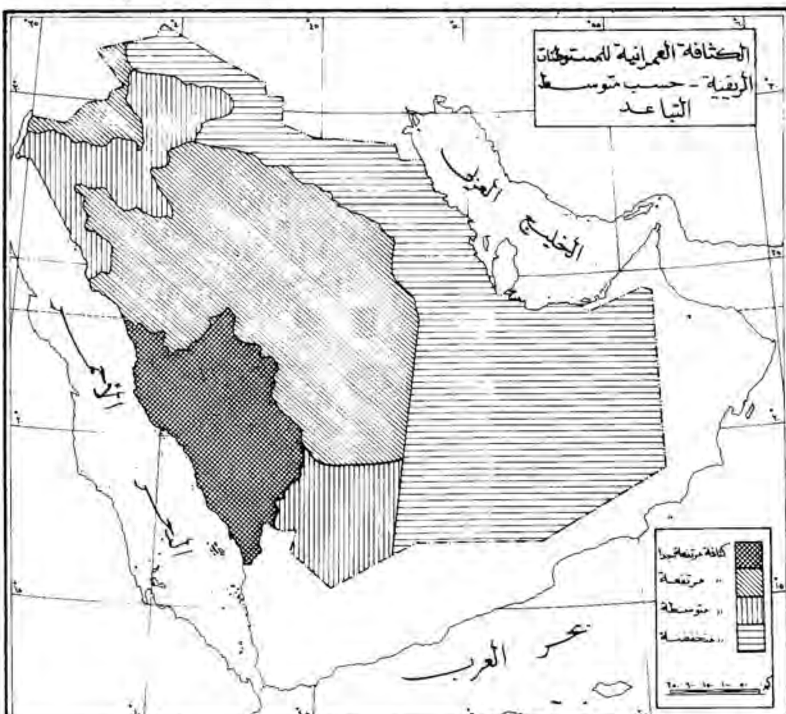
$$C = \frac{E \times N}{T}$$

---

(٨) J.A.Hudson, **A Geography of Settlement**, (London, 1970), P. 69.

حيث C تعني معامل التشتت أو الانتشار .
E تعني سكان المستوطنات البشرية عدا سكان المستوطنة السكنية الرئيسية .
N عدد المستوطنات البشرية دون المستوطنة الرئيسية (The chief-lieu)
T إجمالي عدد سكان المنطقة

وقد استخدمها ديمانجون في قياس توزيع الريف الفرنسي وأتت بنتائج معقولة ، وقد حاول الباحث تطبيقها على منطقتي جيزان ، باعتبارها تمثل العمران المتجمع (agglomerated) ، والحدود الشمالية ، باعتبارها تمثل مناطق العمران المنتشر ، ولكن نتائجها لم تتفق مع طبيعة المنطقة ، ولم تعط صورة حقيقية عن توزيع العمران . فليست كل المعادلات الرياضية يمكن تطبيقها على كل المناطق ،

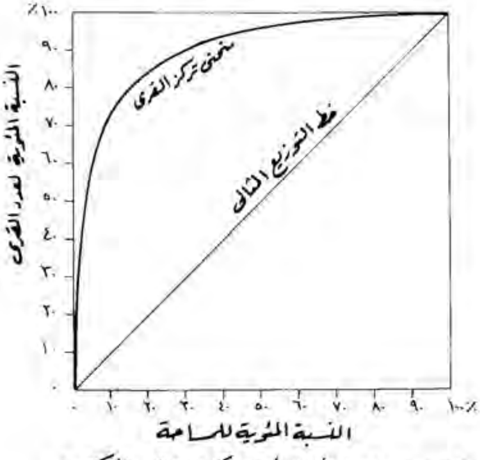


شكل (٦)

وذلك لاختلاف الظروف الجغرافية لكل منطقة . وفعلاً كان استخدام هذه المعادلة في انجلترا غير ذي موضوع ، وكما يقول هدسون فإن استخدامها خارج فرنسا غير مفيد .

٤ - منحنى لورنز

ويستخدم لقياس تركز المستوطنات أو السكان على أساس الكثافة . ويوضح الجدول رقم (٦) التجمع النسبي الصاعد لعدد القرى والمساحة . ومن الجدول رقم (٦) والشكل رقم (٧) يتضح أن حوالي ٩٤٫٢٪ من إجمالي قرى المملكة تتركز في ٣٨٪ من إجمالي المساحة ، كما أن ٨٣٫٢٪ من إجمالي قرى المملكة تتركز في ١٢٪ من إجمالي المساحة في (جيزان ، عسير ، مكة المكرمة ، الباحة) .



شكل (٧) منحنى لورنز لتوزيع كثافة القرى بالمملكة

ضوابط توزيع القرى

إن توزيع القرى يمثل الصورة النهائية للتفاعل بين عناصر البيئة الطبيعية والعناصر البشرية . وفيما يلي نستعرض أهم العوامل الطبيعية المؤثرة في توزيع المستوطنات الريفية في المملكة :

أولا : الميـــاه

يعتبر عامل الحصول على المياه لاستخدام الإنسان وسقيا الحيوان ولري الأراضي الزراعية من محددات مواضع المستوطنات وتتمثل الموارد المائية ذات الأهمية في موردين :

جدول (٦) منحنى لورنز لتوزيع القرى في المملكة

المنطقـــة	من إجمالي القرى ٪	متجمع صـاعد	من إجمالي المساحة ٪	متجمع صـاعد
جيزان	٢٩٫٢	٢٩٫٢	٠٫٨	٠٫٨
عسير	٢٣٫٤	٥٢٫٦	٣٫٨	٤٫٦
مكة المكرمة	٢٢٫٤	٧٥٫٠	٦٫٦	١١٫٢
الباحـة	٨٫٢	٨٣٫٢	٠٫٨	١٢٫٠
الريـاض	٥٫٦	٨٨٫٨	١٦٫٤	٢٨٫٤
المدينة المنورة	٣٫١	٩١٫٩	٦٫٩	٣٥٫٣
القصـيم	٢٫٣	٩٤٫٢	٢٫٧	٣٨٫٠
حائــل	١٫٧	٥٩٫٩	٦٫٩	٤٤٫٩
المنطقة الشرقية	١٫٣	٩٧٫٢	٣٤٫١	٧٩٫٠
نجـــران	١٫٠	٩٨٫٢	٥٫٦	٨٤٫٦
تبـــوك	٠٫٨	٩٩٫٠	٤٫٦	٨٩٫٣
القريـات	٠٫٥	٩٩٫٥	١٫٩	٩١٫١
الجـــوف	٠٫٣	٩٩٫٨	٢٫٧	٩٣٫٨
الحدود الشمالية	٠٫٢	١٠٠٫٠	٦٫٢	١٠٠٫٠

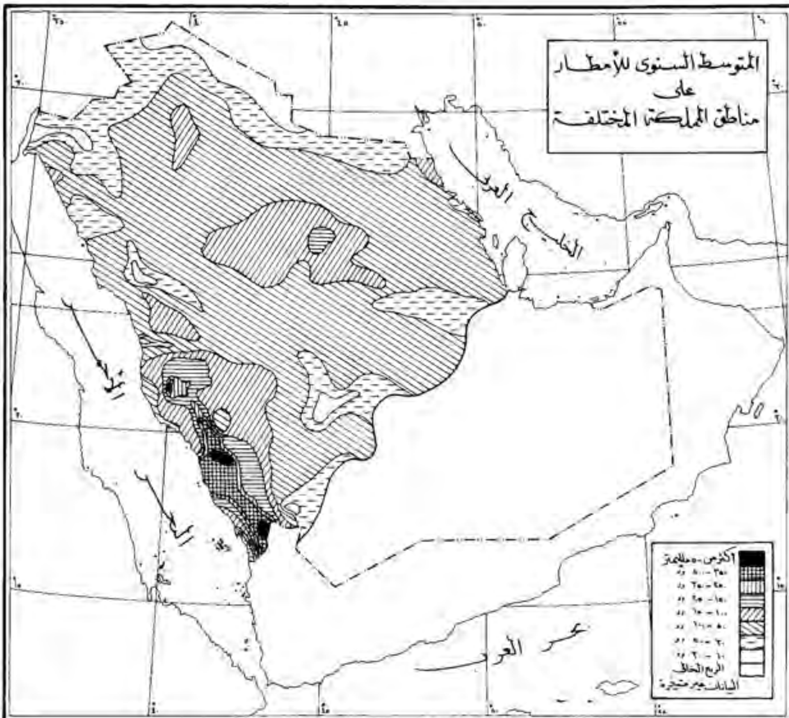
١ - المياه السطحية

وهذه عبارة عن المتوسط السنوي لكمية الأمطار الساقطة على أنحاء المملكة المختلفة . ويمثلها الجدول رقم (٧)[٩]

جدول (٧) المتوسط السنوي لكميات الأمطار في بعض مدن المملكة

المحطـة	كمية المطر مليمتر	المحطـة	كمية المطر مليمتر
خميس مشيط	٢١٥٫٥	جـدة	٩٠٫٥
الطائــف	١٨٤٫٩	تبـوك	٧٥٫١
الرياض	١٣٤٫٥	الظهـران	٦٣٫١
القصيـم	١٢٤٫٩	المدينة المنورة	٤٥٫٢
حائــل	٩١٫٥	الوجـــه	٢١٫٨

(٩) حسين حمزة بندقجي ، **جغرافية المملكة العربية السعودية** (القاهرة : الطبعة الثانية ، ١٩٧٧) ص ١٠٠ .



شكل (٨)

ويلاحظ من الجدول أن الأمطار تغزر نسبياً في الأجزاء الوسطى من البلاد للارتفاع النسبي لمنسوب سطحها (الرياض – القصيم) وفي نطاق مرتفعات الحجاز وعسير تغزر الأمطار، وقد تزيد في متوسطها السنوي في جنوب غرب البلاد في إقليم عسير عن ٣٠٠مم/سنة. وتقل تدريجياً في الاتجاه الشمالي حتى لاتتجاوز ٤٥مم في السنة في المدينة المنورة وحوالي ٢١مم/سنة في الوجه.

أما في المناطق الشمالية من المملكة، فكميّة الأمطار محدودة للغاية (تبوك والوجه). ولذا تعدّ هذه المناطق من أقل أجزاء المملكة اتجاهاً للزراعة، ولاتزيد نسبة الأراضي المزروعة بها عن ١٩ر١٪ إلى جملتها في المملكة[١٠].

---

(١٠) عمر الفاروق سيد رجب، التحضر في المملكة العربية السعودية، في كتاب: **التحضر في الوطن العربي**، الجزء الأول، القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨م، ص ٥٠٨.

ويرجع ذلك لظروف طبيعية غير مواتية خاصة من حيث موارد المياه والتربة ورغم وجود مجموعة كبيرة من الوديان إلا أنها تخترق مناطق وعرة . والأمطار في المملكة بصفة عامة قليلة وغير منتظمة في سقوطها حيث تسقط في شكل زخات شديدة فجائية ، ويوضح الشكل رقم (٨) توزيع متوسط الأمطار السنوية .

٢ - المياه الجوفية

وتعتمد عليها الزراعة في مساحات واسعة ، وتكاد تتركز الطبقات الحاملة للمياه الجوفية في ثلثي المملكة الشرقي حيث التكوينات الرسوبية . أما النطاق الغربي من البلاد فتقل به المياه الجوفية لأنه يشكل جزءاً من الدرع العربي الذي يتكون من الصخور الجرانيتية ، وهي صخور لاتسمح بنفاذ المياه .

وقد أمكن تحديد أهم التكوينات الحاملة للمياه الجوفية التي يمكن الاعتماد عليها فيما يلي[١١] :

تكوين الساق : في النطاق الممتد بين القصيم وتبوك في الشمال .

تكوين المنجور : في منطقة الرياض .

تكوين بياض : يمتد معظمه في نطاق وادي نساح القريب من الرياض .

تكوين خرمة : في الجزء الشرقي من القصيم وفي منطقة الزلفي .

تكوين الوسيع : في الجزء الشرقي من البلاد .

تكوين الدمام : في الأجزاء الشرقية والغربية من البلاد ، وينقسم إلى خمسة تكوينات فرعية حاملة للمياه ، أهمها تكوينا الخُبَر والعلا وهما أهم مصادر المياه للمستوطنات البشرية في شرق البلاد وخاصة القطيف والخُبَر .

تكوين أم رضوما : ويمتد في كل المنطقة الشرقية ابتداءً من خط الحدود السياسية مع العراق في الشمال حتى صحراء الربع الخالي في الجنوب .

تكوين الوجيد : ويوجد في الجزء الجنوبي من البلاد خاصة في نطاق وادي الدواسر .

أما عن المنطقة الغربية للمملكة ، فهناك دراسة عن الموارد المائية في منطقة الساحل السعودي أظهرت أن الموارد المائية ظلت حتى أواخر الثلث الثاني من هذا القرن تقوم بدور سلبي في حياة المراكز العمرانية المنتشرة في المنطقة ، وخاصة الواقعة على خط الساحل حيث كانت السبب المباشر في اختفاء بعضها وتدهور البعض الآخر ، وأن السكان منذ القدم يعتمدون على مياه العيون والآبار التي يقدر عددها في المنطقة بـ ٩٣٠٠ بئر[١٢] . ويقدر احتياطي المياه الجوفية في جيزان بنحو ٤٧

---

(١١) محمد خميس الزوكة ، الملامح الرئيسية للزراعة في المملكة العربية السعودية ، **مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ، العدد الثالث ، الرياض ١٩٧٩م ، ص ص ٣٥ - ٣٧ .

(١٢) محمد أحمد الرويثي ، الموارد المائية في منطقة الساحل السعودي الغربي ، **مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية** ، العدد السابع ، ١٩٨٣م ، ص ٢٢٠ .

مليون متر مكعب ، وفي تهامة الشام بنحو ٣١ مليون متر مكعب ، في حين أن كميات المياه الجوفية العذبة محدودة في غيرها من الأماكن في السهول الساحلية(١٣) .

ثانياً : المظهر الطبوغرافي العام

يؤثر المظهر الطبوغرافي العام تأثيراً كبيراً في النمط التوزيعي للقرى ، كما يؤثر في طرق النقل وكافة التوزيعات الجغرافية للإقليم .



شكل (٩)

(١٣) عبد الباسط سيد الخطيب ، سبع سنابل خضر : **التنمية المائية والزراعية** ، (الرياض : وزارة الزراعة والمياه ، ط ٢ ، ١٩٨٠م) ، ص ١٤٢ .

وإذا نظرنا إلى خريطة المملكة نجد أن أهم مظهر تضاريسي يتمثل في السلاسل الجبلية الغربية التي تمثل الحافة الانكسارية الغربية للدرع العربي وتمتد بمحاذاة ساحل البحر الأحمر . وتبلغ هذه السلسلة الجبلية أقصى ارتفاع لها في الأجزاء الجنوبية في عسير حيث يصل الارتفاع حوالي ٩٠٠٠ قدم ، يقل تدريجياً كلما اتجهنا شمالاً وشرقاً وفي الاتجاه الشمالي يقل الارتفاع إلى أن يصل إلى حوالي ٣٫٠٠٠ قدم في منطقة المدينة المنورة ، ثم يستمر على هذا المنوال حتى المنطقة الشمالية من المملكة . وفي الاتجاه شرقاً يقل الارتفاع تدريجياً إلى أن يصل إلى المنطقة الوسطى حيث هضبة نجد التي تتراوح في ارتفاعاتها بين ٤ إلى ٦ آلاف قدم ، ثم تنخفض إلى ألفي قدم شرقاً حتى تنتهي إلى صحراء الدهناء ، إلى أن تصل للمنطقة الشرقية ، وهي في جملتها عبارة عن أراضٍ رملية ممتدة على الخليج .

ويرتبط توزيع العمران الريفي بخطوط الكنتور حسب الظروف الجغرافية المحلية لكل منطقة ، فقد تتوزع القرى في السهول وقد تتركز في المناطق المرتفعة ، يتحكم في ذلك مورد الماء وتوافر التربة الخصبة .

ففي منطقة المرتفعات الغربية يرتبط توزيع القرى بالسهل الساحلي والحافة والسلسلة ففي السهل الساحلي تتوزع القرى لكنها تزداد كثافة وحجماً بالاتجاه جنوباً .

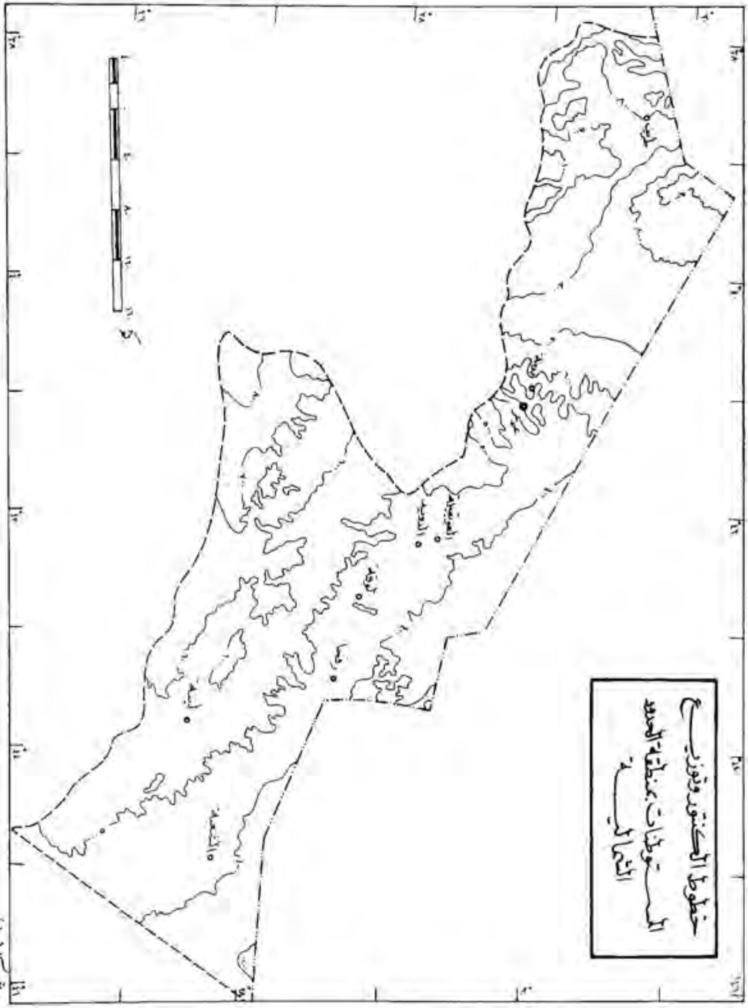
كما تظهر القرى فوق السلسلة الجبلية متخذةً ذات النمط من حيث التجمع والحجم والكثافة ، وهي في ذلك ترتبط بالوديان وجوانبها وسهولها .

وفي مرتفعات الطائف تتجمع القرى حيث تقوم الزراعة على المدرجات الجبلية وفي الوديان ، أما في المنطقة الوسطى في هضبة نجد فتتركز القرى حيث تتوزع موارد الماء من أمطار أو مياه سطحية وعيون ، كما ترتبط بالوديان ذات التربة الرسوبية التي تكونت بها وشكلت مايشبه السهول في مناطق الخرج والأفلاج وضرمى والزلفي وشقراء وبريدة وعنيزة .

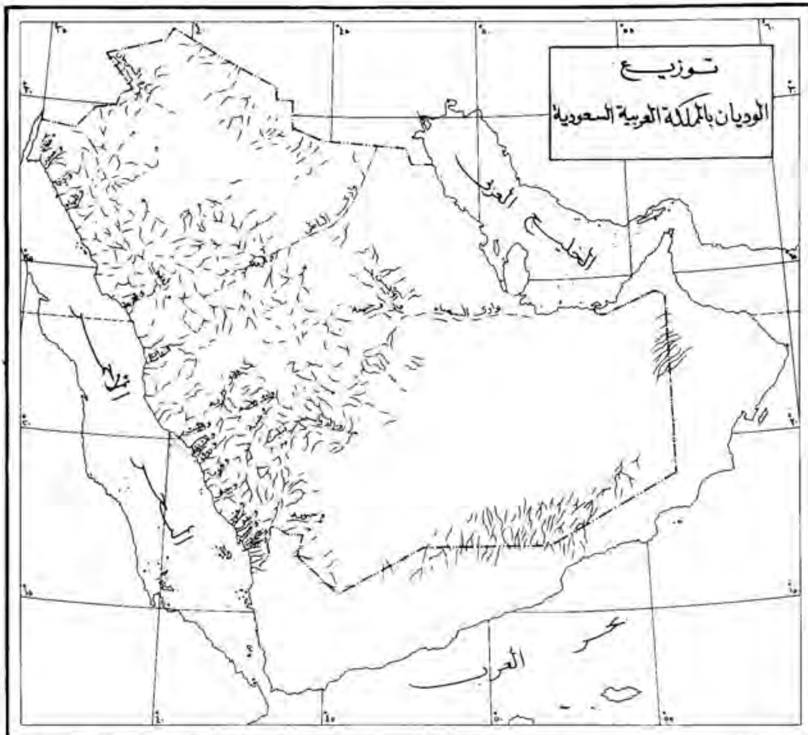
وفي المنطقة الشرقية ترتبط القرى بالواحات حيث الإمكانات المائية التي من أهمها تكوين الدَّمَّام . أما المنطقة الشمالية من المملكة فيرتبط توزيع القرى فيها بموارد المياه في الواحات التي تعتبر من أهم بقع الجذب الاقتصادي في المنطقة التي تتسم بوعورتها . وتتوزع القرى على جوانب الوديان وفي أحواضها . ويوضح الشكل رقم (٩) منطقة جيزان بخريطة كنتورية موزعاً عليها بعض القرى ، ونجد من الخريطة أن بعضها مرتبط بخطوط الكنتور المرتفعة ، وأغلبها يلتزم المناطق السهلية . كما يوضح الشكل رقم (١٠) منطقة الحدود الشمالية بخطوطها الكنتورية ، ويتبين من الخريطة تبعثر العمران وانتشاره .

ثالثاً : الزراعة

القرية هي المحلة التي يعمل أهلها بزراعة الأرض أو فلاحة البساتين ، وقد يأوي إليها الذين يجمعون بين الرعي والزراعة . وهي تختلف عن المدينة في أن الصناعة والتجارة فيها لايلعبان إلا دوراً



شكل (١٠)



شكل (١١) عن حسين بن فهد - أطلس المملكة ص ٢٢

ثانوياً في حياة سكانها[١٤] . وتعرف القرية أيضاً بأنها عبارة عن كل مايقام في الريف من مبانٍ في تكتل متميز بهدف إيواء السكان . وليساعد مساعدة مباشرة في أداء الوظيفة الرئيسية للإقليم (الزراعة ، تربية الحيوان ، الصيد) يستوي في ذلك التجمع السكني الكبير أو المساكن المنفردة ، فتوافر عنصر الإيواء والسكن في المبنى أساس في اعتباره مستوطنة أو جزءاً من مستوطنة ريفية[١٥] .

(١٤) عبد الفتاح محمد وهيبة ، **جغرافية العمران** ، الاسكندرية (منشأة المعارف : ١٩٧٥م) ص ١٤ .

(١٥) صلاح عبد الجابر عيسى ، **الأنماط الجغرافية للمستوطنات الريفية بمنخفض الفيوم** ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة كلية الآداب قسم الجغرافيا ، ١٩٨٠م ص ١٠٣ .

ومن هنا فإن القرية توجد حيث تتوافر الأرض الزراعية المنتجة . ويرتبط توزيع القرى في المملكة بتوزيع الأراضي الزراعية ، وليس أصدق من الخريطة مكاناً يوضح هذا التوافق (شكل ١) ، (شكل ١٢) . كما يوضح الجدول رقم (٨) نسبة المساحة الزراعية في كل منطقة إدارية إلى جملة المساحة .

ومنه يتضح أن أعلى نسب للأراضي الزراعية توجد في القصيم ، مكة المكرمة ، الرياض ، عسير ، جيزان ، والباحة . وهي المناطق التي ترتفع فيها نسبة سكان الريف (جدول رقم ٣) .

ولاتوجد أراضٍ زراعية متصلة كبيرة المساحة إلا في بعض مناطق الواحات الزراعية خاصة في المنطقتين الشرقية والوسطى ، بالإضافة إلى النطاق الساحلي وبعض الجهات المرتفعة في إقليم عسير بالغرب .

وعموماً تتخذ الأراضي الزراعية ثلاثة أشكال رئيسية[١٦] :

- المدرجات الجبلية في مرتفعات الحجاز وعسير .
- أراضي الواحات .
- الأودية الصحراوية خاصة على الجوانب .

وتعتبر واحة القطيف من أقدم الأجزاء المزروعة في المنطقة الشرقية ، إن لم تكن في شبه الجزيرة . ويوضح الشكل (١١) أهم الوديان بالمملكة . كما يوضح الشكل (١٢) توزيع الأراضي الزراعية .

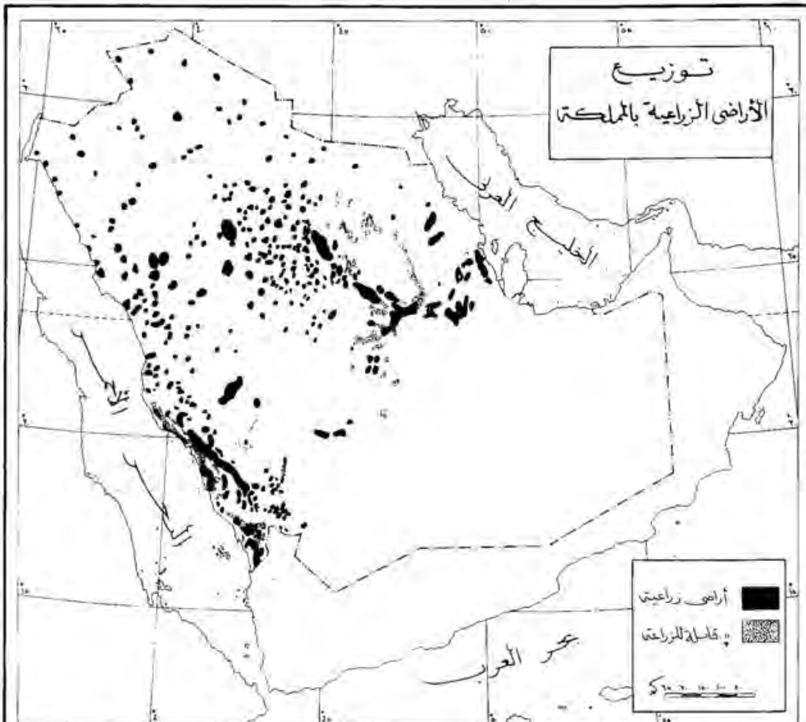
حيث تمتد المصاطب ذات التربات الخصبة وفي الإقليم الغربي ، فرغم أن السلاسل الجبلية الانكسارية تمثل أبرز ظاهرات الإقليم التضاريسية إلا أن شبكة الأودية المنحدرة من خط تقسيم المياه في عسير

جدول رقم (٨) نسبة المساحة الزراعية في كل منطقة إدارية[١٧] إلى جملة المساحة

المنطقة	٪	المنطقة	٪
الباحة	٤٫٩	الجوف	٠٫٣٣
جيزان	١٢٫٢	مكة المكرمة	٢٠٫٣
عسير	١٢٫٣	نجران	٢٫٠
القصيم	٢٥٫٦	الرياض	١٥٫٠
حائل	٣٫٥	تبوك	٠٫٤
القريات	٠٫٠٧	المدينة المنورة	٢٫٢
المنطقة الشرقية	٢٫٩	الحدود الشمالية	٠٫٠

(١٦) محمد خميس الزوكة ، **مرجع سابق** ، ص ٧٠ .

(١٧) ناصر عبد الله الصالح ، **مرجع سابق** ، ص ٥٣ .



شكل (١٢) عن حسين حمزة بندقجي - أطلس المملكة ص ٢٤

أكثر عدداً واتساعاً منها في سلسلة الحجاز . فضلا عن أن قطاع أوديتها العرضي والطولي أكبر كثيراً أيضاً ، وهي تتدفق بالمياه السطحية في موسم المطر بدرجة أعلى . كما أن منطقة الطائف تعد أهم مناطق تجمعات منطقة مكة ، وتعدّ مدينة الطائف عاصمة إقليم راسخ الزراعة من قديم ، وينتشر حول الطائف مجموعة كبيرة من القرى الكبيرة المتضاربة ، وتقدر عدد قرى الطائف بنحو ٩٢٣ قرية . ويختلف نمط توزع القرى في جيزان عنه في عسير . فقرى جيزان معظمها كبيرة الحجم متجاورة متصلة فيما بينها عبر الطرق الزراعية .

التربــة

ومادامت الزراعة نتاج تفاعل الإنسان والمناخ والتربة ، فحيث توجد التربة ذات الجدارة الإنتاجية العالية ، وحيث تتوافر المياه والإنسان القادر على الزراعة . والعارف بتقنيتها ، تقوم الزراعة . ومن ثم فإن التربة تعتبر المحدّد أو الضابط الثالث من ضوابط توزيع القرى .

ومن محددات التوزيع الجغرافي للقرى في المملكة أيضاً بالإضافة إلى البعد المكاني هناك البعد الزماني ، فقد كانت معظم القرى في الماضي تختار مواضع لها في أعالي الجبال رغبة في الحماية والأمان ، أما بعد انتشار الأمن والأمان والاستقرار في كل مظاهر الحياة فلم يعدّ هذا العامل ذا أثر فعال على الأقل بالنسبة للقرى الحديثة . وبصفة عامة تتخذ القرى مواضع لها على جوانب الوديان بعيداً عن مجرى السيول .

ومن أهم العوامل البشرية التي لها أثر في توزيع العمران :

شبكة الطرق

يزيد الطول الإجمالي لشبكة الطرق البرية في المملكة عن خمسة وعشرين ألف كيلومتر من الطرق المعبدة ومثلها من الطرق الزراعية[١٨] ، ويرتبط بهذه الشبكة معظم المستوطنات البشرية . وللطرق قوة جذب للمستوطنات البشرية ، وغالباً فإن ظهور الطرق يتبع العمران . كما قد ترتبط درجة جودة الطريق وإعداده بقدر مايخدمه ومايقع عليه من مستوطنات . وإذا كان الطريق تالياً للعمران فإنه كثيراً مايؤثر في شكل المستوطنة البشرية أو زحزحتها عن موضعها القديم لتكون قرب الطريق .

وتوضح الخريطة شكل (١٣) كثافة الطرق في المملكة ، ويلاحظ أن الطرق تتكاثف حيث يتكاثف العمران ، فالعمران والطريق يتوافقان .

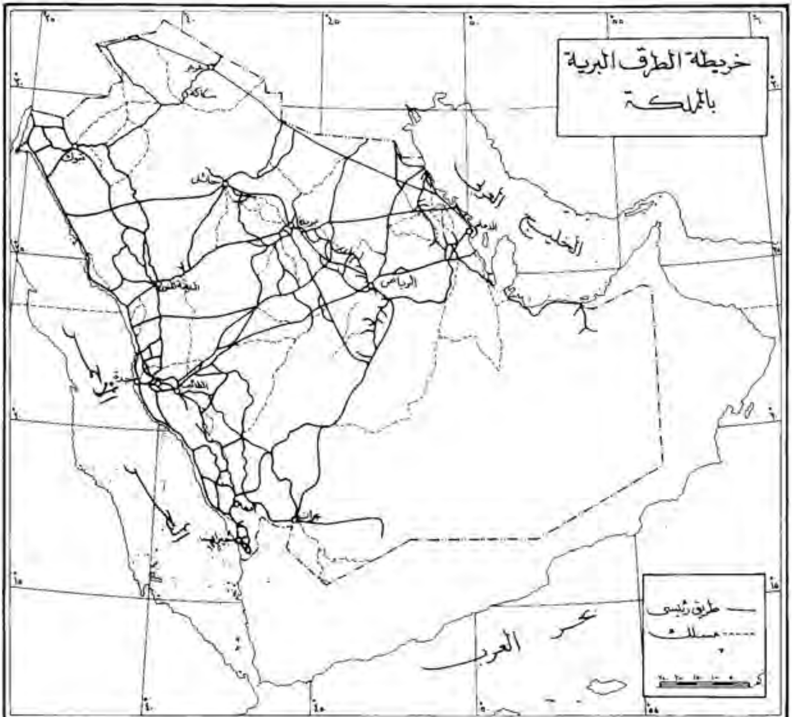
خاتمــة

وهكذا تتحدد ضوابط التوزيع الجغرافي للريف السعودي في ضوابط طبيعية وأخرى بشرية . هذه الضوابط أعطت الصورة التوزيعية العامة الحالية التي عليها الريف السعودي ، ومنها تبين وجود محاور رئيسية تتركز فيها القرية . المحور الغربي في منطقة الحجاز والمحور الشرقي في منطقة الواحات الشرقية ، ثم المحور الأوسط في هضبة نجد .

وقد تبين من الدراسة أن أهم الضوابط هو وجود المياه . وتلك بداية لمحاولة تحديد الأنماط الجغرافية للقرى في المملكة العربية السعودية ، وبالتالي تقودنا إلى أنماط تخطيطية للمستوطنات

---

(١٨) وزارة المواصلات ، المملكة العربية السعودية ، **النقل البري والبحري** الرياض ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٦ .



شكل (١٢)

الريفية . وهذا التنميط عملية لازمة عند النظر في تنمية القرية على أسس علمية ، ذلك أن تصنيف المستوطنات إلى أنماط ييسر مهمة التخطيط للتنمية ، والتخطيط العلمي السليم لابد أن يستمد كثيراً من أسسه من دراسة الظروف الطبيعية والبشرية للإقليم ، أي إقليم ، ولابد أن تنبع الخطط الإقليمية من طبيعة الأرض وطبيعة المجتمع .

المراجع

أولا المراجع العربية

بندقجي ، حسين حمزة ، **جغرافيا المملكة العربية السعودية** ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٧م

جامعة الرياض ، قسم الجغرافيا ، كلية الآداب ، **أطلس السكان للمملكة العربية السعودية** ، الرياض ، ١٩٨١م .

الخطيب ، عبد الباسط سيد ، **سبع سنابل خضر ، التنمية المائية والزراعية** ، ط ٢ ، الرياض ، وزارة الزراعة والمياه ، ١٩٨٠م

رجب ، عمر الفاروق سيد ، التحضر في المملكة العربية السعودية ، في كتاب : **التحضر في الوطن العربي** ، جـ ١ ، القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٨م .

الرويث ، محمد أحمد ، الموارد المائية في منطقة الساحل السعودي الغربي ، **مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ، العدد السابع ، ١٩٨٣م .

الزوكة ، محمد خميس ، الملامح الرئيسية للزراعة في المملكة العربية السعودية ، **مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ، العدد الثالث ، الرياض ، ١٩٧٩م .

سطيحة ، محمد محمد ، **خرائط التوزيعات الجغرافية : دراسة في طرق التمثيل الكرتوجرافي** ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٧م .

الصالح ، ناصر عبد الله ، أحوال السكان بالمملكة العربية السعودية ، **مجلة كلية التربية ، جامعة أم القرى** ، مكة المكرمة ، رجب ، ١٤٠٢هـ .

عيسى ، صلاح عبد الجابر ، **الأنماط الجغرافية للمستوطنات الريفية بمنخفض الفيوم** ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، قسم الجغرافيا ، ١٩٨٠م (غير منشور) .

وزارة التخطيط ، المملكة العربية السعودية ، **خطة التنمية الثالثة** ، الرياض ، ١٩٨٠ – ١٩٨٥م .

وزارة الشؤون القروية ، المملكة العربية السعودية ، **لائحة تنمية وتطوير قرى المملكة ولوائحها الداخلية** ، الرياض ، ١٤٠٣هـ .

وزارة المواصلات ، المملكة العربية السعودية ، **النقل البري والبحري** ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .

وهيبة ، عبد الفتاح محمد ، **جغرافية العمران** ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٥م .

المراجع الأجنبية

Hammond, R. and Ullagh, Mcc, *Quantitative Techniques in Geography – An Introduction*, New York, 1978.

Hudson, J.A., *A Geography of Settlement*, London, 1970.

The Factors Affecting the Distribution of Rural Settlements in Saudi Arabia

Mokhtar Ali Al-Shahawy
Assistant Professor, Department of Geography,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT

One of the most important sections of human geography is the study of the distribution and arrangement of settlements.

The settlements are divided into two great classes: Urban and Rural. This paper discusses the geographic distribution of rural settlements in Saudi Arabia, and the principal factors which influence this. Here we attempt to know the areas where they are and where they are not.

The areas where the village concentrated and the others where it dispersed.

There are many factors influenced this distribution. Some of them are physical (*e.g.* climate, relief, soils, and water resources), the others are human (*e.g.* the roads, the economic activities and the system of farming).

In addition there are historical factors such as the early need for defence.

At last we want to say that the study of rural settlement is the first step to the regional planning.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١ ، ص ص ١٢١ - ١٤٦ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

دور المسلمين في إنهاك الاقتصاد الإسباني في القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر

عبد الرحمن عبد الله الشيخ[*]

مستخلص البحث

يتناول هذا البحث أفكاراً جديدة ، تُصحح أخرى قديمة وخاطئة عن موقف الإسبان من المسلمين عقب سقوط غرناطة وطوال القرن السادس عشر ، وحتى أُخرجوا من ديارهم نهائياً في مطلع القرن السابع عشر .

وتُثبت هذه الدراسة من خلال وثائق منشورة لم يُراجعها عدد كاف من الباحثين المسلمين أن عامة الناس ، وأصحاب الأراضي والمصانع خاصة ، لم يؤيِّدوا إخراج المسلمين ، لما في ذلك من أضرار اقتصادية ستُحيق بالبلاد ، وهذا ما أثبته التاريخ بعد ذلك .

كما تتناول هذه الدراسة أثر حركة جهاد البحر التي قام بها سكان شمال إفريقيا والدولة العثمانية في إجهاض الاقتصاد الإسباني ، وأثر ذلك في توجه أهل جِنَوَة الماهرين في التجارة والاقتصاد نحو إسبانيا يستنزفونها بالقروض الربوية وغيرها ، مما جعل إسبانيا في هذه الفترة ، لا كما تصوّرها المراجع ، أمبراطورية كبرى ، وهي بالحقيقة ، كيانٌ هشّ . ولم يكن من الممكن التوصل إلى هذه النتائج الجديدة دون الاهتمام بالجانب الاقتصادي للتاريخ ، ذلك الفرع الهام الذي لم يلق الاهتمام الكافي .

مقدمـة

لم يكن إخراج المسلمين من الأندلس عَقِب سقوط غرناطة مَطْلباً شعبياً . وتلك حقيقة أثبتتها الدراسات الوثائقية[١] وإنما كان بالدرجة الأولى والأخيرة مطلباً كَنَسِيًّا عارضه العامة من الناس ،

(*) أستاذ مشارك التاريخ الحديث ، قسم التاريخ ، كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض ، المملكة العربية السعودية .

(١) يذكر المؤرخ لي Lea أن طَرْد المسلمين من الأندلس لم يكن لتعصّبهم ولا لامتصاصهم دماء الناس كما فعل اليهود ، وإنما كان نتيجة خطة -

— منظمة لبث الأحقاد كانت تقودها كنيسة روما التي كانت تحرّم وتجرّم أي صداقات مع المسلمين ، وكانت الكنيسة تخطط بالنظام لإبقاء العناصر متباعدة لايختلط بعضها بالبعض الآخر ، وفي القرن الثالث عشر تدخلت الكنيسة حتى في المعاملات التجارية فلم تُجز الاتجار مع المسلمين إلا بتصريح مسبّق ، وهذا القرار أصدره انوسنت الرابع ، إلا أن الناس كانوا يتعاملون مع المسلمين سراً مخالفين تعاليم الكنيسة ، بل إن الحكام المحليين كانوا يفعلون ذلك . وفي مؤتمر عقد في فينا ١٣١٢ تواصى المؤتمرون بمنع المسلمين في أوربا من أداء صلواتهم وطردهم ولكن الأمراء تجاهلوا ذلك . وبعد ذلك بقرن تقريبا أي في ١٤٢٩ اتحمس مجمع تورتوسا Tortosa من ملك أراجون ومن كل البلاء ملاحظة التشريع السالف (١٣١٢) الا أن الأمراء لم يحركوا ساكنا ، ولم يبدأ تطبيق إذلال المسلمين بشكل صارخ إلا على أيدي فرديناند وإيزابيلا ١٤٨٢ . ومن الملاحظ أن الكراهية على المستوى الشعبي كانت موجهة أساسا لليهود ، لهذا كانوا هم أول من خرج بعد سقوط غرناطة مباشرة . ومع كل هذه التشريعات فإن طرد المسلمين لم يتقرر نهائياً إلا في القرن السابع عشر .

راجع تفاصيل ذلك في :

Henry Charles Lea, *The Moriscos of Spain: Their Conversion and Expulsion*. (Philadelphia: Lea Brothers, 1901), pp. 8 – 14.

وقد نشر Lea عدداً كبيراً من الوثائق الإسبانية ، وعرض محتواها بالانجليزية ، وفيما يلي بعضها :

- *Archivo de Simancas, Inquisicion, Libro 1.*
- *Archivo de Simancas, Inquisicion, Legajo Unico,* **Fol 4.**

وقد نشر Lea النص الإسباني كاملاً وأعطاه عنواناً إنجليزياً هو :

Permission for the Moors of Portugal to pass through or settle in Castile.

وقدم مُستخلصاً لمحتويات الوثيقة بالإنجليزية في ص ٢٣ من كتابه .

- *Archivo de Simancas, Patronato Real, Inquisicion, Legajo Unico,* **Fol. 26.**

نشر لي النص الإسباني للوثيقة كاملاً ، وعنوانها باللغة الإنجليزية كالتالي :

General Pardon of the new converts

وعرض بعض محتواها بالإنجليزية في ص ٣٧ من كتابه .

- *Archivo de Simancas, Inquisicion, Libro 926, Fol. 76.*

نشر لي النص الإسباني كاملاً ، وأعطاها عنوانا إنجليزياً هو :

Ferdinand, S Reproof to Inquisitors

وقدم مقتطفات مترجمة للإنجليزية منها في ص ٥٩ من كتابه .

- *Archivo de Simancas, Inquisicion, Libro 4,* **Fol. 97.**

نشر لي النص الإسباني كاملا ، ثم عنونه بالإنجليزية كالتالي :

Letter of Cardinal Manrique to Charles V concerning the coerced converts of Valencia.

وعرض محتوى الوثيقة في ص ٧٤ من كتابه .

- *Informacio Super Conversione Saracenorum.*

أعطى لي هذه الوثيقة عنواناً هو :

Commission from the Inquisitor General.

وذكر أن أصل الوثيقة في حوزته الشخصية ، ونشر نصها الإسباني كاملاً في ص ص ٤١١ – ١٢ من كتابه ، وعرض لبعض محتوياتها بالانجليزية في ص ٧٥ من كتابه .

- *Archivo do Simancas, Patroncite Real, Inquisicion, Ligajo unico,* **Fol. 38,39.**

وقد نشر لي الوثيقة كاملة بنصها الأسباني ، وجعل عنوانها بالإنجليزية كالتالي :

Complaints of the cortes of the kingdoms of Aragon in 1537, concerning the treatment of the Moriscos, with replies of the Inquisitor General.

وقدم عرضاً لبعض محتوياتها في صفحتي ٩٨ و١٢٢ من كتابه .

- *Archivo de Simancas, Inquisicion, Libra 4,* **Fol 262.** —

وقد نشرها لي كاملة وأعطاها عنواناً إنجليزيا هو :

Delegation by Inquisitor General Valdes of power to Hear confossians.

وقدم عرضاً لبعض محتوياتها في ص ١٢٠ من كتابه .

• *Archivo de Simancas, Inquisicion, Libro, 77,* **Fol, 228.**

نشرها لي كاملة بالإسبانية وجعل لها عنواناً إنجليزيا هو :

Cardinal Manrique's instruction to Calcina and Haro.

وعرض بعض الافكار الواردة بها في ص ١٤٢ وص ١٨٥ في كتابه .

• *Archivo de Simancas, Inquisicion, Libro 926,* **Fol 71.**

وعنوانها بالإنجليزية هو :

Brief of Clement v11, Februery 28, 1579

وعرض لي بعض أفكارها في كتابه السالف الذكر ص ١٧٠ .

• *Archivo Historico Nacional, Inquisicion de Valencia, Legajo 5,* **Fol 298.**

وذكر لها لي عنوانها إنجليزيا بعد أن نشرها بالإسبانية :

Report of Inquisition of Valencia on result of the edict of Grace of 1599.

وذكر مضمونها في ص ١٧٣ من كتابه .

• *Archivo de Simancas, I nquisicion, Libro 926,* **Fol 80.**

نشرها كاملة وعنونها بالإنجليزية كالتالي :

Report of inquisiton on the Moriscos of Granada, 1526 – 1561.

وعرض بعض أفكارها في ص ٢١٥ من كتابه

• *Moorish Ballad of 1568. Prior tothe rebellion of Granada.*

قدم لي الترجمة الانجليزية الكاملة لها في ص ص ٤٣٤ – ٤٣٧ .

• *Archivo Historico Nacional, Inquisicion de Valencia, Cartas del Consejo Legajo 5, No. 1,* **Fol 254.**

وبعد نشرها بالإسبانية ، قدم لي لها عنواناً إنجليزية هو :

Letter of Inquisitor General, Quirogo suggesting the Expultion of the Moriscos.

وعرض لبعض محتواها في ص ٤٣٨ من كتابه

• *Archivo de Simancas, Inquisicion, Sala 51, Legajo, 205,* **Fol 2.**

وقد عنونها لي بالعنوان الإنجليزي التالي بعد نشرها بالإسبانية

Brief relation of the expultion from Valencia.

وعرض لمحتواها في ص . ٣٢٠ من كتابه سالف الذكر .

ومن المراجع الوثائقية الهامة بالنسبة لهذا البحث :

Henry Kamen, *Spain in the Later 17th Century, 1665 – 1700.* (London: Longman, 1980).

وهو كتاب هام ووثائقي ، إذ اعتمد المؤلف على كل الأرشيفات (دور الوثائق) الإسبانية ، وعدد من دور الوثائق الانجليزية والفرنسية ، وأشار إلى وثائقه بوضوح ودقة وقدم مقتطفات كافية منها ، ورغم انه يركز على نهاية القرن السابع عشر الا أنه في حالات كثيرة كان يُحذر الاحداث بالرجوع إلى حقب أسبق ، لذا كان مفيداً لهذا البحث ، وفيما يلي ثبت بأهم دور الوثائق التي رجع إليها :

• *Archivo dela Corona de Aragon*
• *Archivo de la Diphtacion, Zaragoza.*
• *Archivo General de las Indias, Savilla.*

وعارضه حكام الولايات ، وعارضه بشدة أصحاب الأراضي من الإسبان[٢] . فقد كان عداء الإسبان لغير المسيحيين مُنْصباً بالدرجة الأولى على اليهود ، لأسباب دينية[٣] وعِرْقية[٤] واقتصادية[٥] . والذين أجبروا على الخروج من الأندلس في أعقاب سقوط غرناطة هم اليهود وليس المسلمين الذين تُرِكَ لهم في البداية حرية الاختيار بين الإقامة والرحيل[٦] ثم مالبث الكنسيون أن فرضوا رأيهم فأصبح الاختيار محصوراً بين الرحيل وقبول التعميد[٧] .

وفي مطلع القرن السابع عشر لم يَعُد ثمة خيار ، فأجبروا جميعاً على الرحيل[٨] .

وتُثبت هذه الدراسة بالوثائق وبالرجوع لمراجع كتبها إسبان مؤرخون[٩] واقتصاديون[١٠] أن

- *Archivo General de protocolos, Barcelona,*
- *Archivo General historico Nacional, Madrid.*
- *Archivo Municipal de Murcia*
- *Archivo Municipal de Sevilla*
- *Archivo Municipal de Valencia*

ومن أرشيفات باريس :

- *Menestere des affaires etrangeres* Paris, (Section correspondance politique)
- *Archives Nationales,* Paris
- *Depot General de la Guerre*

وفي بريطانيا :

- National library of Scottland *(Astorga collection)*
- *Public Record Office.*

(٢) H.C. Lea, *op.cit.*, pp. 8 – 11.

(٣) *Ibid.*, p.11

(٤) رغم أن عدداً كبيراً جداً من اليهود أعلنوا قبولهم للمسيحية وأصبح اسمهم المسيحيين الجدد ، إلا أن الكراهية ضدهم ازدادت ازدياداً كبيراً بسبب اشتغالهم بالربا وامتصاصهم دماء الشعب الإسباني *Ibid.*, pp. 12 – 14 .

(٥) *Ibid.*, pp, 12 – 14 .

(٦) وقد نشر باحث عربي الترجمة الكاملة لمعاهدة تسليم غرناطة وملحقاتها عن القشتالية مباشرة . ويلاحظ أن هذه المعاهدة لم تنفذ مما يدل على أن الباحث يجب عليه التحرر في اعتماد الوثائق كمصدر وحيد للتاريخ ، فقد لاقى الذين أقاموا عنتاً شديداً .

- محمد عبده ، حتاملة **التنصير القسري لمسلمي الأندلس** ، (عمان ، ١٩٨٠) ص ص ١٩٠ – ٥٩ .
- محمد عبده حتاملة **محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة** (عمان ، ١٩٧٧) .

(٧) H.C. Lea, *op. cit.*, p. 25.

(٨) كان بعض هؤلاء تنقلهم سفن مجاهدي البحر (أو القراصنة كما تسميهم المراجع الغربية) وقد كان القرار بالطرد رغم اعتناقهم المسيحية أو تظاهرهم بذلك . وقد صدر القرار النهائي في ٢٢ أيلول (سبتمبر) سنة ١٦٠٩ . انظر أهم محتويات القرار في : محمد عبد الله عنان ، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين** ، (القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٨) . ص ص ٣٧٩ – ٣٨٠ ، ٣٨٢ . وحتى بعد صدور قرار الطرد النهائي نص قرار لاحق على استبقاء ٦٪ من المسلمين الإسبان ليعملوا في معامل تكرير السكر وتنظيم الري وصيانة المباني وتدريب السكان الجدد . ولكن قرار المسلمين في وقت لاحق هو أن ينصحوا إخوانهم الذين يريد المسيحيون استبقاءهم (الـ ٦٪) بالرحيل أيضا .

(٩) لقد تخصص لي Lea في التاريخ الإسباني في هذه الفترة وفي فترات أخرى ، وكانت محاكم التفتيش والتاريخ الديني لإسبانيا ، وتاريخ الكنيسة خاصة ، هي محور دراساته الهامة . وهي دعوة للاهتمام بهذا الكاتب ومن دراساته :

خروج وإخراج المسلمين الإسبان Los Moriscos كان نكبة أضرَّت بالاقتصاد الإسباني ، كانت واضحة جلية طوال القرن السادس عشر والسابع عشر ، واستمرت ذيولها بشكل صارخ في القرن الثامن عشر أيضاً(١١) . فليس صحيحاً ماذكره بعض الباحثين من أن سقوط غرناطة كان «فاتحة عصر إسبانيا الذهبي»(١٢) .

ولم يكن مسلمو الأندلس بمعزل عن التيارات الإسلامية في الخارج ، وهم يواجهون محنتهم تلك – والتي ثبت بعد ذلك بما لايدع مجالاً للشك أنها أيضاً كانت وبالدرجة الأولى محنة للإسبان ، وإنما كانت الأيدي تمتد إليهم من مسلمي شمال إفريقيا . وتشير المصادر إلى أن جهاد البحر أو ماتسميه المراجع الأوربية باسم «القرصنة في البحر المتوسط» ، كان يشكل نزيفاً حاداً للاقتصاد الإسباني ، وأن الشواطيء الإسبانية كانت في حالة تهديد دائم . ومما يدعو للسخرية أن معظم الأساطيل الإسبانية التي كانت تخوض الحرب في البحر المتوسط وعلى سواحله الجنوبية كانت مستأجرة وليست ملكاً للتاج الإسباني(١٣) ، مما استنزف سَيْل المعادن النفيسة التي كانت تَرِد لإسبانيا من العالم الجديد(١٤) . كما أن عدم تفرغ الحكومة الإسبانية للأمور الداخلية نتيجة هذا

– • *Ahistory of the Inquisition of the Middle Ages.* **3 vols.**

• *Chapters from the religious History of Spain Connected with the Inquisition.*

• *Studies in the Church History.*

(١٠) H. Kamen, *op. cit.*

ومن المقالات الهامة التي رجعت إليها ماكتبه الباحث الاختصاصي في التاريخ الاقتصادي :

Carla Rahn Phillips, The Spanish wool trade, 1500 – 1780. *The Journal of Economic History,* 1982. iv.

والمقال وثائقي ، وهو عرض من خلال الأوراق الحكومية وكشوف الحسابات المتعلقة بتجارة الصوف في الفترة موضوع الدراسة في :

Archivo General de Simancas.

وغالب إشاراته المرجعية إلى وثائق الأرشيف المذكور .

(١١) *Archivo de Simancas, Inquisition, Libro 926,* **Fol 76.**

وأهم الأفكار الواردة في الوثيقة أن التحول للمسيحية لايتم بالقوة وإنما بالقناعة ، لهذا فإن الذين تركوا دورهم خوفاً من التعميد يجب إعادتهم مع الأمان الكامل .

راجع العنوان الإنجليزي المترجم لهذه الوثيقة في : حاشية رقم (١) .

وهذا يدل على تردد السلطات الإسبانية وإدراكها للأهمية الاقتصادية للمسلمين الإسبان ، مع عدم إغفال الرغبة في إجبارهم على التحول للمسيحية بدليل ما جاء في وثيقة أخرى صادرة من فرديناند سنة ٢٦،١٥٠٠ شباط (فبراير) بالعفو عن كل الجرائم التي ارتكبها من قبلوا التعميد .

انظر حاشية رقم (١) عن :

Archivo Simancas, Patronoto Real, Inquisicion, Legajo unico, **Fol, 26**

(١٢) محمد عبد الله عنان ، **الآثار الأندلسية الباقية** (القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٦١) ، ص ١٦٠

(١٣) انظر هذا البحث ص ١٦ .

(١٤) انظر هذا البحث ص ص ١٥ – ١٧ .

الصراع أتاح لأهل جنوه الاستئثار بالأمور المالية داخل إسبانيا ، وجعلهم يحصلون على أرباح مهولة نتيجة تأجيرهم السفن وإقراضهم الحكومة الإسبانية نظير أرباح مجزية[١٥] . مما أضاع على إسبانية جُلّ أموالها .

أما الصراع الإسباني مع الدولة العثمانية وسيطرة هذه الأخيرة على تجارة الشرق ، فقد أدى إلى خنق اقتصاد البندقية[١٦] ، ولكنه أدى في نفس الوقت إلى توجيه أهل جنوه توجُّهاً غربياً نحو إسبانيا بما لديهم ، أي أهل جنوه ، من خبرات مالية وتجارية لاتحد ، فأتاح لهم ذلك استنزاف الشعب الإسباني[١٧] ، ذلك الاستنزاف الممثل حتى يومنا هذا في حساسية أهل إسبانيا ضد الجنويين[١٨] .

كما أن الدولة العثمانية كانت شريكاً فعالا ، بل قائداً لحروب الجهاد البحري في المتوسط[١٩] رغم هزيمتها في معركة ليبانتو سنة ١٥٧١م[٢٠] .

لقد تضافرت عناصر إسلامية ثلاثة في الجهاد ضد الإسبان هي : المسلمون الإسبان ، وسكان شمال إفريقيا ، والعثمانيون . ورغم أنه من الصعب الفصل بين دور كل عنصر عن العناصر الأخرى ، إلا أن هذا ضروري لأغراض هذه الدراسة . ورغم أنه من الصعب أيضاً أن نفصل بين الآثار الاقتصادية لجهاد المسلمين ضد الإسبان ، والآثار الاجتماعية والسياسية ، إلا أننا حاولنا ذلك قدر الإمكان ، اللهم إلا إذا كان التأثير الاقتصادي ملتصقاً لافكاك منه بالتأثيرات السياسية والاجتماعية . ومن خلال دراسة هذه التأثيرات الاقتصادية اتضح أن إسبانيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، لم تكن دولة عظمى كما تظهرها مراجع التاريخ العام ، وإنما كانت عملاقاً من ورق ، إن صح هذا التعبير . وبسبب هذا الصراع الإسلامي الإسباني لم يتم توحيد إسبانيا إلا من الناحية الشكلية[٢١] . وظل الصراع بين ممالك إسبانيا قبل التوحيد مستمراً بعد التوحيد الذي اتخذ طابعاً شكلياً[٢٢] لدرجة أن بعض المراجع تذكر أن تنحى شارل الخامس عن العرش وتقسيم أمبراطوريته بين ابنه وأخيه كان بسبب الصراع مع المسلمين[٢٣] . وفي ظل هذه المعلومات غير الشائعة ، وفي ظل

---

(١٥) انظر هذا البحث ص ص ١٥ – ١٧ .

(١٦) Paul, Coles. *The Ottoman Impact on Europe.* (London, 1968)

(١٧) انظر هذا البحث ص ص ١٥ – ١٧ .

(١٨) انظر هذا البحث ص ص ١٥ – ١٧ .

(١٩) لجأ كثير من المسلمين الإسبان الخارجين اختياراً أو إجباراً إلى شمال إفريقيا وإلى العاصمة العثمانية ، وكانوا عناصر فعالة في حركة جهاد البحر المتوسط .

(٢٠) راجع تعليق السلطان على هزيمته في ليبانتو في ص ١٤ من هذا البحث .

(٢١) P. Coles, *op. cit.*, p. 130

(٢٢) *Ibid.*, pp. 129 – 130

(٢٣) يرى كولز أن سليمان القانوني (الفاخر) أسهم عن غير قصد في إيجاد أمبراطورية النمسا ، أو ملك الهبسبرج الذي استمر حتى القرن

ماقدمته لنا الوثائق والمصادر غير المطروقة ، هل يمكن لنا القول أن إسبانيا خرجت من صراعها مع المسلمين في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، خروج المنتصر ؟؟ هذه الدراسة تثبت العكس ، وهي أيضاً مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إنْ يَمْسَسْكُم قَرْحٌ فَقَد مسَّ القومَ قَرْحٌ مِثْله ﴾(٢٤) وقوله تعالى : ﴿ إنْ تكونوا تَألَمون فإنَّهم يَألَمون كما تَألَمون ﴾(٢٥)

أثر المسلمين الإسبان

كان الحكام وأصحاب الأراضي ينظرون للمسلمين الإسبان كعناصر منتجة ، ويعتبرونهم مفيدين للغاية في زراعة الأرض وتحمل المصاعب الجسام حتى إن مثلاً إسبانياً شاع في هذه الفترة ترجمته العربية ، إن مزيداً من المسلمين الإسبان Los moriscos يعني مزيداً من الأرباح والمكاسب ، وترجمه الإنجليز قائلين : The more moors, the more profits أما نصه الإسباني فهو : Mientras mas moro, mas gananicias(٢٦) لذا بذل أصحاب الأراضي والأعمال ، بل حتى الطبقة الحاكمة كل مافي وسعهم للإبقاء على الوضع الراهن Status quo(٢٧) «فإن أي اضطرابات ستؤدي إلى خسارة» بل إن أصحاب الأراضي «كانوا أحياناً يقفون إلى جانب المسلمين العاملين لديهم والذين يعارضون التعميد ولا يرغبون في التحول للمسيحية»(٢٨) بل إن هذه الرغبة في عدم خروج أو إخراج المسلمين من ديارهم الإسبانية اتخذت شكلاً رسمياً «ففي سنة ١٤٩٥م نجد المجلس التشريعي ، البرلمان ، في Tortosa(٢٩) يلتمس من فرديناند عدم طرد المسلمين من كتالونيا»(٣٠) ولم

العشرين ، وذلك بدون قصد منه ، فقد وجد هذا الكيان أساساً - فيما يرى كولز لصد التقدم العثماني .

Ibid., p. 123

كما أن الخطر العثماني أو انشغال شارل الخامس في حروبه الكثيرة ومشاكله المتعاظمة والصراع الديني ، كل هذا أدى إلى تدعيم سلطة أخيه الأصغر ، فرديناند في النمسا ، وهذا أدى إلى توليه السلطة منفرداً بعد ذلك .

Ibid., p. 119

(٢٤) **القرآن الكريم** ، آل عمران ، ١٤٠ .

(٢٥) **القرآن الكريم** ، النساء ، ١٠٤ .

(٢٦) H.C. Lea, *op. cit.*, p. 56

(٢٧) *Ibid.*, pp. 56 – 66

(٢٨) كتب مانريك Manrique رئيس محكمة التفتيش ورئيس أساقفة إشبيلية شاكيا للأمبراطور في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٥٢٤ أن النبلاء يعارضون طرد المسلمين أو مضايقتهم لأن هذا يؤدي إلى خسائر مالية ، وهم بذلك يبغون آخرتهم بدنياهم . انظر :

Archivo de Simancas, Inquisicion, Libro 4, **Fol. 97**

وهي الوثيقة التي عرضها لي ٥٢٥† وعنوانها بالإنجليزية كالتالي :

Letter of Cardinal Manrique to Charles V concerning the coerected converts of Valencia.

انظر حاشية رقم (١) وانظر أيضا :

- محمد عبد الله عنان ، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين** (القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٨) ، ص ٣٣٦ .

(٢٩) H.C. Lea, *op.cit.*, p. 28

(٣٠) عانى أهل كاتالونيا و(قطلونية) من المسلمين ، اضطهادا شديدا مما دفعهم للقيام بثورة عارمة قمعت بقسوة . راجع تفاصيلها في : —

يكن تحذير أصحاب الأعمال والأراضي والحكام المحليين من إخراج المسلمين ومايجره من عواقب وخيمة على الاقتصاد الإسباني وليد القرن السادس عشر ، بل لقد كان تحذيراً قديماً حتى قبل سقوط غرناطة ، لكن السلطات الكنسية كانت هي وحدها التي تُلِح مهددة كل من يعترض بالطرد من رحمتها[٣١] . وعندما شبت ثورة المسلمين في بلنسية سنة ١٥٢٦ رفض أصحاب الأراضي في هذه المناطق أن يتعاونوا مع الحكومة في قمعهم ، الأمر الذي حدا بمدريد إلى إناطة مهمة قمعهم والقضاء عليهم إلى فرق من المشاة الألمان جلبوا خصيصاً لذلك ، مما أدى إلى كثير من المعاناة والتكاليف الباهظة[٣٢] . وتفسير ذلك يسير في الواقع ، فهو يدل على أن الإسبان لم يكونوا ينظرون للمسلمين كجماعات مستغلة مصاصة للدماء ، كما أن السكان المسلمين في كثير من المناطق خاصة في بلنسية وأراجون «كانوا يمثلون السكان الأساسيين المنخرطين في سلك العمالة الزراعية والصناعية ، حيث كانت المصانع وخصوبة التربة قد جعلتهم مصدراً نفيساً ، لا يقدر بثمن ، للارستقراطية المحلية التي كانت تستغلهم كعمال زراعيين . وفي هذه المناطق كانت سياسة الحكومة تمثل إحباطاً للنبلاء الذين كانوا مهتمين بحماية القوى العاملة التي اعتبروها شيئاً جديراً بالنضال من أجله»[٣٣] .

وقد عمد الكنسيون إلى تزييف الحقائق بعد خروج المسلمين Los moriscos خروجاً نهائياً في مطلع القرن السابع عشر ، وراحوا يتغنون بأفكارٍ أثبت التاريخ الاقتصادي خطأها ، لدرجة أن أحد الباحثين يذكر بالحرف الواحد أن «الكنسيين عملوا بحماس ليكونوا سبباً في حلول الكوارث والنكبات بإسبانيا»[٣٤] ومع هذا كانت أناشيدهم مرتفعة بالنصر المزعوم ، إذ أثبتت الأيام أن هذه الأناشيد كانت بمثابة نعيق بوم على طَلَلٍ خَرِب . فالكنسي فراي بليدا Fray Bleda يؤكد للملك كذباً أن خزائنه بعد أن خرج المسلمون ستمتلىء ، وديونه ستسدد ، والأرض سيتم حرثها ، وستنتعش الأرض الخراب «وتغدو خصبة غنية» وسيحل بإسبانيا عهد ذهبي تكون فيه «موحدة محررة من الأعداء الداخليين»[٣٥] . ثم تأخذه الحماسة المُبَالَغ فيها فيقول : «إنه لأكثر عهود إسبانيا

— J.H. Elliot, *The revolt of the Catalans, A Study in the Decline of Spain 1595 – 1640.* (Cambridge, 1963).

(٣١) وتحدث كاتب آخر ، ولكن بإيجاز شديد عن اعتراض ارستقراطية اراجون وبلنسيه على طرد المسلمين في هذه المناطق . انظر : Jan Read, *The Moors in Spain and Portugal.* (London, Faber, 1974).

(٣٢) P. Coles, *op. cit.*, p. 128. H.c. Lea *op. cit., p. 11.*

(٣٣) *Ibid.*, p. 128

ويصف مرسلين ديفورنو Defourneaux الحدائق والمزارع التي كانت غناء فأضحت خراباً بعد خروج المسلمين الذين كانوا خبراء في الزراعة والري .

Marcelin Deforneaux, *Daily life in Spain in the Golden age.* Translated by Newton Branch, 1979 pp. 17 – 19

(٣٤) H.C. Lea, *op. cit.*, p. 366

(٣٥) *Ibid.*, p. 366

عظمة وفخامة منذ قدوم المسيح ، وإنها لمناسبة سعيدة أن نتحرر من الوثنية»(٣٦ ، ٣٧) . أما جودالاخارا Guadalajara فلم يكن يقل حماسة عن بليدا . فقد ذكر أن اقتران الكواكب السعيدة في كانون الأول ديسمبر سنة ١٦٠٣م ، كما تشير «كل النبؤات وأصول العرافة الإسبانية والعربية» والتي قد راجعها بنفسه ، تؤكد أن إسبانيا وقد تخلصت من المسلمين «ستستعيد القدس وستحطم القوى الإسلامية»(٣٨) . يستطرد جودالاخارا متنبئاً بأوضاع إسبانيا الاقتصادية بعد إخراج المسلمين – تلك التنبؤات التي تحقق عكسها – فيقول : «إن المسلمين الإسبان ، وإن زعموا أن الرخاء في ركابهم يسير ، وأن الرخاء سينقطع عن إسبانيا إن تركوها .. إلا أنه منذ طردناهم ونحن في وفرة ورخاء ، فقد انخفض سعر القمح ، وأصبحت التجارة أكثر تحرراً ، وخلت الشواطىء من القراصنة ، وأضحى الناس يسافرون بلا خوف ، ويرحلون بلا خطر ، وغدت العملة صحيحة لاتندس بينها عملة زائفة ، وخلت أرضنا من الخيانة العظمى للوطن»(٣٩) لكن الكُتّاب الجادين رأوا في مثل هذه الآراء مجرد «تعزية فلسفية» لتعويض خسائرهم ، على اعتبار أن بعض المذاهب المسيحية «تحتقر المكاسب المادية»(٤٠) . وليس أدل على هذا من أن بليدا الذي أشرنا إليه سابقاً عاد سنة ١٦١٨م ليعترف ببعض التأثير لغياب المسلمين ، وإن كان قد ذكر أنه تأثير «ضئيل»(٤١) وراح يلتمس التوقعات المطمئنة ، فإذا كانت الموارد الكنسية قد قلّت إلا أنها في رأيه ستعود للانتعاش في حدود سنوات ثمانية أو تسعة ، وإن كان أصحاب الأراضي يعانون من جدب أراضيهم حيث لم يعد في إمكانهم ريها بسهولة ، بعد غياب المسلمين ، لكنهم سيحتاجون لعدد أقل من العمال المسيحيين(٤٢) . ولم تتحقق توقعات بليدا ، ففي تحليلات أخرى ذُكر أن إخراج المسلمين أدى إلى نقص رهيب في عائدات الكنائس وعائدات النبلاء ، وكان هذا واضحا في بلنسيه Valencia وسرقسطة Saragossa وترازونا Tarazona ، إذ قلّ الدخل إلى حوالي النصف(٤٣) . وهي نسبة

---

(٣٦) *Ibid.*, pp. 366 – 367

(٣٧) يقصد بالوثنية هنا الإسلام .

(٣٨) H.C. Lea, *op.cit.*, p. 366

(٣٩) *Ibid.*, p. 367

عن ارتفاع أسعار القمح ارتفاعا رهيبا في منتصف القرن ١٧ خاصة ، انظر :

E. Hamilton, *War & Price in Spain, 1651 – 1800.* (Cambridge, 1947), pp. 228 – 9

أما انخفاض سعر القمح عقب خروج المسلمين مباشرة فيرجع إلى أن قرار الترحيل القسرى النهائي ١٦٠٩ قد حتم عليهم ألا يحملوا معهم إلا مايقدرون على حمله على ظهورهم ، فأدى هذا إلى أن باع المسلمون كل ماكان لديهم من قمح وماشية وعسل .. الخ . بأبخس الأثمان ، فانخفضت الأسعار ولكن إلى حين ، وهو انخفاض مفتعل غير طبيعي .

محمد عبد الله عنان ، **مرجع سابق** ، ص ٣٨٢ .

(٤٠) H.C. LEa, *op. cit.*, p. 369

(٤١) *Ibid.*, p. 368

(٤٢) *Ibid.*, p. 368

(٤٣) *Ibid.*, p. 369

كبيرة . وفيما يلي نورد أرقاماً أخرى من مصادر أرشيفية تؤكد ما اعترى الاقتصاد الإسباني من خلل كبير في مناطق مختلفة .

ففي جنديا Gandia وأوليفا Oliva وفوتيدان Fuentedan ومورلا Murla التي كانت تضم أكثر من ٦٠٠,٠٠٠ مسلم كتابع إقطاعي Vassals ، كانت أراضيها تغِلّ عائداً مقداره ٥٣,١٥٣ ليبرا Libras[٤٤] و ٨ صولد Sueldos[٤٥] وفي سنة ١٦١٠م نقص الدخل إلى ١٥,٣٤٦ ليبرا و ٥ صولد ، ثم عاد فارتفع سنة ١٦١١م إلى ١٧,١٧٩ ليبرا و ١٠ صولد و ٣ دينيرو Dineros[٤٦] وفي عشرة قرى من قرى جنديا Gandia كان هناك ٤١٧ مسكنا بلا سكان ، وأربعة بيوت هجرها أصحابها ، كما كانت هناك خمس قرى صغيرة خاوية على عروشها . وكانت الأرض تعاني بشدة من نقص الأيدي العاملة[٤٧] . وحتى عندما شرع التاج الإسباني في التصرف في الأرض الخالية التي تركها المسلمون المجبرون على الرحيل ، فقد أدى هذا إلى أزمات . ففي أراجون وبلنسية آلت الأراضي التي لم يستردها المقطعون إلى التاج ، وفي قشتالة حصل التاج على أراضي المطرودين وقاسمهم نصف ثروتهم . وفي أول تشرين الأول أكتوبر سنة ١٦١٠م قرر مجلس المالية Council of finance الملحق بالعرش أن ممتلكات المسلمين الإسبان في أوكانيا Ocana ومدريد قد بيعت في غالبها ، ودفع فيها ٧٥ مليون مارافيد[٤٨] وهو مايساوي ٢٠٠,٠٠٠ دوكات[٤٩، ٥٠] . ورغم أيلولة كثير من

---

(٤٤) الليبرا Libra وأيضا Iliura عملة بلنسية وقطلونية (كاتالونية) كانت تُحسب بالجنيهات والشلنات Sous والبنسات Diners
H. Kamen, *op. cit.*, p. XII

(٤٥) الدوكات Dukat وتسمى أيضا Ducado وحدة نقد كانت تساوي ١١ ريالا Reale أما الـ Escudo فهي عملة ذهبية في الأساس تساوي ١٠ ريالات أو ٣٤٠ مارافيدس Maravides . والدوكات تستخدم فقط للدفع داخل قشتالة أما خارج قشتالة فيكون الدفع بالفضة وتحسب بالـ Escudos . وهذا الأخير أقل قيمة من الـ Maravedis
H. Kamen, *Ibid.*, p. XII

(٤٦) أحد أجزاء الليبرا وهي بمثابة البنس بالنسبة للجنيه
H. Kamen, *Ibid.*, p. XII

وانظر أيضاً حاشية رقم (٤٣) .

(٤٧) H.C. Lea, *op. cit.*, p. 369

(٤٨) المارفيد ، وكان الإسبان يسمونها العملة البربرية ، وهي عملة كبيرة ، وكانت أصغر وحدات النظام النقدي القشتالي ، وكان الريال مثلا يساوي ٣٤ مارافيد ، أما الدوكات فكانت تساوى ٣٧٥ مارفيد
E.J. Hamilton *op. cit.*, p. 38
H. Kamen., *op. cit.*, p. XII

وانظر أيضا حاشية (٤٤) .

(٤٩) انظر حاشية (٤٤) .

(٥٠) لم يكن النظام النقدي موحداً في إسبانيا حتى بعد أن توحدت سياسياً ، ولم يكن نظام المكاييل والموازين أيضا موحداً ، وكانت نقاط الجمارك تفصل مناطق إسبانيا بعضها عن البعض الآخر ، فلم يكن توحيد إسبانيا إلا شكليا فقط .
فالأروبا Arroba كانت معيارا لقياس السوائل يختلف من منطقة لأخرى ، وكانت الأروبا أيضا وحدة وزن لوزن الصوف والتومباك فقط . وهي في هذه الحالة تساوي ١٥ رطلاً إسبانيا ، والمائة رطل كانت تساوي ٩٧ رطلا إنجليزيا . وكان القبيز Cabiz وحدة كيل الغلال ، وكان في قشتالة يساوي ١٢ فانيج Fanegas في قشتالة ، وتختلف قيمته في المناطق الأخرى . أما التونيلادا Tonelada

الممتلكات للتاج إلا أنها لم تدخل الخزانة العامة ، وإنما وزعت على المحاسيب . ففي خطابات أرسلها السير فرنسيس كوتنجتون Francis Cottington السفير البريطاني في مدريد إلى لورد سالسبوري ، في ٤ آذار (مارس) وفي ١٦ آيار (مايو) سنة ١٦١٠م ذكر أن الملك لم يستخدم العائد في مصالح الدولة الداخلية ، وإنما قسّم هذه العوائد على محاسيبه ، فقد حصل ليرما Lerma على ٢٥٠,٠٠٠ دوكا ، وابن ليرما على ١٠٠,٠٠٠ وابنة ليرما على ٥٠,٠٠٠ ، ودوق Ucedo على ١٠٠,٠٠٠[٥١] . وفي تقرير مؤرخ في ٧ كانون الثاني يناير سنة ١٦١٣م أوضح أن ما آلت ملكيته للدولة من أملاك المسلمين المطرودين بلغ ٤٧١,٣٥٥ ليبرا و ٥صولد ، استخدم منها ٤٩,١٨٨ ليبرا في الأمور والرواتب المتعلقة بمحاكم التفتيش ، و٨٤,٩٤٩ ليبرا للسكان الجدد في شكل قروض يتحتم دفع فوائدها ، وتم إنفاق مبالغ أخرى لإعادة تعمير بعض القرى[٥٢] .

وثمة منهج بحثي آخر يمكن أن نسلكه لمعرفة ماحاق بالاقتصاد الإسباني من انهيار في الفترة موضوع الدراسة ، وهو تتبع نوع من أنواع التجارة الإسبانية كمثال ، ولتكن هذه التجارة هي تجارة الصوف ، ففي بحث وثائقي مُعْتَمِد على جداول الضرائب الرسمية المفروضة على تصدير الصوف الإسباني ، قام بها كارلا فيليبس Carla Rahn Phillips يذكر الكاتب أن الأرقام تشير إلى أن الصادرات من الصوف الإسباني قد شهدت انهياراً منذ سنة ١٥٥٠م وطوال قرن كامل[٥٣] . ويلاحظ أن سنة ١٥٥٠م هي الحد الزمني الذي بدأ فيه المؤلف بحثه لاعتبارات عملية ، وهي توفر الإحصاءات بالنسبة له ، فليس معنى هذا أن تجارة الصوف الإسبانية كانت مزدهرة منذ مطلع القرن ، وإنما أورد المؤلف فترة الانهيار تلك ، توطئة للقول بأنها عادت فازدهرت ازدهاراً نسبياً بعد سنة ١٦٥٠م[٥٤] . ويعلل الكاتب هذا الانهيار بالظروف السياسية والاقتصادية لإسبانيا ، كما يبين أن الصادرات الإسبانية من الصوف كانت لفترة طويلة تتخذ طريقها إلى جنوه بالذات[٥٥] . وإذا علمنا

وهي الطن القشتالي فكان يساوي ٢٠ قنطاراً Quintals أو مائة وزنة Weight أما خارج قشتالة فتختلف القيمة الوزنية والعيارية له . أما النظام النقدي ، فكان المارافيد هو الوحدة الأساسية في قشتالة ، والليبرا هي الوحدة الأساسية في بلنسيه وكاتالونيا (قطلونية) وكانت الدوكات سارية داخل قشتالة أما خارجها فالـ Escudo أكثر انتشارا .

H. Kamen, *Op. Cit.*, pp. xi, xii, xiii.

وانظر أيضا الخريطة رقم (١)

وراجع الحواشي : (٤٣) ، (٤٤) ، (٤٥) ، (٤٧) .

(٥١) H.C. Lea, *op. cit., p. 373*

والدوق دي ليرما كان صفياً وخليلاً ووزيراً للملك فيليب الثالث ، وكان دي ليرما صاحب نفوذ على هذا الملك ، كما كان صاحب نفوذ على سابقه .

محمد عبد الله عنان ، **مرجع سابق** ، ص ٣٧٧ .

(٥٢) Ibid. p. 373

(٥٣) C.R. Phillips, *op. cit.*, p. 770

(٥٤) *Ibid.*, pp. 771 – 773

(٥٥) *Ibid.*, pp. 772 – 775

أن الصوف كان هو مادة التبادل الخارجي الرئيسية في تجارة إسبانيا[٥٦] أدركنا مدى ماحاق باقتصاد إسبانيا من انهيار .

ولايمكن تفسير هذا الانهيار الاقتصادي الذي حاق بإسبانيا بمجرد خروج المسلمين رغم أنهم كانوا عناصر منتجة ومُدَرَّبة ، وإنما كانت هناك عوامل كثيرة متشابكة تشابكاً معقداً ، كتورط إسبانيا في حروب الصراع الديني ، والحروب الإيطالية ، وحروب الأراضي المنخفضة ، إلا أن هذه العناصر جميعاً لاتدخل في نطاق بحثنا هذا ، الذي لايتناول إلاَّ تأثير المسلمين - وهو تأثير هام وخطير ، بل هو المؤثر الأول - وهذا التأثير الإسلامي ليس قصراً على المسلمين الإسبان ، وإنما هناك دور مسلمي شمال إفريقيا ودور الدولة العثمانية . وحتى هذا التحفظ لايعني التقليل من دور إخراج المسلمين على انهيار الاقتصاد الإسباني ، لذا كان من الضروري إفراد فقرة في هذا البحث لمناقشة بعض الآراء المتعلقة بعددهم .

إن المصادر تختلف اختلافاً شديداً في عدد المطرودين من إسبانيا ، فبينما نجد أن جودالاخارا Guadalajara يذكر أنهم حوالى ٦٠٠,٠٠٠ ثم عاد فذكر أنهم ٤٠٠,٠٠٠ بالإضافة للمهاجرين اختياراً ، الاَّ أن نافاريت Navarrette يقدرهم بحوالي ٣,٠٠٠,٠٠٠ مسلم ، غير اليهود ، طردوا من إسبانيا على فترات مختلفة ، وقد اعتمد في هذا على قونزلايز دافيلا Gonzalez Davila المؤرخ الرسمي لفيليب الثالث وفيليب الرابع . أما فون دير هامر Von der Hammer فيختصر العدد إلى ٣١٠,٠٠٠ غير الذين رحلوا بالسفن ، بينما يرفع ألفونسو سانشيز Alfonso Sanchez العدد إلى ٩٠٠,٠٠٠ ، أما دي لافونتي De la Fuente فيجعلهم ١٢٠,٠٠٠ ، أما دافيلا كولادو Davila Y Collado فيقول إنه بعد مقارنة الإحصاءات الرسمية يميل إلى أن عددهم ٥٠٠,٠٠٠ ويميل لي Lea إلى هذا الرأي[٥٧] . ولايدخل في هذه التقديرات الأطفال الذين انتزعوا من آبائهم[٥٨] . ويرجع هذا الاختلاف في التقديرات لأسباب عديدة فقد سلك المسلمون الخارجون من إسبانيا طرقاً عديدة ؛ فقد خرج بعضهم عن طريق فرنسا برّاً[٥٩] ، وخرج بعضهم بالسفن من سواحل إسبانيا

---

(٥٦) *Ibid.*, pp. 770 - 771

(٥٧) H.C. Lea, *op. cit.*, p. 359

(٥٨) *Ibid.*, pp. 359 - 360

وكانت السلطات البرتغالية أيضاً تنزع الأطفال الذين لم يبلغوا ١٤ سنة من المسلمين عند طردهم من البرتغال ، ولقد خرج المسلمون البرتغاليون عن طريق إسبانيا أساساً بعد اتفاق إسباني برتغالي بعدم السماح لهم بمغادرة إيبريا ومعهم مايملكون من ذهب وفضة أو أية منقولات نفيسة ، وكان القرار النهائي بطرد المسلمين من البرتغال سنة ١٤٩٧ . راجع في ذلك :

Archivo de Simancas, Inquisicion, Legajo Unico, **Fol. 4**

والتي قدم لها لي Lea عرضاً وجعل لها عنواناً إنجليزيا كالتالي :

انظر حاشية رقم (١)

(٥٩) H.C. Lea, *op. cit.*, pp. 340 - 41

الشرقية ، وآخرون خرجوا عن طريق سواحلها الجنوبية(٦٠) . كما أن تباعد الفترات الزمنية التي خرج فيها المسلمون تجعل من الصعب تقديم إحصاء دقيق عنهم ، كما أن الذين بخسوا المسلمين عددهم كان يَكْمن خلف تفكيرهم عصبية دينية تهدف لحرمان المسلمين الإسبان من حقوقهم الوطنية التاريخية . كما أن الأعداد القليلة نسبياً فيما سبق أن أوردناه من تقديرات كانت خاصة بفترة زمنية دون غيرها أو بمنطقة دون أخرى ، رغم عدم النص على ذلك ، وربما كان رقم الملايين الثلاثة رغم تواضعه هو أقرب الأرقام للصدق خاصة وهو تقدير مؤرخ رسمي لصيق بالبلاط . كما أن المسلمين الذين خرجوا عن طريق فرنسا بالذات لم يحظوا بالدراسة الكافية ، إذ يذكر لي Lea أن عدداً كبيراً يتراوح مابين ٢٠,٠٠٠ و ٢٥,٠٠٠ قد عبروا الأراجون إلى نافار Navarre في مطلع القرن السابع عشر وعبروا الجبال إلى فرنسا . وقد قدم لنا الكتاب الإسبان صوراً عن معاناتهم ، خاصة وأن السلطات الفرنسية لم تسمح لهم بالعبور في بداية الأمر ، ولكنها عادت فسمحت لهم مقابل دفع دوكية لكل عابر ، وقد اشترى هؤلاء العابرون تراخيص لحمل السلاح ، ولكن بعد إنفاق نقودهم لشراء هذه التراخيص تم سلب الأسلحة منهم سواء على الجانب الإسباني أو الجانب الفرنسي . وفي فرنسا كان ينظر إليهم كسكان غير مرغوب فيهم . وفي إحدى رسائل هنري الرابع يتضح أنه سمح لهؤلاء المسلمين الذين تحولوا للكاثوليكية (أو تظاهروا باعتناقها) بالإقامة في المناطق الواقعة خلف الجارون The Garonne ودوردوني Dordogne . أما الراغبون في الارتحال إلى شمال إفريقيا فلهم الحرية في ذلك(٦١) .

وفي أيار مايو سنة ١٦٠٩م أرسل السلطان العثماني ، إسبانياً مسلماً هو الحاج إبراهيم كمبعوث شخصي لهنري الرابع ليكون ، أي الحاج إبراهيم ، وكيلاً دائماً للسلطان في مرسيليا لتسهيل مرور المهاجرين المسلمين ، وكانت سلطات إسطنبول تولي هذا الموضوع عناية فائقة ، وهذا ما تدل عليه مراسلات بهذا الشأن صادرة من الباب العالي إلى السلطات الفرنسية مؤرخة في ١٩ أيلول (سبتمبر) و٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٦٠٩م(٦٢) . وليس أدل على أهمية العامل السكاني في تخريب اقتصاد إسبانيا من أن المناطق الزراعية التي شغرت بطرد المسلمين كان يجري تعميرها على حساب أراضٍ أخرى لمجرد المظهر الكاذب لإقناع النفس وهماً ، بأن المسلمين لم يتركوا فراغاً ، ففي أوائل القرن السابع عشر تم إحلال ٢٢,٠٠٠ ألف مسيحي من بلنسية في الأراضي التي كان يشغلها

---

(٦٠) بعض هؤلاء كان يسافر بالأجرة في بعض المراكب الأسبانية ، وبعضهم كان يحملهم مجاهدو البحر ، وبعضهم كانت ترحله الحكومة الإسبانية على حسابها . محمد عبد الله عنان ، **مرجع سابق** ، ص ٣٨٢ .

(٦١) H.C. Lea, *op. cit.*, pp. 341 – 342

وفي تقرير لمحاكم التفتيش ورد أن هؤلاء (البربر) لا يستمعون برغبة إلى العظات الدينية المسيحية وأن المراقبة الدقيقة لمن تحول للمسيحية منهم توضح أنهم كانوا يتغامزون ويشيحون بوجوههم أثناء سماع هذه العظات .

***Archivo Historico Nacional, Inquisicion de Va lencia, Legajo 5* Fol. 298**

وقد ذكر تفاصيل عن ذلك : محمد عبد الله عنان ، **مرجع سابق** ، ص ٣٦٣ ومابعدها .

(٦٢) H.C. Lea, *op. cit.*, p. 341

المسلمون المطرودون من بلنسية نفسها[٦٣] . وقد أدرك البعض خطورة ذلك ، ففي سنة ١٦٠٩م ، أي في ذروة الطرد النهائي للمسلمين الإسبان – فقد أعلن دوق ليرما احتجاجه على طرد المسلمين بتخليه عن المسيحية ، وإن كان هذا الإعلان مجرد تهديد وليس ارتداداً حقيقياً عنها . كما أعلن البعض احتجاجهم على التنصير الإجباري للمسلمين ، وحتى من تنصر من المسلمين ظلت نصرانيته موضع شك ، كما ظلوا موضع مراقبة دقيقة من السلطات الكنسية . وقد ذكر كامن Kamen أنه كان هناك مسلمون سريون ، أي يتظاهرون مجرد تظاهر بالمسيحية ، حتى القرن الثامن عشر ، وضبطت حالات واضحة نالت عقوبات رادعة سنة ١٧٢٨ ، وكانت هذه الحالات موجودة في كل إسبانيا ، ولكنها كانت أكثر ماتكون وضوحاً في غرناطة ، وقد ذكر كامن هذه الحقائق اعتماداً على وثائق سرية اطلع عليها في الأرشيف القومي التاريخي في مدريد Archivo Historico Nacional وهي وثائق تحمل الأرقام (Inq. 4755 – 58)[٦٤] .

وزاد من خطورة خروج المسلمين ، على الاقتصاد الإسباني ، أن الإسبان لأسباب كثيرة ، بعضها غير مفهوم ، كانوا يعانون من ارتفاع نسبة الوفيات بشكل صارخ ، كما كانوا يعانون من نقص في المواليد خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، فقد مات بالطاعون في الفترة من ١٥٩٦ إلى ١٦٠٢م أكثر من نصف مليون إسباني ، وفقاً لتقديرات الأرشيفات الإسبانية التي رجع إليها كامن في كتابه الوثائقي . وفي الفترة من ١٦٤٧ إلى ١٦٥٢ مات بالطاعون في أراجون وقشتالة

---

(٦٣) H. Kamen, p. 59, 218

ويذكر محمد عبد الله عنان ، **مرجع سابق** ، ص ٣٥٨ ما أصدره فيليب الثاني سنة ١٥٧٠ من نقل مسلمي غرناطة إلى أماكن مختلفة داخل البلاد .

راجع أيضا : محمد عبده حتامله : **التهجير القسري لمسلمي الأندلس** . عمان ، ١٩٨٢ . ص ٨٧ ومابعدها .

(٦٤) H. P. Kamen, *op. cit.*, p. 304

والواقع أن الذين تظاهروا بالتحول للمسيحية لم يكونوا في أي وقت من الأوقات موضع ثقة السلطات الإسبانية ، ففي وثيقة مؤرخة في ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٥٢٤ أصدرها الرئيس العام لمحاكم التفتيش بتصح شكه في حقيقة مسيحيتهم . وفي وثيقة أخرى مؤرخة في كانون ثاني (يناير) ١٥٣٤ أرسل ماريك رئيس محاكم التفتيش بعض مبعوثيه لكتابة تقارير عن المسيحيين الجدد ، وفي ١٥٦١ بتصح رئيس محاكم التفتيش بمراقبة المسيحيين الجدد . وقد أشرنا للعناوين الإنجليزية لهذه الوثائق في حاشية (١) ، أما عناوينها الأصلية فنكررها هنا مرة أخرى :

- *Archivo de Simancas, Patronate Real, Inquisicion, Legajo unico* **Fol 38, 39**
- *Archivo de Simancas, Inquisicion, Libro 4,* **Fol 262**
- *Archivo de Simancas, Inquisicion, Libro 77,* **Fol 228**

ومن المراجع التي أشارت بإيجاز إلى أن المسلمين الذين تحولوا للمسيحية لم يكن تحولهم إلا شكليا ، وإنهم لم يكونوا موضع ثقة :

Derek W. Lomax, *The Reconquest of Spain*, p. 172

وقد ذكر باحث عربي يعرف الإسبانية وأتيحت له فرصة مراجعة أرشيفاتها نماذج أخرى لمسلمين كتموا إسلامهم ووصلوا إلى مرتبة كنسية كبيرة ، ولما كشف أمرهم تم إعدامهم . وكانوا من منطقة استرامادورا Estramadora . راجع : محمد عبده حتامله ، **التهجير القسري لمسلمي الأندلس** ، (عمان ، ١٩٨٢) ، ص ٨٢ .

وحدها أكثر من نصف مليون إسباني وفقاً لتقديرات نفس المصادر الأرشيفية(٦٥) .

وبالإضافة لهذا فقد لاحظ المراقبون أن الأسرة الإسبانية قليلة العدد ، ويقصدون بذلك أن القدرة على الإنجاب قليلة ، ففي النصف الأول من القرن السابع عشر ذكر الكاتب برتوت Bertaut معلقا «أن الأطفال ليسوا كثيرين هنا» وظل هذا ملحوظاً حتى بعد منتصف القرن السابع عشر ، فقد ذكرت لادي آني فانشو Lady Anne Fanshawe سنة ١٦٦٥ أن الإسبان «نادراً مايكون لديهم أطفال كثيرون» . ورغم عدم توفر الإحصاءات السكانية في القرن السادس عشر بنفس القدر الذي توفرت لدينا عن القرن السابع عشر ، الاّ أن الباحثين الإسبان لاحظوا من خلال المتوافر من الأرقام ومن خلال بعض الشواهد أن الإسبان كانوا يعانون من انخفاض نسبة المواليد في القرن السادس عشر أيضاً ، كما لاحظوا أن ٤٧٪ من حالات الزواج كانت تنقطع بموت أحد الطرفين قبل اكتمال الأسرة(٦٦) . كما أنهم لاحظوا أن الطفل الأول عادة مايولد بعد عشرين شهراً من الزواج ، وهو أمر فيما يقول كامن – مألوف في أوربا الكاثوليكية(٦٧) .

ومن الأمور الغريبة أن الباحثين الغربيين كانوا يؤكدون على ارتفاع نسبة المواليد بين المسلمين الإسبان ، لدرجة أخافتهم وجعلت بعض الإسبان المتعصبين يعتقدون أن المسلمين لو استمروا في تزايدهم المرتفع ، نتيجة ارتفاع نسبة مواليدهم ، فإنه من المحتمل أن يغمروا إيبيريا كلها(٦٨) .

ورغم هذه الظروف الإسبانية ، التي كانت توضح أهمية المسلمين الإسبان للأرض والمصنع وحركة العمران ، الاّ أن الروح الصليبية كانت طاغية عمياء لدرجة أنه كان هناك مجلس خاص يسمى بالمجلس الصليبي The Council of Crusade مهمته متابعة حرب البربر Moors وفرض الضرائب اللازمة لذلك ، وتلقى التمويل من البابا ، وقد ظلت سلطة هذا المجلس قائمة حتى نهاية القرن السابع عشر ، تساهم في إصدار التشريعات المدمِّرة المخرِّبة ، رغم كل محاولات الإصلاح(٦٩) .

---

(٦٥) H. Kamen, *op. cit.*, p. 39

(٦٦) *Ibid.*, p. 40

(٦٧) *Ibid.*, p. 41

(٦٨) ذكر ذلك Lorezo Priuli سنة ١٥٧٥ ، انظر H.C. Lea, *op. cit.*, p. 272

وأكد هذه الحقيقة سرفانتس دي سافدرا (١٥٤٧ – ١٦١٦) وهو من أعظم أدباء إسبانيا انظر : محمد عبد الله عنان ، **مرجع سابق** ، ص ٣٦٥ ، ٣٧٨ . وانظر أيضا لوي كاردياك ، **الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، المجابهة الجدلية** ، ترجمة د . عبد الجليل التميمي ، (تونس ، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، ١٩٨٣) ، ص ١٤٥ .

(٦٩) J. Lynch, *Spain*. Oxford, 1969. **vol. 2.** pp. 271 – 272.

Antonie Brunel, *A journey into Spain*, (London, 1970), p. 18.

– H. Kamen, *op. cit.*, p. 24

الأثر العثماني ، وجهاد شعوب البحر المتوسط الإسلامية

يرى معظم الكتّاب الغربيين أن العثمانيين مسؤولون عن التوجه الأوروبي (البرتغالي الإسباني) نحو الطرق الغربية ، بسبب تَحَكّم العثمانيين في تدفق التجارة الشرقية ، وبخاصة تجارة البهار ، التي كانت ترد لأوروبا من موانيء الشرق الأدنى ، وقد بدأ هذا التوجه في القرن الخامس عشر باكتشاف سواحل إفريقيا المطلة على الاطلنطي ، واندفاع البرتغاليين إلى الهند وجزر الشرق الأقصى ، والاستعمار الإسباني الجديد[٧٠] .

ولكن كولز ، وهو باحث اختصاصي في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، يقول ماترجمته الدقيقة : «إذا ماوضعنا في اعتبارنا التتابع الزمني وحده Chronological grounds فإن ماذكر آنفاً لايعدّ تفسيراً مقنعاً . فقد أبحر بحارة هنري الملاح قاصدين الدوران حول إفريقيا حتى قبل أن يستولي العثمانيون على القسطنطينية . كما أن فاسكو داجاما قد وصل إلى ساحل المالابار Malabar في الهند ، وكذلك قام ألفونسو البوكرك Alvonso de Albuquerque بنثْر شبكة من المحطات التجارية المحصنة عبر الشرق الأقصى والمحيط الهندي ، قبل أن يقوم سليم الأول بفتح المراكز التجارية في سوريا ومصر»[٧١] ، ثم يقول : «وبناء على ذلك ، فإن المبادرات البرتغالية ثم الإسبانية لكشف الطرق الغربية ، بدلاً من أن تكون نتيجة لتدخل الأتراك[٧٢] في تجارة البهار ، فإن نقيض ذلك هو الذي يَقْرُب للحقيقة»[٧٣] . لقد كانت أوروبا هي المبادرة بالعدوان ، كما يؤكد ذلك كولز ، فمنذ سنة ١٥٠٥م حتى وفاة الملك عمانوئيل الأول King Manuel I في سنة ١٥٢١م نجد البرتغاليين انطلاقاً من قواعدهم التي حصلوا عليها حديثاً في شرق إفريقيا وآسيا يعملون وفق سياسة مدروسة حققت في المدى القريب نجاحاً باهراً لاستئصال كل المصالح الإسلامية في تجارة البهار . ولقد كتب أحد البرتغاليين المعاصرين لهذه الفترة جَذِلاً مُهَلِّلا : «لقد حوصر محمد ، ولا يمكنه أن يتقدم أو ينساب أكثر مما فعل .. والحقيقة أن محمداً[٧٤] سيُحطَّم ويُحطم .. ولا خيار له سوى ذلك ، فأكثر مايطمع فيه هو أن يكون له مجرد وجود»[٧٥] .

وليس أدل على أن الرغبات الكنسية في طرد المسلمين كانت تتعارض مع رغبات الناس ماورد في استفتاء أجرته محاكم التفتيش نفسها سنة ١٥٩٠ إذ وجه المفتش العام كيروجا Quiroga باسم الملك استفتاء موجزه : هل نطرد المسلمين أم نبقيهم ، وماهي الحجة في كل حالة ؟ ويذكر التقرير (الوثيقة) أنه كان هناك تلكؤ ، أو عدم رغبة حاسمة في الطرد .

Archivo Historico Nacional, Inquisicion de Valencia, Legajo 5, No. 1, **Fol. 254**

عن العنوان الإنجليزي الذي وضعه لي للوثيقة راجع حاشية (١) .

(٧٠) P. Coles, *op. cit.*, p. 107

(٧١) *Ibid.* pp. 107 – 108

(٧٢) يقصد العثمانيين والواقع أن كولز يستخدم الترك بمعنى العثمانيين في معظم كتابه .

(٧٣) P. Coles, *op. cit.*, p. 107

(٧٤) أي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، والمقصود هنا (المسلمون) .

(٧٥) *Ibid.*, p. 107

ويمكن تفسير حملات العثمانيين وسياستهم التجارية بعد سنة ١٥١٥م كردّ فعل فعّال لهذه الأزمة ، سيطرة البرتغاليين على تجارة البهار وتهديد المصالح الإسلامية عامة – فقد أتاح غزو سوريا ومصر ١٥١٦ – ١٥١٧م للعثمانيين السيطرة على القاهرة والاسكندرية وبيروت ، وهي الموانيء الرئيسية في الشرق الأدنى التي تمر تجارة التوابل عَبْرها . كما أن استيلاء العثمانيين على جزيرة رودس سنة ١٥٢٢م كان ضرورياً لتحقيق الأمن للممرات البحرية بين هذه المراكز والعاصمة العثمانية . وقد بذلت الحكومة العثمانية خاصة في الفترة من ١٥٢٠ إلى ١٥٣٠م جهوداً كثيفة لجعل اسطنبول مركزاً لتجارة البهار تحت إشراف حكومي ، وأن يتم التصدير إلى أوروبا عبر نهر الدانوب ، بحيث يكون النقل عبر المتوسط إلى المدن الإيطالية أقل قيمة . وهذه السياسة أضرت بقدر بالغ بالمحتكرين التقليديين لهذه التجارة ، وهم تجار مصر وسوريا والبندقية . وعلى هذا فإن حروب سليمان القانوني ، فيما يرى كولز ، في البلقان ليس لها إلا تفسير منطقي واحد ، وهو أنها محاولات للسيطرة الكاملة على طرق التجارة المؤدية إلى وسط أوروبا عبر نهر الدانوب ، وعلى هذا فإن الفرضيّة القائلة بأن التوسع العثماني هو الذي أجبر الإيبيريين على الحركة الكشفية ، فرضية غير صحيحة ولا تصْمد أمام نقاش(٧٦) .

فالروح الصليبية وليس المصالح الحقيقية هي التي كانت تحرك القوى الإيبيرية التي يهمنا منها هنا إسبانيا باعتبارها موضوعاً لهذا البحث . ففكرة استرداد الأراضي التي استولى عليها الكفرة (يقصدون المسلمين) كانت فكرة يشعل فتيلها الكنسيون والمتعصبون . وهذه الروح هي التي أدت إلى سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م ، أو ماتسميه بعض المراجع الأوروبية باسم «المملكة المغربية» ، وبين سنة ١٥٠٢ و١٥١١م كانت التجريدات العسكرية يجرى تسييرها عبر المتوسط إلى مراكش (المغرب الأقصى) . كما كانت المواجهة العسكرية البحرية مع الأمبراطورية العثمانية في القرن السادس عشر ، من وجهة النظر الإسبانية ، استمراراً منطقياً للنضال الذي بدأ منذ فترة طويلة ، ولم يكن بحال أمراً طارئاً يمكن التخلي عنه . ومما زاد هذه الروح الصليبية سُعاراً ، أن إسبانيا كانت تضم بين جنباتها عدداً لايستهان به من المسلمين ، وكانت الحكومة الإسبانية تخشى أن يؤدي التوسع العثماني إلى تشجيع المسلمين في داخلها على الثورة ، وتشجيع الذين تظاهروا باعتناق المسيحية على العودة جهاراً لدينهم ، لهذا كان إسراع إسبانيا بخوض غمار الحرب ضد الدولة العثمانية وسكان شمال إفريقيا ، راجعاً في بعض جوانبه لهذا السبب الداخلي(٧٧) .

---

(٧٦) *Ibid.*, p. 107 – 108

(٧٧) *Ibid.*, pp. 124 – 125

ومن المراجع التي تعرضت للاتصالات بين سكان شمال إفريقيا ومسلمي الأندلس بإيجاز شديد جدا :

Charles Petrie, *A short history of Spain*, (London: Sidgwick and Jackson, 1975), p.40

وقد حمَّل هذا الجهد الحربي المجتمع الإسباني والاقتصاد الإسباني إجهادات وتوترات متعددة . فحملات شارل الخامس ضد الجزائر سنة ١٥٤١م ، وحملات جيان أندريا دوريا Gian-Andrea Doria ضد جزيرة جربة Djerba سنة ١٥٦٠م ، قد قذفت إلى حيث لاعودة بآلاف الجند والبحارة وبسفن ضخمة مكلّفة في سبيل هدف غير واضح . ولمواجهة هذه التكاليف زيدت الضرائب على الطبقات العاملة في إسبانيا ، بينما ظلت طبقة النبلاء مستثناة من هذه الضرائب بدرجة كبيرة . لهذا أصبح الفقر متوطنا في الطبقات الدنيا من المجتمع الإسباني ، وعانى الاقتصاد من تخريب ودمار دائمين . فتدفق كنوز أمريكا في القرن السادس عشر على إسبانيا كان ينبغي أن يكون سبباً في إحداث تنمية اقتصادية مزدهرة ومضطردة . إلا أن وطأة الضرائب التي فرضت لمواجهة تكاليف الحروب قد حرمت التجار والمنتجين من العملاء الذين أضحت جيوبهم خاوية ، فأنى لهم بالقدرة على الشراء . ولم تكن إسبانيا كما كان يبدو أكثر القوى الأوروبية ثراءً إلاّ من الناحية النظرية فقط ، فواقع الأمر ، فيما يقول كولز ، أنه « كان ثراءً عقيماً غير مُجْدٍ ، إذ لم يكن للطبقات المنتجة منه نصيب ، وإنما كان النصيب للطبقات غير المنتجة . ولقد انعكست تعاسة إسبانيا وبؤسها على توابعها (مستعمراتها) في البحر المتوسط ، فكثير من توابعها في المتوسط كانت تقف في خط المواجهة الأول في هذه الحرب البحرية في مواجهة العثمانيين ، بينما حملوا من الضرائب قدراً مساوياً لما كان مفروضاً على أهل إسبانيا ذاتها(٧٨) رغم بُعْد أهل إسبانيا نسبياً عن أضرار الحرب البحرية .

ففي صقلية وجدنا أن آخر نائبين للملك وهما فرانتي جونزاجا Ferrante Gonzaga وخوان دي فيجا Juan de Vega قد فرضا ضرائب محلية باهظة للإنفاق على الإنشاءات الدفاعية الساحلية ولإنشاء عشر سفن شراعية كبيرة ولدفع رواتب المشاة الإسبان وتدريب المتطوعين المحليين ، لصدّ الغارات الجزائرية العثمانية ، وكان المزيد من الضرائب يفرض كلما تضاعف نجاح العثمانيين ؛ فقد كانت الضرائب المفروضة على أهل جزر البحر المتوسط تتناسب تناسباً طردياً مع الانتصارات العثمانية ، فقد تحملت صقلية ضرائب غير عادية عندما ساد توقع هجوم عثماني في أعقاب الفشل المسيحي الممثل في هزيمة الحملة الإسبانية على جزيرة جربة سنة ١٥٦٠م(٧٩) . وعندما كان الأسطول الإسباني يحتشد في مسينا Messina لتقديم التموينات والعون العسكري لمالطة التي كان العثمانيون يحاصرونها سنة ١٥٦٥ كانت الضرائب المفروضة على السكان هي الحل الوحيد لدعم هذا المشروع . وفي سنة ١٥٧٣م احتج الرئيس الصقلي ترانوفا Terranova على فيليب الثاني ذاكراً أن جباية الضرائب قد بلغت منتهاها ، وعبّر عن مخاوفه إذا استمرت الضرائب بنفس معدلها أن يتزلزل أركان الحكم الإسباني في الجزيرة(٨٠) . إلا أن الموقف بدأ يتحسن نسبياً منذ سنة ١٥٧٥م ،

---

(٧٨) P. Cloes, *op. cit.*, p. 126 – 127

(٧٩) *Ibid.*, pp. 127 – 128

(٨٠) *Ibid.*, p. 127

والتفسير الوحيد لذلك فيما يرى كولز هو تقلص حجم العمليات البحرية بحِدّة في الأعوام التي تلت معركة ليبانتو[٨١] . إلاّ أن هذا الوضع لم يستمر خاصة وأن السلطان العثماني كان قد صرح بعد هذه المعركة قائلا : «إن الكفرة لم يزيدوا على أن نَتفوا بضع شعرات من لحيتي ولكنها ستنمو من جديد»[٨٢] .

ولقد ارتبطت حركات المسلمين الإسبان داخل إيبيريا بالانتصارات الإسلامية خارج إيبيريا ، وقد كان المسلمون الإسبان يمعنون في ثورتهم كلما وصلتهم أخبار الأعمال البطولية التي كان يقوم بها مجاهدو البحر ، فقد حدث اضطراب شديد «قام به المسلمون الإسبان في غرناطة أثناء حصار مالطة سنة ١٥٦٥م وكان المسلمون الإسبان المطرودون يمثلون عنصراً بارزاً في القوات العثمانية المحاصرة لمالطة» وقد أدى هذا إلى شك عميق في أجهزة الحكومة الإسبانية ، وهذا بدوره أدى إلى أساليب القمع والوحشية البالغة ضد المسلمين الإسبان ، وهذا أدى بدوره إلى انفجار ثورة إسلامية عارمة سنة ١٥٦٨ . وبحلول عام ١٥٦٩ بلغ عدد المتمردين ١٥١٫٠٠٠ ، وتزامنت هذه الاضطرابات مع فترة كانت الحكومة الإسبانية تعاني فيها من مصاعب جمة ، فقد كانت القوات العسكرية الرئيسية غائبة عن إسبانيا بقيادة دوق ألبا Duke of Alba في الأراضي المنخفضة ولم تكن القوات البحرية المكرسة لخفر السواحل قادرة على قمع الثورة أو منع الإمدادات القادمة من الخارج ، ولم تنته ثورة المسلمين إلاّ بعد أن خاض ضدهم المسيحيون الكنسيون حرباً شرسة صليبية بربرية لاهوادة فيها في خريف سنة ١٥٧٠م . ويهمنا في هذا الصدد مااتخذته الحكومة الإسبانية من إجراءات بعد معركة ١٥٧٠م التى أشرنا إليها ، إذ تم طرد عدد كبير إلى خارج إسبانيا ، كما تم نقل عدد كبير منهم من غرناطة إلى مناطق أخرى كقشتالة القديمة واستريمودورا Estremodura وجاليشيا Galiciaوقد أدى هذا إلى تصدير مشاكل المسلمين لمناطق لم تكن قد عانت منها من قبل . وكان الهدف من هذا الإجراء هو خلخلة الكثافة السكانية الإسلامية في بعض المناطق ، كما عملت السلطات الإسبانية على فصل مسلميها عن حلفائهم في شمال إفريقيا بإبعادهم عن المناطق الساحلية وتم هذا المنع وطبق فعلاً في منطقة الأندلس (مقاطعة أندوليسيا) سنة ١٥٧٩م ، وطبق المنع في بلنسية سنة ١٥٨٦م . وكتب مسؤول حكومي سنة ١٥٨٨م في تقرير له أنه «يجب تصنيف كل من المسلمين الإسبان Moriscos كأعداء لنا» يقصد سواء ادّعوا اعتناق المسيحية أم لا . وقد أدت هذه النظرة بالإضافة إلى الضغط الواقع على المسلمين إلى انخراطهم في سلك المقاومة السرية والأعمال الانتحارية ، وهي ماتسميه المراجع الغربية «بأعمال اللصوصية والجريمة كأسلوب حياة» ، وظل الأمر كذلك حتى أعلنت الحكومة إفلاسها التام ، فتم إخراج المسلمين نهائياً كسياسة لا رجعة فيها ، أو بتعبير أدق إخراجهم

---

(٨١) *Ibid.*, p. 127

(٨٢) *Ibid.*, p. 91

كعنصر ، سواء اعتنقوا المسيحية أم تظاهروا باعتناقها ، أم كانوا مسلمين ظاهراً وباطناً[٨٣] مع ماتبع هذا من نتائج ألمعنا لبعضها في الصفحات السابقة .

أثر العثمانيين وحركة الجهاد البحري في توجه أهل جنوه إلى إيبيريا ، ودور الجنويين في تخريب الاقتصاد الإسباني

اتجه أهل جنوه في بداية الأمر للبرتغال ، باحثين عن ميادين للعمل والاستثمار غير تلك التي فقدوها في الشرق . فكلما انتعشت البرتغال وجدنا بيوت أعمال الأرستقراطية الجنوية تنتشر في البرتغال ، كمؤسسة دوريا Doria وسنتريون Centurione وكاتانيو Cattaneo وسلفاجو Salvago ، وسبينولا Spinola ثم مالبثوا أن انتشروا في إسبانيا ، فأسهموا في خرابها منتهزين فرصة انشغال إسبانيا في حروب صليبية لامعنى لها . ويقول كولز ماترجمته «ولقد أظهر البحث في دور الوثائق في إشبيلية كيف أن أهل جنوه كانوا هم الوسطاء الرئيسيين في التجارة بين إسبانيا والعالم الجديد خلال الفترة من ١٥٠٢ إلى ١٥٢٠م باعتبارهم حملة الأسهم غير المعلنين (السرّيين) في بيوت التجارة الإسبانية ، كما كانوا هم أصحاب وكالات التأمين البحري والمشتغلين بالإقراض ، وكانت ملحقات التاج الإسباني في البحر المتوسط كسردينيا والصقليتين قد أصبحت قرص عسل سائغ في أفواه الجنويين بفضل انتشار مستوطناتهم التجارية هناك في أواخر القرن الخامس عشر ومطلع السادس عشر»[٨٤] . وفي أسبانيا ذاتها اشتكى أعضاء برلمان قشتالة بمجلسيه سنة ١٥٢٨م من أن تجارة الصوف والحرير والصلب والصابون أصبحت حِكْراً على أهل جنوه . وزاد التغلغل الاقتصادي لأهل جنوه في إسبانيا عندما انفصل الأدميرال الجنوي دوريا Andrea Dorea عن خدمة فرنسا ، وانضم إلى خدمة التاج الإسباني ، بينما كان يحكم في نفس الوقت قبضته على موطنه جمهورية جنوه . وقد كان مركز الأرستقراطية الجنوية قد تدعم نتيجة استثماراتهم في إسبانيا . وقد كانت الأرستقراطية الجنوية هي المستفيد الأول من تدفق المعادن النفيسة خاصة الذهب على إسبانيا . ففي سنة ١٥٥٨م تقدمت شركة جريمادي الجنوية Grimadi بمليون سكودي ذهبي Gold Scudi كقرض واحد للتاج الإسباني . وقروض كهذه كانت تصحب بنسبة فائدة عالية تتراوح مابين ١٠٪ و١٤٪ ، وكانت تحسب كقروض طويلة الأجل ، وكان الدائنون يستولون على أقاليم ومناطق بأكملها ويحصلون على حجج ملكية Titles واحتكارات تجارية وصناعية .. إذا تخلف التاج عن السداد . وفي مواجهة تلك القروض والصفقات كرر البرلمان الإسباني سنة ١٥٤٢م وسنة ١٥٩٢م اعتراضه الذي تقدم به سنة ١٥٢٨م ، احتجاجاً على تطفل (الجنويين على الاقتصاد الإسباني) . ووفقا لحساب جرى سنة

---

(٨٣) *Ibid.*, p. 128

(٨٤) *Ibid.*, p. 141

١٥٩٥م دفعت إسبانيا مايساوي ٢٤ مليون دوكية مباشرة إلى الجنويين لإعادة دفع الديون وهذا المبلغ يساوي قيمة المعادن النفيسة الإسبانية خلال السنوات الست والأربعين السابقة على عام ١٥٩٥م(٨٥).

ولقد أدى خلق دوريا لعلاقات قوية ورسمية مع إسبانيا ، إلى جانب الحاجة الإسبانية الماسة للسفن الحربية التي تستطيع تحمل الدفاع البحري ضد العثمانيين وسكان الشمال الإفريقي .. كل هذا قد فتح فرصاً جيدة أمام أهل جنوه في مجال التعاقدات البحرية . فأسطول جنوه بقيادة دوريّا كان هو ضمان شارل الخامس للسيطرة على شبه الجزيرة الإيطالية ، كما كان هذا الأسطول يشكل خط الدفاع الأول عن العالم المسيحي ضد (الهجوم الإسلامي) وكانت نواة هذا الأسطول مكونة من سفن يمتلكها دوريا شخصياً وكان يقوم بتأجيرها لإسبانيا . إذن فقد كان دوريا متعاقداً بحرياً جاهزاً وهاماً إذ كان مالكا لاثنتي عشرة سفينة عندما التحق بخدمة شارل الخامس سنة ١٥٢٨م . وفي سنة ١٥٥٢م كان دوريا يمتلك ٣٩ سفينة Galleys . ولقد كانت هذه السفن التي يمتلكها دوريا هي التي «تحكم إيقاع ونبض الجهود الحربية الإسبانية في البحر المتوسط ضد العثمانيين في السنوات الوسطى من القرن السادس عشر»(٨٦) . إلى هذا الحد كانت إسبانيا عملاقا فخاريا . وكان دوريا مسؤولا عن تنظيم رحلات الزيارات الضرورية التي يقوم بها شارل الخامس خارج إسبانيا . وثمة عدد آخر من النبلاء الليجوريين (الجنويين) قد سلكوا مسلك دوريا في مجال التعاقدات البحرية ، خاصة أسر نيجرون Negrone ، وامبريال Imperiale ، وجريمالدي Grimaldi ، واوسوديماري Usodimare ، وسيجولا Cigola(٨٧) .

وإذا ماوضعنا في اعتبارنا هذه المعلومات الهامة عن التغلغل المالي والاقتصادي للجنويين في إسبانيا ، اتضح لنا كما يقول كولز ، أن الجنويين قد لعبوا دورهم الجديد من خلال خوف الإسبان من الخطر العثماني . وقام الجنويون بدورهم الجديد هذا بحثاً عن ميادين جديدة بعد أن فقدوا مستعمراتهم التجارية في بحر إيجة والبحر الأسود . وأخيراً فقد كانت هجمات سكان المغرب والتي

---

(٨٥) *Ibid.*, p. 141

وقد لاحظ الرحالة Defourneaux أن معظم التجارة داخل إسبانيا لايباشرها الإسبان . انظر :

M. Defourneaux, op. cit., pp. 20 – 21

وقد بلغ من حدة الأزمة الاقتصادية الإسبانية أن تخصصت فئة من الكتاب في متابعتها وتحليلها وعرفوا في التاريخ الإسباني باسم Arbitristas ورغم تحذيراتهم المبنية على تحليلات علمية إلا أن المتعصبين والمندفعين ورجال البلاط كانوا أعلى صوتا . انظر :

E.J. Hamilton, *Decline of Spain*, pp. 20 – 30

H. Kamen, *op. cit.*, p. 69

J. H. Elliot, *Imperial Spain*, (London, 1963), p. 67

(٨٦) P. Coles op. cit., p. 142

(٨٧) *Ibid.*, p. 143

كان يقودها في الأربعينات من القرن السادس عشر برباروسا ذو البأس الشديد ، أحد العوامل التي ساعدت الجنويين على إحكام قبضتهم على الاقتصاد الإسباني . «لقد كانت كميات الذهب الأمريكي الإسبانية والتي كانت تعتبر المورد الرئيسي والضمان لعظمة إسبانيا تشحن عادة بعد عبورها الأطلنطي من إشبيلية إلى الأراضي المنخفضة . ومن أنتورب Antwerp تدور عبر أوروبا الشمالية والغربية والوسطى ليتم المقايضة عليها بالبضائع والخدمات التي تدعم نظام الهبسبرج الإسباني . ومنذ أوائل السبعينات من القرن السادس عشر أصبح ثمة طريق مغاير يزداد استخدامه ، فالمعادن الأمريكية النفيسة أصبحت تنقل الآن عبر البحر المتوسط في سفن من برشلونة إلى جنوه . وسرعان ما حلت المدينة الليجورية (جنوه) محل أنتورب كمركز توزيع ضخم . وعلى هذا أصبحت جنوه هي العاصمة المالية لأوروبا .. وكان استخدام هذا الطريق مرتبطاً بالحروب البحرية الكبرى في البحر المتوسط .. لقد اتجهت معظم موارد الأمبراطورية الإسبانية ذات القيمة إلى هذه الجبهة المكلفة . وقد استمر هذا الوضع الاقتصادي لجنوه حتى بدأ فيض سبائك الذهب الإسباني الأمريكي يميل للنضوب في العقد الثالث من القرن السابع عشر»(٨٨) .

خاتمــة

لقد حاولنا في الصفحات السابقة ، الاقتصار على الأثر الاقتصادي قدر الإمكان لكن حقيقة الأمر أن دراسة التاريخ الحضاري ، دراسة متشابكة يتداخل بعضها مع البعض الآخر ، فيما لايبعد كثيراً عن الأثر الاقتصادي للمسلمين على إسبانيا في الفترة موضوع الدراسة ، أن التفات إسبانيا لحروب البحر المتوسط وصراعها مع العثمانيين وعدم اتباعها سياسة تسامح وحكمة مع المواطنين المسلمين ، قد أدى إلى أن توحيد إسبانيا لم يكن إلا توحيداً شكلياً . فقد كان مجرد زواج فرديناند وإيزابيلا ، لايعني سوى البداية لتلتف سائر مناطق إسبانيا حول الملكية الوليدة لكن هذا لم يكن ليتم دون فترة طويلة من الجهود الإدارية الصبورة ، إلا أن حروب البحر المتوسط الصليبية قد استنزفت الجهد والمال والطاقة والوقت اللازمين لإنجاز هذا المشروع ، مما اضطر الحكومة إلى التنازل والتغاضي عن كثير من الأمور الداخلية ، وانصرفت بذلك عن الاهتمام بالوحدة الحقيقية ، «فبقيت الوحدة مجرد واجهة كاذبة»(٨٩) .

---

(٨٨) H. Kamen, p. 13

H. Kamen, *War of succession*, pp. 25,83 – 84

J.H. Elliot, *op. cit.*, pp. 361 – 371

M. Defourneaux, *op. cit.*, p. 26

(٨٩) P. Coles, *op. cit.*, pp. 129 – 130

راجع أيضا حاشية رقم (٤٩) وخريطة رقم (١) .

وظل هذا الوضع مستمراً ومؤثراً في تاريخ إسبانيا حتى القرن الثامن عشر(٩٠) ، فيذكر كولز أن موظفاً إسبانياً كبيراً كتب عن بلده قائلا : «إنه جسم مكون من أجسام أخرى أصغر . أجسام منفصلة يعادي بعضها بعضاً ، ويناقض بعضها رغبات البعض الآخر . وفي حالة حرب دائمة فإن كل ولاية ، وكل مجموعة دينية ، وكل أصحاب مهنة ، ستكون منفصلة عن بقية الأمة ، متقوقعة على نفسها .. إن إسبانيا الحديثة ، يقصد في القرن الثامن عشر ، يمكن اعتبارها جسداً هامداً بلا طاقة .. إنها بمثابة كيان شاذ ضخم مكون من كيانات أصغر يواجه بعضها البعض الآخر نظراً لأن المصلحة الخاصة لكل منها في تناقض مع المصلحة العامة»(٩١) .

وإذا كان هذا هو وضع إسبانيا في القرن الثامن عشر ، فالذي لاشك فيه أنه نتيجة لأحداث قرون خلت(٩٢) .

المراجع

أولا : كتب باللغة العربية

حاملة ، محمد عبده ، **محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة** ، عمان ، ١٩٧٧ .

حاملة ، محمد عبده ، **التنصير القسري لمسلمي الأندلس** ، عمان ، ١٩٨٠ .

حاملة ، محمد عبده ، **التهجير القسري لمسلمي الأندلس** ، عمان ، ١٩٨٢ .

عنان ، محمد عبد الله ، **نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين** ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

---

(٩٠) بل وظل التأثير بعد ذلك ، فضياع حقب طويلة من التاريخ الإسباني بلا جدوى والجهود المدمرة لمحاكم التفتيش وعدم دمج العناصر السكانية ، كل هذا ترك تأثيره حتى في إسبانيا المعاصرة ، ولكن تتبع ذلك في إسبانيا المعاصرة يخرج عن نطاق هذا البحث .

(٩١) P. Coles, *op. cit.*, p. 130

(٩٢) رغم أنني اقتصرت في هذا البحث على الجانب الاقتصادي ، ومايمسه مساً وثيقاً وحددت بداية القرن السادس عشر كبداية له ، إلا أننا لو راجعنا بعض المراجع السابقة على القرن السادس عشر ، والمعاصرة له ، لوجدنا مايؤكد خسارة إسبانيا لعددٍ كبيرٍ من العلماء العرب المسلمين ، كانوا غرة في جبين الدهر ، إذ هجروها إلى المشرق أو بلاد المغرب ، نتيجة الاضطهاد ، فهاهو المقري (ت ١٠٤١هـ) يقول : «اعلم .. أن حصر اهل الارتحال ، لايمكن بوجهٍ ولا بحال ، ولايعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال ، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام ..» .

انظر :

المقري ، أحمد بن محمد المقرى التلمساني : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** . حققه إحسان عباس - بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٨ . جـ ٢ . ص ٥

ولا بأس من مراجعة التراجم التى أوردها ذو الوزارتين ، لسان الدين بن الخطيب ، رغم أنه سابق على الفترة التى نؤرخ لها (في القرن الثامن للهجرة) لمعرفة ماكانت تزخر به هذه البلاد من علماء مسلمين . انظر : لسان الدين بن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** . حققه محمد عبد الله عنان - القاهرة ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٣ .

والحقيقة أن المراجع العربية التراثية ، كنفح الطيب ، والإحاطة وغيرها ، لم تركز على الجوانب الاقتصادية ، وإنما اهتمت كثيراً بالأدب ، والشعر على نحو خاص ، كما تعرضت للجوانب السياسية .

عنان ، محمد عبد الله ، **الآثار الأندلسية الباقية** ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦١ .
كاردياك ، لوي **المورسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، المجابهة الجبلية** ، ترجمة الدكتور عبد الجليل التميمي ، تونس ، منشورات المجلة التاريخية المغربية ، ١٩٨٣ .
المقري ، أحمد بن محمد المقري التلمساني ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٨ .

ثانيا : وثائق وكتب باللغات الأوربية

Archivo de Simancas, patronate Real, Inquisicion, Legajo unico, **Fol. 38,39**
Archivo de Simancas, Inquisicion, Libro 4, **Fol. 262**
Archivo de Simancas, Inquisicion, Libro 77, **Fol. 228.**
Brunel, Antonie, *A Journey into Spain,* London 1970
Coles, Paul, *The Ottoman Impact on Europe,* London 1968
Deforneaux, Marcelin, *Daily Life in Spain in The Golden Age,* Translated by Newton Branch 1979
Elliot, J.H. *Imperial Spain,* London 1963
Elliot, J.H., *The revolt of the Catalons, a study in the decline of Spain, 1595 – 1640,* Cambridge, 1963
Hamilton, E., *War and Peace in Spain 1651 – 1800,* Cambridge, 1947
Hamilton, E., *Decline of Spain.*
Kamen, Henry, *Spain in The later 17th Century, 1665 – 1700* London, Longman, 1980
Kamen, Henry, *War of Succession.*
Lea, Henry Charles, *The Moricos of Spain, the conversion and expulsion,* Philadelphia, Lea Brothers, 1901
Lomax, Derek W. *The reconquest of Spain.*
Lynch, J., *Spain,* Oxford, 1969.
Petrie, Charles, *A Short History of Spain,* London, Sidgwick and Jackson, 1975.
Phillips, Carla Rahn, *The Spanish Wool Trade, 1500 – 1780,* in the Journal of Economic History, IV, 1982.
Read, Jan, *The Moors in Spain and Portugal,* London, Faber, 1974

مراكز الجمارك الإسبانية في القرن ١٧.



المصدر: Kamen, Henry: Spain in the later seventeenth Century 1665–1700, p. 16.

The Muslim Impact on Spanish Economy During the 16*th* Century and the Beginning of the 17*th* Century

Abd Al-Rahman A. Ashaikh
Assistant Professor, History Department,
Faculty of Arts, King Saud University,
Riyadh, Saudi Arabia.

ABSTRACT

The Church, and not the Spanish people, expelled the Muslims from Spain. This fact is that Lea told us and some other European historians tell us the same. They studied many documents in European archives specially spanish. The documents tell us that the Spanish land lords did not agree with muslim expulsion. The published documents show us that many lands had no farmers, many factories had no workers, many villages had no inhabitants, and many works and business had no experts, after the Muslim expulsion. Some historians think that Moriscos expulsion was the main cause of the decline of the Spanish economy until the 18th century.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١ ، ص ص ١٤٧ - ١٧١ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

دور وسائل الإعلام في دعم مكانة المعلم اجتماعيا

حمود عبد العزيز البدر(*)

مستخلص البحث

تكالبت ظروف عديدة على النيل من مكانة المعلم في العالم العربي بصفة عامة ، وفي دول الخليج العربية بصفة خاصة لعل أهمها ولوج مهنة التعليم من قبل أعداد غير مؤهلة تأهيلا مناسبا ، أو ليست معدة إعدادا نفسيا لممارستها . صاحب ذلك التوسع الأفقي السريع الذي تطلبته ظروف المنطقة التنموية مما أدى إلى جعل مكانة المعلم في مراحل ماقبل الجامعة أقل ما يجب أن تكون عليه من التقدير والاحترام . ولعلاج هذا الموقف يتطلب الأمر الاستعانة بكل الوسائل الممكنة ، والتي من أهمها وسائل الإعلام (المطبوعة والمسموعة والمرئية) . تلك الوسائل التي لها من التأثير الكثير : فهي واسعة الانتشار وقليلة التكاليف إذا قيست بتكاليف التربية . وهي متعددة التأثير . ولايتطلب الاستفادة من غير المطبوع منها ، معرفة بالقراءة والكتابة ، كما أن لها دالة على مستقبليها لأنها ليست مفروضة عليهم بل يستقبلونها طواعية .

لهذا فإن توظيف هذه الوسائل بكفاءة عن طريق التعرف على خصائص جمهور كل وسيلة منها ، ومدى تأثير تلك الوسيلة على ذلك الجمهور ، سوف يساعد كثيرا على إعادة الاحترام المطلوب لمهنة التعليم التي يتطلب أداؤها بكفاءة احترامها واحترام المنتمين إليها .

هذا ماحاول البحث الإجابة عنه .

مقدمــة

تتحدد قيمة كثير من الأشياء بعدة عوامل أهمها : الندرة والمتانة والقدرة على مقابلة الاحتياجات الفردية أو الاجتماعية .

وعندما كان المعلم نادراً ، كانت مكانته الاجتماعية عالية . ففي القرية قديماً كان المعلم يُدعى

(*) أستاذ بكلية التربية - جامعة الملك سعود - الرياض ، المملكة العربية السعودية .

إلى كل مناسبة . ويستشار في كل معضلة ، ويُوَسَّط في كل مشكلة . كان نادراً من حيث العدد والإعداد .

كان إعداد المعلم جيداً ، فعلى الرغم من أنه لم يحمل الشهادات المتعارف عليها ، فإنه كان يحمل شهادة اجتماعية بأنه يشغل تلك المكانة عن جدارة ، تصل إلى عدم مقدرة أحد على مساءلتها . فقد اعتاد الناس في دول الخليج ألا يسألوا المعلم عما كان يفعله بأبنائهم (لك اللحم ولنا العظم) .

كان المعلم يجد مقابلاً لعمله يتمثل في دَخْل جيد ، مقارناً بمستوى المعيشة في مجتمعه ، وإن لم يكن ذلك المقابل مقنّناً ، فهو نتيجة اقتناع ذلك المجتمع بدعم هذا المعلم ، ليؤدي واجبه على أكمل وجه .

كان المعلم قادراً على سد الاحتياجات الفردية والاجتماعية ، وكانت التطلعات محدودة للغاية ، إذ لم تكن تزيد في مجملها عن تعليم الأفراد القراءة والكتابة والعناية بقراءة القرآن وتجويده وقلما طُلِبَ منه تعليم مبادىء الحساب . ومن ثم كان قادراً على مقابلة تلك التطلعات بكفاءة ، ومن لايقتنع عليه أن يدخل الحلبة لينازعه تلك السلطة وأين هو المنازع ؟

واحترام الذات والمهنة أيضاً ، عنصر فعال في أي مجال يطرقه الإنسان ليتخذ منه مهنة ، أو مجال عمل ، واكتساب معيشة . فمعلم الأمس كان يحترم ذاته يعتزّ بها ، ومن ثم فَرَض احترامه على الناس ، مما أدى بدوره إلى احترام التلاميذ له . وكان اختيار المعلم نابعاً من اقتناع الناس بمكانته وبمقدرته على مقابلة معايير المجتمع التي من أهمها : احترام الذات ، واحترام المهنة ، والإخلاص لذلك .

ثم بدأ التعليم النظامي يتسع وينتشر أفقياً بشكل سريع ، أدى إلى أن نبحث عن المعلم بأي وسيلة ، مما جعل معايير الاختيار تتغير ، وأدى إلى وجود معلم الضرورة . معلم الأمس لم يكن مطالباً بإبراز شهادة من معهد أو جامعة ، وإنما منحه المجتمع – من خلال معايير معينة ، يعتز بها ويقدسها – شهادة غير مكتوبة . وكان من الصعب المساس بمكانته ، لأن جميع أفراد المجتمع العاقلين كانوا يدعمون مكانته .

أما معلم اليوم ، فهو من حيث المقاييس المكتوبة المقننة للشهادة أكثر تأهيلاً ، ولكنه – لسوء الحظ – أقل احتراماً لدى طلابه ، ولدى مواطنيه ، وأقل ندرة من سابقه وأقل تأهيلاً عملياً ، من حيث مواجهة ماهو مطلوب منه . وقد يكون اتجاهه إلى هذه المهنة ، لا عن قناعة ، وإنما لاعتبارات معيشية محضة . فهو إذن لايحترم ذاته ، ولايحترم مهنته ، مقارناً بسابقه معلم الأمس ، بنفس القدر أو قريباً منه . ففي دراسة أجراها فريق من (جامعة الملك سعود) أجاب ٥ر١٩٪ من معلمي العالم العربي بأنهم لم ينخرطوا في مهنة التعليم برغبتهم[١] .

---

(١) عبد العزيز العروز وآخرون ، **ظاهرة عزوف الشباب العربي عن مهنة التدريس** ، تونس ، (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٨٣م) ، ٤٢٧ .

وإذا كان من بين مؤهلات معلم الأمس ، التي قبل على ضوئها ليكون معلماً أنه محترم الصفات ، محترم التصرفات ، محترم المكانة ، يحسب تصرفاته ويقدرها ، فإن معلم اليوم قليل الخبرة ، صغير السن ، كثير العدد ، قليل الاحترام لمهنته ، يخرج منها إلى غيرها عند أقرب فرصة تسنح له .

ومعلم الأمس كان نادراً ، ولكن معلم اليوم ، ليس كذلك ، فهو إن لم يتوافر من بين المواطنين ، توافر من بين المتعاقدين من أي مكان آخر يوجد فيه .

أما المقابل الذي يحصل عليه معلم اليوم فهو مقابل مُجْزٍ من حيث الكمية فدخل المعلمين في دول الخليج ، مقارناً بالفئات الأخرى ، دخل جيد ، بل إنه في بعضها أكثر من الجيد . لكنه في دول عربية أخرى غير مجز على الإطلاق . يضاف إلى ذلك أن مهناً أخرى كالطب والهندسة وبعض أنشطة الإعلام صارت منافساً خطراً لمهنة التعليم في جذب الشباب المتميز .

تلك عوامل كثيرة أثرت في مكانة المعلم ، أمام نفسه ، وأمام تلاميذه ، وأمام مجتمعه . فإذا أضيف إليها عامل آخر ، وهو محدودية سلطة المعلم على الطالب ، وجدنا مكانة المعلم توصف بأنها غير جذابة ، رغم حوافزها المادية .

من هنا تبرز مشكلة تعزيز مكانة المعلم ، أمام نفسه ، وأمام طلابه ، وأمام مجتمعه . وتلك مشكلة ليست سهلة الحل ، لكنها ليست مستحيلة التحقيق . وإنما يمكن أن تتوافر عليها عوامل عدة لتعدل من كبوتها . وهذا مايجب أن تعدَّ له العدة باستخدام وسائل الإعلام المختلفة ، نظراً لضخامة المشكلة ، واتساع نطاقها .

الوظيفة الاجتماعية لوسائل الإعلام

لقد خلق الله الكون لحكمة يعلمها هو ، لكنه – سبحانه – علّمنا أنه ما خلق الخلق إلا لعبادته ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ وَ الإنسَ إلاَّ ليعبدون ﴾ (الذاريات : ٥٦) .

وإذا كان الإنسان هو ركيزة هذا الكون ، فإن الله قد يَسَّر له كثيراً من مخلوقاته ، لتساعده على أداء المهمة الأساسية التي أوجد من أجلها .

لكنه شَطَّ ، فحرّف كثيراً مما خلق الله عما يجب أن تكون عليه تلك المخلوقات . ووسائل الإعلام أوجدها الإنسان لخدمته . فهو اجتماعي بطبعه ، يريد أن يعيش فرداً بين مجموعة ، ولا يتحقق له ذلك إلا إذا تفاهم مع غيره . فالتعاون المثمر بين الأفراد ، لايتم إلا إذا استطاعوا أن يفهم بعضهم بعضاً .

ووسائل الإعلام منوط بها أن توجد مثل هذا التفاهم . فهي إذن وسيلة وليست غاية . متوقع منها أن تقرّب بين الأفراد والشعوب ، لا أن تباعد بينهم . مطلوب منها أن تبني تراثهم وبخاصة

الصالح منه لتنميه وتطوره وتنشره . مطلوب منها أن تقتبس الجيد من حضارات وتراث الآخرين لتقدّمه لجمهورها . مطلوب منها أن تكون حارساً لتراث وحضارات جمهورها ضد أي غزو يهدف إلى هدم مقوماته .

وعلى الأخص مطلوب من وسائل الإعلام أن :

١ - تقوي الروح المعنوية للمواطن ، بتقوية إيمانه بربه ، ووطنه ، وتراثه ، ومعتقداته ، وبخاصة ماهو مستقيم منها .

٢ - تكون وسيلة تقوية لروح التعاون بين أفراد المجتمع الذي تخدمه ، تقرب بين متباعديه ، وتقوي أواصر متقاربيه .

٣ - تقوي الإيمان بمقدرة المجتمع على تحقيق أهدافه ، من خلال تعاون أفراده ، مع قدر من نكران الذات لصالح المجموعة .

٤ - تكون وسيلة لتعريف أفراد المجتمع بوظائف وأعمال الأفراد الآخرين ، تمهيداً لتقبلها ، والتعاون من أجل تحقيق أهداف المجتمع من خلالها .

٥ - تُطْلع المجتمع على وظائف وأهداف المجتمعات الأخرى ، من أجل خلق جو للتعايش السلمي بين تلك المجتمعات .

٦ - تحاول الاقتباس مما لدى المجتمعات الأخرى من إنجازات حضارية ، في المجالات المختلفة ، مما لايتنافى مع الأهداف والمثل الأساسية لمجتمعنا .

٧ - تبلور الصورة لدى الأفراد ، عن الحياة في مجتمعهم بصفة خاصة والمجتمعات الأخرى بصفة عامة في جميع المجالات : الإنسانية ، والأدبية ، والعلمية ، والتقنية .

من هذا نجد أن وسائل الإعلام تكاد تكون أدوات تعليم ، وتثقيف ، وتطوير ، وتسلية ، وإمتاع ، وتسويق . على أنه يجب أن نعترف أن هناك كثيراً من الاختلاف حول الوظائف الأساسية لوسائل الإعلام . بل يختلف المختصون - أيضاً - حول تغليب وظيفة على الأخرى ، عند الكلام عن وسيلة من الوسائل . لكن يتفق كثير منهم على أن نشر الأخبار هو الأساس الأول لوجود وسائل الإعلام منذ نشأتها . ويتأكد ذلك أكثر فيما يختص بالوسائل المكتوبة والمرئية : (إن الغرض الصحافي لوسائل الإعلام هو الذي أعطى لها القيمة الاجتماعية . ويمكن أن تقاس درجة إجادتها لعملها بقياس أدائها لهذا الغرض)[٢] .

ومنذ القدم كان الإخبار والتوجيه هما الغرضان الأساسيان لوسائل الإعلام المكتوبة ، حيث لم يكن هناك مجال للوسائل المسموعة والمرئية ، التي لم تكن قد اخترعت بعد . ومع تطور المجتمعات زيدت وظيفتا التسلية والتسويق لتلك الوظائف[٣] .

(٢) Cole Barry, (ed.), Television, (Free Press, Macmillan New York Co.: 1970) p. 3

(٣) Vern Edwards, *Journalism in A Free Society,* (WM BROWN CO. 1970) p. 12

وتختلف أهمية الوظائف باختلاف الوسيلة وقدرتها على أداء وظيفةٍ ما بكفاءة . إذ يرى فرن إدواردز أهمية كل واحدة منها ، مقارنة بالوسيلة التي تنشرها كمايلي(٤) :

الإعـلام	التوجيـه	التسليـة	الإعلان (التسويق)
الجرائد	الجرائد	التليفزيون	الجرائد
التليفزيون	المجلات	الراديو	التليفزيون
الراديو	التليفزيون	المجلات	المجلات
المجلات	الراديو	الجرائد	الراديو

ومهما كانت مكانة الوظيفة ، مقارنة بالوسيلة الإعلامية ، فإنها تُجمع على أهمية التأثير ، سلباً أو إيجابا ، على الأفراد والمجتمعات . فهي تؤدي إلى تماسك المجتمع ، وتدعيم علاقات أعضائه ببعضهم البعض ، وتزيد من فعاليته إذا وجهت توجيهاً سليماً ، وكان القائمون عليها على درجة كافية من المسؤولية . ويمكن أن تهدم أواصر التعاون والتآخي ، وتبث وسائل الفرقة إذا أسيء استخدامها ، أو قام عليها انتهازيون(٥) .

إن التاريخ البشري يتحول شيئاً فشيئاً إلى سباق بين الاتصال والكارثة . فاستخدام الاتصال بشتى فروعه استخداماً كاملاً أمر أساسي كي نضمن للبشرية أكثر من مجرد تاريخ ، ولأولادنا مستقبلا آمنا(٦) .

فالإعلام الصادق المتزن يبني علاقات المجتمع ، وينور أفراده ، ويجعلهم على اطلاع بمايجري حولهم ، سواء في داخل مجتمعهم أو في خارجه ، بينما الإعلام المغرض أو المثير يمكن أن يبث مايشوه الصورة ويثير الأحقاد ، ويؤجج الغرائز . ولنا أن نتصور مدى الهدم الذي يورثه مثل ذلك اللون من الإعلام .

والتوجيه المدروس النابع من المباديء السامية ، التي يدين بها المجتمع ، يمكن أن يقوي أواصر المجتمع ، ويزيد من درجة إيمانه بتراثه ، وقيمه ، وتاريخه ، وحضارته . كما يوجه أفراده إلى اعتناق ماهو نافع ، واجتناب ماهو ضار . ويؤدي مثل ذلك أيضاً إلى تبني كل ماهو جديد نافع ، واجتناب ماهو هدام ، بينما التوجيه المسموم يمكن أن يحول المجتمع إلى مجتمع غريزي ، متفكك ، لايعرف إلا الغريزة والشهوة والأنانية . ولنا أن نتصور مدى فداحة الخطر عندما يكون هذا هو التوجيه .

---

(٤) V. Edwards, *Op. Cit.*, p. 13

(٥) زيدان عبد الباقي ، **وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية** ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٤م) ، ص ١٣ .

(٦) اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال ، **التقرير النهائي** ، (جنيف ، اليونسكو : ١٩٧٩م ، أشير إليه بـ (اليونسكو ١) ، ص ١٢ .

والتسلية – أيضاً – سلاح ذو حدين ، إن أُحسن توظيفها من خلال وسائل الإعلام ساهمت مساهمة فعالة في تعليم وتثقيف المجتمع ، ونقل ونشر تراثه الذي يعتز به ، وإلا صارت وسيلة تؤجج الأحقاد ، بين أفراد ومجموعات المجتمع ، وقد توغر صدور بعض المجتمعات على بعضهم . كما قد تكون وسيلة لإثارة الغرائز . ومتى ثارت الغرائز انهدم المجتمع . فلاحياة كريمة لمجتمع بدون أخلاق ، ولا أخلاق مع سيطرة الغريزة .

والإعلان كذلك يمكن أن يسهم في تقوية أواصر المجتمع ، مع مؤسساته الاجتماعية ، والثقافية ، والإنتاجية . فهو بقدر مايفيد المؤسسة الإنتاجية ، يفيد – أيضاً – المستهلك لسلعتها ، أو خدمتها . وإذا أُحسن استخدامه أفاد المعلِن والمعلَن ، أما إذا أسيء استخدامه ، فقد يفيد المعلِن لفترة وجيزة ، لكنه سوف يكون معول هدم على المدى الطويل . وأهم عنصر من عناصر الإعلان هو الصدق .

يتضح مما سبق ، أن الفرد اجتماعي بطبعه ، لايعيش منعزلاً إلا إذا سجن ، أو اختلت وظائفه التي خلقه الله عليها . وهذه الصفة تتطلب منه أن يسعى إلى معرفة مالدى غيره من الأفراد والمجتمعات[٧] .

ولقد تطور هذا الطبع لدى الفرد إلى وسيلة منظمة ، يستخدمها الأفراد ، والمؤسسات ، والحكومات ، من أجل الإفادة من أهميتها وفعاليتها . فقد أصبحت وسائل الاتصال أكبر عون للحكومات والمؤسسات على أداء وظائفها . كما أصبحت بالنسبة للفرد خير رفيق في السفر والإقامة ، أو في الحل والترحال ، وفي الريف والحضر . وهنا تجدر الإشارة إلى أن أي تعاون فعال بين الأفراد والجماعات لايتم إلا إذا تعرّف كل طرف منهما على الطرف الآخر[٨] .

ومن ثم فإن مرسل الرسالة يجب أن يتعرف على من سوف يرسلها لهم ، حتى يصمم المحتوى في ضوء قدراتهم ، وخلفياتهم ، واستعداداتهم . كما أنه مطالب بأن يعرفهم بنفسه ، كي يطمئنوا إليه ، وإلى مايصدر منه .

الإمكانات التربوية لوسائل الإعلام

وسائل الإعلام من وسائل نقل الفكر من مرسل إلى مستقبل ، وهذا مايفعله التربويون . فهناك مرسل ، ومستقبل ، ورسالة ، ووسيلة . هذه العناصر الأربعة يشترك فيها كل من الإعلام والتربية . بل إن مضمون الرسالة في كل من المهمتين يمكن أن تكون خيراً كاملاً ، ويمكن أن تكون

(٧) عبد الباقي ، **مرجع سابق** ، ص ٢٠ .

(٨) Doherty, Joseph and Athers, Intercultural Communication, Tasks and Way of Cooperative Research, (Heldelberg: Tnstitute of Intercultural Research, 1975), p. 6

شراً محضاً ، كما يمكن أن تكون خليطاً من هذا وذاك . لكن الفرق هو أن الإعلام حَظِيَ بثورة تقنية غير محدودة ، بينما وسائل التقنية التربوية لم تتقدم بنفس القدر ، وإن تقدمت الوسائل فإن المضمون بقي راكداً .

ومن ثم فإن لوسائل الاتصال إمكانات تربوية هائلة ، على الرغم من أن معظم دول العالم لم تستغلَّ حتى الآن هذا القدر من الإمكانات ، وإن استغلها عدد قليل من الدول استغلالاً تربوياً هائلاً كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان على سبيل المثال . فقد أثبتت الأبحاث التي أجريت على استخدام التليفزيون التعليمي أن التلاميذ يتعلمون منه بكفاءة أعلى بكثير من الطرق التقليدية للتعليم(٩) .

بل إن الولايات المتحدة الأمريكية ، على الرغم من إمكانات مؤسساتها التعليمية ، تستخدم التليفزيون ليقدم من خلاله المقررات الدراسية لأكثر من ٣٠٠ كلية . ونحن في دول الخليج لدينا تجارب مماثلة كبرنامج (شارع السمسم) ، وبرنامج (سلامتك) تقدم من خلالها وجبات تربوية هادفة ، استوعبها الأطفال إلى درجة كبيرة وأصبحوا يتغنون ببعض شعاراتها ، مما يؤكد الانطباع بأن استخدام التليفزيون كأداة تعليمية له من المردود التربوي الشيء الكثير .

الأغرب من هذا ، أن هناك من يعتقد أن القرن الحادي والعشرين الميلادي سوف يشهد ثورة في طريقة التعليم لاتجعل الذهاب إلى المدرسة ضرورياً لكل طفل ويعتقدون أن وسائل الإعلام سوف تتكفل بذلك من خلال إرسال برامج للأطفال في بيوتهم . (مجلة أهلا وسهلا)(١٠)

وبين هذا التصور المغرق في الخيال ، مع عدم استحالة تطبيقه ، وبين الإفراط في عدم الاستفادة من وسائل الاتصال ، بما لها من إمكانات واسعة ، تقع أهمية استغلال وسائل الإعلام ، لما لها من جاذبية ووجاهة وسرعة تحرك ، وديناميكية في التطور .

فالجريدة تدخل البيت عن طواعية ، ويقرأها الصغير والكبير ، وفيها من الغث والسمين مايملأ صفحاتها ، وماهو غث بالنسبة لفرد يمكن أن يكون سميناً بالنسبة لغيره ، وهكذا .

والمجلة أيضاً تزين رفوف المكتبات ، لفترة من الزمن ، يعود إليها القارىء كلما أحس بالسأم من الواجبات المفروضة عليه ليجد فيها تسلية ومتعة . وبالتالي فهي وسيلة مطواع للاستخدام التربوي إذا أُحسن الإعداد لاستخدامها .

والمذياع الذي هو كالجَنَى ، يصحبك في الغرفة ، وفي الصحراء ، وعلى متن الطائرة : في السهل والجبل ، لايرده جدار ، ولايمنعه ظلام ، ولا يحد من خطوته شوك ، أو حجارة . هو أيضاً

---

(٩) حمود البدر ، **الحاجة إلى مجلس إعلامي تربوي لدول الخليج العربي** ، بحث ضمن وقائع مؤتمر الإعلام والتربية (الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ، ص ١٤ .

(١٠) «التعليم في الغد بلا مدارس ولا جامعات» **مجلة أهلا وسهلا** ، العدد الأول ، السنة العاشرة ، الخطوط الجوية العربية السعودية ، جدة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ص ٣٤ - ٣٩ .

وسيلة مطواع للبرامج التربوية ، وهو أيضاً لايحتاج ممن يستقبله معرفة القراءة والكتابة .

وهذا الساحر العجيب (التليفزيون) ، الذي يحول الخيال إلى صورة حقيقية ناطقة بأبعادها المختلفة ، وألوانها الزاهية ، لديه من الإمكانات التربوية ، مالا حدود له .

إذن فوسائل الإعلام هي – في حد ذاتها – وسائل تربوية ، يمكن أن تستخدم – إذا أحسن استعمالها – تمكين التربويين من تحقيق أهدافهم ، بأساليب جذابة ، محدثة تأثيرات كبيرة جداً .

فهل أدت هذه الوسائل رسالتها ؟

الجواب : نعم ، ولا .

فهو : (نعم) إذا نظرنا إلى أن رسالتها الإعلامية ، تعتبر جزءاً من التوجيه والإرشاد ، وأن القائمين عليها هم أولئك القائمون على وسائل التربية ، وإن اختلف الأشخاص . وعن طريق تسليتها تطعّم تلك البرامج بأهداف تربوية .

والجواب (لا) إذا نظرنا إلى تلك الإمكانات المهدرة ، والتي تخضع لمسلسلات أكثر مايملأ فراغها هو التهريج والإثارة أحياناً . (ولا) ، إذا قارنا من يقوم على التأليف والإخراج فيها ممن ليسوا بنفس المستوى المطلوب ، بمن يجب أن يخطط لتحقيق الهدف التربوي .

والجواب (لا) أيضاً ، إذا نظرنا إلى أن إمكانات ساحرة وجذابة ، تسعى إلى الشاب أو الكهل في عقر داره ، فيستجيب لزيارتها طائعاً ، مختاراً ، مستسلما للذاتها وتبرجها أحياناً ، أو هاربا إليها من جمود وسائل التربية الأخرى ، ثم نجد أنها لم تستغل الاستغلال الأمثل .

وبتفصيل أكثر يحسن أن ننظر إلى كل وسيلة من وسائل الإعلام للتعرف على مدى استفادة التربية من إمكاناتها :

(أ) وسائل الإعلام المطبوعة

هناك ميل من الصحافة المطبوعة إلى تغليب مايدغدغ أذواق القراء ، ويثير انتباههم ، حتى وإن قلّت قيمته التربوية . ذلك أن التمويل يأتي من المصادر الإعلانية . وقد اعتادت وسائل الإعلام أن تخضع للمؤسسات التجارية ، مما أدى – في بعض الأحيان – إلى أن تخضع محتويات التحرير وسياساته ، لمقتضيات مصلحة تلك المؤسسات[١١] .

والمعلن لايبعث بإعلانه إلا إلى صحيفة ناجحة ، من حيث كمية التوزيع . وهذه الأخيرة لايحددها المستوى العلمي ، بقدر مايجعلها تزدهر ذلك الزخم من المادة التي ترضي أذواق أكبر عدد من القراء ، بصرف النظر عن ملاءمة هذه المادة للمستوى المنشود للرقي بذوق الأمة ، وتقديم أعمال تساند التربية في أداء رسالتها .

---

(١١) Shramm, W, and Other, *Responsibility in Mass Communication* (New York: Happer and Row, 1967), p. 48

ومن بين العوائق التي تحول دون الصحيفة مهما كانت درجة انتشارها ، ودون المساهمة الجادة في أداء المهام التربوية ، أن القائمين عليها لم يؤهلوا تأهيلاً يجعل الأهداف التربوية بعض اهتماماتهم ، بل ربما كان أهم تأهيل لبعض قادتهم ، هو الاتجاه نحو الربح المادي . وهذا وإن لم يكن بالضرورة منافياً للأهداف التربوية ، فهو ليس متوافقاً معها . ومن أجل الخروج من هذا المأزق ، لابد أن تكون هناك مواءمة بين الأهداف الإعلامية بصفة عامة ، والأهداف التربوية ، حتى نستطيع أن نقدم خدمة متوازنة (إن عملية الإعداد التربوي للمواطن ، بحكم تعددها ، وتشعبها ، وأهميتها ، تحتاج إلى توظيف وسائل الإعلام ، كما أن وسائل الإعلام من جهة أخرى – تجد في التربية مجالها ، الذي ينبغي أن تقتحمه ، ابتعاداً عن حصر فاعليتها في الترفيه ، والتسلية ، والترويح)[١٢] .

وبمجرد مقارنة بين الحَيِّز الذي يعطى لأخبار الرياضة والفن ، وبين مايخصص للأنشطة التربوية المبرمجة ، في معظم الصحف العربية ، نجد دليلاً واضحاً على أن هذه الوسائل لم تفق بعد على حقيقة أن الأمر خطير ، ويحتاج إلى إعادة نظر .

اسأل طالباً عن التفاصيل الدقيقة لحياة أحد اللاعبين ، تجده ملماً بها ، محيطاً بجميع تفاصيلها ، بينما إذا سألته عن حياة أشهر المربين بل ربما عن أقربهم إليه (أستاذه) ، ستجد معلوماته معدومة .

(ب) الوسائل المسموعة

وهي الإذاعة المرسَلة عَبْر الأثير ، أو المواد المسجلة ، التي توزع على أشرطة تسجيل . وهي كلها وسائل فعالة سهلة الوصول ، سهلة الاستعمال ، قليلة التكاليف نسبياً . ولكنها من وجهة نظر الموضوع الذي نعالجه ، لازالت قاصرة في أداء مهمتها التربوية . ولانعدو الحقيقة إذا قلنا بأنها هي الأخرى لم تقم بواجبها التربوي لأسباب ، منها :

أولا : الانفصام شبه الكامل بين القائمين على التربية والقائمين على هذه الوسائل الفعالة . فلا الإذاعيون مؤهلون من حيث الإعداد العلمي ، ولا من حيث الإعداد التدريبي للقيام بالواجب التربوي المطلوب ، أو المتوقع . ولا التربويون مؤهلون لأداء مهام إعلامية . ومن ثم يعمد الأولون إلى حشو برامج الإذاعة بما لايتواءم مع الأهداف الوطنية للتربية . ومن جانب آخر ينعي التربويون حظهم في عدم وجود وسائل فعالة تحت أيديهم لتحقيق فعالية أكبر للأهداف التربوية . وبين هؤلاء وأولئك تضيع المصالح .

ثانيا : تتطلب الإذاعة كَمّاً هائلاً من المواد المذاعة ، لعدد من الساعات تصل في مجملها يومياً إلى عشرين ساعة . وهذا يجعل القائمين عليها لايجدون وقتاً لوقفة تفهم تجعلهم ينظرون إلى الإنتاج

---

(١٢) زكي الجابر ، **من أجل دار للإعلام التربوي في منطقة الخليج** ، بحث ضمن مؤتمر الإعلام والتربية ، (الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) ، ص ٦ .

التربوي بوصفه مادة فعالة ، لشغل جزء كبير من ذلك الفراغ . ومن جانب آخر ، فإن حاجة هذه الوسيلة إلى كمية هائلة من المواد يجعل المربين – لو تحركوا – في موقف يمكنهم من الإسهام في ملء ذلك الفراغ بما يحقق كثيراً من أهدافهم .

ثالثا : وفي مجال التسجيلات نجد الناحية التجارية الغالبة على توزيع هذه الأشرطة تحول دون تبني تسجيل وتوزيع أشرطة تربوية هادفة ، إذ أن مبدأ الربح والخسارة يجعلهم يطرقون أسهل الأبواب ، وهو باب استخدام الغرائز كوسيلة للترويج ، وأهم ذلك استعمال الأسماء المشهورة في مجال الفن . ولو أحسن استخدام هذه الوسيلة لأمكن استدراج هذه الأسماء اللامعة للمشاركة في أعمال تربوية ناجحة للجمع بين تحقيق الأهداف الوطنية ، وتحقيق قدر معقول من الربح .

(جـ) الوسائل المرئية

تنقسم هذه الوسائل إلى أربع فئات رئيسة : السينما ، والمسرح ، والتليفزيون ، والتسجيلات المرئية (فيديو) . **فالسينما** هي أقدم هذه الوسائل وهي أقلها انتشاراً في الوقت الحاضر لتأثير الوسيلتين الأخيرتين (التليفزيون . وأشرطة الفيديو) عليها . وعنصر الضعف فيها أن المشاهد يجب أن يسعى إليها وأن يخصص وقتاً ووسيلة انتقال ، وأن يجلس في مكان مخصص لذلك منذ البداية وحتى النهاية ، وإلا فقد ميزة المتابعة . والوسيلة الأخرى التي هي **التليفزيون** تكاد تكون عروس هذا العقد من الزمن لما تتميز به من إمكانات ، فهي جذابة مريحة متوفرة ، بإمكانها تصوير الواقع بكل أبعاده . وتشاركها **أشرطة الفيديو** في ذلك مع ميزة للفيديو ، وهي أنك تعود إليه في أي وقت تشاء ، لايحدك وقت ولازمن .

ومع ذلك فإن إمكاناتها التربوية لم تُستغَلّ بعد : بل إن هناك تقاعساً كبيراً من طرفي العلاقة (التربويين والإعلاميين) في عدم الاستفادة من هذه الوسائل الفعالة ، في مجال تحقيق الأهداف التربوية ، لأسباب منها :

أولاً : إن الإنتاج السينمائي باهظ التكاليف ، مقارناً بإمكانات التربية المحدودة ، وينطبق ذلك على الإنتاج التليفزيوني . وإن وجدت الإمكانات فإن عدم وجود الفنيين المطعمين بالفهم التربوي المندفع يحول دون ذلك .

ثانياً : لازال التربويون يجترون أساليب تربوية قديمة ، بينما يتبنى الإعلاميون أساليب متطورة ، يلاحقون بها مايستجد من تقنية حديثة ، في مجال الاتصال ، وكلما تقدم الزمن زادت الشقة بين الفريقين .

ثالثاً : إن التأهيل العلمي والتدريبي لكلا الفريقين ، يبعده عن التفاعل مع وسائل وتقنيات الفريق الآخر ، وهذا بدوره يؤدي إلى إنتاج مناقض لأهداف التربية الوطنية التي يجب أن تسمو على غيرها من الأهداف .

وباختصار ، نحن حتى الآن لم نستثمر هذه الوسائل الاستثمار الأمثل ، برغم المحاولات المتفرقة والمبذولة من أجل الاستفادة من هذه الوسائل المؤثرة . ومع أن جهوداً بذلت ومحاولات جربت ، فإن المردود محدود للغاية(١٣) .

وتعتبر السينما والمسرح وسيلتين فعالتين ، من وسائل الاتصال المرئية ، لكنهما تأثرتا تأثراً كبيراً بظهور وسائل الاتصال المرئية المسموعة الحديثة : التليفزيون والفيديو ، واللتين حولتا تأثير السينما والمسرح وفعاليتهما تأثيراً محدوداً .

لكنهما (أي السينما والمسرح) لازالتا تتمتعان بمقدرة على التأثير وبخاصة لأن من يذهب إليهما مستعد ذهنياً ونفسياً للتأثر بما يعرض فيهما . ومع هذا فإن التربية لم تستغلهما الاستغلال الأمثل لتحقيق أهدافها لأسباب منها :

أولا : أن المسرح والسينما وسيلتان تجاريتان ، في الغالب الأعم ، بينما الأهداف التربوية تسعى إلى تحقيق الصالح العام ، حتى وإن كان غير مربح تجارياً ، لذا فالمنتج والمخرج والممثل يبحثون عما يجعل المشاهد يدفع أكثر ، ويتردد عدداً أكبر من المرات .

ثانياً : لم يعد المخرج ولا المنتج ولا الممثل ، لكي يقوموا بأدوار تربوية فعالة ، وإن تم هذا فبجرعات قليلة ، وعلى فترات متفاوتة . والسبب أن إعدادهم وتدريبهم وجه نحو غايات أخرى ، قد لاتكون التربية إحداها .

ثالثاً : أهمل التربيون هذه الوسائل لأنها تتطلب مواصفات تأهيلية ، تقوم على الموهبة ، وعلى التدريب الطويل ، مما يتطلب تكاليف باهظة نسبياً ، يندر أن نجد من التربويين من يميل إلى بذلها .

رابعاً : وهذه هي أساس المشكلة : أن التربويين يتعلقون بمُثُل ، يعتقدون أنها لاتتناسب مع وسائل التأثيرات المشار إليها ، وبالتالي يقود هذا الإحساس إلى الإحجام عن استغلال هذه الوسائل ، مع تنقية مافيها من شوائب ، إن وجدت .

صورة المعلم العربي في وسائل الإعلام

يقول الاقتصاديون : إن الندرة والفعالية أساس القيمة . فالذهب غالي الثمن لخصائص أهمها ندرته . والكمأة(*) (في دول الخليج خاصة) تباع بأغلى الأثمان عندما تعرض في أول الموسم ، نظراً لندرتها ، لكن عندما تكثر تقل قيمتها .

والمعلم المؤهل تأهيلاً مناسباً يعتبر نادراً ، ولكن ندرته هذه شابتها شائبة دخول عدد غير قليل من قليلي التأهيل ، مما أهدر قيمة المؤهل ، فقليل نسبياً عدد أولئك المؤهلين وبخاصة في المرحلة

---

(١٣) وزارة التربية والتعليم في البحرين ، **أهمية تأسيس دار للإعلام التربوي للأطفال والشباب بدول المنطقة** ، بحث ضمن وقائع مؤتمر الإعلام والتربية (الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) . أشير إليه بـ (تربية البحرين) ، ص ١٤ .

الابتدائية التي هي الأساس ، وفيها العدد الأكبر من الطلاب . إذ يرى الدكتور الجلال في كتابه (تربية اليسر وتخلف التنمية) أنه (يجب تشجيع الأساتذة للتخصص في التعليم الابتدائي ، وتأهيلهم على مستوى الجامعة ، ودفعهم للاستمرار في مهنهم ، عن طريق احترامهم ، وإعطائهم حقهم ، مساواة بغيرهم)(١٤) .

وصورة المعلم في وسائل الإعلام ماهي إلا انعكاس لصورته أمام نفسه ، وصورته أمام مجتمعه : فصورة المعلم أمام نفسه مهزوزة ، لأن كثيراً منهم لم يطرق مهنة التعليم عن اقتناع ، وإنما عن اضطرار . ومبدأ (معلم الضرورة) هو الذي أنتج هذا النوع من المعلمين الذين لايقدرون مهنة التعليم ، وبالتالي لايقدرون قيمة المعلم .

والمجتمع نفسه لايحترم المعلمين ، لأنه يرى أن كثيراً منهم لايستحق أن يكون في تلك المهنة ، فأكثريتهم ليسوا معدين إعداداً تأهيلياً لمهنة التعليم .

ومبدأ معلم الضرورة ، جعل الشاب الذي يتخرج من المرحلة المتوسطة ، أو الثانوية ، ينخرط في مهنة التعليم ، بعد إعداد لايزيد عن ثلاث سنوات . وهو بهذا غير مؤهل ، لا من حيث السن ، ولا من حيث الإعداد(١٥) .

وإذا كان كثير من بلدان العالم ينظر إلى المعلم نظرة إكبار لدوره الريادي ، فلأن إعدادهم لايقل عن المستوى الجامعي . وفي كثير من الأحيان لاينخرط في المهنة إلا من هم مؤهلون تربوياً لذلك ، وربما كانت درجة الماجستير هي الغالبة لدى كثير من المعلمين .

والدخل - كذلك - يؤثر في سمعة ومكانة المعلم . فكلما ارتفع الدخل ، زادت قيمة ومكانة المعلم والعكس صحيح . ولكن في كثير من البلدان العربية نجد أن معدل مايدفع للمعلم مقارناً بمتوسط الدخل القومي لبلده يقل عما يخص الفرد من ذلك الدخل ، مما يجعل المعلم في عداد المحتاجين (يونسكو ٢ : ٤٤) إذا ماقيس دخله بدخل ذوي مهن أخرى كالطب والهندسة .

لذا نجد أن صورة المعلم في وسائل الإعلام لا ترق إلى ماوصلت إليه مكانة فئات أخرى أقل تأهيلاً ، وأقل دوراً في خدمة المجتمع ، كالفنانين ولاعبي كرة القدم .

بل إن العكس هو الصحيح . فبينما يفترض أن دور المعلم دور ريادي مستمر يحافظ على تراث الأمة ، ويجدد خبراتها ويعد شبابها وصغارها ، نجد أن النظرة إليه دونية .

وللتدليل على المعالجة السلبية لصورة المعلم في وسائل الإعلام ، أذكر مَثلين حَيَّين ، أحدهما نشر في الصفحة الأخيرة من جريدة (المسائية) . التي تصدر عن (مؤسسة الجزيرة الصحفية) في

---

(١٤) عبد العزيز الجلال ، **تربية اليسر وتخلف التنمية** ، (الكويت : علم المعرفة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، ص ص ١٧٢ .

(١٥) Sara, and Jurdak, *Status of Teachers in The Arab Region*, (Geneva: Unesco, 1985), p. 26.

الرياض في عددها الصادر يوم الخميس ١٤٠٦/٦/٤هـ الموافق ١٩٨٦/٢/١٣م ، حيث تناول احد الكتاب أحد المعلمين بسخرية لاذعة ، تنم عن عدم تقدير ، إن لم تنم عن احتقار .

والصورة الأخرى لمناقشات دارت خلال العام الدراسي ١٤٠٠/١٤٠١هـ ، وعلى صفحات معظم الجرائد السعودية ، من تعليقات لاذعة ، تعقيباً على ندوة عقدت آنئذ عن (الدكتور السعودي . ماله وماعليه) ، إذ تصرف من خلال تلك الندوة ، بعض من طرقوا مجال التعليم الجامعي ، ممن لم يكونوا مؤهلين لطرقه ، بتصرفات أثارت عليهم كثيراً من أفراد المجتمع ، فاستثمرت بعض الصحف ذلك ضد الجميع .

ويمكن إيراد صورة ثالثة تنم عن عدم ثقة وزارات التربية في معلميها ، وفي قدرتهم ، وذلك بعدم إشراكهم في وضع المناهج ، وفي تأليف الكتب المقررة . مما يؤكد أن صورتهم لدى المسؤولين لاتؤهلهم لذلك ، ونتج عنه معالجات حول هذا الموضوع في مناسبات مختلفة ، وفي مختلف وسائل الإعلام المكتوبة ، تنادي بإشراك المعلم في إعداد المناهج ، وتأليف الكتب المدرسية .

وأذكر أنني كنت منذ فترة في زيارة لأحد أصحاب المؤسسات التجارية ، فوجدت عنده من توقعت أنني أعرفه ، وعندما سألته عنه قال : (ذلك فلان ، معلم مسكين) فهو مسكين ، لأنه معلم ، لا لأنه كسيح ، أو مُقْعَد .

ولهذا لانعتقد أن صورة المعلم سوف تتحسن في وسائل الإعلام مالم تكن تلك الصورة حسنة أمام المعلم نفسه ، وأمام مجتمعه .

وصورة المعلم أمام نفسه لاتتحسن إلا إذا آمن بمهنته وتفاعل معها : إذا دخلها عن قناعة ، ثم أعد نفسه لمواجهة واجباته المستقبلة ، ثم تابع تطوير نفسه أثناء ممارسة المهنة(١٦) .

والمجتمع لايحترم من لايحترم نفسه . كما أن المجتمع يرى أنه ابتلي بفئة غزت هذا الميدان العزيز على نفسه وهي غير مهيأة لذلك . فأنى له أن يحترمها ، بل هو يحتج على وجودها .

ومن ثم فإن وسائل الإعلام ، وإن كانت تصنع الأبطال أحياناً ، فلن تفعل ذلك إلا عن قناعة . ومن الصعب إقناع وسائل الإعلام بشخص لم يقتنع هو نفسه بذلك(١٧) .

ومن أجل أن نصنع من هؤلاء المعلمين – الذين يعانون ، ويعاني معهم المجتمع من سوء الصورة – أبطالاً ، لابد وأن نعد العدة لكي نساعدهم على الاقتناع بما يعملون أولا ، ثم نعد المجتمع لكي يتقبل صورتهم الجديدة . وهذه هي وظيفة وسائل الإعلام ، التي نرجو أن تقوم بها على خير وجه . ولن تفعل ذلك إلا إذا أدى التربويون واجبهم الريادي في الإسهام الجاد في خطة عملية لذلك .

---

(١٦) Jersild, Arthur, *When Teachers Face Themselves,* (New York: Columbia University, 1967), p. 80

(١٧) Goldstein, Tom, *The News at Any Cost,* (New York: Simon and Schuster, 1985), p.201

استراتيجية مقترحة لدعم مكانة المعلم اجتماعياً

يصف بولياس ويونج Pullias and Young المعلم في كتابهما (أشياء تكون المعلم A. Teacher is many things)[١٨] بأنه مثل رجل الدولة ، يجمع بين أدوار متناقضة ومعقدة ، ذات متطلبات كثيرة لايمكن تجاهلها . أولها أن يفهم نفسه ثم يفهم الآخرين . وبعد ذلك له صفات أخرى فهو مرشد ومرب ، ثم مجدد ، كما هو قدوة ومثل . وهو باحث كما هو ناصح . وصديق لتلاميذه ، وينظر إليه على أساس أنه مبدع وحافز على الإبداع . وهو خبير ، ومصدر إلهام ، وهو غير مستقر . كما أنه قصّاص ، وهو كذلك ممثل ، ومصمم مناظر ، وباني مجتمع ، وطالب علم ومعرفة ، وهو مقوّم ومقوَّم . وهو مخلص ومنقذ ، وهو وسيلة لبلوغ الهدف ، وبعد هذا كله هو إنسان .

ومن أجل أن نعد استراتيجية مناسبة لتحسين صورة المعلم ، لابد من أن نتأكد من أن المعلم العربي أعد نفسه . وأعده مجتمعه ، لكي يؤدي تلك الأدوار أو بعضاً من أهمها على الأقل .

وحتى يؤديها لابد له من إعادة تأهيل : تأهيل نفسي ، بموجبه يقبل مهنة التعليم عن اقتناع ، ويؤديها عن حب ، فإذا ما أحس بأنه فقد هذا الحب وذلك الاقتناع قام بتركها إلى غيرها .

ولكي نعد المعلم الكفء الذي ينال احترام نفسه ، واحترام الآخرين ، لابد لنا من افتراض متطلبات قد يبدو لأول وهلة ، أن فيها شيئاً من التعسف . لكنها ستنفي عن نفسها ذلك ، إذا تأكد لنا أننا نتعامل مع من وصف بهذا البيت :

قُمْ للمعلّـم وَفّـهِ التّبجيـلا كاد المعلّمُ أن يكونَ رسولا

وهذه المتطلبات هي عبارة عن :

١ – صفات أو خصائص شخصية ، بعضها أساسي في الإنسان ، والبعض الآخر مكتسب .
٢ – صفات أو خصائص مهنية ، وكلها مكتسبة .

أولاً : الصفات الشخصية

بما أن المعلم قدوة ، فإنه بؤرة العملية التربوية ، تتركز حوله أنظار وتطلعات التلاميذ . لذا لابد من أن يكون المعلم متصفاً بصفات شخصية ، أهمها :

(أ) الخلو من أي عيب خَلْقي ، يضعف موقفه أمام تلاميذه ، ويلحق بذلك أي عاهة تشوه مظهره أو فهمه أو نطقه .

(ب) من حيث الإدراك ، أن يكون متوسطاً ، أو فوق المتوسط ، لكي يستطيع التعامل بذكاء مع المواقف المختلفة التي يخلقها له التلاميذ ، والتي بعضها مقصود به إحراجه .

---

(١٨) Pulltas A, and Young J., *A Teacher is Many Things,* (Indiana University Press, 1968).

(جـ) أن يتصف بجاذبية ، تجعله حسن المنظر ، مقبول الهيئة ، من غير مبالغة .

(د) أن يكون لديه حب الاستطلاع ، الذي يمكنه من القراءة ، ومتابعة البحث ، لتجديد معلوماته ، واكتشاف ماهو جديد .

(هـ) يجب أن يكون على قدر من الاتزان ، لأن أي هزة تؤدي به إلى التصادم مع طلابه ، وذلك بدوره يفقده احترامهم ، فإذا فقدوه فقدت قدرتهم على الاستفادة منه .

(و) أن يكون موضوعياً في تفهمه للأشياء ، وفي تعامله معها ، بصفة عامة ، ناهيك بتفهمه وتعامله مع مشكلات تلاميذه .

(ز) أن يكون مستقيماً في سلوكه ، إذ أن أي انحراف في سلوك المعلم يكون خطراً على تلاميذه ، ومصدر انزلاق لسلوكهم ، كيف لا ، وهو القدوة .

(ح) أن يتوافر في المعلم القدرة على معرفة الوقت الذي يتكلم فيه ، والوقت الذي ينصت فيه ، لأن ذلك يجعل إمكانية الاستفادة منه أكبر ، وذلك أدعى إلى احترامه[١٩] .

(ط) أن يكون له من العمر مالا يقل عن خمسة وعشرين عاما لأن من يقل عن تلك السن ، غالباً ماتكون لديه نزعة مراهقة ، وتلك من الخطر وجودها في محيط التلاميذ ، خاصة فيمن هو قدوتهم .

(ى) ألا يتصف بأي صفة من الصفات المنبوذة اجتماعيا ، كالبخل أو الصلف ، أو التحامل أو الأنانية المفرطة ، لأن مثل هذه الصفات ستحول دونه ودون الاحترام المطلوب .

الصفات المهنية

لاشك أن من لايقتنع بمهنة لن يتقنها ولن يحترمها . ومن أجل أن نحصل على معلمين محترمين لابد أن نعدهم ونؤهلهم لذلك من خلال :

(أ) الإعداد المهني : إذ يجب أن يكون كل المعلمين من خريجي كليات التربية ، ومن لم يتخرج فيها ، يجب أن يخضع لدورة تربوية مكثفة تؤهله لذلك . وليس بدعاً أن نطلب ذلك ، مادمنا نريد جيلاً من المعلمين ، يحترم نفسه ويحترمه الآخرون . ومادام الحد الأدنى للسن (كما سبق القول) خمسة وعشرين عاماً فإن هناك فسحة من الوقت لذلك .

(ب) إعادة التأهيل : أن تُعَدّ دورات تأهيلية لكل من لم يحصل على مؤهل تربوي ، بحيث يغطي من خلالها النقص الموجود في الإعداد العلمي والمسلكي لهذه الفئة ، علماً بأن التدريس فن ، يمكن اكتسابه بدرجات متفاوتة[٢٠] .

---

(١٩) علي عجوة : **الأسس العلمية للعلاقات العامة** (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٢م) ، ص ص ٤٩ – ٥٢ .

(٢٠) Hook, Sepney, *Educatin For Modern Man.*, (New York: Alfred Knopf, 1967), p. 217

(جـ) الإعداد للمهنة : بحيث يكون المعلم مستعداً لتقبل المواقف المختلفة والمتعددة ، التي يفرضها عليه دوره كمعلم . فإذا لم يكن مستعداً لكل المواقف المتباينة ، فإن نظرته لنفسه ولمهنته ستهتز ، وسيقل احترامه لذاته وعندئذ يقل احترام الآخرين له .(٢١) .

(د) أن يكون لديه حس تنموي للمعرفة : يقوم بموجبه ببناء مكتبته الخاصة ، أو يعود نفسه على ارتياد مكتبة المدرسة ، أو مكتبة المدينة ، بشكل دوري يستكشف فيه ماهو جديد في عالم المسلمات من جهة ، أو ماهو جديد في ميدان تخصصه ، حتى لايفاجأ بسؤال من أحد تلاميذه أو أحد المواطنين يضعه في موقف حرج .

(هـ) أن يعد نفسه للقيام بدوره ، كرائد من رواد المجتمع ، خاصة في قريته ، أو مدينته ، أو حارته ، لأن مكانته المستقبلية ستفرض عليه أن يسهم بدرجة كبيرة في المواقف القيادية .

(و) أن يكون معداً للمشاركة في الخدمة العامة ، التي يتطلبها موقفه كعضو عامل في مجتمعه ، وقد لايتطلب الأمر منه غير المشورة والتوجيه .

إذا اجتمعت تلك الصفات للمعلم ، وأضيف إليها سُلَّم رواتب ، وامتيازات معقولة ، مقارناً بمن هم في مثل مستواه التعليمي . ولكن يؤدون عملاً أقل عناء ، بالإضافة إلى بعض الحوافز الاعتبارية مثل المكافآت والجوائز التي تمنح لمعلم العام ، أو أحسن معلم وهكذا ، أصبح المعلم في وضع يدعو إلى الاحترام والتقدير .

ومهما يكن فمعلم اليوم يعيش في مكانة اجتماعية تقل عن المستوى الذي كان يجب أن يكون عليه ، وذلك بسبب اعتبارات أشير إلى أهمها فيما سبق . ومن أجل أن ننتشله من هذه المكانة نحتاج إلى قناتي اتصال إحداهما تخاطب المعلمين أنفسهم ومن يسندونهم كالإداريين في المجال التعليمي ، والأخرى تخاطب الجمهور العام لتعديل صورة المعلم أمامهم .

قنوات الاتصال لتحسين صورة المعلم

من أجل أن تتقدم للناس بصورة جديدة للمعلم غير التي ألفوها وبنوا حكمهم على أساسها لابد لك من التوجه للمعلم أولاً لتقنعه بأن يساعدك على عملية التحول إلى صورة أحسن .

والصورة المتوقعة لمعلم الغد هي أن يكون عاقلاً متزناً خالياً من العيوب الخُلُقية أو الخَلْقية ، مؤهلاً تأهيلاً مناسباً ، يحترم نفسه ويحترم مهنته . فإذا تم هذا نستطيع أن نتقدم للآخرين بالصورة الجديدة طالبين منهم أن يحترموها ويقدروها .

(٢١) Fredrick, G., *et al. Growiny Togethcr* (Columbus: Charles Merril, 1976), p. 67

١ - الاتصال بالمعلمين أنفسهم

بعد أن نضع مواصفات للمعلم مبنية على الصفات السابق ذكرها ، لابد من التوجه إلى المعلمين لإقناعهم بتبني تلك الصفات والعمل على اكتساب ماهو مفقود منها لدى المعلم ، ثم بعد ذلك التوجه إلى من لاتنطبق عليه تلك الصفات أن يترك المهنة إلى غيرها ، فأرض الله واسعة .

لعمل هذا نحتاج إلى فترة انتقال بموجبها نقنع القدماء بسلوك أحد سبيلين ، إما التطور والارتقاء للمستوى المطلوب ، أو الاستعداد لترك المهنة إلى أعمال أخرى تناسب استعداداتهم وقدراتهم . علماً بأن مرحلة الانتقال هذه سوف تخلق تصفية ذاتية عن طريق التقاعد وتحويل الاتجاه .

وعملية التحول هذه تحتاج منّا إلى برامج إعلامية توجّه للمعلمين أنفسهم ، كما توجه إلى القوى العاملة المساندة في مجال التعليم .

هذه البرامج أشبه ماتكون بمايسمى التوجيه المعنوي الذي يستخدم في مجال العلاقات العامة للقوات المسلحة . فكلما ارتفعت معنوية الجند تفانوا في أداء مهماتهم لذلك الوضع . نحتاج إلى أن نقنع هؤلاء المربين بأن مهمتهم مهمة سامية لها مكانة عالية في قلب الأمة ، وأنها ليست أقل من المهن الأخرى ، وأن من طرقها لعدم استطاعته طرق غيرها يمكن أن يتأقلم بها ويحبها إذا أخلص لذلك وأعد له عدته .

تؤسس هذه البرامج على خطة طويلة الأجل ، أقلها خمس سنوات ، وقد تزيد هذه الخطة أيضاً تتطلب التقسيم إلى خطط قصيرة الأجل ومتوسطة . وهذه الخطط يجب أن تحتوي على نوع وقائي ، وآخر علاجي .

فالخطط العلاجية هي أن نعالج الوضع القائم ، بإرسال رسائل إعلامية إلى المعلمين ، من خلال وسائل الاتصال المختلفة : المكتوبة ، والمسموعة ، والمرئية ، (حسبما هو مفصل فيما بعد) من أجل إقناع المعلمين على رأس العمل ، بأن مهمتهم تستحق أن يفنوا شبابهم من أجلها . وأن مايؤدونه هو - في الحقيقة - عمل ، مردوده على جميع فئات الشعب ، وليس لفئة واحدة(٢٢) .

أما الخطط الوقائية فهي أن نخطط ، لكي نجعل ممن يدخل هذا المجال حالياً ومستقبلاً ، مقتنعاً بأهميته ، مستعداً للبذل فيه . ويتم ذلك من خلال رسائل إعلامية ، تستخدم فيها جميع وسائل الاتصال ، مستخدمين تقنية الاتصال الحديثة ، التي تميز بين كل وسيلة وأخرى ؛ طبقاً لخصائص مستقبليها(٢٣) .

---

(٢٢) علي عجوة ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

(٢٣) حمود البدر وخالد السيف ، ترشيد سياسات القبول في التعليم الجامعي واقتراح برامج إعلامية لإقناع الجمهور بذلك ، بحث ضمن **وقائع الندوة الثانية لرؤساء ومديري الجامعات في دول الخليج** ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ص ٣٥ .

واختيار قناة الاتصال يعتمد على نوعية المستقبل ، مع مراعاة أن كل فرد من جمهور معيَّن ، هو أيضاً عضو في جمهور آخر . لكن المفيد هو أن تختار الجماعة التي تقترب صفات الفرد منها أكثر من غيرها مع الأخذ في الاعتبار أنه لايوجد وسيلة مقصورة على جمهور معين لاتتعداه إلى غيره . لكن قد يكون خطها التقليدي أقرب إلى خصائص ذلك الجمهور[٢٤] .

(أ) الوسائل المطبوعة .

لاشك أن إيجاد مجلة متخصصة ، على مستوى الوطن الواحد ، تناقش قضايا ومشكلات المعلمين ، يكون الجزء الأكبر من محتوياتها من إنتاج المعلمين ستكون ذات تأثير فعال على جمهور المعلمين أنفسهم . ذلك أن جمهور المعلمين ، وإن كان خليطا من جماهير متعددة ، وأنه وإن كان جمهوراً عريضاً في الوطن الواحد ، وفي الأقطار الأخرى ، إلا أن قاسماً مشتركاً يجمع بين أفراده ، ذلك هو الإحساس بأنهم يؤدون واجباً واحداً تجاه شباب الأمة ، كما أنهم يعانون نفس المشكلات ويواجهون بنفس التحديات . لهذا فشعورهم بالتقارب من خلال المهنة لابد منه . ومجلة المعلم المقترحة ، خير وسيلة للتأثير في هذا الجمهور[٢٥] . ثم بعد ذلك ننظر إلى وسائل الاتصال الأخرى المكتوبة ، وهنا لابد أن نلاحظ أن جمهور المعلمين ذو تخصصات متعددة ، فإذا وجدت مجلات متخصصة فمن المفترض أن كل متخصص من هذا الجمهور سيقرأ المجلة التي تناقش تخصصه . فالمعلم المتخصص في علوم الحياة سيقرأ المجلة التي تناقش تلك العلوم ، وذلك المتخصص في الاجتماعات ، سيقرأ أي مجلة تهتم بهذا المجال ، وهكذا . فالمجلات والصحف العامة والمتخصصة الأخرى لها قَدْر لابأس به من القراء من جمهور المعلمين ، وبالتالي فهي وسائل فعالة لنقل رسالتنا إلى الجمهور عامة وجمهور المعلمين خاصة .

(ب) الوسائل المسموعة .

الإذاعة من أهم وسائل الاتصال في العصر الحديث ، لسهولة انتشارها ، فهي في البيت ، وفي المدرسة ، وفي الحقل ، وفي الخيمة ، وفي السيارة بل هي في كل مكان ، من خلال جهاز صغير ، قد يصل حجمه إلى حجم ساعة اليد . وهو جهاز رخيص التكلفة في إرساله مقارناً بالعدد الذي يصل إليه ، وفي استقباله ، من خلال سيل الإنتاج الذي جعل الراديو من أرخص السلع . ولهذا فتخصيص برنامج للمعلمين ، يقوم عليه متخصصون في قضايا ومشكلات التربية ممن لديهم حس إعلامي ، سوف يساعد على ربط قضايا التربية مع المجتمع ، إضافة إلى أن ذلك يجعل المعلمين

---

(٢٤) Bluomenthal, *The Practice of Public Relations*, (New York: The Macmillan Co. 1972), p. 28

(٢٥) Blyskal, J.M., *Pr, How The Public Relations Indnstry Write the News* (New York: W. Morroi Co. 1985), pp. 78 – 79

أنفسهم – أيًّا كانت أماكن عملهم – على صلة بالمهنة ومايدور فيها من قضايا وما يجد فيها من جديد .

واختيار المحتوى الذي سيرسل من خلال هذا البرنامج ، يجب أن يخضع لخبرة تربوية إعلامية مشتركة يكون بواسطتها بعيداً عن الإسفاف والجفاف ، إذ أن الرسالة الإعلامية التي ترسل عن طريق وسائل الاتصال ، لها وجهان : إيجابي يؤدي إلى بناء وتماسك المجتمع ، وسلبي يؤدي عكس ذلك(٢٦) .

ووسيلة الراديو تقترب من الاتصال الشخصي المؤثر ، لأنها تقوم على مايشبه الاتصال الشخصي ، إذ يتم ذلك عن طريق الكلام مما يساعد على إيصال الفكرة لمن لايريد أو لايستطيع أن يقرأ(٢٧) .

والإذاعة المدرسية ، واحدة من الوسائل التي لم تستخدم بعد الاستخدام الأمثل . إذ يمكن عن طريق استثمار بسيط ، تحويل هذه الإذاعة إلى مصدر إعلام وتوجيه فعال ليس للطلاب فقط ، وإنما للمعلمين أنفسهم . ويمكن أن يتم ذلك بأن تكون هناك لجنة مركزية تخطط وتعد البرامج المشتركة للإذاعات المدرسية ، توزع على أشرطة لكي تذاع في المدارس في فترات الاستراحة ، مع إتاحة الفرصة للمناطق للإعداد المحلي ، مما يتناسب مع الواقع المحلي .

(جـ) الوسائل المرئية .

وهي المسرح والتليفزيون والتسجيلات (الفيديو) والسينما . وكلها وسائل فعالة ، يمكن أن يستخدمها كل جمهور تقريباً إلا من يعتقد أنها من الملاهي المحرمة ، وهذه فئة موجودة بين جمهور المعلمين بصفة خاصة . والمسرح من الوسائل التي يمكن أن تدار من خلال المدارس ، تعالج فيها قضايا محلية على مستوى القرية ، أو على مستوى المدينة أو مستوى المنطقة ، أو مستوى القطر ، أو المستوى العربي ، أو العالمي . أي أنها وسيلة مطواع ، تتدرج من حيث المحتوى ، من البساطة المفرطة ، إلى التعقيد المفرط ، طبقاً لدرجة الإجادة ، ودرجة المعالجة ، ومستوى الجمهور المشاهد . ويمكن أن يكون لهذه الوسيلة لجنة مركزية ، تضع نصوصاً عامة ، تعالج قضايا عامة ، على أن يترك للمناطق بعض الحرية في التصرف . وهذه الوسيلة تتميز بأن مايمثل فيها ، يشكل حدثاً حياً ، يراه المشاهد من أناس يعرفهم .

أما التليفزيون فهو ذلك العفريت العجيب الذي غزا المحيط الاجتماعي ، بنقل أحداثه ماضيها وحاضرها ، ومايتوقع من مستقبلها ، من خلال شاشة ، تعرض لك الصوت والصورة والحركة

---

(٢٦) زيدان عبد الباقي ، **مرجع سابق** ، ص ١٣

(٢٧) جيهان رشتي : **نظم الاتصال ، الإعلام في الدول النامية** (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧٢م) ، ص ١٤١ .

باللون والمقاس نفسه وبشيء من الإتقان ، ولاتنقصه إلا الرائحة (ولعل في ذلك رحمة) .

ومن خلال هذه الوسيلة يمكن (إذا استخدمنا التقنية بإتقان) أن نحصل على تأثير لاحدود له . ذلك أن وسيلة التليفزيون والفيديو قد غيرتا من مجرى الحياة التربوية والتعليمية . فلم يعد الآن مصدر الثقافة ، وتعلم السلوك ، يأتي من المدرسة كمصدر أساسي وإنما أصبح التليفزيون (ضرة) خطيرة للمعلم . بل (ضرة) شرسة مالم تروّض هَدَمت .

ومن ثم لابد من أن توجد برامج توجه للمعلم أساساً تثقفه ، وتجدد معلوماته وتوعيه بما يجد في عالم المعرفة وفي عالم السياسة ، كما تتناول قضاياه . ومن خلال هذه البرامج نقوم بإرسال بعض الرسائل المتعلقة بحملتنا الجديدة للرفع من قيمة المعلم أمام نفسه وأمام مواطنيه .

وإذا رجعنا للوسيلة المماثلة (الفيديو) نجدها وسيلة أكثر طواعية ذات تكلفة رخيصة ، من حيث الإنتاج ، إذ نستطيع أن ننقل بواسطتها إلى المعلم في داره أو في مدرسته مانريد أن نوصله إليه من غير أن نزعج به أفراد الجمهور الآخرين ، فيما لو أرسلناه من خلال قناة التليفزيون العامة . وهذه الوسيلة يمكن أيضاً أن يكون لها لجنة إنتاج مركزية ، في داخل الوزارة أو الهيئة المسؤولة عن التربية ، على مستوى القطر ، لتنتج برامج عامة ، تتناول القضايا المشتركة للتربية بصفة عامة ، مع مراعاة ماتحتاجه من شحنات لتحسين صورة المعلم . توزع هذه البرامج على المدارس والمناطق التعليمية ، لتبث كوسائل تعليمية مساعدة ، ومعززة لمركز المعلم ، على أننا يجب أن نراعي ترك الفرصة للإنتاج المحلي ، على مستوى المنطقة ، أو المدينة ، لمعالجة القضايا المحلية ، ذات اللون الخاص ، ولتشجيع التنويع في الإنتاج .

وفي كل هذه الوسائل ، سيكون تأثيرنا محدوداً ، إذا لم نراع أن تعاوناً دقيقاً يجب أن يتم بين المؤهلين تربوياً ، والمؤهلين إعلاميا من أجل إنتاج برامج فعالة في تأثيرها ، جادة في أسلوبها ، مرحة في عرضها طبقاً لما يتطلبه كل موقف ، إذ لايمكن أن يتقبل المعلم رسالة فيها إسفاف ، وبنفس القدر لن يتقبل رسالة فيها جمود .

٢ - الاتصال بالجمهور العام

الجمهور الذي سوف نتوجه إليه للرفع من صورة المعلم هو جمهور المهتمين ، والمتأثرين بالتعليم والتربية . وهو جمهور عريض ، جمهور مختلف المشارب والهوايات ، جمهور مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية ، جمهور يريد الكثير ولايعمل إلا القليل إذا لم تُرشَّد جهوده .

بل إن من المفارقات العجيبة أن المعلم في الماضي كان أحد قادة المجتمع ، يسترضيه ويثير هيبة الكل ويسمع منه الجميع عندما كان يحب مهنته ويحترمها . كانت له سلطة لامنازع لها (لك اللحم ولنا العظم) يقوله من يلحق ابنه بالمدرسة احتراماً وتقديراً لدوره الهام .

من أجل إعادة تلك المكانة إلى المعلم لابد من أن نتوجه إلى جميع فئات المجتمع من خلال جميع الوسائل الممكنة : الاتصال الشخصي ، الوسائل المطبوعة : العام منها والمتخصص ، والوسائل المسموعة : العام منها والمتخصص ، والوسائل المرئية العام منها والمتخصص بالصورة الجديدة . وقبل أن نبدأ هذا الاتصال لابد لنا من وضع خطة متكاملة تكون أساساً وإطاراً لما سوف نعمله ، لأن العملية من الضخامة والتكلفة بحيث لا تحتمل الارتجال .

لابد لنا إذن من وضع خطة تقوم على خمس مراحل أساسية :

١ – التعرف على حجم المشكلة وتحديد مكوناتها وأسبابها وكيفية التغلب عليها .

٢ – تصميم البرامج التي تحتاجها كوسيلة لعلاج تلك المشكلة وتحديد التكاليف .

٣ – تنفيذ تلك البرامج وذلك لايتم إلا من خلال وسائل الإعلام التي مرت الإشارة إليها أكثر من مرة ثنايا هذه الورقة .

٤ – عمل خطة تقويم مرحلية لقياس مدى فعالية تلك البرامج من حيث المحتوى والوسيلة والإطار ودرجة الاستقبال والتقبل ودرجة التأثير .

٥ – عمل الاحتياطات اللازمة لتعديل البرامج كلما وجدنا ذلك ضرورياً طبقاً لأي مستجدات تحدث نتيجة اختيار خاطيء في الرسالة أو الوسيلة أو درجة الاستقبال أو درجة التأثير(٢٨) .

ولأن جمهورنا المستهدف هو جميع سكان القطر تقريباً ، وأن جميع وسائل الاتصال مرشحة لأن نستخدمها للتأثير ، علينا أن نتعرف على الجماهير النوعية التي تكون الجمهور العام لنتوجه إليها الرسائل المناسبة من حيث : الوسيلة والمحتوى والإطار والوقت . فجمهور التجار قد تكون مجلات الغرف التجارية وسيلة للتوجه إليهم . وجمهور الأدباء قد تكون المجلات الرفيعة المستوى هي المحببة إلى نفوسهم وجمهور الشباب من أنسب الوسائل لمخاطبتهم الصفحات الرياضية وهكذا .

ولاينفي ذلك أن توجد برامج متخصصة من خلال البرنامج العام لكل وسيلة من الوسائل العامة التي تستخدم على مستوى القطر .

على أن هناك جماهير نوعية لايؤثر فيها إلا الاتصال الشخصي والإقناع المنطقي . وتلك هي الجماعات المؤثرة من قيادات المجتمع . وهذه من القلة بحيث تكون وسيلة الاتصال الشخصية عملية ومثمرة مهما كلفت ، لأن مثل ذلك الاتصال إضافة إلى أنه يشعر أفراد هذه الفئة بقيمتهم يجعلنا نتعرف على مايدور في أذهانهم ، إذ لاشك أن لديهم أفكاراً ستساعدنا في حملتنا العامة .

---

(٢٨) Robinson E., *Communication and Public Relatins*, (Columbus: Chlarles Merril Co. 1966), p. 96

الخلاصــة

إن واقع المعلم اليوم هو واقع غير مُرْضٍ لأن المهنة قد غزاها من لا يرغبها ، وإنما طرقها ، لعدم وجود غيرها من هم غير مؤهلين لتولي مهامها ، فصارت مهنة غير محترمة من أعضائها أنفسهم وانعكس ذلك على مكانتها بين الناس . ولم يغير من ذلك كثيراً بعض الحوافز المادية التي وضعت خاصة في بلد مثل المملكة العربية السعودية بل أدت إلى اجتذاب فئات غزتها رغبة في تلك الحوافز .

ومن أجل ذلك صارت صورة المعلم مهزوزة أمام نفسه وأمام تلاميذه وأمام مجتمعه . ولن يغير من ذلك إلا الرفع من قيمة المعلم ، وهذا لايتم إلا إذا أعيد تأهيله ليكون لائقاً بممارسة مهنة هي من أهم وأشرف المهن . وهذا التأهيل يتطلب مرحلتين : مرحلة إعادة تأهيل لمن هم على رأس العمل برفع مستواهم ورفع معنويتهم وتحبيبهم في مهنتهم .

ثم تأهيل من سوف يطرقونها منذ الآن بأن نضع حداً أدنى لمن يرغب ذلك مع اشتراط التأهيل المسلكي للكل .

وإذا وضعت هذه البرامج للتأهيل للطارقين الجدد وإعادة التأهيل لمن هم على رأس العمل ، لابد من أن نضع برامج بموجبها نرفع من صورة المعلم أمام نفسه وأمام زملائه المعلمين والإداريين في مجال التربية . وهذا لايتم إلا باستخدام برامج إعلامية مركزة تستخدم فيها جميع وسائل الاتصال كل بحسب قدرته الاتصالية ، ثم بعد أن يتم ذلك نتوجه إلى الجمهور العام لنقدم له الصورة الجديدة للمعلم الجديدة المؤهل المصقول الذي يؤمن بمهنته ويحبها ويحترمها والذي التحق بها عن قناعة وجدارة .

ولضخامة الجمهور الذي نتعامل معه لعلاج هذه المشكلة نحتاج إلى جميع وسائل الاتصال الممكنة وهي باختصار :

١ – وسائل الاتصال الشخصي : المخاطبة والمكاتبة والمهاتفة .
٢ – الوسائل المطبوعة العامة كالجرائد والمجلات ، والخاصة كالمجلات والزوايا المتخصصة .
٣ – الوسائل المسموعة كالإذاعة والأشرطة المسجلة .
٤ – الوسائل المرئية كالتليفزيون والفيديو والمسرح والسينما .
٥ – الملصقات في المدارس والميادين والطرقات .
٦ – استخدام الهدايا كوسائل إعلامية مركزة تستخدم لنشر رسالة مختصرة .
٧ – استخدام المناسبات المدرسية لعمل رسائل إعلامية مركزة[٢٩] .
٨ – النشرات التي تصمم من أجل إيصال رسالة ما في مناسبة معينة .

---

(٢٩) Longman, K., *Advertising* (New York: Harcuirt Brose, Jovanovich, 1971), p. 23

وعند الاتصال من خلال أي وسيلة من هذه الوسائل لابد أن تكون صورة الجمهور المستقبل في ذهننا لنضع له المحتوى الإعلامي المناسب طبقاً لثقافته وخلفيته ودرجة التأثير المطلوبة .

وفي كل الأحوال لابد أن يكون هناك تعاون وثيق بين التربويين والإعلاميين من أجل تخطيط وإنتاج برامج تتناسب مع أهمية وخطورة المشكلة ، حيث أن المعلم هو أساس التربية ، والتربية هي من الأمة بمكانة القلب النابض الذي هو أغلى عضو في الإنسان .

وبعد هذا كله وقبله لابد لنا من أن نستعين بالله سبحانه في التغلب عليها . وهي ليست مشكلة مستحيلة ولكنها تحتاج إلى وقت وجهد ومال وقناعة منا أولا كأساس لإقناع الآخرين .

والله ولي التوفيق

المراجع

أولا : المراجع العربية

البدر ، حمود ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، الحاجة إلى مجلس إعلامي تربوي لدول الخليج العربي ، بحث ضمن «**وقائع مؤتمر الإعلام والتربية** ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج .

البدر ، حمود ، خالد السيف ، ترشيد سياسات القبول في التعليم الجامعي واقتراح برامج إعلامية لاقناع الجمهور بذلك ، بحث ضمن «**وقائع الندوة الثانية لرؤساء ومديري الجامعات في دول الخليج**» ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج .

«التعليم في الغد بلا مدارس ولا جامعات» ، **مجلة أهلا وسهلا** ، العدد الأول ، السنة العاشرة ، الخطوط الجوية العربية السعودية ، جدة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

الجابر ، زكي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، من أجل دار للإعلام التربوي في منطقة الخليج ، بحث ضمن **وقائع مؤتمر الإعلام والتربية** ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج .

الجلال ، عبد العزيز ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م **تربية اليسر وتخلف التنمية** ، (الكويت ، عالم المعرفة) .

العزوز ، عبد العزيز الحمد ، ١٩٨٣ (مشرف) **ظاهرة عزوف الشباب العربي عن مهنة التدريس** ، تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصالات - التقرير النهائي ، جنيف ، اليونسكو ، ١٩٧٩م .

رشتي ، جيهان ، ١٩٧٢م ، **نظم الاتصال ، الإعلام في الدول النامية** ، القاهرة ، الفكر العربي .

عبد الباقي ، زيدان : **وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية** ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٤م .

عجوة ، علي ، ١٩٨٢م : **الأسس العلمية للعلاقات العامة** ، القاهرة ، عالم الكتب .

وزارة التربية والتعليم في البحرين ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، أهمية تأسيس دار للإعلام التربوي للأطفال والشباب بدول المنطقة ، بحث ضمن «**وقائع مؤتمر الإعلام والتربية**» ، الرياض ، مكتب التربية العربي لدول الخليج .

ثانيا : المراجع الأجنبية

Barry, Cole (ed) *Television*. New York: Free Press and Macmillan Co., 1970

Bluomenthal., *The Practice of Public Relations* New York: The Macmillan Co., 1972.

Blyskal, J.M., *PR, How the Public Relations Industry Write the News.*, New York: W. Morroi Co, 1985.

Doherty, Joseph., and others., *Intercultural Communication, Tosks and Way of Cooperative Research* Heidelberg, Institute of Intercultural research, 1975.

Edwards, Vern, *Journalism in Free Society*, Iowa, WM Brown Co., 1970.

Fredrick, G. and others, *Growing Together*, Columbus: Charless Meril, 1976.

Goldstein, Tom, *The News at Any Cost.*, New York: Simon and Schuster, 1985.

Hook, Sedney *Education For Modern Man.*, New York: Alfred Kuopf, 1967.

Jersild, Arthur, *When Teachers Face Themselves*. New York: Columbia University, 1967.

Longman, K., *Advertising*. New York: Harcourt Brose, Jovanovich, 1971.

Pullias A, and Young, J., *A Teacher is Many Things.*, Bloomingtor: Indiana University Press 1968.

Sara, and Jurdak, *Status of Teachers in The Arab Region*. Geneva: Unesco, 1985.

Schramm, W. and Rivers, W L (eds) *Responsibility in Mass Communication*, New York: Harper and Row, 1967.

Ropinson E., *Communication and Public Relations.*, Columbus: Charles Merril Co., 1966.

The Role of the Media in Strengthening the Social Prestige of the Teacher

H. Abdulaziz Al-Badar

Professor, Faculty of Education
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.

ABSTRACT

A number of factors have contributed to the weakening of the prestige of the teaching profession in the Arab world generally and in the Gulf states in particular. Perhaps the most important of these factors has been the inability of the teaching profession to train suitably qualified teachers as well as the fact there are some persons working in this profession who are not psychologically fit for the job. Another factor is the rapid horizontal expansion which resulted from the development of the area. This in turn led to the lessening of the prestige of teachers on pre-university levels. As a result, teachers on these levels do not receive the appreciation and respect which they should have. All possible means should be used to correct this situation, the most important of which is the use and implementation of the information media (print, visual, aural). The use of the information media has had a great effect in that it has been both widespread and inexpensive if measured by the usual costs of education. Furthermore, the effects of the media have many ramifications on the public and, except for the printed media, they do not require a knowledge of reading and writing. Furthermore the media have the advantage of not being imposed on the public. Rather, they are accepted voluntarily.

Therefore, the adequate employment of the media including a knowledge of what they can do as well as the extend of their influence on the public will help to restore the desired respect for the profession of teaching as well as those who are working in this field.

These are some of the points which might answer some of the pertinent problems.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١ ، ص ص ١٧٣ - ١٨٩ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

الأحكام النقدية عند جيل الرواد الأوائل في الأدب العربي السعودي

عمر الطيب الساسي(*)

مستخلص البحث

في هذه الدراسة المتواضعة محاولةٌ لجمع شتات المعلومات التي توضح نشأة الممارسة النقدية وتطورها في الأدب العربي السعودي على أيدي أدباء الجيل الأول من الرواد . وهي استكمال لجهود من سبقوا في مضمار تحقيق التكامل لتاريخ الأدب العربي السعودي في نشأته ، في جميع مجالاته الإبداعية ، والنقدية .

تمهيـد

إنّ المقصود بجيل الرواد الأوائل في الأدب العربي السعودي الحديث هم أولئك الأوائل من الأدباء ، الذين ولدوا ونشأوا في العهد الذي سبق قيام المملكة العربية السعودية ، ثم ازداد تفتحهم الأدبي ، ووعيهم الثقافي ، بعد توحيد المناطق التي تأسست بتوحيدها دولة المملكة العربية السعودية ، فآلت إليهم مقاليد الأمور في التوجيه الأدبي ، والإنتاج : إبداعاً ، وكتابةً ، وتأليفاً ، وتحريراً ، ونشراً ، في هذه المملكة منذ تأسيسها .

وقد ظهرت دراسات متخصصة جادة ، في جوانب متعددة في التراث الأدبي لذلك الجيل : في النثر(١) ، والشعر(٢) ، والدراسات الأدبية العامة(٣) ، وتاريخ الأدب(٤) ، والصحافة(٥) ، إلا أن

(*) أستاذ مشارك ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

(١) محمد عبد الرحمن الشامخ ، **النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠ - ١٩٤٥م** ، (الرياض ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

(٢) عبد الرحيم أبو بكر ، **الشعر الحديث في الحجاز** .

(٣) • عبد الله عبد الجبار ، **التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية** ، (القاهرة ، ١٩٥٩م) .
• محمد بن سعد بن حسين ، **الأدب الحديث في نجد** .

(٤) • بكري شيخ أمين ، **الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية** ، (بيروت ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ، ص
• عمر الطيب الساسي ، **دراسات في الأدب العربي على مر العصور مع بحث بالأدب العربي السعودي** ، (جدة ، ط ١٠ ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .

(٥) • عثمان حافظ ، **تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية** ، جـ ١ ، (جدة ، د . ت) ، جـ ٢ (جدة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) .
• محمد عبد الرحمن الشامخ ، **الصحافة في الحجاز : دراسة ونصوص** ، (الرياض ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) .

مجال النقد ، والأحكام النقدية في التراث الأدبي لذلك الجيل لم يحظ بدراسة جادة مستقلة حتى الآن ، حسب علمي الخاص ، المبني على التقصي الدقيق .

وهذه الدراسة أُقدّم بها هنا إسهاماً علمياً متواضعاً ، أفتح به باب البحث الجاد في هذا الميدان الهام من ميادين دراسة الأدب العربي السعودي ، في القرن الرابع عشر الهجري .

تصور عـام

إن تحديد موضوع هذه الدراسة بالأحكام النقدية ، وليس بالنقد ، أمر مقصود ، فهو يعبر عن حقيقة ممارسة النقد في تلك الفترة ، بل وماتلاها في كثير من الأحيان . فالوثائق المطبوعة والمدونة عن أدب تلك الفترة لا تكشف عن نقد أدبي متخصص كان يمارس آنذاك ، بل تدل على وجود أحكام نقدية عامة ، كانت تصدر عن المشتغلين بالأدب آنذاك في أساليب عدة ، يمكن تحديد أكثرها شيوعا في :

(أ) أحكام نقدية مطلقة على الأدب القديم والمعاصر .

(ب) هجوم أو تقريظ للأعمال الأدبية المعاصرة .

(جـ) محاولات نقدية مبنية على الدراسة لبعض الأعمال المعاصرة .

وسوف نحاول في النقاط التالية تقديم تصور واضح ، من واقع دراسة تراث ذلك الجيل للأساليب التي كانوا يمارسونها في إصدار الأحكام النقدية .

أولا : الأحكام النقدية المطلقة

إن ظروف الحياة أذكت روح الحماس في أولئك الأدباء الشبان - آنذاك - وجعلت طموحهم يتخطى حدود ما ألفوا ، وماكان بين أيديهم ، فتطلعوا إلى ماهو أفضل «وحيث أن معظم هذا الجيل الجديد من الأدباء قد أدركوا في أولى مراحل نشأتهم الفترة الهاشمية التي سادها جو من الاضطراب السياسي ، فإنه يبدو أنهم قد تأثروا بروح هذه الحقبة ، وتعلموا كيف تستخدم الأقلام في ميدان الجدل والعراك . ولذلك أصبح من الواضح عندما نشروا أول إنتاجهم في مطلع العهد السعودي أنهم قد ورثوا تلك النغمة الحماسية التي سيطرت على المقالة»[٦] .

وأول كتاب ظهر في تلك الفترة لمؤلف واحد ، حمل نتاجه مستقلاً عن غيره ، هو كتاب «**خواطر مصرّحة**» الذي أصدره محمد حسن عواد ، رحمه الله ، في سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) ،

---

(٦) محمد عبد الرحمن الشامخ ، النثر ... ، **مرجع سابق** ، ص ٨١ .

وهو في مجمله مجموعة من الآراء النقدية الشجاعة ، كتبها مؤلف بحماسة ، متحدياً بها كل ماكان يراه تخلّفاً ، ولكن كثيراً من الأحكام النقدية التي مارسها العواد في «خواطر مصرحة» كانت أحكاماً مطلقة غير دقيقة ولا متأنية ، وغير مصحوبة بدراسة تحليلية تؤيدها . ومن أمثلة تلك الأحكام المطلقة على بعض كتب التراث القديم والحديث حديثه في كتاب «خواطر مصرحة» عن «البلاغة العربية» إذ كتب عنها يقول :

«تلمّستها في جواهر الأدب فرأيتها تبعد ٣٢١ ، ٦٥٤ مرحلة .

تلمّستها في مولد البرزنجي فرأيتها تتلكأ متسكعة متعثرة .

تلمّستها في البردة والهمزّية فرأيتها تمشي على استحياء .

تلمّستها في كتب الأشياخ فأجابتني الكتب أنْ ليست هنا .

تلمّستها في المقامات فإذا هي لحوم ناضجة ، ولكنها من حيوان غير مأكول اللحم .

تلمّستها في كتب السّعد والجرجاني فرأيتها تحشرج على فراش الموت .

تلمّستها في شعر المولّدين فإذا هي عجوز شمطاء في زي حسناء .

تلمّستها في المعلّقات فإذا هي منجم يَحوي ذهباً في جنادل وصخور .

تلمّستها في الجرائد فإذا هي خروق بالية وأديم ممزّق ...

وأخيراً تركت البحث .. ثم عدت .. فوجدتها :

وجدتها رعداً يقصف من نَبرات القرآن ، فوقفت خاشعاً أمام معبدها .

وجدتها ألَقاً يلمع في مقالات بعض كتّاب سوريا ، فهززت يدي وصافحتها .

وجدتها ورداً ذابلاً في مقالات بعض كتّاب مصر ، فهتفت لها مبتسماً .

وجدتها في شعر المتنبي ينبوعاً يحاول الانفجار فلا يستطيع .

وجدتها في نَظَرات المنفلوطي عروساً تزف ولكن بلا طبول .

وجدتها في الريحانيات موجةً تصعد وتهبط .

وجدتها في كثير من شعر وكتابة مسيحيّي لبنان تُسلِس عن قيادها .

ثم وجدتها في مترجمات فولتير ومولبير وشكسبير وبايرون وجوته فقلت : واهاً لمجد شعراء العرب»(٧) .

ففي هذه المقالة القصيرة أطلق العواد سبعة عشر حكماً نقدياً مطلقا متعجّلاً ، لاتسنده دراسة موضوعية ، ولا يقوم على تحليل منطقي ، ولا استنتاج يوحي بالإقناع ، بل هي أحكام تعميمية حماسية مرتجلة ، تسعة منها سلبية ، يبدو فيها التجني على كثير من مصادر التراث العربي بلا مبرر نقدي سليم ، والأحكام الثمانية الأخرى إيجابية ، تحيَّز في معظمها لبعض الأدباء العرب المعاصرين من

(٧) محمد حسن عواد ، **خواطر مصرحة** ، ص ص ٢٥ - ٢٧

الذين ساروا على نهج الأدب الغربي ، كما عَبَّر في بقيتها عن إعجابه بالأدب الغربي في مترجماته ، دون أن يحدد ماأعجبه ، ودون أن يذكر القِيَم الفنية التي بنى على أساسها حكمه . «وفي الحقيقة أن المرء لا يملك إلا أن يشعر بأنّ الكاتب قد افتقر إلى الحصافة النقدية ، ذلك أنه قد أنكر القيم الفنية في المعلَّقات وشعر المولَّدين من أمثال بشار بن بُرْد وأبي نُواس وأبي تمّام وابن الرُّومي ، على حين أسبغ الثناء على طوائفَ من الأدباء المعاصرين . ومهما يكن ، فإنه يبدو وأن هذه الأحكام النقدية لم تُبْنَ على نظرة تأملية عميقة ، بل أتت نتيجة لما لدى الشباب من اندفاع فطري ، وميل طبيعي إلى الأشياء المحدَثَة من أجل جِدَّتها وغرابتها»[٨] .

وليس العواد وحده الذي أطلق مثل هذه الأحكام النقدية المرتجلة من بين أدباء ذلك الجيل ، فقد سبق كتابه «خواطر مصرحة» في الصدور بنحو سنة ، كتاب آخر حمل مجموعة من آراء عدد من أدباء ذلك الجيل وشعرهم ، وهو كتاب «**أدب الحجاز**» الذي قام بجمعه محمد سرور الصبان في سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م) الذي كتب تقديم ذلك الكتاب ، وضمنه أحكاماً نقدية مطلقة ، لم تقم على دراسة تحليلية استنتاجية مقنعة ، مثل قوله عن أدب الأجيال السابقة وحالة الأدب في البلاد في الماضي الذي سبق جيله أنّه : «قضى بها سوء الطالع لهذه الأمة ولهذا الوطن أن يكون علم الأدب فيها غريباً ، والأديب مبتذلاً»[٩] فهذا حكم خطير على أجيال بكاملها ، وعلى حالة الأدب والأدباء في البلاد في عهود سابقة ، أطلقه الكاتب في تعميم مطلق لاتدعمه دراسة ، ولايؤيده استنتاج .

وفي «أدب الحجاز» أحكام أخرى مشابهة ، تقلل من شأن العهود السابقة في الأدب بصورة تعميمية مطلَقة خالية من التأمل والدراسة الحقيقية لأدب تلك الأجيال ، كما كتب محمد جميل حسن مخاطباً أبناء جيله ، قائلاً لهم : «لماذا لاتنهضون وتنبذون عهد الآباء القدماء ؟»[١٠] والكاتب في حكمه هذا الذي سجّله في مقالة بعنوان «المناجاة» في كتاب «أدب الحجاز» يحكم على عهود الآباء القدماء بمطالبته أبناء جيله بنبذ تلك العهود في نهضتهم ، دون أن يقيم حجَّةً نقديَّةً منطقيَّةً لذلك ، معتمداً على الحماس الجديد فقط في إطلاق الأحكام ونكران القيم الفنية لأدب الأقدمين ، كما سار معظم من أسهموا في تأليف ذلك الكتاب على مثل هذا النهج في إصدار الأحكام النقدية المطلقة ، وبصفة خاصة عن حالة الأدب في البلاد في عهود الأجيال السابقة . «وقد رثى معظم المسهمين في كتاب (أدب الحجاز) حالة الأدب في بلادهم بطريقة أو بأخرى ، وذلك حينما كانوا يبدون أساهم لما أصيب به مجتمعهم من تخلف حضاري ، أو تأخر فكري»[١١] .

---

(٨) محمد عبد الرحمن الشامخ ، **النثر ...** ، **مرجع سابق** ، ص ٨٥ .
(٩) محمد سرور الصبان ، **أدب الحجاز** ، ص ٥ .
(١٠) محمد سرور الصبان ، **المرجع السابق** ، ص ٨٣ .
(١١) محمد عبد الرحمن الشامخ ، **النثر ...** ، **مرجع سابق** ، ص ٨٧ .

وفي كتاب آخر أصدره ناشئة ذلك الجيل في سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٧م) بعنوان : «**نفثات من أقلام الشباب الحجازي**» ضم مجموعة من نتاجهم النثري والشعري ، وقام بجمعه كل من : هاشم يوسف الزواوي ، وعلي حسن فدعق ، وعبد السلام طاهر الساسي ، نجد مجموعة أخرى من الأحكام النقدية المطلقة ، ولكن كثيراً منها كان موجهاً إلى معاصريهم ، مثل رأي عبد الحميد مشخص الذي افتتح مقالات ذلك الكتاب بمقالة بعنوان : «لمحة سريعة عن الأدب الحجازي» قال في مستهلها : «نتحدث عن نهضتنا الأدبية ، وعن الأدب والأدباء ، حديث المُعْتدِّين بها ، ظناً مناً أنها نهضة قوية منظمة تقودها شخصيات حرة بارزة فنخطيء ونغالي ونبعد عن الصواب مضللين أنفسنا في مهامه الخيال»[١٢] ، ثم يقول ، وكأنه يريد إثبات ذلك ، ولكن بلا دليل ولا أي شاهدٍ على مايقوله : «أنا لا أقول إنه ليس بيننا أدباء ، ولكن مع الأسف أغلب أدبائنا اليوم مقلدون ، لا مبتكرون ، وليت المصيبة على التقليد ، لَهانَ الأمر ، وفي الغالب لابد لكل مبتديء من التقليد ! . بل المصيبة في السرقة التي يفخر أولئك السماسرة من أدعياء الأدب بأخذها من بين طيات الكتب وأعمدة الجرائد ، وهذا شأن كل من لم يفهم من الأدب معناه ، ولم يتذوق من طعمه إلا الحثالة»[١٣] .

وفي هذه الأحكام اتهامات خطيرة يوجهها الكاتب لمعاصريه توجيهاً تعميمياً مطلقا في أكثر من ثلاث صفحات من صفحات الكتاب الذي نُشِرت فيه ، دون أن يثبت مايقول بدليل من نص يثبت فيه حقيقة مارمى به معاصريه الآخرين من «تقليد» و«سرقة» ، بل اكتفى بهذا الأداء الخطابي الحماسي في إطلاق أحكامه النقدية التي تحمل كثيراً من التجني .

وفي كتاب «نفثات من أقلام الشباب الحجازي» نماذج أخرى كثيرة على هذه الممارسة الحماسية الساذجة في ميدان إصدار أحكام نقدية تعميمية مطلقة في تلك الفترة . فكما كان حكم عبد الحميد مشخص سلبياً مطلقا على بعض معاصريه ، وإيجابياً تقريظياً على بعضهم الآخر ، فإن كاتباً آخر من كتّاب هذا الكتاب هو عبد المجيد شبكشي كتب مقالةً مشابهة جداً لمقالة عبد الحميد مشخص ، ومارس فيها بالأسلوب نفسه إصدار أحكام نقدية مطلقة ، سلبية تارة على بعض معاصريه ، وإيجابية تقريظية على البعض الآخر منهم تارة أخرى ، دون أن يذكر أسماء من يعنيهم ، ودون أن يستشهد بنماذج من نصوص يحللها ، ويستنتج منها حكمه ، فظلت أحكامه حماسية اندفاعية كأحكام عبد الحميد مشخص ، فقد كتب عبد المجيد شبكشي تحت عنوان «أدب الشباب» يقول : «ففي الحجاز أدباء عصريون لا يُجارَوْن ، وفي الحجاز شعراء مجيدون لا يُحاكَوْن»[١٤] ولم

(١٢) هاشم زواوي وآخرون ، **نفثات من أقلام الشباب الحجازي** ، ص ٧ .
(١٣) هاشم زواوي وآخرون ، **المرجع السابق** ، ص ٧ .
(١٤) هاشم زواوي وآخرون ، **المرجع السابق** ، ص ١٦ .

يذكر بالتحديد أسماء من يعنيهم من المبدعين «العصريين» ولم يستشهد بنماذج من أدبهم الذي «لايجارى» ، وأدبهم الذي «لايحاكى» حسب تعبيره ، فظلت آراؤه عقيمة لأن أحكامه مبهمة وعامة مطلقة ، لاتمثل وجهة نظر نقدية صحيحة بأي وجه من الوجوه .

وربما أمكننا تفسير مواقف بعض المسهمين في كتاب «نفثات من أقلام الشباب الحجازي» وهم ناشئة ذلك الجيل ، بأنها محاولة مقصودة ، أو غير مقصودة ، للانتقام من المشرفين على كتاب آخر صدر متزامناً مع كتاب «النفثات» في سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٧م) وهو كتاب «**وحي الصحراء**»(١٥) الذي حمل نتاج من هم أكبر سناً من أبناء ذلك الجيل ، ولم يسهم فيه أحد من ناشئة ذلك الجيل ، فأصدر هؤلاء كتاب «**نفثات من أقلام الشباب الحجازي**» إثباتاً لوجودهم ، فتصدوا فيه بالأحكام المطلقة للانتقاص من شأن بعض معاصريهم ، وتقريظ رصفائهم من الشباب أو الناشئة آنذاك ، كما فعل عبد الحميد مشخص في مقاله بعنوان : «لمحة سريعة عن الأدب الحجازي» وكما فعل عبد المجيد شبكشي في مقالته عن «أدب الحجاز» التي ختمها بقوله : «فإلى الشباب الناهض أقدم أدب الشباب الناهض كما أوحاه إليَّ الضمير والإلهام»(١٦) ولكنه في الحقيقة لم يقدم سوى تلك الأحكام العامة المطلقة بلا نصوص ولا دليل أو استشهاد على مايقول .

ثانيا : الهجوم والتقريظ

أما الصورة الثانية من صور الأساليب التي مارسها أدباء تلك الفترة في إصدار الأحكام النقدية فإنها كانت أيضاً مشوبةً بروح الحماس والاندفاع ، ولكن تتجلى فيها بوضوح مظاهر الجَدَل والعراك والخصام العنيف تارة ، والمديح والإسراف في الإطراء والتعبير عن الإعجاب تارة أخرى ، بتحديدٍ لاتعميم فيه ولا إبهام ، «بل صار الأدباء الناشئون أنفسهم يتراشقون بألْسنةٍ حِدَاد ، حيث أخذ بعضهم في نقد ما أنشأه زملاؤهم ، أو بالأحرى في تلمّس مافي هذا الإنتاج الأدبي من معايب . ولقد حفل هذا العقد الرابع (من القرن الهجري الرابع عشر) بالمعارك الأدبية التي لم ينشب معظمها لخلاف حول مفاهيم نقدية ، بل كان ذلك بسبب الأغراض الشخصية ، والنزعات الذاتية»(١٧) . ويبدو أن أدباء ذلك الجيل كانوا متأثرين في عراكهم وخصوماتهم بما كانوا يطالعونه في الصحافة المصرية ، إذ كانوا يقرأون «السياسة الأسبوعية» و «المقتطف» و «الهلال» – وبخاصة في عهودها الأولى – كما كانوا يلتهمون «الثقافة» و «الرسالة» ويتابعون باهتمام بالغ المعارك الأدبية التي نشبت

---

(١٥) صدر كتاب «**وحي الصحراء**» في طبعة ثانية في سنة ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) في سلسلة الكتاب العربي السعودي عن «مؤسسة تهامة» جدة ولكن في صورته التي ظهر بها في طبعته الأصلية الأولى في سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٧م) .

(١٦) هاشم زواوي وآخرون ، **مرجع سابق** ، ص ١٨ .

(١٧) محمد عبد الرحمن الشامخ ، **النثر ...** ، **مرجع سابق** ، ص ٩٠ .

بين الرافعي والعقاد ، أو بين طه حسين وخصومه ، أو بين أحمد أمين وزكي مبارك ، أو بين تلامذة مدرسة كل من أولئك الأدباء أو غيرهم . بل كانوا ينقسمون شيعاً وأحزاباً ، هذا يناصر طه حسين ، وهذا يناصر العقاد ، وهذا من مدرسة الرافعي وذاك من مدرسة الزيات»[١٨] ومن باب المناصرة والتعصب كان أولئك الأدباء يبالغون في المديح والإطراء ، كما كانوا يتبادلون الهجاء . ولقد سجل بعض أولئك الأدباء اعترافهم بأن النقد بينهم كان «مهاترة وتشهيراً»[١٩] كما قال أحمد عبد الغفور عطار في رده على نقد حسين سرحان لديوان «الهوى والشباب» للعطار . كما أن العطار نفسه يبالغ في الإطراء والتقريظ وهو يتحدث عن محمد حسين هيكل وكتابه «حياة محمد» إذ يقول عنه : «وأحسبني لا أغالي إذ قلت : إن (حياة محمد) خير كتاب يحوي بين دفتيه السيرة النبوية ، فالمؤرخون من قبل ، وفي وقتنا هذا لم يوفقوا في الكتابة عن حياة محمد ، كما وفق هيكل العظيم»[٢٠] ورغم محاولة العطار إبعاد صفة «المغالاة» عن تقريظه هذا ، فإن حكمه : بأن كتاب هيكل هذا خير الكتب في موضوعه ، قديماً وحديثاً ، على الإطلاق ، هو عين المغالاة والمبالغة في الإطراء البعيد عن مفاهيم النقد الرصين الموزون .

ومن أمثلة تلك المغالاة في المديح والتقريظ كذلك ماكتبه أحمد عبد الغفور عطار أيضا عن ديوان «من وحي المرأة» للشاعر المصري عبد الرحمن صدقي ، قائلاً : «وأكاد أجزم بأن ديوان صدقي هو الديوان الوحيد الذي أجمع أصحاب الفكر والبيان على تقديره والإعجاب به ، ولم يتفرقوا فيه شيعاً ، والإجماع حُجَّة ، فليكتب اسم صدقي في قائمة كبار الشعراء ، فإنه لشاعر كبير مطبوع»[٢١] ، فكيف يقرر العطار أن ديواناً واحداً لشاعر واحد هو كما قال : «الوحيد الذي أجمع أصحاب الفكر والبيان على تقديره والإعجاب به» . إنه إسراف ظاهر وواضح في المديح والتقريظ ، لايقوم على أساس نقدي صحيح ، فلو سلَّمنا بما قاله العطار بأن «الإجماع حُجة» فكيف نتأكد من أن ديوان «من وحي المرأة» للشاعر عبد الرحمن صدقي هو الوحيد الذي تم الإجماع «على تقديره والإعجاب به» بين دواوين الشعر العربي على مر العصور ، إنه حكم لايقبله العقل ولا تجيزه موازين النقد ، فهو اندفاع في الإطراء ، صاحب الهجاء والملاحاة التي تبادلها أدباء ذلك الجيل ، وأسرفوا فيها تماماً كما أسرفوا في مديحهم وتقريظهم .

ومن معارك ذلك الجيل في الجدل الذي وصل إلى حد الهجاء العنيف ، والتي ظهرت على صفحات جريدة «صوت الحجاز» آنذاك كانت الملاحاة الشعرية بين العواد وشحاته وأنصار كلٍّ

(١٨) عبد الله عبد الجبار ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٤ .

(١٩) من مقالة نشرها أحمد عبد الغفور عطار في جريدة «**البلاد السعودية**» في سنة ١٣٦٦هـ ثم أعاد نشرها في كتاب «**المقالات**» في السنة ذاتها ، ص ١٧٤ .

(٢٠) أحمد عبد الغفور العطار ، **المقالات** ، **مرجع سابق** ، ص ١٩٠ .

(٢١) أحمد عبد الغفور العطار ، **المقالات** ، **مرجع سابق** ، ص ١٩٨ .

منهما .. ثم الحرب النقدية في (البلاد السعودية) بين السباعي والعطار حول قصة (فكرة) للسباعي»[٢٢] .

وقد أساءت الحرب النقدية الهجائية بين حمزة شحاته والعواد للعلاقات الشخصية بينهما ، وسجل العواد ذلك فيما بعد في قصيدة بعنوان «عتاب» نشرها في ديوان «**نحو كيان جديد**» . وقد اعترف محمد حسن عواد في قصيدته تلك بذنبه في تحويل النقد إلى هجاء وملاحاة تشبه النقائض ، وطلب من حمزة شحاتة العفو والسماح فقال :

«أخي» حمزة كيف الوشاة تغلّبوا ؟ وكيف تحَرّانا السَّخيف المذبذَبُ
أمَامِنك إن زادت عليك حماقتي تَحمُّل من إن شاء يرضى ويغضب ؟

إلى أن قال :

ومهما تدجّى ذلك الجوّ بيننا فقلبي للودّ البنـاء المطـنب
فلا تشددِ الحبل الذي مدّ بيننا ولاتعتبرني في الصداقة أكـذب
وسامح وأنت المرتَجى مَن تواصلت أواصره واصفـح فإني مذنب[٢٣]

والعوّاد ، رحمه الله ، كان مرة أخرى طرفاً في معركة هجومية ضارية ، باسم النقد ، خاضها ضد عبد القدوس الأنصاري ، رحمه الله . «تلك المعركة التي نشبت عندما انتقد محمد حسن عواد قصة قصيرة نشرها عبد القدوس الأنصاري بعنوان «مرهم التناسي» ، فقد أثار هذا النقد حفيظة الأنصاري ومؤيديه ، وانقلب النقاش إلى حرب كلامية طال أمدها ، وأشتد أوارها[٢٤] . وفي تلك الحرب الكلامية الضارية بين العواد والأنصاري ، ومؤيدي كلٍ منهما ، بلغ من عنف الهجوم ، في بعض الأحيان ، أن استخدمت عبارات وألفاظ نابية وجارحة ، مثل قول العواد عن الأنصاري وأتباعه في تلك المعركة : «ورأي الناس على صفحات صوت الحجاز أوحالاً من أقذار الذهن الكليل ، ليس من كرامة النفس ، ولا من كرامة الفكر أن تتنزل إلى الإجابة عنها»[٢٥] . ومالبثت أن استاءت هيئة تحرير جريدة «صوت الحجاز» لتلك الملاحاة التي اتخذ أصحابها من صفحات تلك الجريدة ميداناً لممارستها باسم النقد ، فقررت هيئة تحرير الجريدة التوقف عن نشر تلك الكلمات النارية ، وقد تم الإعلان عن ذلك القرار في كلمة باسم المحرر في العدد رقم (٩٥) من جريدة «صوت الحجاز» في (١٣٥٢/١١/٥هـ - الموافق ١٩٣٤/٢/١٩م) .

ويبدو أن محمد حسن عواد لم يتراجع عن مواقفه المتشددة في تلك المعركة ، ولا عن عباراته القاسية والموجعة ضد عبد القدوس الأنصاري ، إذ إن العواد قام بجمع تلك المقالات مع غيرها ،

---

(٢٢) عبد الله عبد الجبار ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٢ .
(٢٣) محمد حسن عواد ، قصيدة «عتاب» في ديوان «**نحو كيان جديد**» ، ص ٢٠١ .
(٢٤) محمد عبد الرحمن الشامخ ، **النثر ...** ، **مرجع سابق** ، ص ٩٠ .
(٢٥) جريدة **صوت الحجاز** ، عدد ٨٧ ، ١٣٥٢/٨/٢٤هـ (١٩٣٣/١٢/١٢م) .

ونشرها في كتاب مستقل باسمه أصدره بعد مضي سبعة عشر عاماً على تلك المعركة ، وحمل ذلك الكتاب عنوان : «**تأملات في الأدب والحياة ، فصول وأبحاث متفرقة كتبت من سنة ١٣٥١هـ إلى سنة ١٣٥٥هـ .**» وطبع ذلك الكتاب في سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) في مطبعة العالم العربي بالقاهرة بمصر .

ومن تلك العبارات القاسية التي أعاد نشرها العواد في كتابه عن الانصاري ومؤيديه حول قصة «مرهم التناسي» قول العواد : «إن الغثاثة ولوائح التلاشي وسعة الدعوى التي يشمئز منها الباحث في قفزة ذلك النفر الضئيل من (...) الذين زجوا بأنفسهم في صف الكاتبين ستعلن عن نفسها عندما تبدأ هذه الأدمغة الجوفاء في الهُوِيِّ إلى بؤرة الإفلاس العقلي»(٢٦) .

وفي سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) نشبت معركة أخرى بين أحمد عبد الغفور عطار وحسين سرحان ، بدأها السرحان بشن هجوم على كتاب «**الهوى والشباب**» وهو ديوان شعر للعطار صدر في ذلك العام . وتصدى العطار بالرد على حسين سرحان ، ولكن هذه المعركة كانت أقل عنفاً من معارك العواد والأنصارى السابقة . وأعاد العطار نشر ردوده على حسين سرحان في كتاب «المقالات» . وكان حسين سرحان ، كعادته في تقليده للمازني ، يصدر أحكامه النقدية في أسلوب ساخر ، وقد أشار العطار إلى ذلك ، مستهجناً تلك الطريقة ، بقوله : «والأستاذ السرحان – كما ظهر لي اليوم – قد بَعُدَ عن النقد وقوانينه ، وما أبعد روحه الخفيفة عن النقد الذي يفيد ويضع الأشياء في مواضعها (.....) وأراد الأستاذ أن يتظرف وأن يتجنى ، ولكنه أكثر التجني حينما نهد إلى عامل المطبعة مستهزئاً مستأسداً ، وهو يريدني أنا – لا عامل المطبعة – ليكيدني ويغيظني – على طريقة النساء – وما أنا ممن يبالون من هذا اللون من الإغاظة وان كان الأستاذ يهتم به كثيراً»(٢٧) .

وكتب حسين سرحان مقالاً بأسلوب السخرية والتهكم ، وكأنه يرد به بطريقة غير مباشرة على العطار ، مستخفاً به ، ويتهمه بتعجله في نشر ديوانه ، وذلك تحت عنوان : «النثر والشعر وأشياء أخرى» قال فيه السرحان : «وقد اجتزت هذه المراحل ، وأنفي في الرغام ، وإن كنت ، ومازال أعتقد أني في أواخر هذه المراحل الأولى التي تجمع دائما بين السخف والغثاثة والثقل . وقد لايسمح أديب لنفسه أن يعترف بذلك ، ويريد أن يقول – بالفعل أو بالكلام – أنه أصبح الآن في رأس الذروة ، ولكن ذلك لايعنيني ، فإنه ليس أحمق ولا أجل ممن يغالط في الواقع الذي يكاد يفقأ عينيه .

وبعض أدبائنا الآن يحسب أنه تصدر القافلة لأنه نشر له ديواناً أو ألَّف كتاباً ، وهذا الحسبان يقوم على شيء كبير من الوهم والهوج وقصر النظر»(٢٨) .

---

(٢٦) محمد حسن عواد ، **تأملات في الأدب والحياة** ، ص ١٠٦ .

(٢٧) أحمد عبد الغفور عطار ، **المقالات** ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٤ .

(٢٨) جريدة «**البلاد السعودية**» عدد رقم ٦٤٨ في ٨ جمادي الأولى ١٣٦٦هـ . ثم أعيد نشره في كتاب «**من مقالات حسين سرحان**» وصدر في سلسلة «**كتاب الشهر**» عن النادي الأدبي في الرياض سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) ص ٥٢ ومابعدها .

وفي سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) أصدر عبد السلام طاهر الساسي، رحمه الله كتاب «**شعراء الحجاز في العصر الحديث**» الذي حمل بين دفتيه مجموعة من تراجم كثير من الذين مارسوا نظم الشعر آنذاك مع نماذج من شعرهم. وقد تصدى لنقد ذلك الكتاب بما حمله من نماذج، بأسلوب الهجوم الذي كان مألوفاً آنذاك، عبد الفتاح أبو مدين، الذي ندم فيما بعد على ماضمنه نقده من هجوم مقذع، فأعاد نشر نقده فيما بعد في كتاب «أمواج وأثباج» بعد أن حذف منه عبارات الهجوم، وقال في الهامش عن السبب الذي دعاه لذلك: «هذه دراسة كتبت بين عامي ١٣٧٠هـ و ١٣٧١هـ لهذا الشعر، وحين أزمعت جمعها في هذا الكتاب، حذفت منها مالايصلح، في رأيي، اليوم، وعدل فيها شيء من خطأ.. وأنا أؤمن بالنقد الهادف السليم، وأمج المهاترات، والسخف. وماحذفته من هذا النقد، لايشرفني إثباته، فضلاً عن الاعتزاز به، لأنه كتب في فترة مهاترات تافهة»[٢٩].

ثالثا: المحاولات النقدية المبنية على الدراسة

إن الإنصاف يقضي بالإقرار بتوفر حسن النية في نفوس أولئك الرواد الأوائل، الذين كانوا يجتهدون بالفعل في محاولة ممارسة النقد الهادف لتنشيط الحركة الأدبية، ولكن طموحهم تارة، وعواطفهم تارة أخرى، كانا يؤثران في محاولاتهم تأثيراً سلبياً سيئاً في أغلب الأحيان.

ولكن محاولاتهم الاجتهادية في النقد على أسس الدراسة والتحليل كانت تظهر، حتى في خضم معاركهم الكبرى، وبين عباراتها الملتهبة، وجملها المشحونة بكلمات الهجوم العنيف.

فالعواد، وهو أشهر المخاصمين وأكثرهم عنفاً في معارك ذلك الجيل، كان يضمن هجومه العنيف وجهات نظر نقدية تنم عن وعي وإدراك وسعة اطلاع، بل وعن حصافة، غطت عليها للأسف جمله الهجومية العنيفة، وعباراته الجارحة، فهو في معركته مع عبد القدوس الأنصاري ومؤيديه حول قصة «مرهم التناسي»، وبعد أن يصب جام غضبه عليهم، يعود إلى رزانته وهدوئه، ويقدم تفسيرات نقدية تحليلية تبين سبب رفضه تلك القصة من الناحية الفنية البحتة. فهو في إحدى مقالاته النارية تلك يقدم ستة أسباب نقدية وجيهة، هي:

١ – انعدام الجو الفني.
٢ – قصر النظرة إلى النفس الإنسانية.
٣ – بعدها عن حقائق علم النفس.
٤ – المفاجأة البشعة في انتقال الأخلاق.
٥ – خلوها من الخيال الممتاز.

---

(٢٩) عبد الفتاح أبو مدين، **أمواج وأثباج**، ص١.

٦ – البلى والبرود والتفاهة[٣٠] .

ولكن محمد حسن عواد ، حتى في تفسيراته النقدية المنهجية هذه ينفعل في بعض الأحيان ، ويعود إلى عبارات التجريح ، كما فعل في ختام حديثه عن «المفاجأة البشعة في انتقال الأخلاق»[٣١] وفي ختام حديثه عن «خلوها من الخيال الممتاز»[٣٢] على سبيل المثال حين هدد وتوعد منفعلاً ، بعد أن فسر وشرح بمنهجية معقولة .

وفي السبب الأول الذي رفض به العواد قصة «مرهم التناسي» قدّم بمنهجية نقدية شرحاً لما يعنيه بالجو الفني في القصة ، فكتب برزانة وهدوء يقول : «فالجو الفني للرواية ، إنما هي المعلومات والبيانات التي يجب أن يعرفها القارىء عن زمان الرواية ومكانها وطقسها والشخصيات الذين يتحدث عنهم الكاتب فيها ، والظروف السيئة والحسنة التي تحيط بهم ليتم للكاتب إعطاء فكرة ناضجة عن الموضوع الروائي الذي يعالجه ، وليكون التأثير فيما يدعو إليه أدعى إلى أن يتقبله القارىء . وهذا هو الفرق بين الرواية وبين النادرة والفكاهة والحكاية التي تقصد منها الموعظة القصيرة»[٣٣] .

ويمضي العواد قُدُماً في منهجيته بدعم وجهة نظره النقدية هذه بالاستشهاد برأي أديب عالمي شهير ، فيقول : «قال الأديب الفرنسي العظيم «أَلْفونْسْ دِي لَامَارْتِينْ» في مطلع روايته الخالدة «روفائيل» : إن من الأمكنة والأجواء والساعات والفصول والظروف الخارجية مايتصل سلكه بحبات القلب ومشاعره ، حتى لتخال الطبيعة جزءاً من النفس ، والنفس جزءاً من الطبيعة ، فإذا فصلت المسرح عن الرواية ، والرواية عن المسرح ذيل المشهد ، وضؤُلت الفكرة ، وانمحت العاطفة . جرد «رينيه» من شواطىء بريطانيا الصخرية ، «وآلام فرتر» من أندية السواب الكثيفة ، و «بول فرجيني» من غوارب الماء المشبعة من الشمس ، وجبال المارن الناضبة من الحرارة ، فإنك لاتكاد تفهم فن «شاتوبريان» ولا «جوتيه» ، ولا «برناردن دي سان بيير» .. هذا هو الجو الفني اللازم للقصة ، فليفهمه جيداً من تحدثه نفسه بكتابة الروايات»[٣٤] .

وحمزة شحاته ، رحمه الله ، وهو الطرف الثاني في إحدى المعارك الضارية التي تبادل فيها الهجوم والهجاء مع محمد حسن عواد ، يقضي الإنصاف أيضاً بالإقرار بأنه كانت له مواقف نقدية هادئة رزينة اجتهد فيها في تناول بعض الأمور ومعالجتها بحجج معقولة ومناقشة معتدلة وبروح

---

(٣٠) جريدة **صوت الحجاز** عدد رقم ٨٧ في ١٣٥٢/٨/٢٤هـ (١٩٣٣/١٢/١٢م) ثم في كتاب محمد حسن عواد ، **تأملات** ... ، مرجع سابق ، ص ص ١٠٦ – ١١٣ .

(٣١) المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٣٢) المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٣٣) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٣٤) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

سمحة . «وفي أوائل العقد الخامس من هذا القرن دار حوار أدبي بين عبد الله عُرَيْف وحمزة شحاته حول مدى تأثر المشاهد بالمنظر الجميل ومدته . ومما يثير الانتباه أنه لم يكن في هذا الحوار مايمت بصلة إلى تلك المعارك الكلامية الحامية التي نشبت في الثلاثينات ، ذلك لأنها قد اتسمت بالاعتدال ، والتزمت آداب المناظرة . فقد ألقى حمزة شحاته محاضرة عامة في مكة المكرمة عام ١٩٤٠م . قال فيها : إن إدمان النظرة إلى صورة جميلة يفقدها شيئاً من تأثيرها ، فإذا تجدد إليها النظر ، وارتوى الحس فقدت مقدرتها على التأثير ، وإنك لتلقى المنظر يلقاك بألف معنى أول ماتلقاه ، فماتزال نفسك دائبة في تحليل معانيه حتى تنتهي بها إلى الإصفاء والإفلاس»(٣٥) .

وعقب عبد الله عريف ، رحمه الله ، على محاضرة حمزة شحاتة ، مركّزاً في تعقيبه ونقاشه على هذه الفقرة من المحاضرة «وقد اعترف بأن في رأي شحاته شيئاً من الصدق ، ولكنه أخذ عليه ميله إلى أن يعزو جمال المنظر إلى عنصر عَرَضي خارج عنه ، ألا وهو حواس المشاهد»(٣٦) . «وتكمن أهمية مقالة العريف هذه في طريقة تناوله للموضوع ، حيث أنه لم يلجأ – حين وجد نفسه غير مؤمن بقول شحاته – إلى ما اعتاده بعض زملائه من نقد لاذع ، وهجوم على من يخالفون ، ولكنه بدأ ناقداً مخلصاً في بحثه عن الحقيقة ، وناقش بطريقة ممتعة تخلو من التعالم والادعاء»(٣٧) . «وحينما رد حمزة شحاتة على مقالة العريف هذه وصفها بأنها قد تضمنت : نقداً دقيقاً ومناقشةً هادئة ، ثم أخذ في الحديث عن نظرته التي وجه العريف إليها النقد ، فوصفها بأنها لم تكن سوى فكرة ساقها الاستطراد عفواً»(٣٨) . «ولم يبد شحاته متعصبا لرأيه ، بل إن نقاشه قد اتسم بالهدوء والرزانة والسماحة . وقد لايوافقه الباحث في وجهة نظره ، ولكنه لايستطيع أن ينكر ما لنقاشه المتزن من قوة آسرة ، وما في آرائه من إحكام وتماسك ، كما لايملك إلا أن يعجب بروحه السمحة وأسلوبه المعبر الجميل . ولم يصبح النقد في يده سلاح هجوم ، بل كان أداةً لتبيان أسرار الفن ، ووسيلة للتأمل الجاد ، وذلك كما في قوله حين يناقش بإخلاص : «... وأي شيء في الحياة تبقى له روعة جماله ، وجدة معناه في نفوسنا وأبصارنا بعد فهمه واستغراقه ، والتزود بخير مافيه وأجمله ؟ إنا لو نظرنا إلى الوجود لما أصبنا معناه إلا في الإنسان ، ولو التمسنا معنى الإنسان لما أصبناه إلا في الزمن الدائب ، والزمن ليس إلا إحساسنا بالحركة والتحول ، ولو وقف كل شيء في أعيننا لايريم مكانه لما كان الجمال ، ولا كان الشعور بالسعادة . مامعنى مظاهر الوجود في ذاتها ، مامعنى الجدول المترقرق ، والحقل المهتز ، والنسمة المنطلقة ، والجبل القائم ، والبدر المشرق ، والليل الساجي ؟

---

(٣٥) محمد عبد الرحمن الشامخ ، **النثر ...** ، **مرجع سابق** ، ص ص ٩٤ – ٩٥ ، وجريدة **«صوت الحجاز»** عدد رقم ٤٤٧ ، ١٣٥٩/١/١٠هـ (١٩٤٠/٢/١٨م) .

(٣٦) المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٣٧) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٣٨) المرجع السابق ، ص ص ٩٦ – ٩٧ .

أليست حقيقة معانيها في نفس الإنسان ونظرته وشعوره ؟ وما كُنْهُ هذه الحقيقة ومعانيها في نفسه إلا أنها جزء من الزمن المتغير وساعاته المتجددة . فالمعاني تنسب إلى مظاهر الوجود من قبيل التغليب ، وإلا فهي في حقيقتها معاني أنفسنا وصور أفكارنا ومشاعرنا وتأثراتنا . وهب أنني رجل أكمه الذوق ، فماذا تكون معاني هذه الصورة في نفسي ؟ أو هَبْ أنني فلاح يقضي حياته بين حقوله وعلى ضفاف جداولها المنسابة ، أفتكون معانيها في نفسي ودخائل فكري هذا الجمال المعبر الأخاذ ، الذي يحسه الشاعر ويساجله ، ويناغيه العاشق ويناقشه ، ويحدثه الفيلسوف ويستنطقه ؟ أم أنها تكون عندي رمز الكد ، وضرورة الإنتاج والنَّصَب للعيش وضروراته القاهرة»[٣٩] .

ورغم أن الجدل قد طال حيناً أصبح لكل من المتخاصمين نصير يشايعه ، فإن النقاش قد احتفظ بتلك الروح الموضوعية الهادئة التي سادت جوه منذ البداية ، ولم تفقد المناظرة سمة النقد المنصف البناء في أي لحظة من اللحظات .

«وإن هذا النقاش الذي تبودلت فيه وجهات النظر بطريقة موضوعية متزنة لبعيد كل البعد عن ذلك النقد المتحيز ، والهجاء الذي حفلت به الأيام الأولى من هذه الفترة . لقد تطور النقد الأدبي السعودي في نهاية هذه الحقبة ، فتحول إلى بحث جاد عما في العمل الأدبي من قيم فنية ، وعناصر جمالية»[٤٠] .

وأحمد عبد الغفور عطار ، وحسين سرحان ، كانت لكل منهما آراء نقدية مبنية على الدرس والتحليل والاستنتاج ، حتى في المعركة الحامية التي دارت بينهما حول ديوان «الهوى والشباب» ، والتي سبقت الإشارة إليها . ولكن عبارات الانفعال والتقريع ، والتهكم والسخرية ، غطت – للأسف – بتشويشها على تلك الآراء النقدية التحليلية الموزونة . وتدخل أحمد عبد الغفور عطار في المناظرة النقدية التي دارت على صفحات «صوت الحجاز» بين حمزة شحاته وعبد الله عريف ، وأسهم فيها بمنطق معقول ، وبموضوعية معتدلة لاتخرج عن حدود الأفكار المطروحة للنقاش ، ومن ذلك قول أحمد عبد الغفور عطار : «والفرق بين النظرتين ظاهر ، فحمزة يلقي نظرته على الصورة الفنية وهو كالجائع المنهوم أو الظامىء اللاهث ، فتشبع عواطفه ويرتوي بإحساسه منها ، ثم بعد ذلك لايقف عندها ، فقد شبع وارتوى ، ومنيت بالإفلاس والإصفاء ، فيمضي أو ينتقل إلى صورة أخرى تكون أكمل وأقوى وأعظم حفولاً بالمعاني ، وهذا ما تعمله النفوس القوية .

ولكن الأستاذ عُرَيفاً يتقدم إلى الصورة الفنية نفسها فيلقي نظرته إليها قانعاً بمظهرها وبما تحبوه من لذة ومتعة يسيرتين : فهو بالطبع يجد فيها ذخيرة من المعاني يخيل إليه أنها لاتنفد ، وكأنها تتوالد وتحتفظ بخلودها .

---

(٣٩) المرجع السابق ، ص ص ٩٦ – ٩٨ ، وجريدة **«صوت الحجاز»** عدد رقم ٤٥٠ في ١٣٥٩/١/٢٠هـ (١٩٤٠/٢/٢٨م).
(٤٠) المرجع السابق ، ص ٩٨ .

ورأينا يكاد يتفق مع رأي الأستاذ حمزة ، نرى أن الصورة مهما حفلت بالمعاني فالنفس المحسة القوية تدركها وتتغلغل فيها ، ولاتزال تتناولها حتى تنفد ، وهنا تصبح هذه النفس في غنى عن هذه الصورة لأنها التمت مافيها من معان وتتطلع إلى أخرى ، ودليلنا فيما نذهب إليه التجديد المستمر ، والتغيير الدائم ، والتطور جزء من نفوسنا ، فهي تسير على سنته ، وكلما رقت درجة لاتقف عندها وقفة التعب العاجز ، بل تغادرها إلى أعلى أو تهبط لتضمن الحركة والبقاء والتجديد ، فالحياة حفيلة بمعان وصور وأشكال لانهاية لها البتة ، والزمن جزء من الحياة عظيم ، والتغير سنة الزمن ، والتطور قاعدة الحياة .

فنحن إذ نقف عند صورة من الصور ونهبها عواطفنا وإحساسنا ومشاعرنا ولانريد أن نريمها ، أو قيدتنا ، أو أطلنا الوقوف عندها ، أو ألهتنا عن طلب غيرها ، فإنما نحن متخلفون عن موكب الحياة الذي مايفتأ سائراً في طريقه مادام في الكون قلب يخفق ، أو نجم يتلألأ أو غصن يهتز .

إن إطالة الوقوف لدى صورة ماليس دليلاً على حفولها بشتى المعاني وشتى الصور أكثر مما يدل على فقر هذه النفس وجمودها وضعفها ، حيث ترى الري من هذه الصورة وماتحتوي من معان والانتقال الى غيرها فجيعة أليمة لاتطاق ، غير عالمة أن الكون مملوء بالصور والمناظر التي يكاد يضيق عنها العد»[٤١] .

وهكذا حافظ العطار على اعتداله وأبدى آراءه ، المؤيدة لوجهة نظر حمزة شحاتة ، برزانة وحصافة وفي جدل منطقي سليم ، وبروح سمحة ، وفي أسلوب شيق جذاب آسر ، تجلت فيه صفة الناقد الذي يبحث عن الحقيقة بموضوعية وتجرد .

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، وهدأ أوارها ، عادت الصحف السعودية إلى الصدور في توثب للمستقبل ، ونضج أكثر وضوحاً في الإنتاج الأدبي ، وممارسة النقد والأحكام النقدية برزانة وموضوعية بعيداً عن المهاترات والهجوم والانفعال .

ففي شهر المحرم من سنة ١٣٦٥هـ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٥م صدر العدد الأول من المجلد السادس من مجلة (المنهل) بعد توقف دام زهاء أربعة أعوام بسبب قلة الورق وندرته وغلاء ثمنه أثناء الحرب العظمى . وأراد صاحب المنهل رحمه الله أن يستهل هذا العهد بلون جديد من أساليب الممارسة النقدية الجادة التي يتبارى فيها أدباء البلاد ، فأجرى استفتاء بين الأدباء بعنوان «هل يصلح أدبنا للتصدير ؟» ويقصد بذلك الانتشار خارج المملكة العربية السعودية . وتوالت إجابات الأدباء التي ناقشوا فيها بمنهجية أسباب قوة الأعمال الأدبية التى تحقق لها الانتشار . وأول جواب نشر كان من حسين سرحان وقال فيه : «أما الأسلوب في أدبنا فهو يختلف بين المتانة والسلاسة ، ولا يهبط عن هذين إلا في أدب بعض الناشئين والشداة على أنه في طريقه إلى القوة والتمكن ، وأما الروح فهي

(٤١) جريدة «**صوت الحجاز**» عدد رقم ٤٦١ في ١٣٥٩/٢/٢٩هـ (١٩٤٠/٣/٤م) ثم كتاب «**المقالات**» ص ص ٥٠ - ٥١ .

تفاوت بين اللطافة والعمق وبين السداد في الرأي أو المقاربة إليه ، وليس بحتم على الأديب أن يحتفظ – دائما – بمستوى واحد لايعدوه ولا يسف عنه ، فطالما قرأنا لأعلام الأدباء كالمازني والعقاد وطه وغيرهم أشياء لولا تواقيعهم عليها لشككنا في أن ينزلوا بعد تحليق ، ويخطئوا بعد توفيق ، إلى ذلك الحد العجيب . ارسموا للأدب نهجه ، ووفروا وسائله ، وشجعوه ، وصدروه بعد ذلك»(٤٢) .

وفي ذلك العدد نفسه من «المنهل» بدأ نشر دراسة نقدية جادة مطولة كتبها حمد الجاسر وصحح فيها مابدا له من أخطاء في معاجم الأمكنة بجزيرة العرب على أسس علمية سليمة ، وفي منهجية مستقيمة واضحة(٤٣) .

ومن الإجابات التي نشرت على استفتاء «المنهل» وتجلت فيها مقدرة نقدية تحليلية إجابة عبد الله عبد الجبار التي نشرت في العدد الخامس من «المنهل» في تلك السنة ، وقد جعل مدخلها تحديد خصائص الانتشار وأسبابه ، والتي لخصها تحت عنوان (الأدب الحي) بقوله : «الأدب الحي هو الذي يتخطى حدود الزمان والمكان فيخلد في الصحائف والصدور ، ويعيش في أفواه الناس ، ويعبر القفار والبحار والهواء فإذا هو في الشرق إن ولد في الغرب ، وإذا هو في الغرب إن ظهر في الشرق ، يملي جمالاً ، ويذيع رأياً ، ويوجه فئة ، ويقيم أمة ، ويقعد أخرى . ويظل المتأدبون على مر الأجيال عاكفين عليه يدرسونه ، ويستمتعون به ، ويستلهمونه ، ويتكهنون إسراره ، ويقلدونه عن وعي وعن غير وعي ، لأنه يحمل في طياته عناصر الخلود كلها ، أو جلها ، من قوة الشخصية ، وسمة الحيوية ، ونزعة الابتكار ، وعمق الفكرة ، وإشراق الخيال ، وصدق العاطفة ، وروعة الأسلوب» .

وعلى هذا الأساس المنهجي ناقش عبد الله الجبار بعد ذلك إمكانية «تصدير» أدبنا وانتشاره في رزانة نقدية وموضوعية . وعلى هذا المنوال توالت إجابات الأدباء السعوديين على استفتاء «المنهل» في نقاش موضوعي جاد ، وعلى أسس منهجية ، وفي اجتهاد واضح . وهذه صورة من صور النضج النقدي عن أدباء ذلك الجيل بعد مراحل كثيرة من التجربة مروا بها من قبل .

المراجع

أولا : الكتب

أبو مدين ، عبد الفتاح ، **أمواج وأثباج** ، جدة ، ١٣٧٨هـ .
أمين ، بكري شيخ ، **الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية** ، بيروت ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

---

(٤٢) مجلة «المنهل» عدد ١ مجلد ٦ ، المحرم ١٣٦٥هـ (كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٥م) ص ١٤ .
(٤٣) المرجع السابق ، ص ص ١٥ – ١٩ ..
(٤٤) مجلة «المنهل» عدد رقم ٥ مجلد ٦ ، جمادي الأولى ١٣٦٥هـ (نيسان (أبريل) ١٩٤٦م) ص ٢٢٠

حافظ ، عثمان ، **تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية** ، جـ ١ جدة ، د . ت ، وجـ ٢ ، جدة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

جمع : زواوي ، هاشم يوسف ، قدعق ، علي حسن ، الساسي ، عبد السلام طاهر ، **نفثات من أقلام الشباب الحجازي** ، القاهرة مكة ، ١٣٥٥هـ/١٩٣٤م .

الساسي ، عبد السلام طاهر ، **شعراء الحجاز في العصر الحديث** ، القاهرة ومكة ، ١٣٧٠هـ .

الساسي ، عمر الطيب ، **دراسات في الأدب العربي على مر العصور/مع بحث خاص بالأدب العربي السعودي** ، جدة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

سرحان ، حسين ، **من مقالات حسين سرحان** (كتاب الشهر عن النادي الأدبي بالرياض) ، الرياض ، ١٤٠٠هـ .

الشامخ ، محمد عبد الرحمن ، **الصحافة في الحجاز ، دراسة ونصوص** ، الرياض ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

الشامخ ، محمد عبد الرحمن ، **النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠ - ١٩٤٥** ، الرياض ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

الصبان ، محمد سرور ، **أدب الحجاز** ، مكة ، ١٣٤٤هـ .

عبد الجبار ، عبد الله ، **التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية** ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

جمع : عبد المقصود ، محمد سعيد ، بلخير ، عبد الله عمر ، **وحي الصحراء** ، القاهرة ومكة ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م .

عطار ، أحمد عبد الغفور ، **المقالات** ، القاهرة ومكة ، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م .

عواد ، محمد حسن ، **تأملات في الأدب والحياة فصول وأبحاث متفرقة كتبت من سنة (١٣٥١هـ إلى سنة ١٣٥٥هـ)** .

عواد ، محمد حسن ، **خواطر مصرحة** ، مكة ١٣٤٥هـ .

فلالي ، ابراهيم هاشم ، عبد الجبار ، عبد الله ، القرشي ، حسن عبد الله ، **المرصاد ، مرصاد المرصاد ، نقد المرصاد** (كتاب الشهر عن النادي الأدبي بالرياض) ، الرياض ، ١٤٠٠/١٩٨٠م .

مشخص ، عبد الحميد ، والباعشن ، محمد سعيد ، **العواد ، قمة وموقف** ، القاهرة وجدة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

ثانيا : الصحف والمجلات

١ - جريدة «**أم القرى**»

٢ - جريدة «**صوت الحجاز**»

٣ - مجلة «**المنهل**»

٤ - جريدة «**البلاد السعودية**» .

Critical Evaluations in Writings of the Early Pioneers of Modern Saudi Arabia

Omar Al-Tayeb Al-sasi
Associate Professor, Department of Arabic Language,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT

This is a modest attempt to put together the diverse pieces of information that show the rise and development of critical practices in Saudi Arabian Literature by the literary figures of the first generation of pioneers. It supplements the earlier efforts in the field of the realization of a comprehensive history of Saudi Arabian Literature since its rise in all of its creative and critical spheres.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١ ، ص ص ١٩١ - ٢٢١ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

المغالطات والأخطاء التاريخية في كتاب الدكتور كمال الصليبي «التوراة جاءت من جزيرة العرب» دراسة نقدية

عبد المنعم عبد الحليم سيد(*)

مستخلص البحث

إن الأدلة التي قدمها الدكتور الصليبي في كتابه «التوارة جاءت من جزيرة العرب» لإثبات أن أرض الميعاد عند اليهود هي بلاد عسير وليست فلسطين ، تعتمد كلها على تحريف الأسماء العبرانية للمدن الفلسطينية من ناحية ، وأسماء المدن والمواقع العسيرية من ناحية أخرى ، لكي تتقارب مع بعضها .

ولقد انكشف هذا التحريف بوجه خاص في الفصل الذي يضمه الكتاب بعنوان «مسار حملة شيشانق» ، لوجود وثائق تاريخية وأثرية لهذه الحملة لاتحتمل التشكيك أو التحريف ، ولتبين جهل الدكتور الصليبي بأغلب هذه الوثائق من ناحية ، وبالوثائق الأخرى التي تتصل بها من ناحية أخرى .

فقد ادَّعى الدكتور الصليبي أن حملة الفرعون شاشنق كانت في عسير ، ولم تكن في فلسطين ، وأن أسماء المدن المدوّنة على آثاره ليست لمدن فلسطينية (كما أثبت علماء الآثار المصرية والفلسطينية) ، ولكن لمدن ومواقع في عسير ، وعلى هذا الأساس تتبّع مسار هذه الحملة بين مناطق عسير ، واتّبع في ذلك طريقة نقلها من كتاب عالم آثار إنجليزي يدعى «كتشن» (الذي تتبّع مسار حملة الملك شاشنق في ميدانها المنطقي وهو فلسطين) - دون أن يشير إلى هذا النقل - كما تقتضي الأمانة العلمية - بل إنه حاول التمويه على هذا النقل بإدخال بعض التغيير على المسار الذي اقترحه كتشن مما أدى إلى الكثير من التخبط والتضارب لايمكن أن يقبله عقل أو منطق !!

أما جهل الدكتور الصليبي بالوثائق التاريخية والأثرية ، فقد تبين بوضوح عدم

(*) أستاذ التاريخ القديم والآثار ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة - المملكة العربية السعودية .

معرفته بحقيقة تاريخية سجلتها هذه الوثائق ، وهي أن هناك ثمانية من الفراعنة سبقوا الملك شاشنق في تسجيل نفس أسماء المدن الفلسطينية التي سجلها هذا الملك ، وأن هؤلاء الفراعنة تركوا الكثير من الآثار الثابتة (مثل أطلال المباني كالقلاع والمعابد) والمنقولة (مثل الأواني والجعارين وغيرها من الآثار الصغيرة) في هذه المدن الفلسطينية ، ومازالت أغلب هذه الآثار موجودة في أماكنها حتى اليوم ، مما يعتبر دليلاً حاسماً على أن الأسماء التى سجلها هؤلاء الفراعنة هي لمدن في فلسطين وليست في عسير . وهذه الحقيقة التاريخية ذات الطابع الإيجابي تتأكد بحقيقة أثرية ذات طابع سلبي ، هي أنه لم يعثر حتى الآن على أي أثر فرعوني ثابت ، سواء في أي موقع من المواقع التي ادعى الدكتور الصليبي أن الملك شاشنق غزاها أو مَرَّ بها أثناء حملته المزعومة في عسير ، أو حتى في أي منطقة أخرى في عسير كلها .

وكل هذه الأدلة التاريخية والأثرية تدحض رأي الدكتور الصليبي بأن حملة الملك شاشنق كانت على بلاد عسير ، ومن ثم تهدم الأساس الذي بنى عليه آراءه الشاردة التي مؤداها أن عسير وليست فلسطين هي أرض الميعاد عند اليهود .

منذ أن نُشِر كتاب الدكتور كمال الصليبي باللغة الإنجليزية بعنوان **« The Bible Came from *Arabia»*** by Kamal Salibi, London, 1985 وترجمته العربية المعنونة «التوراة جاءت من جزيرة العرب»[1] التي راجعها ونقحها بنفسه كما هو مثبت على ظهر الغلاف منذ أن نُشِرا عام ١٩٨٥م ، أثار دهشة كبيرة في الأوساط التاريخية والأثرية ، ذلك أن المبررات التي قدمها في كتابه لإثبات آرائه ليس لها أي سند من التاريخ أو الآثار ، بل يشوبها الافتعال اللغوي والجغرافي .

وعندما تصفحت الكتاب المذكور وترجمته العربية ، استوقف انتباهي الفصل الذي عنوانه *«The Itenerary of The Sheshonk Expedition»* ,PP. 134-142 أو «مسار حملة شيشانق» فقد وجدت فيه مغالطات واضحة ، بل وللأسف أخطاء تاريخية صارخة ، لايصح أن تصدر عن باحث مسؤول يشغل مركزاً أكاديمياً مرموقاً[2] ، إذ جعل الدكتور الصليبي ميدان هذه الحملة في بلاد عسير ، في غرب المملكة العربية السعودية ، دون أي اعتبار للحقائق التاريخية المدعمة بالوثائق الأثرية التي لاتقبل الشك والتي تثبت أن حملة شاشنق هذه كانت في فلسطين وليست في مكان آخر .

ومن الواضح أن الذي دفع الدكتور الصليبي إلى هذا الإغفال للحقائق التاريخية هو تحمسه غير المتبصر لإثبات رأيه الذي دار كتابه حوله بأن أرض الميعاد عند اليهود هي بلاد عسير وليست فلسطين .

---

(١) كمال سليمان الصليبي ، **التوراة جاءت من جزيرة العرب** ، ترجمة عفيف الرزاز ، مراجعة وتنقيح المؤلف ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٦م .

(٢) علمت أن الدكتور كمال الصليبي يشغل منصب «رئيس قسم الآثار» بالجامعة الأمريكية ببيروت .

وشاشنق هذا[٣] هو أحد فراعنة مصر ، وقد حكم مصر بين عامي ٩٤٥ ، ٩٢٤ قبل الميلاد ، وشنَّ حملة على فلسطين وسجل أسماء المدن الفلسطينية التي استولى عليها على جدران معبد الإله آمون بالكرنك[٤] بمدينة الأقصر في صعيد مصر .

والسبب الذي جعل الدكتور الصليبي يختار الفرعون شاشنق من دون فراعنة مصر جميعاً ليجعل من أسماء المدن التي دوّنها هذا الملك في معبد الكرنك مادة لادعائه بأن «عسير» هي أرض الميعاد ، وليست فلسطين - أن شاشنق قد ورد ذكره في أسفار العهد القديم[٥] ، وبالتحديد في سفر الملوك الأول (أصحاح ١٤ عدد ٢٥ - ٢٦) وفي سفر أخبار الأيام الثاني (أصحاح ١٢ عدد ٢ - ٩) ، بأنه استولى على المدن الحصينة في مملكة يهوذا ، وهدَّدَ أورشليم عاصمة المملكة ، وذلك في السنة الخامسة من حكم الملك «رحبعام» ملك يهوذا ، وابن الملك سليمان الحكيم وخليفته .

فقد ادعى الدكتور الصليبي بأن هذه المدن لاتوجد في فلسطين كما هو متعارف عليه بين علماء الآثار المصرية والفلسطينية ، بل وكما هو معروف لدى كافة الباحثين في تاريخ الشرق الأدنى القديم - وإنما توجد في بلاد عسير ، في غرب المملكة العربية السعودية ، ولجأ في ذلك إلى قائمة أسماء المدن التي سجلها الملك شاشنق على جدران معبد آمون بالكرنك (شكل ١) ، (شكل ٣) محاولاً إثبات أن هذه المدن تقع في عسير عن طريق التقريب بين نطق أسمائها وبين نطق أسماء بعض المدن والقرى في منطقة عسير ، واستخدم في هذا التقريب أساليب ملتوية منها حذف مقاطع من بدايات ونهايات الأسماء المصرية القديمة لهذه المدن (المكتوبة بالهيروغليفية) ، أو إسقاط حروف من وسطها ، أو إضافة حروف إليها ، مما سنوضحه عند المقارنة بين أسماء هذه المدن وبين أسماء المواقع العسيرية التي اقترحها الدكتور الصليبي .

ورغم أنني علمت من الإخوة أبناء عسير أن الصليبي حَرَّفَ أسماء المدن العسيرية أيضاً[٦] ،

---

(٣) الكتابة العربية التي تطابق كتابة اسم هذا الفرعون بالهيروغليفية هي «شاشانق» وقد كتب اسمه في التوراة (وبالتحديد في أسفار العهد القديم كما سنذكر بعد) «شيشق» أي بالياء بدلاً من الألف وبدون حرف النون ، وقد اصطلح الباحثون العرب على كتابة اسمه بالعربية «شاشنق» . وسوف نستخدم هذه الكتابة في دراستنا هذه لأنها أقرب إلى نطق الاسم الأصلي .

(٤) هذه الأسماء منقوشة بالهيروغليفية في شكل قائمة عند مدخل البوابة المعروفة باسم «بوابة البوبسطيين» التي تخترق الجدار الجنوبي لمعبد آمون بالكرنك (شكل ١) وترجع تسمية «البوبسطيين» إلى اسم المدينة التي ينتسب إليها الملك شاشنق وخلفاؤه من ملوك الأسرة الثانية والعشرين الفرعونية وهي «بوبسطة» وتوجد أطلالها بالقرب من مدينة الزقازيق الحالية في شرق الدلتا .

(٥) استخدم الدكتور الصليبي كلمة «التوراة» بدلاً من «العهد القديم» الواجب استخدامها لأن التوراة بالتعبير الدقيق تشمل الأسفار الخمسة الأولى فقط (من التكوين إلى التثنية) ، ونظراً لأن كثيراً من الأسفار التي وردت فيها أسماء المدن الفلسطينية ، ليست من هذه الأسفار الخمسة ، فسوف نستخدم عبارة «العهد القديم» لأنها تشمل جميع الأسفار (من التكوين إلى ملاخي) كما هو معروف ، فضلاً عن أن التمييز بينها وبين كلمة «التوراة» سوف يساعد في تحديد المواقع الجغرافية كما سنذكر بعد .

(٦) أثناء رحلة لي إلى «خميس مشيط» وماحولها في أوائل العام الهجري (١٤٠٧هـ) لدراسة بعض النقوش القديمة ولتحقيق بعض هذه الأسماء .

إلا أنني سأكتفي بإظهار التحريف في الأسماء المصرية القديمة معتمداً على الوثائق الأثرية التي لاتقبل الشك ، تاركاً مهمة إظهار التحريف في أسماء المدن والمواقع العسيرية لهم .

لقد تجاهل الدكتور الصليبي (أو بالأحرى «جهل» كما سنثبت ذلك) الوثائق المسجلة على الآثار المصرية ، فلو أنه رجع إلى هذه الوثائق ، لعرف أن أسماء المدن التي سجلها الملك شاشنق على جدران معبد الكرنك[٧] ، سبق أن سجلها ثمانية من الفراعنة الذين سبقوه ، وأولهم الملك تحتمس الثالث (١٤٨٢ – ١٤٢٩ ق . م) ، ثم الملك أمنحتب الثاني (١٤٣١ – ١٤٠٥ ق . م) ثم تحتمس الرابع (١٤٠٥ – ١٣٩٥ ق . م) ثم أمنحتب الثالث (١٣٩٥ – ١٣٥٨ ق . م) ثم حورمحب (١٣٢٤ – ١٢٩٦ ق . م) ثم سيتي الأول (١٢٩٤ – ١٢٧٨ ق . م) ثم رمسيس الثاني (١٢٧٩ – ١٢١٣ ق . م) وأخيراً الملك رمسيس الثالث (١١٨٨ – ١١٥٧ ق . م)[٨] .

وكان الملك تحتمس الثالث (الذي سبق عصر الملك شاشنق بحوالي خمسة قرون) هو أول من ابتكر الطريقة الخاصة بكتابة أسماء هذه المدن الأجنبية التي فتحها ، وعنه أخذها هؤلاء الفراعنة جميعاً ، ومنهم شاشنق . وتتلخص هذه الطريقة في كتابة اسم المدينة داخل مستطيل بيضي مسنّن الشكل ، يرمز إلى السور المحصَّن الذي يحيط بالمدينة ، وفوق هذا المستطيل رُسم النصف العلوي من جسم أسير موثوق الذراعين من الخلف (شكل ٢ وشكل ٣) . وكان المكان المفضل لكتابة هذه الأسماء هي الجدران الخارجية للمعابد ، خاصة واجهات مداخلها (الصروح) والفناء وقاعات الأعمدة من الخارج (شكل ١) .

إننا لو أخذنا برأي الدكتور الصليبي بأن الأسماء المدوّنة في سجلات الفرعون شاشنق هي أسماء مدن وأماكن في عسير وليست في فلسطين ، فمعنى هذا أن هؤلاء الفراعنة الثمانية الذين سبقوا الملك شاشنق في تدوين نفس أسماء هذه المدن ، قد سبقوا الملك شاشنق أيضاً في غزو عسير ، وليس في غزو فلسطين ، وبناءً عليه ، علينا أن نلغي من الوجود الآثار الوفيرة التي تركها هؤلاء الفراعنة في فلسطين ، والتي مازالت أطلالها قائمة حتى اليوم ، وبعضها في المدن التي غزاها الملك شاشنق كما سنذكر فيما بعد . وفي المقابل ، علينا ألا نلقي بالاً إلى خلوّ مناطق عسير خلواً تاماً من أي آثار فرعونية ، حتى ولا مجرد نقش على الصخر ، رغم أن ذلك يخالف تماماً عادة الفراعنة ، عندما كانوا

---

(٧) المعروف بين الباحثين في الآثار المصرية القديمة أن كلمة «الكرنك» تطلق على مجموعة من المعابد الفرعونية من بينها معبد آمون (الذي يطلق عليه أحيانا «الكبير» لأنه أكبر هذه المعابد) ، ولكن كثيراً ماتستخدم كلمة «الكرنك» بمعنى (معبد) من باب الاختصار .

(٨) نشرت هذه القوائم في مراجع عديدة أهمها :

- W. Max Muller, *Egyptological Researches,* **Vol. I** (1906) pls. 44-85
- K. Sethe, *Urkunden der 18 Dynostie,* 1906-9.
- University of Chicago, *Orient. Inst. Publ.* **Vols I,II & III** (1936-1954).

يرتادون أية مناطق خارج مصر ، وهي حرصهم الشديد على تسجيل ذلك الارتياد (سواء كان لغرض حربي أو سلمي) في تلك المناطق إما بتشييد المباني بها مثل القلاع والمعابد ، أو بإقامة اللوحات التذكارية والتماثيل ، أو حتى بمجرد النقش على الصخر ، والدليل على ذلك تلك الآثار الوفيرة التي تزخر بها بلاد الشام وبلاد النوبة والسودان .

بل الأكثر من ذلك ، علينا أن نغفل تماماً – إذا أخذنا برأي الدكتور الصليبي بأن حملة الملك شاشنق كانت على بلاد عسير وليست على فلسطين – علينا أن نغفل تماماً وثيقة دامغة للملك شاشنق نفسه وجدت في فلسطين في إحدى المدن التي سجل هذا الملك اسمها ضمن قائمة المدن التي غزاها ، وهي مدينة «مجدو» الواقعة جنوب شرق حيفا ، هذه الوثيقة هي أجزاء من لوحة محفور عليها اسم الملك شاشنق بوضوح (شكل ٥) ، وقد تبين من دراستها أنها على غرار تلك اللوحات التي اعتاد الفراعنة إقامتها في المناطق التي كانوا يغزونها لتخليد انتصاراتهم فيها .

والغريب في الأمر أن الدكتور الصليبي حاول إنكار أهمية وجود تلك اللوحة كدليل على حملة الملك على فلسطين ، فادعى أن وجودها لايدل بالضرورة على ذلك (ص ١٣٤ من الطبعة الإنجليزية) ، وأن اقتصار الدكتور الصليبي على إنكار أهمية هذه اللوحة دون غيرها من الآثار التي تركها الفراعنة الآخرون الذين سجلوا نفس أسماء المدن التي سجلها الملك شاشنق ، يدل على عدم علمه بشيء عن هذه الآثار ، وبالتالي يدل على عدم معرفته أصلاً بأن هناك ثمانية من الفراعنة سجلوا نفس أسماء هذه المدن على آثارهم قبل الملك شاشنق .

والأمر الأشد غرابة ، أنه في الترجمة العربية لكتابه (التي راجعها ونقّحها بنفسه) ، حذف كل مايتصل بهذه اللوحة ، فلم يذكر عنها شيئا من قريب أو من بعيد (ص ٢٠٧ – ٢٢٠ من الترجمة العربية) ، وهذا دليل واضح على عدم ثقته في معلوماته وآرائه ، وسوف نرى أمثلة أخرى لعدم ثقته هذه ، ليس في الاختلافات بين الطبعة الإنجليزية والطبعة العربية فقط ، بل في تناقضات عديدة في المعلومات التي في الطبعة الواحدة .

إن الذي يقرأ الوصف التفصيلي لمسار حملة الملك شاشنق في كتاب الدكتور الصليبي وطريقها الدائري الذي يخترق «عسير» شمالاً وجنوباً ، قد يعجب بالدكتور الصليبي لدقة هذا الوصف وخصب الخيال في آن واحد ، فهو يأخذ بيد الملك شاشنق من مصر مبحراً به إلى ساحل المملكة العربية السعودية ، حيث يرسو في ميناء الليث ، وبعد أن يجعله يخضع عدة مدن أو أماكن في منطقة الليث يتجه به نحو الشمال إلى منطقة الطائف ، ثم يعود به نحو ظهير منطقتي القنفدة والبرك التي يدعي الدكتور الصليبي أنها في وسط أرض يهوذا (ص ١٣٧ من الطبعة الإنجليزية) ومن هناك يجعله يختار طريقه نحو الجنوب إما بالطريق الساحلي أو بالطريق الداخلي بحذاء حافة الهضاب ، وبعد أن يترك له فرصة للاستيلاء على العديد من المدن يأخذه إلى الموقع المسمى «آل شريم» في منطقة النّماص (التي يدعي أنها أورشليم) ولكنه لايعطيه فرصة الاستيلاء عليها (وسوف نذكر سبب ذلك فيما

بعد) ، وأخيراً يصل الدكتور الصليبي بالملك شاشنق إلى جيزان حيث يتركه يستولى على مزيد من المدن والمواقع ، وبعد ذلك يعود به شمالاً إلى منطقة الليث ، ولكنه لايحرمه من الاستيلاء على العديد من المدن أيضاً حتى تنتهي حملته .

لعل الذي يقرأ هذا الوصف الدقيق لمسار حملة الملك شاشنق في ربوع بلاد عسير كما صوره الدكتور الصليبي ، قد يُعجب بدقة وصفه وخصب خياله ، ولكن إعجابه لايستمر طويلاً عندما يعلم الحقيقة ، وهي أن الدكتور الصليبي لم يأت من عنده بشيء وإنما قلد طريقة مؤلف آخر في وصف مسار حملة الملك شاشنق تقليداً يكاد يكون حرفياً ، هو عالم الآثار الإنجليزي «كينيث كتشن» الذي ألف كتاباً في تاريخ العصر المتأخر من التاريخ المصري القديم(٩) خصص فيه فصلاً لدراسة قائمة الملك شاشنق وخط سير حملته(١٠) في ميدانها الحقيقي بطبيعة الحال ، وهو فلسطين .

وقد استنتج كتشن من دراسته لنظام كتابة أسماء المدن في قائمة الملك شاشنق ، أن الملك بدأ غزو فلسطين بالاستيلاء على غزة ، ثم زحف نحو الشمال في اتجاه أورشليم حيث أخضع عدة مدن ثم هدد أورشليم ، ولكنه لم يستولِ عليها(١١) (وتقليد الدكتور الصليبي لكتشن واضح هنا) ، لأن الملك رحبعام استرضاه ، بتقديم هدايا ثمينة من نفائس المعبد والقصر الملكي .

بعد ذلك يتتبع كتشن خط سير شاشنق نحو الشمال ، مسترشداً بنظام أو ترتيب أسماء المدن كما سجلها شاشنق على جدران معبد الكرنك ، ورسم لهذا النظام أو الترتيب شكلاً بيانياً(١٢) ، وخريطة(١٣) استعان في تحديد مواقعها بالمقارنة بين الأسماء الهيروغليفية(١٤) للمدن الفلسطينية وبين أسمائها العبرانية .

وعندما لاحظ كتشن أن بعض المدن بعيدة عن خط سير الجيش الرئيسي الذي قاده شاشنق بنفسه ، بحيث يستحيل أن يكون شاشنق قد أخضعها بنفسه ، افترض أن شاشنق أرسل إلى هذه المدن البعيدة قوات فرعية أو تجريدات task forces ووضح مسار هذه القوات بالنسبة للمسار العام للجيش الرئيسي على خريطة أخرى (وهي منشورة هنا تحت رقم ١ لمقارنتها بالخريطة التي رسمها الدكتور الصليبي) .

---

(٩) K.A. Kitchen, *The Third Intermediate Period in Egypt*, Warminster 1973.

(١٠) *The Palestinan Campaign and Topographical List of Shoshenq* I,p. 432-47.

(١١) *Ibid*. p 298.

(١٢) K.A. Kitchen, *op. cit.*, Fig. 8, p. 433.

(١٣) *Ibid*. Fig. 9, p. 434.

(١٤) المعروف أن «الهيروغليفية» تطلق على إحدى الكتابات التي دونت بها اللغة المصرية القديمة . وقد استخدمت أساساً للكتابة على جدران المعابد ، وبالتالي دونت بها قوائم أسماء المدن الأجنبية التي سجلها الفراعنة الذين ذكرناهم فيما سبق (ابتداء من تحتمس الثالث حتى شاشنق) ولذلك سنستخدم هذه الكلمة في هذا المعنى .

بهذا الأسلوب العلمي السليم تتبع كتشن خط سير حملة شاشنق على فلسطين حتى أقصى نقطة وصل إليها شمالاً بنفسه (أي بالجيش الرئيسي) وهي مدينة «مجدو» حيث أقام اللوحة التي تخلد انتصاراته (شكل ٥)[١٥] . وقد افترض أنه وصل إلى هذه المدينة بأحد طريقين ، إما بالطريق الداخلي ، أو بالطريق القريب من الساحل[١٦] (وتقليد الدكتور الصليبي لكتشن أو نقله شبه الحرفي عنه واضح هنا أيضاً) .

وأخيراً ، خلص كتشن من دراسته الدقيقة لقائمة شاشنق ، بأن الملك عاد من مجدو بالطريق القريب من الساحل حتى رفح ومنها إلى مصر[١٧] .

ومن المؤسف ، أنه رغم هذا النقل شبه الحرفي لطريقة ، كتشن ، فإن الدكتور الصليبي لم يشر في كتابه إلى هذا النقل ، أو حتى إلى أنه استعان بكتاب كتشن في دراسة مسار حملة شاشنق كما تفرضه الأمانة العلمية ، بل على العكس ، أشار الدكتور الصليبي إلى كتاب كتشن في أحد الهوامش بأنه أحد المؤلفات التي أساءت تأويل السجلات الطبوغرافية المصرية المتعلقة بحملة شاشنق ضد مدن يهوذا !! (ص ١٣٤ هامش ١ من الطبعة الإنجليزية وص ٢٠٧ هامش ١ من الترجمة العربية) .

ويبدو أن الدكتور الصليبي أراد أن يغطي موقفه كناقل عن غيره ، فحاول أن يغير في طريقة كتشن بأن جعل شاشنق يقود بنفسه جميع الحملات وليس حملة الجيش الرئيسي فقط تاركاً المدن البعيدة للحملات الفرعية كما اقترح كتشن ، فكانت النتيجة أنه جعل شاشنق يقفز هنا وهناك بين المدن والأماكن المتباعدة في عسير جيئة وذهاباً أو ذهاباً وعودة (بما يشبه الجولات المكوكية إذا استخدمنا تعبيرات عصرنا الحاضر) ، ومثال ذلك عند وصفه لمسار حملة شاشنق في اتجاه الجنوب (ص ص ١٣٧ – ١٣٩ من الطبعة الإنجليزية و ٢١٠ – ٢١٣ من الترجمة العربية) إذ يقول : إن شاشنق توقف هنا وهناك لغزو المناطق الجبلية صعوداً باتجاه السَّراة ، وأغار على المواقع التي ذكر أسماءها بالترتيب التالي : «الحفر» في منطقة القنفدة – «المرداء» في منطقة المجاردة – «الدبش» في منطقة حلي (وقد قدم لهذا الموقع بديلاً هو «السّودة» في منطقة القنفدة) – «أم مناحي» في منطقة القنفدة – «آل جبعان» في منطقة المجاردة – «الروحان» في منطقة القنفدة (وقد قدم بديلاً له هو «خيران» في وادي إضم) – «الغمدة» في سراة غامد (وقدم بديلاً له هو «آل دغمة» في رجال ألمع) – «الرون» في منطقة حلي – «مقدى» في منطقة القنفدة – «يدر» في منطقة بني شهر – «المراكة» في منطقة القنفدة – «حومان» في منطقة القنفدة (وقدم بديلين له هما «آل حومان» في

---

(١٥) نشرت هذه اللوحة لأول مرة في :
Fisher, *The Excavations of Armageddon. Chicago Oriental Institute Communications no. 4*, (1929), 12-16 and Fig. 7-9.

(١٦) K.A.Kitchen, *op. cit.*, p. 446.

(١٧) *Ibid*

منطقة بلسمر و «حومان الظهرة» في منطقة محايل) - «عرن» في منطقة القنفدة (وقدم بديلاً له هو «آل عران» في منطقة بني شهر) - «البرمة» في منطقة القنفدة (وقدم بديلاً له هو «بران» في تهامة زهران) . (راجع الخريطة رقم ٣ والشكل البياني الملحق بها) .

بعد ذلك يجعل الدكتور الصليبي ، الملك شاشنق يعبر الجرف ويتقدم للهجوم على «آل شريم» في منطقة النماص (وهي أورشليم - في رأيه) ومنها يتجه إلى «الفترة» في منطقة رجال ألمع (وقدم بديلين لهذا الموقع هما «الدفرة» في قنا والبحر و «الدفرة» أيضاً في جبل فيفا بمنطقة جيزان) .

إن الذي يتتبع هذه المواقع على الخريطة لايكاد يصدق أن الدكتور الصليبي يعلم أن وسائل المواصلات السريعة المألوفة في عصرنا لم تكن معروفة في العصور القديمة ، وإلا فكيف يمكن لجيش جرار قوامه ألف ومائتي مركبة وستين ألف فارس (وهو عدد جيش شاشنق كما ورد في العهد القديم (أخبار الأيام الثاني ١٢ : ١) - كيف يمكن لهذا الجيش الجرار أن يتنقل بين هذه المواقع عبر مسافات شاسعة ، وفي مناطق عسير الجبلية ، وليس لمرة واحدة بل لعدة مرات جيئة وذهاباً ، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ؟ إن العقل لايمكن أن يتصور أن يستولى جيش على موقع في منطقة ، ثم يغادرها للاستيلاء على موقع آخر في منطقة أخرى ، ثم يعود للمنطقة الأولى للاستيلاء على موقع آخر ، بل وأن يتكرر ذلك عدة مرات !! وإلا فكيف يمكن تفسير ذلك المسار لجيش شاشنق في منطقة عسير كما يدّعي الدكتور الصليبي ، كيف يمكن تفسير إمكان انتقال هذا الجيش من منطقة القنفدة إلى منطقة المجاردة في الشرق ، ثم إلى منطقة حلي في جنوب القنفدة . ثم عودته إلى منطقة القنفدة ، ثم اتجاهه إلى منطقة المجاردة للمرة الثانية ، ثم رجوعه إلى منطقة القنفدة للمرة الثالثة !!! ثم كيف يمكن للعقل أن يقبل أمراً أكثر غرابةً ، وهو انتقال جيش شاشنق الجرار من القنفدة إلى سراة غامد في الشمال ، ثم عودته إلى منطقة حلي في جنوب القنفدة ، ثم إلى منطقة القنفدة مرة أخرى ، ثم إلى منطقة بني شهر عند سفوح جبال السروات في الجنوب الشرقي ، ثم العودة إلى منطقة القنفدة للمرة الخامسة !! ثم يقفز الجيش منها فوق جبال السروات إلى «آل شريم» في منطقة النماص ، ومنها يقفز قفزة أخرى إلى منطقة رجال ألمع في أقصى الجنوب !!

والأمر الأشد عجباً وغرابةً ، تلك البدائل التي قدمها الدكتور الصليبي للموقع الواحد ، والتي لايمكن إيجاد تفسير لها يقبله العقل ، بل تتنافى مع أبسط مبادىء المنطق ، وسأذكر مثالاً واحداً لها ، هو الموقع المسمى «آل دغمة» في منطقة رجال ألمع ، أي في أقصى جنوب عسير ، الذي قدمه الدكتور الصليبي كبديل للموقع المسمى «الغمدة» في سراة غامد (ص ٢١١ من الترجمة العربية) أي في شمال عسير فكيف يمكن لعقل أو منطق أن يقبل إمكان وجود كائن فرد (وليس جيشاً جراراً) في مكانين متباعدين مثل هذا التباعد في وقت واحد !! (راجع الخريطة رقم ٣ والشكل البياني الملحق بها) .

لاشك أن هذا التناقض والتضارب فيما قدمه الدكتور الصليبي عن مسار حملة الملك شاشنق سببه محاولته إحداث بعض التغيير في طريقة كتشن حتى يغطي على نقله لها دون أن ينتبه إلى هذا التناقض وذلك التضارب .

قلنا ، إن الدكتور الصليبي عمد إلى تحريف الأسماء الهيروغليفية للمدن الفلسطينية التي سجلها الملك شاشنق لكي تطابق أو تقترب من الأسماء العسيرية . ولبيان هذا التحريف ، ولإثبات أن هذه المدن توجد في فلسطين ، وليس في عسير ، كما ادَّعى ، فقد انتقينا من بينها المدن التي تجمع فيها المميزات التالية (أو أغلبها) :

أولاً : أن تكون أسماؤها قد وردت في قوائم الفراعنة الذين سبقوا الملك شاشنق ، وخاصة الملك تحتمس الثالث الذي كان أول من ابتكر طريقة تسجيل هذه الأسماء ، كما ذكرنا .

ثانياً : أن تكون هذه المدن قد وجدت بها آثار من عصر هؤلاء الفراعنة ، أو بعضهم ، أو على الأقل أية آثار فرعونية .

ثالثاً : أن تتشابه أسماء هذه المدن (الهيروغليفية) مع الأسماء التي أطلقها عليها العبرانيون أي التي وردت في أسفار العهد القديم .

رابعاً : أن يكون هناك تشابه مابين أسمائها الحالية (العربية أو غيرها) وبين أسمائها الهيروغليفية .

١ - روباتي

هي المدينة الثانية التي استولى عليها الملك شاشنق بعد غزة في رأي كتشن[١٨] (وقد قلده في ذلك الدكتور الصليبي ، فجعلها المدينة الثانية التي استولى عليها شاشنق بعد الليث (ص ١٣٦ من الطبعة الإنجليزية) .

وقد ورد اسم «روباتي» في قائمة الملك تحتمس الثالث[١٩] . وفي العهد القديم وردت في سفر يشوع (اصحاح ١٩ عدد ٢٠) باسم «ربيت» ويرى البعض أن موقعها الحالي هو قرية «ربعة» أو «تل ربعة» الواقع إلى الجنوب الغربي من بيسان بحوالي خمسة عشر كيلو متراً[٢٠] . بينما يرى آخرون أنها ربما تكون «بيت شمش» الواقعة إلى الغرب من القدس[٢١] . وقد وجدت بها آثار فرعونية[٢٢] .

---

(١٨) K.A. Kitchen, *op. cit.*, p. 435,446.

(١٩) K. Sethe, *op. cit.*, p.785, 105.

(٢٠) Merrill F. *Unger, Bible Dictionary,* Chicago, 1970, p. 906.

(٢١) K.A. Kitchen, *op. cit.*, p. 446.

(٢٢) B. Porter & R. Mass, *Topographical Bibliography of Ancient Egyptian* Hieroglyphic Texts, Oxford, **Vol. III** (1975), p. 372.

وقد حرف الدكتور الصليبي الاسم الهيروغليفي «روباتي» إلى «ربت» ثم «ربط» لكي يقربها من الاسم العسيري «رباط» (في الطبعة الإنجليزية ص ١٣٦) و «الرباط» (في الترجمة العربية ص ٢٠٩) مدعياً أنها في تهامة زهران ، أو في وادي الشاقة إلى الجنوب من الأولى .

٢ – تاعنكي

هي من المدن الشمالية التي استولى عليها شاشنق أثناء اتجاهه نحو الشمال[٢٣] وقد ورد اسمها في قائمة الملك تحتمس الثالث[٢٤] واسمها في العهد القديم هو «تعنك» (سفر يشوع ١٧ : ١١ ، ١٢ : ٢٥) ومكانها الحالي «تل تعنك» الواقع على بعد ثمانية كيلومترات جنوب شرق مدينة «مجدو»[٢٥] (تل المتسلم الحالية جنوب شرق حيفا ، بحوالي ثلاثين كيلو متراً) . ولقد عثر في «تل تعنك» على آثار فرعونية[٢٦] .

وقد حرف الدكتور الصليبي الاسم الهيروغليفي «تاعنكي» إلى «كعنت» أي بقلب حروف الكلمة لكي يقربها من الاسم العسيري «كعنة» أو «الكعنة» التي يقول إنها في تهامة زهران (ص ١٣٧ من الطبعة الإنجليزية ، وص ٢٠٩ من الترجمة العربية) .

٣ – شانمي

هي من المدن الشمالية أيضاً ، وقد ورد اسمها في قائمة الملك تحتمس الثالث[٢٧] . واسمها في العهد القديم «شونم» وقد ورد في سفر يشوع ١٩ : ١٨ وصموئيل الأول ٢٨ : ٤ والملوك الأول ١ : ٣ والملوك الثاني ٤ : ٨ ، ٣٧ . ومكانها الحالي قرية «سولام»[٢٨] الواقعة جنوب شرق مدينة الناصرة بحوالي عشرة كيلومترات .

وقد حرف الدكتور الصليبي الاسم الهيروغليفي «شانمي» إلى «مشني» أي بقلب حروف الكلمة مدعياً أنها «المشنية» (ص ١٣٧ من الطبعة الإنجليزية) في سراة زهران ، ثم عدّلها إلى «مشنية» في الترجمة العربية (ص ٢١٠) مع أنه من المفروض أن يحدث العكس ، أي تضاف أداة التعريف إلى الأسماء الواردة في الترجمة العربية ، وتحذف من الطبعة الإنجليزية ، وذلك على أساس

---

(٢٣) K.A. Kitchen, *op. cit.*, p. 435.

(٢٤) K. Sethe, *op. cit.*, p.783, 42.

(٢٥) K.R. Unger, 1059 c.f. B. Porter and R. Moss, Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts Reliefs and Paintings. Oxford, vol, VII, Nubia, The Deserts and outside Egypt, 1975, Map. y.

(٢٦) P.M. Topogr. *op. cit.*, p. 380.

(٢٧) K. Sethe, *op. cit.*, VI, 782, 38.

(٢٨) M. F. Unger, *op. cit.*, 1022.

النهج الذي سار هو نفسه عليه ، ولكنه عكس الوضع هنا ، ولايعرف السبب في ذلك إلا أنه التخبط في المعلومات ، نتيجة عدم ارتكازه على أي أساس جغرافي أو تاريخي لهذه المعلومات ؛ وهذا التخبط واضح من التعليق الذي أضافه في هامش الصفحة على هذا الاسم ، إذ قدم بدائل متباعدة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً كمواقع للاسم شانمي «ستومة» في رجال ألمع (أي في أقصى الجنوب من عسير) أو «نشام» وربما «النشيم» (في رأيه أيضاً) في منطقة جيزان (أي في أقصى جنوب المملكة العربية السعودية) ، أو «ذي نشام» في منطقة بلسمر (أي في منتصف المسافة تقريباً بين سراة غامد في الشمال ورجال ألمع في الجنوب ولكن في شرق جبال السروات) ، (ص ٢١٢ من الطبعة الإنجليزية وص ٢١٠ من الترجمة العربية) .

إن هذا التباعد الشديد بين المواقع التي اقترحها للاسم «شانمي» ، يرجح أنه نسي أنه يحدد خط سير حملة حربية يجب أن يمر بمواقع متقاربة وإلا تنافى الأمر مع العقل والمنطق .

٤ - بت - شنري

وهي من المدن الشمالية التي استولت عليها قوات شاشنق (الخريطة رقم ١) ، وقد ورد اسمها في قوائم ثلاثة ملوك قبل شاشنق هم تحتمس الثالث(٢٩) وسيتي الأول(٣٠) ورمسيس الثاني(٣١) . وقد ذكرت بت - شنري في العهد القديم باسم «بيت شان» وذلك في مواضع عديدة منها ، سفر يشوع ١٧ : ١٦ وصموئيل الأول ٣١ : ١٠ - ١٣ وصموئيل الثاني ٢١ : ١٢ - ١٤ . والموقع الحالي لهذه المدينة هو مدينة «بيسان» الواقعة على الضفة الغربية لنهر الأردن جنوب بحيرة طبرية بحوالي خمسة وعشرين كيلو متراً ، (وتعرف أطلال المدينة القديمة باسم «تل الحصن») .

وقد عثر بين أطلال مدينة بت شنري أو بيت شان على آثار كثيرة من عصور الفراعنة الذين ذكروا اسمها في قوائمهم قبل شاشنق ، وهم تحتمس الثالث ، وسيتي الأول ، ورمسيس الثاني ، وكذلك من عصور الفراعنة الآخرين ، إذ كانت المدينة مقراً للحاميات المصرية المرابطة في شمال فلسطين .

فمن عصر الملك تحتمس الثالث كشف عن بقايا معبدين أحدهما في شمال المدينة والآخر في جنوبها ، كما كشف عن معابد ترجع لعصر الملكين سيتي الأول ورمسيس الثاني ، وعن لوحتين أقامهما هذان الملكان في المدينة تخليداً لانتصاراتهما .

---

(٢٩) K. Sethe, *op. cit.*, IV, p. 786, 110.

(٣٠) W.M. Muller, *op. cit.*, pl.58 no. 3.

(٣١) W.M. Muller, *op. cit.*, p1.59 no. 3.

ومن عصر الفراعنة الآخرين كشف عن معابد ترجع لعصر الملك أمنحتب الثالث ، وعن بقايا قلعة كانت مقراً لإقامة الحاكم المصري للمدينة في عصر هذا الملك ، وأمكن التعرف على بعض معالمها كالمخازن والمطابخ والحمامات . كما كشف عن بقايا قلعة أخرى ومعبد من عصر الملك رمسيس الثالث . وبين أطلال هذه الآثار الثابتة الكثيرة ، كشف عن أنواع متعددة من الآثار المنقولة (مثل اللوحات الصغيرة الخاصة بالأفراد والتماثيل الصغيرة والأواني والجعارين)[٣٢] .

وقد ذهب الدكتور الصليبي إلى أبعد مدى في تحريف الاسم الهيروغليفي «بت شنري» ، فقد أسقط تماماً الجزء الأول «بت» ثم قلب الجزء الثاني «شنري» إلى «شربني» لكي يقربه من الاسم العسيري «شريانية» ، وهو لايكتفي بكل هذه التحريفات ، بل يقدم تبريراً لها يكشف عن جهل تام بالموضوع وبمجازفته بالتصدي وإبداء الرأي في مجال لايعرف عنه شيئاً ، وهو مجال الطبوغرافية المصرية القديمة التي يدعي – للأسف الشديد – أنها تعرضت لسوء التأويل من جانب الباحثين ، وأنه – أي الدكتور الصليبي – قد قام بتصحيح هذا التأويل الخاطيء !! (ص ١٣٤ من الطبعة الإنجليزية وص ٢٠٧ من الترجمة العربية) .

إن التبرير الذي يقدمه لإسقاطه المقطع «بت» من كلمة «بت – شنري» هو أن كلمة «بت» معناها «معبد» في الأسماء الواردة في قائمة شاشنق ، وأنها تسقط دائماً من الصيغ المعربة لهذه الأسماء (ص ٢١٢ هامش ٥ من الطبعة الإنجليزية) . ولا أعرف من أين أتى الدكتور الصليبي بهذه المعلومات ، فالمعروف لكل باحث في الطبوغرافية المصرية القديمة أن الكلمة الهيروغليفية التي معناها «معبد» هي «بر» (وليست «بت» كما يدعي الدكتور الصليبي) وقد وردت بهذا المعنى في مئات الأسماء الجغرافية المصرية القديمة[٣٣] ، ومعروف أيضاً أن كلمة «بت» التي تأتي في أول الأسماء الجغرافية سواء في قائمة الملك شاشنق أو غيره أو حتى في سائر الأسماء الجغرافية المصرية القديمة ، هي نفس الكلمة السامية «بيت» والدليل على ذلك أن جميع الأسماء الجغرافية المصرية المسبوقة بهذه الكلمة هي لمواقع في سوريا وفلسطين[٣٤] أي في بلاد سامية .

أما عن موقع الاسم «شريانية» الذي خرج به الدكتور الصليبي من عمليات البتر والقلب التي أجراها في الكلمة الهيروغليفية «بت – شنري» ، فيدعي أنه في وادي رانية (ص ١٣٧ من الطبعة الإنجليزية) ثم عاد فغير الاسم في الترجمة العربية (ص ٢١٠) إلى «شريان» (قائلاً أنه يطلق على قريتين في منطقة الطائف إحداهما من قرى بني مالك والأخرى من قرى بيسان) . وهكذا يسير

---

(٣٢) B. Porter and R. Moss, *op. cit.*, p. 376-380.

(٣٣) H. Gauthior, *Dictionnaite. del noms geographiques contenus dans le's textes Hlicargyphiques.* **Tomes I-VII** (1925-31) **Vol. II** pp. 50-143.

(٣٤) *Ibid.*, **II**, pp. 8-11.

التناقض والتضارب في كتابات الدكتور الصليبي ، ولا حاجة لنا لذكر أسباب ذلك ، فقد ذكرناها فيما سبق .

٥ – روحبي

هي من المدن الشمالية التي غزتها قوات شاشنق (الخريطة رقم ١) وقد ورد الاسم في قوائم الملك تحتمس الثالث[٣٥] ، كما ورد على لوحة الملك سيتي الأول التي أقامها في مدينة «بيسان»[٣٦] .

وقد ذكرت «روحبي» في العهد القديم باسم «رحوب» (سفر العدد ١٣ : ٢١ وصموئيل الثاني ، ١ : ٦ ، ٨) . وموقعها الحالي قرية «رحاب» الواقعة جنوب مدينة بيسان[٣٧] .

وقد افترض الدكتور الصليبي ثلاثة أماكن متباعدة كمواقع للاسم الهيروغليفي «روحبي» كعادته في التخبط والتضارب في معلوماته ، ففي الطبعة الإنجليزية حدد له موقعين ، أولهما «وادي رحبة» الذي يقول إنه مجموعة قرى في تهامة زهران ، وثانيهما هو «رحبة» في وادي إضم (ص ١٣٧) ، وفي الترجمة العربية أضاف موقعاً ثالثاً بعيداً تماماً عن هذين الموقعين هو «الرحبة» في منطقة القنفذة (ص ٢١٠) .

٦ – مكدي

هي أقصى مدينة وصل إليها الملك شاشنق شمالاً في حملته على فلسطين (على رأس الجيش الرئيسي بينما أرسل قوات فرعية توغلت شمالاً كما يرى كتشن ، الخريطة رقم ١) . وقد أقام شاشنق في هذه المدينة اللوحة التي سجل عليها انتصاراته (شكل ٥) وكان ارتفاعها الأصلي حوالي ثلاثة أمتار وهي دليل حاسم على أن حملة شاشنق كانت على فلسطين ، وليست على عسير ، كما يدعي الدكتور الصليبي .

وقد ورد اسم «مكدي» في قوائم الملك تحتمس الثالث[٣٩] كما ورد على آثار الملك سيتي الأول ، وبالتحديد على جدران المعبد الذي شيده في منطقة الراديسية في صحراء مصر الشرقية[٤٠] .

وقد ذكرت «مكدي» في العهد القديم باسم «مجدو» في مواضع كثيرة منها ، سفر يشوع ١٢ : ٢١ ، وسفر القضاة ١ : ٢٧ وسفر الملوك الأول ٤ : ١٢ والملوك الثاني ٩ : ٢٧ .

---

(٣٥) K. Sethe, *op. cit.*, **IV**, pp. 785.87.

(٣٦) H. Gauthier, *op. cit.*, **III**, p. 123.

(٣٧) *Ibid.* **III**, p. 124.

(٣٨) K.A. Kitchen, *op. cit.*, p. 299.

(٣٩) K. Sethe, op. cit. **IV**, p.781,2.

(٤٠) H. Gauthier, op. cit., **III**,20.

وقد وجدت بين اطلال المدينة آثار من عصر الملك رمسيس الثاني ، كما كشف عن بقايا قصر يرجع لعصر الملك رمسيس الثالث(٤١) .

وتل مدينة مجدو الذي يحوي البقايا الأثرية يعرف باسم «تل المتسلم» . وتقع مدينة «مجدو» جنوب شرق حيفا بحوالي خمسة وعشرين كيلو مترا .

وقد ادعى الدكتور الصليبي أن «مكدي» هي الموقع المسمى «مقدي» الذي يقول إنه في منطقة القنفدة ، ثم كعادته أيضاً حدد مكانين آخرين بعيدين عن منطقة القنفدة هما «المغدة» في منطقة الطائف و «شعيب المقدة» في وادي إضم قائلاً إنهما موقعا «مجدو» التوراتية (ص ١٣٧ من الطبعة الانجليزية وص ٢١٢ من الترجمة العربية) .

٧ - عرنا

طبقاً لرأي كتشن ، فإن هذه المدينة الواقعة إلى الجنوب الغربي من «مجدو» ، هي أول مدينة أخضعها شاشنق في طريق عودته(٤٢) ، وقد قلده الدكتور الصليبي في ذلك ، فجعلها من المدن التي استولى عليها شاشنق في طريق عودته من وادي إضم متجهاً نحو الجنوب ، وادعى أنها الموقع المسمى «عرين» في منطقة القنفدة ، ثم ناقض نفسه كالمعتاد عندما أضاف اسماً آخر بعيداً جداً عن الأول هو «آل غران» في منطقة بني شهر (ص ١٣٩ من الطبعة الإنجليزية وص ٣١٢ من الترجمة العربية) .

وقد ورد اسم «عرنا» في قائمة الملك تحتمس الثالث(٤٣) والموقع الحالي لـ «عرنا» هو «خربة عارا»(٤٤) وتقع إلى الجنوب الغربي من مدينة مجدو .

وقد ورد في التوراة اسم قريب من «عرنا» هو «عيران» (سفر العدد ٢٦ : ٣٦) ، ولكنه ليس اسم مكان ، بل اسم أحد الأجداد التي انتسبت إليه العشيرة المسماة عشيرة «العيرانيين» وقد أخطأ الدكتور الصليبي عندما اعتبره اسم مكان ، فلم يرد هذا الاسم في أحد أسفار العهد القديم التي تسجل أخبار بني إسرائيل بعد دخولهم فلسطين واستقرارهم فيها ، وإطلاقهم أسماء أجدادهم على مدنها ومواقعها ، وإنما ورد في أحد أسفار التوراة الذي يروي أخبارهم قبل دخولهم فلسطين ، (ولهذا السبب نسبناه إلى التوراة لا إلى العهد القديم) ، وعلى ذلك فلا يصح اعتباره اسم مكان ، وبناء عليه فإن الدكتور الصليبي قد جانبه الصواب في تحديد مواقع لهذا الاسم ، لأنه يكون بذلك قد سبق الأحداث التاريخية .

---

(٤١) B. Porter and R. Moss, *op. cit.*, **VII**, p. 380-1.

(٤٢) K.A. Kitchen, *op. cit.*, p. 299.

(٤٣) K. Sethe, *op. cit.*, **IV**, 782,27.

(٤٤) K.A. Kitchen, *op. cit.*, p. 436.

٨ – مجدر

هذه الكلمة ليست اسم مدينة أو مكان كما اعتقد الدكتور الصليبي ، وإنما هي نفس كلمة «مجدل» الكنعانية الأصل ومعناها الأصلي «برج مراقبة» ، ثم استعملت بمعنى «قلعة» أو «حصن» وكانت تضاف إلى أسماء المدن لتعني حصن المدينة ، ومازالت توجد في فلسطين أسماء مدن أو أماكن مسبوقة بكلمة «مجدل» مثل «مجدل بني فضل» الواقع جنوب غرب مدينة نابلس بحوالي اثنى عشر كيلومتراً ، ومثل «مجدل عدر» الواقع جنوب غرب بيت لحم بحوالي ستة كيلومترات ، و«مجدل تابا» الواقع إلى الشرق من يافا بحوالي خمسة عشر كيلومتراً .

وقد وردت أسماء هيروغليفية لمدن ومواقع مسبوقة بكلمة «مجدر» في سجلات الملوك الذين سبقوا الملك شاشنق مثل تحتمس الثالث ورمسيس الثالث[٤٥] ، والمقصود بالـ «مجدر» أو القلعة[٤٦] المذكورة في قائمة الملك شاشنق الأول ، قلعة أو حصن مدينة «شكيم» العبرانية ومكانها الحالي الموقع المسمى «بلاطة»[٤٧] بالقرب من مدينة نابلس حالياً ، وقد وجدت في هذا الموقع آثار من عصر الدولة الحديثة الفرعونية ، وخاصة من عصر الأسرة التاسعة عشرة[٤٨] .

ونتيجة لاعتقاد الدكتور الصليبي الخاطيء بأن «مجدر» هو اسم مدينة أو مكان ، فقد ادعى أنها المكان المسمى حالياً «مقدر» في وادي إضم (ص ١٤٠ من الطبعة الإنجليزية وص ٢١٤ من الترجمة العربية) .

٩ – يحـم

تقع هذه المدينة إلى الجنوب من «عرنا» المذكورة سابقاً وقد استولى عليها شاشنق في طريق عودته (طبقا لرأي كتشن)[٤٩] . وقد ورد الاسم «يحم» في قوائم الملك تحتمس الثالث[٥٠] . واسمها العبراني «يحمي»[٥١] . ومكانها الحالي «خربة يمّا» أو «تل يهم»[٥٢] .

وقد ادعى الدكتور الصليبي أنها المكان المسمى حالياً «وحم» في ناحية المسارحة في ظهير منطقة جيزان (ص ١٣٩ من الطبعة الإنجليزية) أو في منطقة جيزان نفسها (ص ٢١٣ من الترجمة العربية) .

---

(٤٥) H. Gauthier, *op. cit.*, **III**, p.21.

(٤٦) K.A. Kitchen, *op. cit.*, p. 298,447.

(٤٧) B. Porter and R.Moss, *op. cit.*, **VII**, p. 375.

(٤٨) *Ibid.*

(٤٩) K.A. Kitchen, B. Porter and R. Moss, *op. cit.*, p. 447.

(٥٠) K. Sethe, *op. cit.*, **IV**, p. 784,68.

(٥١) H. Gauthier, *op. cit.*, **I**, p. 171.

(٥٢) K.A. Kitchen, *op. cit.*, p. 436.

١٠ - شوكا

تقع هذه المدينة جنوب «يحم» السابقة ، وقد ورد اسمها «سوكا» (بالسين لا بالشين) في قوائم الملك تحتمس الثالث[٥٣] . وقد ذكرت «شوكا» أو «سوكا» في العهد القديم باسم «سوكوه» (سفر صموئيل الأول ١٧ : ١ ، والملوك الأول ٤ : ١٠) ، ومكانها الحالي الموقع المسمى «خربة شويكة الراس»[٥٤] شمال مدينة «طولكرم» الحالية بقليل .

وقد حرف الدكتور الصليبي الاسم «شوكا» أو «سوكا» إلى «سيك» ثم قلبه إلى «كوس» أو «الكوس» مدعياً أنه اسم موقع في ناحية المسارحة ، ثم اقترح موقعاً آخر ادعى أن اسمه «كيس» أو «الكيسة» قائلاً إنه في ناحية العارضة (ص ١٣٩ من الطبعة الإنجليزية وص ٢١٤ من الترجمة العربية على التوالي) .

* * *

من العرض السابق لبعض أسماء المدن التي سجلها الملك شاشنق على جدران معبد الكرنك والتي حدد الدكتور الصليبي مواقعها في بلاد عسير ، يتبين استحالة ذلك ، لأن هذه المدن توجد في فلسطين بالأدلة الأثرية التي لاتحتمل الشك ، وهي الآثار الثابتة والمنقولة التي عثر عليها في المواقع الحالية لهذه المدن في فلسطين ، سواء من عصر الملك شاشنق نفسه ، أو من عصور الفراعنة الذين سبقوه ، والذين سجلوا نفس أسماء هذه المدن على آثارهم ، أو من عصور الفراعنة الآخرين .

وفي مقابل هذه الأدلة الأثرية الحاسمة في المدن الفلسطينية ، لايوجد في الأماكن التي حددها الدكتور الصليبي في عسير - أية آثار فرعونية ثابتة أو منقولة ، وهذه المفارقة الشاسعة تتضح من المقارنة بين الموقع الفلسطيني لمدينة «بت - شنري» المذكورة في قائمة شاشنق ، وهي مدينة «بيسان» الحالية ، وبين المواقع التي حددها الدكتور الصليبي في عسير ، وهي «شريانية» في وادي رانية ، وشريان من قرى بني مالك في منطقة الطائف وشريان من قرى ميسان في منطقة الطائف أيضاً - فلا يوجد أي أثر فرعوني ثابت (مثل أطلال المباني ونقوش الصخور) في أي موقع من هذه المواقع ، وقد ثبت ذلك من البحوث الأثرية الشاملة التي أجريت حديثا في عسير[٥٥] .

ورغم التحريف الذي أدخله الدكتور الصليبي على الأسماء الهيروغليفية ، لكي تطابق الأسماء العسيرية[٥٦] ، فإن بعض الأسماء الفلسطينية الحالية أقرب إلى الأسماء الهيروغليفية من الاسماء

---

(٥٣) K. Sethe, *op. cit.*, **IV**, p. 784,87.

(٥٤) K.A. Kitchen, *op. cit.*, p. 436, note 67.

(٥٥) رغم عمليات المسح الأثري الدقيقة التي قامت بها إدارة الآثار والمتاحف بالمملكة العربية السعودية لمنطقة عسير ، والتي عثرت خلالها على آثار ونقوش من عصور متفرقة ، فإنها لم تعثر في هذه المنطقة على أثر فرعوني واحد ثابت أو منقول (راجع : «أطلال» حولية الآثار العربية السعودية ، العدد الخامس ١٤٠١/١٩٨١ ، ص ص ٩ - ٥٢) .

(٥٦) سبق أن ذكرت أن الإخوة من أبناء عسير اخبروني أنه حرف الاسماء العسيرية . هذا والمقصود بالتعبير «عسير» في هذه الدراسة ، المدلول الجغرافي لهذه التسمية لا التقسيم الإداري الذي يختلف عنه بعض الشيء لأنه يضم سواحل عسير لإمارتي مكة المكرمة وجيزان .

العسيرية ، فمثلا الاسم الهيروغليفي «تاعنكي» أقرب إلى الاسم الفلسطيني الحالي «تل تعنك» من الاسم العسيري «كعنة» أو «الكعنة» الذي اقترحه الدكتور الصليبي ، والاسم الهيروغليفي «بت شنري» أقرب إلى الاسم الفلسطيني الحالي «بيسان» من الاسم العسيري «شريان» أو «شريانية» . والكلمة الهيروغليفية «مجدر» أقرب إلى الكلمة الفلسطينية الحالية «مجدل» من الاسم العسيري «مقدر» . والاسم الهيروغليفي «يحم» أقرب إلى الاسم الفلسطيني «يهم» من الاسم العسيري «وحم» . والاسم الهيروغليفي «شوكا» أقرب إلى الاسم الفلسطيني «شويكة» من الاسم العسيري «كوس» أو «كيس» .

إن الذي يلاحظه أي باحث في كتابات الدكتور الصليبي هذه ، أنه حصر نفسه في أضيق نطاق في مقارنته للأسماء العسيرية ، سواء بالأسماء الهيروغليفية أو بالأسماء العبرانية (التي يسميها بالتوراتية) مما يخالف تماماً أصول الدراسة والبحث العلمي ، وذلك هو السبب في التجاوزات والأخطاء التاريخية الكثيرة التي انزلق إليها ، وهذا الانحصار واضح بوجه خاص في دراسته للأسماء الهيروغليفية بقائمة الملك شاشنق ، التي لم يرد فيها اسم المنطقة الشاملة التي كانت مجالاً لحملة شاشنق ، وهو الاسم «عسير» أو حتى اسم الجزيرة العربية أو أحد مشتقاته (مثل «أريبي» الذي ورد في السجلات الآشورية القريبة في الزمن من عصر الملك شاشنق)[٥٧] ، وقد يقدم لذلك تبريراً مرتجلاً هو أن هذه الأسماء ربما ضاعت ضمن الأجزاء المهشمة في قائمة الملك شاشنق ، والرد على ذلك أنه كان من الواجب دراسة نقوش الملك شاشنق الأخرى وعدم الانحصار في دراسة هذه القائمة فقط ، فلو أن الدكتور الصليبي اتبع الأسلوب العلمي الصحيح ، ودرس هذه النقوش ، لعدل عن هذه الآراء الشاردة التي تسيء إليه وإلى الباحثين في التاريخ القديم ، ذلك أنه كان سيجد الأسماء الهيروغليفية لسوريا وفلسطين في سياق لايجد مجالاً للشك بأن حملة شاشنق كانت في فلسطين ، وليست في الجزيرة العربية . فقد ورد الاسم الهيروغليفي لفلسطين وهو «خارو»[٥٨] فوق قائمة الجزية التي سجلها هذا الملك على جدران معبد الكرنك نفسه[٥٩] . كما ورد الاسم الهيروغليفي لسوريا وفلسطين (الشام عامة) وهو «رتنو»[٦٠] في نص على تابوت كاهن يدعى «حوري» جاء فيه مايفيد أن والد حوري هذا ، رافق الملك شاشنق الأول في حملته على بلاد «رتنو»[٦١] .

وقد يتساءل قائلاً ، ومايدرينا أن الأسماء «خارو» و «رتنو» هي أسماء لفلسطين والشام وليست أسماء لبلاد أخرى ؟ والرد على ذلك أن هذين الاسمين وردا على آثار كثير من الفراعنة الذين

(٥٧) D.D. Luckenbill, *Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago*, 1926-27 **Vol.** I, p. 223.

(٥٨) H. Gauthier, *op. cit.*, **IV**, p. 151.

(٥٩) J.H. Brasted, *Ancient Records of Egypt, Chicago*, 1906, **Vol. IV** pp. 723-724.

(٦٠) H. Gauthier, *op. cit.*, **III**, p. 141.

(٦١) K.A.Kitchen, *op. cit.*, p. 299 note 304, J.H. Breasted, *op. cit.*, **IV**, p. 348 note b..

وجدت لهم آثار في فلسطين وسوريا[٦٢] ابتداء من عصر متقدم من التاريخ المصري القديم ، وبالتحديد منذ عصر الأسرة الثانية عشرة الفرعونية (٢٠٠٠ – ١٧٠٠ ق . م) أي قبل عصر الملك شاشنق بمالا يقل عن ألف عام .

وفي مقابل هذا الورود المتكرر للأسماء الهيروغليفية لسوريا وفلسطين على الآثار المصرية منذ مرحلة متقدمة من العصر الفرعوني حتى أواخره ، لم يرد على هذه الآثار طوال العصر الفرعوني كله ، أي اسم للجزيرة العربية أو لإحدى مناطقها ابتداء من الساحل الشرقي لخليج العقبة شمالاً حتى ساحل اليمن جنوباً أي كل الساحل الآسيوي للبحر الأحمر[٦٣] .

بل إن الاسم الذي يدل على العرب وبلاد العرب في السجلات القديمة وهو «أريبي» والذي ورد لأول مرة في النصوص الآشورية التي ترجع لعام ٨٥٣ قبل الميلاد[٦٤] أي في وقت قريب جداً من تاريخ حملة الملك شاشنق (حوالي عام ٩٢٦ ق . م) ، هذا الاسم لم يرد على الآثار المصرية التي ترجع للعصر الفرعوني نفسه على الإطلاق ، بل ورد على آثار العصور اللاحقة لهذا العصر ، وبالتحديد عصر الاحتلال الفارسي (٥٢٥ – ٣٣٢ ق . م) وعصر ملوك البطالمة اليونان (٣٠٥ – ٣٠ ق . م .) ، وذلك في قصة شعبية دونت بالديموطيقية على البردي ، وهي تنسج هالة من الأساطير والبطولة على أحد الفراعنة المدعو «بدي باست»[٦٥] (الذي حكم مصر حوالي عام ٧٧٥ ق . م) ، ويرجح الباحثون من دراسة لغتها أنها ترجع لعصور الحكم الأجنبي هذه ، وأن المصريين ألفوها في تلك العصور ليسترجعوا بها مجدهم القديم إبان حكم الفراعنة ، ملوكهم الوطنيين .

إن عدم ذكر الاسم «أريبي» أو أية أسماء لبلاد العرب على الآثار التي ترجع للعصر الفرعوني نفسه ، يدل على عدم وجود صلة مباشرة بين الجزيرة العربية ، وبالتحديد بين الساحل الآسيوي للبحر الأحمر ، وبين مصر إبان ذلك العصر ، أو بعبارة أخرى يدل على أن المصريين أو الفراعنة لم يرتادوا هذا الساحل بأنفسهم ، وهذه الحقيقة تتضح لنا بوجه خاص عندما نقارنها بالاتصالات المصرية المتكررة بل وشبه المنتظمة مع الساحل الإفريقي للبحر الأحمر ، فقد دون الفراعنة الذين ذكرناهم ، وأولهم الفرعون تحتمس الثالث أيضاً – دونوا أسماء مناطق ومدن الساحل الإفريقي للبحر الأحمر وظهيره على آثارهم بنفس الطريقة التي دونوا بها المدن الفلسطينية والسورية . وقد تبين من

---

(٦٢) B.Porter and R.Moss, *op. cit.*, **VII**, p. 369-396.

(٦٣) عبد المنعم عبد الحليم سيد ، «الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر ، **الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية** ، **الكتاب الأول** ، الرياض ١٩٧٧م ، ص ص ٣٩ – ٥٣ .
وذلك على العكس تماماً من الأسماء الجغرافية لمناطق ومواقع الساحل الإفريقي للبحر الأحمر التي دونها الفراعنة على آثارهم بوفرة وبتفصيل دقيق مما يدل على كثرة ارتياد المصريين لهذا الساحل ، (المرجع السابق ، ص ٤١) .

(٦٤) D.D. Luckenbill, *op. cit.*, **I**, p. 223.

(٦٥) عبد المنعم عبد الحليم ، **مرجع سابق** ، ص ٤٤ .

دراسة ترتيب هذه المدن ومن أسماء المناطق التي تندرج تحتها ، أن هذه المناطق والمدن تقع على الساحل الافريقي للبحر الأحمر وفي ظهير هذا الساحل[٦٦] .

وعلى ذلك ، وبناء على هذه الأدلة الأثرية التي تنفي حدوث أي اتصال مباشر من جانب الفراعنة مع الساحل الآسيوي للبحر الأحمر ، فإن ماذهب إليه الدكتور الصليبي من عبور الملك شاشنق للبحر الأحمر ونزوله عند ميناء الليث بجيشه ، أمر مستغرب بل يثير الاستخفاف ، لما يتسم به من ارتجال ورجم بالمعلومات ، ففضلاً عن استحالته للأسباب التي ذكرناها ، لاتوجد أي إشارة في نقوش الملك شاشنق إلى قيامه بحملة بحرية إلى أي منطقة حتى فلسطين نفسها[٦٧] ، ولم يكن تسجيل الحملات البحرية من الأمور التي يغفل الفراعنة عن تسجيلها ، بل كانوا يحرصون أشد الحرص على هذا التسجيل بكل التفاصيل سواء بالكتابة كما فعل الملك تحتمس الثالث في حولياته المعروفة على جدران معبد الكرنك[٦٨] ، أو بالكتابة والرسوم التفصيلية كما فعل الملك رمسيس الثالث في تسجيل حملته البحرية على جدران معبده في مدينة هابو غرب الأقصر[٦٩] ، وكلتا الحملتين كانتا على الساحل السوري الفلسطيني ، ولم تكونا – شأن سائر الحملات البحرية التي قام بها الفراعنة الآخرون – على الساحل الآسيوي للبحر الأحمر ، كما ادعى الدكتور الصليبي بالنسبة لحملة الملك شاشنق .

المراجـــع

أولا : المراجع العربية

سيد ، عبد المنعم عبد الحليم ، «الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر» بحث منشور في الكتاب الأول الصادر عن «**الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية**» ، جامعة الرياض ، كلية الآداب ، ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .

بالنسبة لبيانات كتب الدكتور الصليبي نشرناها في بداية هذه الدراسة ، ولكن ننشر هنا بياناتها الكاملة ليسهل على القارىء الرجوع إليها .

Salibi, Kamal, *The Bible Came from Arabia*, London, Jonathan Cape, 1985.

---

(٦٦) E. Schiapatelli, *La Geografia dell Africa Orientale Seconde le Manumenti Egiziani, Roma* 1916 pp. 115-119.

(٦٧) K.A. Kitchen, *op. cit.*, pp. 293-300.

(٦٨) J.H.Breasted, *op. cit.*, **II**, 472, 476,.

(٦٩) J.H.Breasted, *op. cit.*, **IV**, 74-75.

الصليبي ، كمال سليمان ، **التوراة جاءت من جزيرة العرب** ، ترجمة عفيف الرزاز ، الطبعة العربية الثانية ، مراجعة وتنقيح المؤلف ، بيروت ، ١٩٨٦م .

ثانيا : المراجع الأجنبية

Breasted, J.H., *Ancient Records of Egypt*, Chicago, 1906.

Chicago, University of Chicago, *Oriental Institute Publications: Reliefs and Inscriptions at Karnak*, **vols. i-ii,** *Ramses III Temples*, **vol. iii,** The Bubastite Portal (1936-1954).

Fisher, *The Excavations of Armageddon, Chicago Oriental Institute Communications*, No. **4** (1929).

Gauthier, H., *Dictionnaire des noms géographiques contenus dans les textes hiéroglyphiques*. Tomes I-VII, (reimpression de l'edition de 1925-1931) Otto Zeller Verlag Osnabrück, 1975.

Kitchen, K.A., *The Third Intermediate Period in Egypt*, (1100-650 B.C.), England, Warminster, 1973.

Luckenbill, Daniel D., *Ancient Records of Assyria and Babylonia*, Chicago, 1926-27.

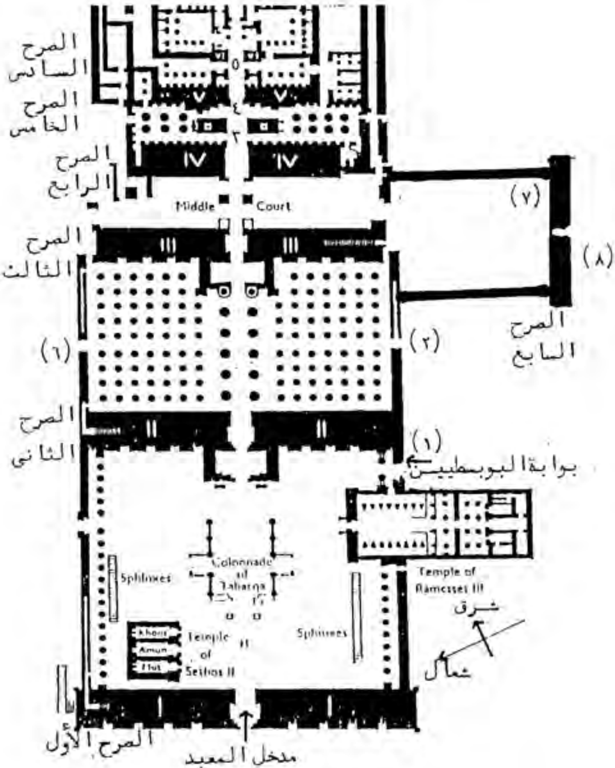
Müller, W. Max, *Egyptological Researches*, **Vol. I,** 1906.

Porter, B. and Moss, R., *Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts*, Reliefs, and Paintings. Oxford, **Vol. II,** *Theban Temples*, 1972, **Vol. VII,** *Nubia*, The Deserts, and Outside Egypt, 1975.

Schiaparelli, E., *La Geografia dell'Africa Orientale secondo le Monumenti Egiziani*, Roma, 1916.

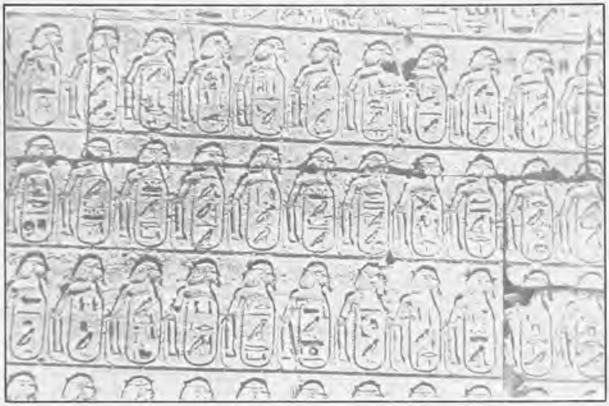
Sethe, K., *Urkunden der 18 Dynastie*, 1906-9.

Unger, Merrill, F., *Unger's Bible Dictionary*, Chicago, 1970.



شكل (١)

مخطط للنصف الغربي من معبد آمون الكبير بالكرنك لتوضيح الأماكن التي سجل فيها الفراعنة قوائم أسماء المدن الأجنبية التي استولوا عليها، وهذه القوائم هي كايلي حسب الترقيم الموضح في الرسم: (١) قائمة الملك شاشنق الأول. (٢) قائمة الملك رمسيس الثاني. (٣) قائمة الملك أمنحتب الثاني (بين الصرحين الرابع والخامس انظر الصورة شكل ٤). (٤) قائمة الملك تحتمس الثالث (على واجهة الصرح الخامس). (٥) قائمة أخرى للملك تحتمس الثالث (على واجهة الصرح السادس). (٦) قائمة الملك سيتي الأول. (٧) قائمة ثالثة للملك تحتمس الثالث وهي أكبر القوائم لأنها تحوي على ٣٥٩ اسماً للمدن السورية والفلسطينية. (٨) قائمة رابعة للملك تحتمس الثالث (للمدن السورية والفلسطينية أيضا)



شكل (٢)

جانب من قائمة أسماء المدن السورية والفلسطينية التي استولى عليها الملك تحتمس الثالث في حزوبه ، وهو يوضح الطريقة التي ابتكرها هذا الملك في تسجيل اسماء هذه المدن على جدران معبد آمون بالكرنك ، والتي أخذها عنه الملوك الذين أتوا بعده ومنهم الملك شاشنق (الشكل التالي).



شكل (٣)

جانب من قائمة أسماء المدن الفلسطينية التي استولى عليها الملك شاشنق في حملته على فلسطين وسجلها على جدران معبد آمون بالكرنك (انظر شكل ١) وأغلب الأسماء هي نفس الأسماء الواردة في قائمة الملك تحتمس الثالث .



شكل (٤)

صورة لأحد الأماكن التي سجلت عليه أسماء المدن الأجنبية بمعبد آمون بالكرنك وهو الجدار الواقع بين الصرحين الرابع والخامس بجوار مسلة الملكة حتشبسوت الظاهرة في الصورة . وقد سجل هذه الأسماء الملك امنحتب الثاني ابن تحتمس الثالث وخليفته . ويشير الواقف في الصورة إلى مدى ارتفاع المستطيل البيضاوي الذي يحوي اسم المدينة وإلى نسبة أحجام هذه المستطيلات إلى حجم الإنسان .

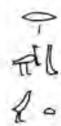
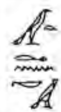
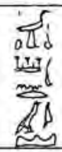
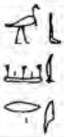


شكل (٥)

الجزء المتبقي من اللوحة التي أقامها الملك شاشنق في مدينة مجدو القديمة الواقعة جنوب شرق حيفا ، والتي تعتبر وثيقة أثرية حاسمة في إثبات أن حملة هذا الملك كانت في فلسطين ولم تكن في عسير كما ادعى الدكتور الصليبي ، وهي على غرار اللوحات التي كان الفراعنة يقيمونها في المناطق التي يغزونها لتخليد انتصاراتهم فيها .

شكل (١٦أ)

جدول بأسماء بعض المدن الفلسطينية التي وردت في قائمة الملك شاشنق وفي قوائم الملك تحتمس الثالث ، ووجدت بها آثار فرعونية ، والأسماء العبرانية لهذه المدن وأسماء مواقعها الحالية في فلسطين ، ثم التحريف الذي أدخله الدكتور الصليبي على الأسماء المصرية القديمة لتقترب في نطقها من الأسماء العسيرية التي اقترحها لها .

رقم	الاسم المصري القديم للمدينة	اسمها بالهيروغليفية: في قائمة الملك شاشنق	اسمها بالهيروغليفية: في قائمة تحتمس الثالث	اسمها العبراني	اسم موقعها الحالي في فلسطين	تحريف د . صليبي للاسم المصري	الاسم العسيري الذي اقترحه
(١)	روباتـي roubata			ربيت	رمـة	ربت	رباط الرباط
(٢)	تاعنك taaanaka			تعنك	تل تعنك	كعنت	كعنة الكعنة
(٣)	شنمي ch(a)n(a)ma			شونم	سولم سولام	امشي	المشنية سومة لشام الشيم ذي لشام
(٤)	بت شري bet char			بيت شان	بيسان	شربي	شريان شريانة

ملاحظـات

١ – المراجع التي وردت فيها الأسماء الهيروغليفية مذكورة في الدراسة التي قدمناها لكل اسم .

٢ – الحروف اللاتينية أسفل الاسم هي الدلالة الصوتية **Transliteration** للاسم كما ورد في قائمة الملك تحتمس الثالث نقلاً عن قاموس جوتييه (**Gauthier, Dict. Geogr.**)

شكل (٦ب)

تابع أسماء المدن الفلسطينية التي حرفها الدكتور الصليبي ..

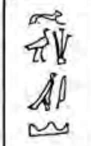
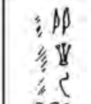
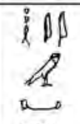
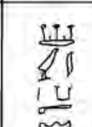
رقم	الاسم المصري القديم للمدينة	اسمها بالهيروغليفية: في قائمة الملك شاشنق	اسمها بالهيروغليفية: في قائمة تحتمس الثالث	اسمها العبراني	اسم موقعها الحالي في فلسطين	تحريف د. صليبي للاسم المصري	الاسم العبري الذي اقترحه
(٥)	روحـــبى r(a)hbou			رحوب	رحـاب	رحبى	وادي رخة الرحية
(٦)	مكـــدى makta			مجدو	مازال الاسم «مجدو» يطلق على المدينة في الخرائط	مقـدى	وادي حقد شعب المقدة المقـدة
(٧)	عـــرنا aarna			أطلق عليها د. الصليبي «عرن» وهو خطأ	خربة عارا	عرن	عرمس آل غران
(٨)	محـــدر mktar(a)			مجدل	مجـدل	مقـدر	مَقّدر
(٩)	يحـــم ihm			يحمى	تل يهم	وحـم	وَخّم
(١٠)	شوكـــا saoka			سوكوه	خربة شويكة	سـك	كـوس الكوس كيسة

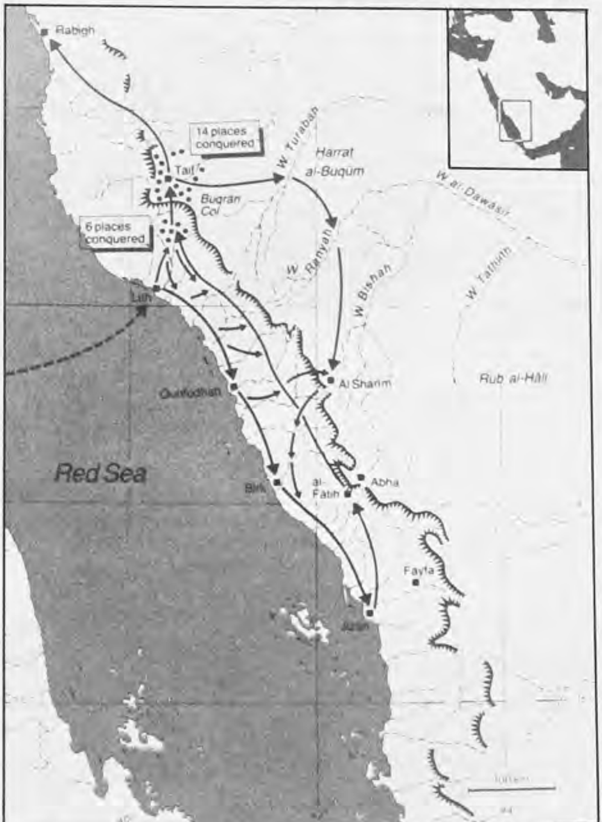


Fig. 2. Course of the Palestinian Campaign of *Shosheng I*, c. 925 B.C.

خريطة رقم (١)

الخريطة التي نشرها «كتشن» في كتابه لتوضيح مسار حملة الملك شاشنق في فلسطين ، ويلاحظ أنه حدد فيها مسارين أحدهما للجيش الرئيسي الذي كان الملك شاشنق يقوده بنفسه (المحدد بأشكال السهام ذات الخطوط المتصلة) ، والآخر للقوات الفرعية أو التجريدات التي يسميها Task forces والتي ارسلها لإخضاع المناطق البعيدة عن خط سيره (المحدد بالسهام ذات الخطوط المتقطعة) .

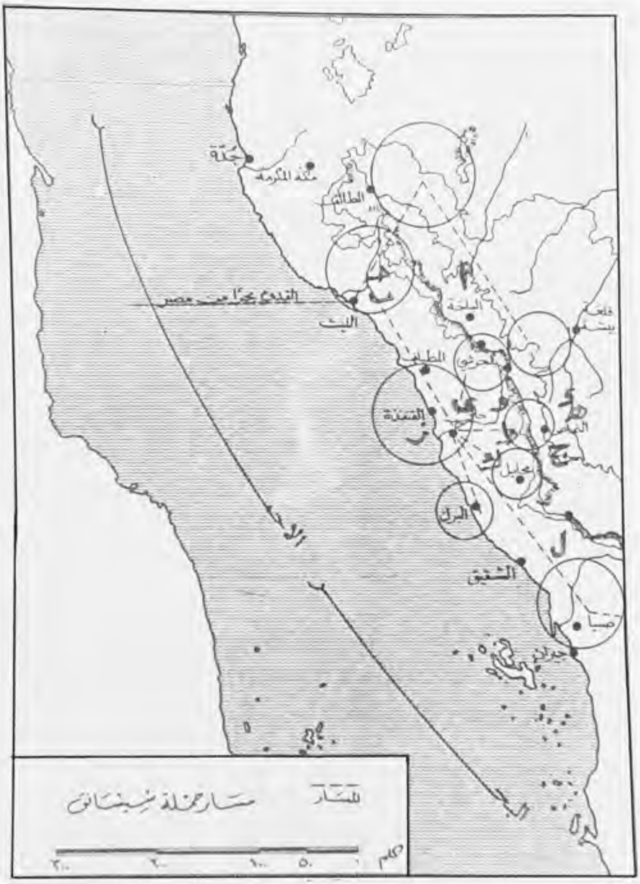
138 THE BIBLE CAME FROM ARABIA



Map 10 The itinerary of Sheshonk I – in Asir

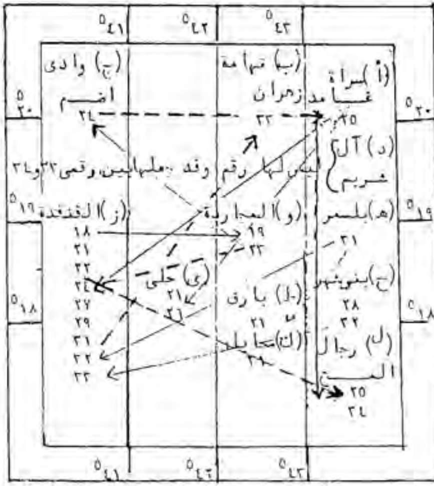
خريطة رقم (٢)

الخريطة التي نشرها الدكتور الصليبي في كتابه لمسار حملة شاشنق في عسير ، والتي يلاحظ فيها النقل عن خريطة كتشن (الخريطة السابقة) ، وفي محاولته التمويه على هذا النقل ، حذف الدكتور الصليبي مسار القوات الفرعية التي أطلق كتشن عليها Task forces وجعل الملك شاشنق يقود الحملة بنفسه في جميع مراحلها بين مختلف مواقع عسير فأدى ذلك إلى التضاد والتضارب في اتجاهات الحملة بشكل يتنافى مع العقل والمنطق كما يتضح من الخريطة التالية (خريطة رقم ٣) والشكل البياني الذي رسمناه من واقع وصفه لمسار حملة شاشنق .



خريطة رقم (٣)

الخريطة المنشورة في الترجمة العربية لكتاب الدكتور الصليبي والتي أثبت عليها مسار حملة الملك شاشنق في عسير (ص٢١٧) ويلاحظ اختلاف هذا المسار كثيراً عن المسار الذي رسمه في الخريطة المنشورة في الطبعة الإنجليزية (السابقة) ، وهو مثال من الأمثلة الكثيرة على تردده وتذبذب معلوماته نتيجة عدم وجود أي أساس لهذه المعلومات ، والذي يتتبع وصفه لهذا المسار ، في مرحلة واحدة فقط من مراحله (ص ٢١١ – ٢١٣) ، يجد اختلافاً كبيراً بينه وبين الخط الذي رسمه لهذا المسار على هذه الخريطة ، ولتقريب هذا الموضوع إلى ذهن القارىء ، فقد رقمنا المناطق على



خريطته بحروف أبجدية (أ ، ب ، ج ..) ، ثم وضحنا أسماء هذه المناطق في مستطيل إلى جانب الخريطة (وبعضها لم يثبته على الخريطة كما هو ظاهر) ، في مستويات أفقية ورأسية راعينا فيها العلاقات المكانية النسبية بين هذه المواقع قدر المستطاع ، (على أساس خطوط الطول والعرض على وجه التقريب) ، وكتبنا تحت اسم كل منطقة أرقام المواقع التي تندرج تحتها طبقا لوصف الدكتور الصليبي (وهذه الأرقام في الحقيقة هي التي رقم بها علماء الآثار أسماء المدن والمواقع في قائمة الملك شاشنق) .

والأرقام المكررة بين المواقع هي البدائل التي اقترحها الدكتور الصليبي للموقع الواحد ، ومثال ذلك الرقم (٢٥) يتكرر بين منطقة «سراة غامد» ومنطقة «رجال ألمع» ، وهذا معناه أن الملك شاشنق انتقل من الموقع رقم (٢٤) (في رأي الدكتور الصليبي) وهو المسمى «الروحان» في منطقة القنفدة أو جيزان في وادي اضم ، إلى احد موقعين يحملان رقما واحدا هما الموقع المسمى «العمدة» في سراة غامد أي في أقصى الشمال ، أو الموقع المسمى «ذروة آل دغمة» في رجال المع ، أي في أقصى الجنوب !! (ص ٢١١ من الترجمة العربية) ثم بعد أن يقفز الملك شاشنق بجيشه هذه القفزة الهائلة من أقصى غرب عسير إلى أقصى شمالها أو إلى أقصى جنوبها ، يرجعه الدكتور الصليبي بقفزة أخرى لاتقل هولاً عن الأولى إلى منطقة «حلى» في غرب عسير لكي يغزو الموقع رقم ٢٦ !! ، فأي عقل أو منطق سليم يقبل هذه الأفكار الغريبة الشاردة ؟

لقد اقتصرنا في رسم خط سير الملك شاشنق طبقا لوصف الدكتور الصليبي على اعتبار كل مجموعة مواقع في المنطقة الواحدة ، بداية لانطلاقته حتى لايشوه الشكل فيصعب على القاريء متابعته ، فكانت هذه الخطوط المتداخلة المتشابكة التي تمتد من أقصى شمال عسير إلى أقصى جنوبه ، ثم تعود مرة أخرى إلى أقصى الشمال ، ثم تمتد من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، ثم تعود مرة أخرى إلى الغرب وهكذا ، كما يوضح الخط المتصل على الرسم ، أما الخط المتقطع فيوضح مسار شاشنق بين البدائل التي قدمها الدكتور الصليبي للموقع الواحد كما ذكرنا .

The Falsification and Historical Faults of Salibi's Book "The Bible Came from Arabia" A Critical Study

Abdul Monem Abdul Halim Sayed
Professor of Ancient History and Archaeology,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT

The evidences which Dr. Kamal Salibi presented in his book to back his view that the Hebrew's "Promised Land" was not in Palestine but in Asir in Saudi Arabia, – these evidences depended mainly on the sophistication and corruption of the Biblical place names of Palestine on one part, and the Asirian place names on the other part, to adapt these names linguistically to each other.

His method of linguistic corruption and sophistication is clearly revealed in the chapter entitled "The itenerary of the Sheshonk expedition" (pp. 134-142), for our knowledge of this expedition rests on firm archaeological data which absolutely attest that it took place in Palestine and not elsewhere.

Dr. Salibi assumes that the Sheshonk expedition took place in Asir, by adapting the ancient Egyptian names (in hieroglyphs) of the cities which Sheshonk conquered and recorded on the walls of the "Bubastite Portal" at Karnak, to some place names in Asir.

Dr. Salibi is unaware of an historical fact which refutes his assumption, i.e. that these hieroglyphic city-names were also recorded by eight of the Pharaohs of Sheshonk's predecessors, and that archaeological evidences of their military and peaceful activity still lay on the Palestinian soil! This positive fact is contradicted by a negative one, i.e. the absence of ancient Egyptian monuments and antiquities from the land of Asir, either from the time of the Pharaohs who recorded these city-names (including Sheshonk), or from the Pharaonic period as a whole!

Another assumption by Dr. Salibi is extremely ridiculous. It is when he simply assumes that Sheshonk sailed with his maritime expedition across

the Red sea and landed at al-Lith! An account which reveals his shallow background of the ancient Egyptian naval activity, for although there are numerous records on the Egyptian monuments referring to naval activity on the African shores of the Red sea, there is not a single reference to such activity from the Dynastic period (Pharaonic period proper) recording any crossing of the Red sea or dealing with its Asiatic coast. Among hundreds of place-names of the African Red sea coast and its hinterland, not a single place name of its Asiatic coast occurs on the Dynastic monuments.

Moreover, the ancient nomenclature "Aribi" denoting Arabia and its inhabitants and recorded on the Assyrian monuments (from 853 B.C. onwards), did not occur on the Egyptian monuments until a later date, during the Persian dominion (525-332 B.C.) or the Ptolomaic period (332-30) i.e. after the elapse of the Dynastic period. A fact which excludes any direct relationship between the Pharaohs and the Arabian coast of the Red sea.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١ ، ص ص ٢٢٣ - ٢٤٦ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

الخيل ودورها في الجهاد وحركة الفتح الإسلامي إلى نهاية عهد الخليفة عمر بن الخطاب

صلاح التيجاني حمودي(*)

مستخلص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة نشأة وتطور قوة الفرسان الإسلامية في عهد الرسول ﷺ ، وإلى نهاية عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، أي الفترة من سنة ٢ هـ إلى سنة ٢٣هـ .

لقد عرف العرب الخيل منذ وقت طويل في الجاهلية ، وكانوا يعتمدون عليها اعتماداً كلياً في حروبهم الداخلية ، وبلغ من حبهم وإكرامهم للخيل أنهم كانوا يفضلونها على أبنائهم أحياناً .

أما في ظل الدعوة الإسلامية فقد كرَّم الله سبحانه وتعالى الخيل بذكرها في القرآن الكريم ، وأُمر المسلمين بارتباطها للجهاد ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدّوا لهم ما استطعتُم من قوّةٍ ومن رِباطِ الخيلِ تُرهِبونَ به عدوَّ الله وعدوَّكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلَمُهمُ ﴾ .

كما أن الرسول ﷺ جعل نصيب الفارس من الغنائم التي يحصل عليها المسلمون من أعدائهم ثلاثة أضعاف مايحصل عليه الراجل ، أي الذي يقاتل على رجليه ، وذلك تشجيعاً للمسلمين لاقتناء الخيل . ولكن على الرغم من ذلك فإن بداية تكوين قوة الفرسان الإسلامية كانت بسيطة وبطيئة جداً ، بدأت بفرسين فقط في غزوة بدر الكبرى سنة ٢هـ ، واستمر المسلمون عدة سنوات ، ولم يزد عدد خيلهم عن بضع عشرات ، وذلك بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية . وبزوال بعض هذه الظروف بدأت قوة الفرسان الإسلامية في الازدياد المطَّرد حتى بلغت عدة آلاف فرس في نهاية عهد الرسول ﷺ ، واستمرت

(*) أستاذ مساعد ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة .

في الازدياد خلال عهدي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، مما كان له أكبر الأثر في حركة الفتح الإسلامي .

تمهيد

كان لفرق الفرسان المسلمين دور بارز في الجهاد وحركة الفتح الإسلامي في داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، عندما تقدمت جيوش المسلمين نحو الشام ومصر والعراق وبلاد فارس فاتحة ، فمع بداية حركة الجهاد التي بدأت الأمة الإسلامية خوض غمارها منذ السنة الثانية للهجرة في غزوة بدر الكبرى . بدأ الرسول ﷺ في تكوين قوة من الفرسان تنفيذاً لأمر الله ، ولما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدّوا لهم ما استطعتُم من قوّةٍ ومن رِباطِ الخيلِ تُرهِبونَ به عدوَّ الله وعدوَّكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلَمُهمْ ﴾[١] . ولعل أقوى دليل على ارتباط هذا الأمر بالجهاد أن هذه الآية الكريمة في سورة الأنفال نزلت بعد غزوة بدر مباشرة[٢] .

والهدف من هذا البحث هو تتبع نشأة قوة الفرسان الإسلامية وتطورها حتى أصبحت قوةً ضاربةً لاتقل في فعاليتها عما يُعرف في وقتنا الحاضر بسلاح المدرعات ، كما أصبح لها من النظم والامتيازات المادية ماتزخر به كتب الفقه الإسلامي التي تعالج الجوانب الحربية[٣] .

ونظراً إلى أن معظم البلاد التي فتحها المسلمون تم فتحها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، فسينتهي بحثنا عن دور الخيل في الجهاد وحركة الفتح الإسلامي بنهاية خلافة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

أما الجوانب التي سيعالجها البحث فتشمل الحديث باختصار عن أهمية الخيل عند العرب قبل الإسلام ، ثم تكريم القرآن الكريم للخيل ، والآيات التي وَرَد فيها ذكرها ، كذلك الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في تكريم الخيل . ثم نتحدث عن بداية تكوين فرقة الخيالة الإسلامية ، ونتابع تطورها من خلال غزوات الرسول ﷺ .

وننتقل بعد ذلك إلى خلافة أبي بكر الصديق ثم خلافة عمر بن الخطاب لمعرفة الدور الذي قامت به الخيل في الجهاد وحركة الفتح الإسلامي .

---

(١) **سورة الأنفال** ، الآية ٦٠ .

(٢) • محمد بن جرير الطبري ، **جامع البيان عن تأويل القرآن** ، جـ ١٠ ، (القاهرة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ، ص ص ٢٩ - ٣٢ ؛

• أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ ٤ ، (بيروت : دار إحياء التراث ، ط ٢ ، ١٩٦٥م) ، ص ٣٦١ .

(٣) على سبيل المثال كتب : الشيباني والسرخسي وابن قدامة ، وكتب الأحاديث المستخدمة في هذا البحث .

فترة ماقبل الإسلام : أهمية الخيل عند العرب وحبهم لها

لاحاجة لنا هنا أن نتحدث بإسهاب عن بداية معرفة العرب للخيل أو مدى حبهم لها ، إذ أن الشعر الجاهلي يعبر عن ذلك أصدق تعبير ، فمن جهة نجد أن الكثيرين من علماء المسلمين ، وبخاصة اللغويين منهم ، قدامى ومحدثين ، قد أسهبوا في الكتابة عن الخيل[٤] ، كما أن طول الحديث هنا سيخرجنا عن موضوعنا الذي نحن بصدده ، ألا وهو دور الخيل في الجهاد وحركة الفتح الإسلامي . ولعله من المفيد في هذا المجال أن نورد نماذج لما كتبه بعض العلماء والباحثين عن مكانة الخيل عند العرب .

كتب ابن الكلبي[٥] قائلاً : «كانت العرب ترتبط الخيل في الجاهلية والإسلام معرفةً بفضلها ، وماجعل الله تعالى فيها من العزّ ، وتشرفاً بها ، وتصبر على المَخمَصَة واللّأْواء[٦] وتخصّها وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد ، وتفتخر بذلك في أشعارها وتعتده لها» .

لقد استأثرت الخيل بحب العرب منذ أقدم العهود ، لما تؤديه من خدمات يعجز عن أدائها سواها ، لذلك كانت عنايتهم بها عناية شديدة ، واهتمامهم بتربيتها اهتماماً بالغاً ، ففيها من خصال الشرف والمنافع والغناء في السفر والحضر ، وفي الحرب والسلم ، وفي الزينة والبهاء ، وفي العدة والعتاد ، ماليس في غيرها من الحيوان[٧] .

كذلك كتب الجزائري[٨] يقول : «إن العرب لم تكن تحب شيئاً وتكرمه كإكرامها للخيل ، لما كان لهم فيها من العز والجمال ، لأنهم كانوا يرون أن لاعزَّ إلا بها ، ولا قهر للأعداء إلاّ بسببها ، ولما جاءهم الرسول ﷺ ومدحها لهم الشرع اجتمع لهم فيها حبان ، حب من جهة الشرع ، وحب من جهة الطبع ، فلأجل هذا كانت عندهم كقطع الأكباد ويحفظونها ولو بضياع الأولاد ، حتى كان الرجل يبيت طاوياً ويشبع فرسه ، ويؤثره على نفسه وأهله وولده» .

---

(٤) مثلا كتب : **الخيل** للأصمعي وأبي عبيدة والخطيب الاسكافي ، **والحيوان** للجاحظ **وحياة الحيوان الكبرى** للدميري وغيرها .

(٥) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن الكلبي ، **أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها** ، تحقيق أحمد زكي باشا ، (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٤٦م) ، ص ص ٦ - ٧ .

(٦) المخمصة : المجاعة (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، **القاموس المحيط** ، جـ ٢ ، (بيروت : المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م) ، ص ٣١٣ .
اللأواء : الشدة وضيق المعيشة ، وقيل القحط (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور ، **لسان العرب** ، **جـ ١٥** (بيروت : دار صادر ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ، ص ٢٣٨ .

(٧) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، **كتاب الحيوان** ، جـ ٧ ، تحقيق عبد السلام هارون ، (القاهرة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ط ٢ ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م) ، ص ١٢٠ ،
كامل سلامة الدقس ، **وصف الخيل في الشعر الجاهلي** ، (الكويت : دار الكتب الثقافية ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ، ص ٣٧ .

(٨) محمد بن عبد القادر الجزائري ، **عقد الأجياد في الصافنات الجياد** ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) ، ص ١٢

إن «البيئة بكل ظروفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية فرضت على العرب أن يكونوا أمة حربية ، واستلزم هذا تقديس أدوات قتالهم وعلى رأسها الخيل التي تهزم القوم ، وتجلب الغنيمة ، وتنجي من الضيق ، وترفع أحساب مَنْ صَبَرَ في الحرب»[٩] .

لم يكن حب الخيل هو الصفة الوحيدة التي لازمت العربي ، فقد «اشتهر العرب منذ قرون طويلة جداً بجيادهم الممتازة ، وأجودها الخيل النجدية ، وموطنها الأصلي نجد ، وتمتاز برأسها الصغير ، وعنقها المقوس ، وظهرها المستقيم ، وذيلها المرفوع المموج ، وحوافرها الصلبة الصغيرة ، وشعرها الناعم ، ومفاصلها المتينة ، وصدرها المتسع ، وقوائمها الرقيقة الجميلة ، وهي قوية جداً وسريعة ، وتلوح على وجوهها علامات الجد ، وهذه الصفات التي تتحلى بها ترجع إلى هواء نجد الجاف وقلة أنواع الاغذية فيها ، والخيل النجدية نموذج للحصان الكامل للركوب والسباق»[١٠] .

من كل ماسبق نستخلص أن الخيل التي كانت تحظى بحب العرب وفائق عنايتهم منذ عهد بعيد قبل الإسلام ، أصبحت تجد في ظل الأمة الإسلامية تكريماً معنوياً ومادياً يفوق في عظمه ماكانت تحظى به من حب عند العرب في الجاهلية ، فإلى جانب تكريم القرآن الكريم لها ، وماورد في حقها من أحاديث نبوية شريفة ، فإن الرسول ﷺ وخلفاءه من بعده وضعوا من النظم المالية في تقسيم الغنائم ماجعل المسلم الذي يقتني فرساً ويجاهد عليه ينال ثلاثة أضعاف مايناله المسلم الذي يقاتل على رجليه ، وهذا ماسنراه فيما بعد ، ونبدأ الآن بالحديث عما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن الخيل .

تكريم القرآن الكريم للخيل

ورد ذكر الخيل في خمس آيات في القرآن الكريم ، لعل أكثرها ارتباطاً بموضوع الجهاد آيتان ، الأولى قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدّوا لهم مااستطعتم من قوةٍ ومن رِباطِ الخيل تُرهِبون به عدوَّ الله وعدوَّكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم ، الله يعلمهم ﴾[١١] .

أما الآية الثانية المرتبطة بالجهاد فقوله تعالى : ﴿ وَمَا أفاءَ اللهُ على رسولِهِ منهم فما أَوْجَفتُم عليه من خيلٍ ولا رِكابٍ ولكنَّ الله يسلِّطُ رسلَه على مَن يشاء والله على كل شيءٍ قدير ﴾[١٢] .

وقد ذكرنا أن الآية الأولى قد نزلت بعد غزوة بدر التي حقق المسلمون فيها أول انتصار على الشرك والمشركين ، بالرغم من تفوق أعدائهم في العدد والعدة ، فقد كان عدد الكفار من قريش

---

(٩) كامل سلامة الدقس ، **مرجع سابق** ، ص ٧٦ .

(١٠) انظر : نوري حمودي القيسي ، كتاب الخيل لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، **مجلة كلية الآداب** ، ع **١٢** ، ١٩٦٥ ، ص ص ٣٨٦ – ٣٨٧ ، (بغداد : مطبعة الحكومة ، ١٩٧٠م) ، كامل سلامة الدقس ، **مرجع سابق** ، ص ص ٣١ – ٣٢ .

(١١) **سورة الأنفال** ، الآية ٦٠ .

(١٢) **سورة الحشر** ، الآية ٦ ؛ محمد بن جرير الطبري ، جامع .. ، **مرجع سابق** ، جـ ٢٨ ، ص ص ٣٥ – ٣٦ .

يتراوح مابين تسعمائة إلى ألف رجل[١٣] فيهم مائة فارس[١٤] ، بينما كان عدد المسلمين لايزيد عن ثلاثمائة وبضعة عشر[١٥] ولايمتلكون إلا فرسين[١٦] .

وقد كانت غزوة بدر أيضاً أول غزوة أمدّ الله فيها المسلمين بالملائكة يقاتلون إلى جانبهم ، وقد شاء الله أن يرى المسلمين قوة الخيل وأهميتها في القتال ليكون ذلك حافزاً لهم لاقتنائها ، فجعل الملائكة يقاتلون فرساناً على ظهور الخيل[١٧] .

أما الآية الثانية فقد نزلت في غزوة بني النضير وفيها نزل حكم الفيء[١٨] حيث أن الرسول ﷺ حاز على غنائم بني النضير دون قتال ، وأصبح له بذلك حق التصرف في الفيء ، كما اتضح الفرق بين الفيء والغنيمة[١٩] .

ونعود الآن فنذكر ماتبقى مما فيه ذكر للخيل في القرآن الكريم ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ والخيلَ والبغالَ والحَميرَ لتركبوها وزينةً ويخلقُ مالاتعلمون ﴾[٢٠] وقوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ للنّاسِ حبُّ الشَّهَواتِ من النساءِ والبنينَ والقناطيرِ المقنطرةِ من الذهبِ والفضةِ والخيلِ المسوَّمةِ والأنعامِ والحَرْثِ ذلك متاعُ الحياةِ الدنيا والله عنده حُسْنُ المآب ﴾[٢١] .

---

(١٣) محمد بن عبد الملك بن هشام ، **السيرة النبوية** ، جـ ١ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، (القاهرة : دار الكنوز الأدبية ، د . ت) ، ص ٦١٧ ؛
• ابو عبد الله محمد بن سعد ، **كتاب الطبقات الكبرى** ، جـ ٢ ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٦٠) ، ص ١٥ .

(١٤) محمد بن عبد الملك بن هشام ، **المرجع السابق** ، جـ ١ ، ص ٦٦٦ ؛ ابو عبد الله محمد بن سعد ، **المرجع السابق** ،جـ ٢ ، ص ١٥ ، ٢٤ ؛ محمد بن عمر الواقدي ، **كتاب المغازي** ، جـ ١ ، تحقيق مارسدن جونز ، (أكسفورد : مطبعة جامعة أكسفورد ، ١٩٦٦) ، ص ٣٩ ؛ محمد بن جرير الطبري ، **تاريخ الرسل والملوك** ، جـ ٢ ، (القاهرة : دار المعارف ، د . ت) ، ص ٤٧٧ .

(١٥) محمد بن عبد الملك بن هشام ، **المرجع السابق** ، جـ ١ ، ص ٧٠٦ ؛ أبو عبد الله محمد بن سعد ، **المرجع السابق** ، جـ ٢ ، ص ١٩ .

(١٦) محمد بن عبد الملك بن هشام ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة ؛ محمد بن عمر الواقدي ، **المرجع السابق** ، ص ٢٧ ؛ ابو عبد الله محمد بن سعد ، **المرجع السابق** ، ص ٢ .

(١٧) محمد بن عبد الملك بن هشام ، **المرجع السابق** ، ص ٦٢٧ ، ٦٣٣ ؛ أبو عبد الله محمد بن سعد ، **المرجع السابق** ، ص ١٦ ؛ **سورة الانفال** ، الآية ٩ (قال تعالى : إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) أي يتبع بعضهم بعضا (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، **مرجع سابق** ، جـ ٤ ، ص ٣٧٠ ؛ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، **مرجع سابق** ، جـ ٣ ، ص ١٤٧) .

(١٨) الغنيمة : ماأصاب المسلمون عنوة بقتال وفيه الخمس ، و أربعة أخماس لمن شهدها ، والفيء : ماصولحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس ، هو لمن سمى الله في الآية ٦ من **سورة الحشر** ، محمد بن جرير الطبري ، جامع ... ، **مرجع سابق** ، جـ ١ ، ص ص ١ – ٨ ؛ جـ ٣ ، ص ١٤٧ .

(١٩) فيما يختص بالغنيمة فقد نزل حكمها في قوله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل) **سورة الأنفال** ، الآية ٤١ .

(٢٠) **سورة النحل** ، الآية ٨ .

(٢١) **سورة آل عمران** ، الآية ١٤ ، أما الخيل المسوَّمة : المرسلة وعليها ركبانها ، وقيل الخيل المسومة هي التي عليها السِّيما والمسومة ، وهي العلامة ، والخيل المسومة : المرعية (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، **مرجع سابق** ، جـ ١٢ ، ص ٣١٢) .

والمعنى في الآيتين متشابه ، فالخيل هنا تدخل فيما أنعم الله به على الإنسان من النعم .

أما الآية الخامسة التي ورد فيها ذكر الخيل فهي قوله تعالى : ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾[٢٢] .

وكما هو واضح فإن هذه الآية تتحدث عن موقف إبليس من الإنسان ، ولسنا في حاجة لتحليل معناها ، لأنه خارج عن موضوعنا .

الأحاديث النبوية الشريفة في تكريم الخيل

ورد الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن الخيل وأهميتها للجهاد ، وحض المسلمين على ارتباطها ، ومأأقره الرسول ﷺ من الامتيازات المادية للفارس . وسنكتفي هنا بذكر الأحاديث التي ترتبط بموضوع البحث ، أي مايتعلق منها بالجهاد ، ونصيب الفارس من الغنيمة ، وبعض الأحاديث الأخرى المتعلقة بالخيل ، كإسقاط الصدقة عنها ، وحسن معاملتها ، والاهتمام بها .

فمن الأحاديث النبوية التي تحض المسلمين على الاهتمام بالخيل والرفق بها ماجاء عن الرسول ﷺ أنه قال : «ارتبطوا الخيل ، وامسحوا بنواصيها وأعجازها»[٢٣] وعنه ﷺ أنه قال : «إن المنفق على الخيل في سبيل الله كباسط يديه بالصدقة لايقبضها»[٢٤] وروي أيضاً أنه «لم يكن شيء أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من الخيل»[٢٥] .

وإكراماً للخيل فقد منع الرسول ﷺ المسلمين من قص نواصي[٢٦] الخيل ، فقد جاء في الحديث الشريف : «لاتقصوا نواصي الخيل فإن فيها البركة ، ولاتجزّوا أعرافها فإنه إدفاؤها ، ولاتقصوا أذنابها فإنها مذابها»[٢٧] . ومن هذا الحديث الشريف يتضح لنا أن الرسول ﷺ كان

---

(٢٢) **سورة الإسراء** ، الآية ٦٤ ، هنالك آيتان أخريتان لم يرد اسم الخيل فيهما صراحة ، وإنما ربط معناهما بالخيل ، ففي **سورة ص** ، الآية ٣١ في قوله تعالى (إني أحببت حب الخير عند ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) ، ذكر أنه (أي نبي الله سليمان) لها بالخيل وبالنظر إليها حتى فاتته صلاة العصر . ويضيف ابن قتيبة [ابن قتيبة الدينوري ، **كتاب المعاني الكبير في أسباب المعاني** ، **جـ ١** (**بيروت : دار النهضة الحديثة ، د . ت**) ، **ص ٨٥**] **قائلا والعرب لكثرة انتفاعها بالخيل تسميها بالخير** (انظر : **أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن الكلبي** ، **مرجع سابق** ، ص ١٣) . كذلك فسر قوله تعالى (والعاديات ضبحا ..) بأن العاديات خيل تعدو والضبح صوت يخرج من حلوقها عند العدو (ابن قتيبة الدينوري ، **مرجع سابق** ، **ص ٦٧**) .

(٢٣) أحمد بن حنبل ، **المسند** ، **جـ ٤** (بيروت : المكتب الإسلامي ، ط ٤ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ٣٤٥ .

(٢٤) **المرجع السابق** ، ص ١٨٠ .

(٢٥) **المرجع السابق** ، جـ ٥ ، ص ٢٧ .

(٢٦) نواصي : جمع ناصية ، وهي قصاص الشعر في مقدّم الرأس (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، **مرجع سابق** ، **جـ ١٥** ، ص ٣٢٧) .

(٢٧) أحمد بن حنبل ، **مرجع سابق** ، **جـ ٤** ، ص ١٨٤ .

يوجه المسلمين لعدم تغيير أشكال خيولهم ، وتركها على حالها لأن في قص أذنابها وأعرافها إضعافاً لها وإذلالاً .

كذلك من المسائل التي أكرم الرسول ﷺ بها الخيل أنه منع أن تُنزى(٢٨) الحمير على الخيل ، فعن علي بن أبي طالب أنه قال : أُهديتْ لرسول الله ﷺ بغلةٌ ، فقلنا يارسول الله لو أنا أنزينا الحُمُر على خيلنا فجاءتنا بمثل هذه ، فقال رسول الله ﷺ : إنّما يفعل ذلك الذين لايعلمون(٢٩) .

المعروف أن المسلم يؤدي الزكاة عن أنعامه بما في ذلك الإبل التي استعملت أيضاً للركوب في الجهاد . ولكن نظراً لأهمية الخيل وقدراتها الحربية فقد رُفعت عنها الصدقة ، وأعفي صاحب الخيل من الزكاة ، فقد روي عن الرسول ﷺ قوله : «إن الله تجاوز لكم عن صدقة الخيل»(٣٠) .

لم ينته تحفيز المسلمين لاقتناء الخيل للجهاد عند هذا الحد ، أي بإعفائها من الزكاة ، بل إن الرسول ﷺ أوضح للمسلمين أنهم بارتباطهم للخيل يكسبون الأجر المعنوي ، أي الثواب من عند الله ، والأجر المادي أي الغنائم التي يحصلون عليها من أعدائهم ، فجاء الحديث الشريف في هذا المعنى : «الخيل معقود بنواصيها (أو في نواصيها) الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والمغنم»(٣١) .

وأتبع الرسول ﷺ القول بالعمل ، فجعل نصيبَ الفارس ثلاثة أضعاف الراجل ، أي الذي يقاتل على رجليه ، وهذا ماسنبحثه بتفصيل فيمايلي :

بداية تكوين قوة الفرسان الإسلامية ونصيب الفارس من الغنيمة

على الرغم من اقتناع الرسول ﷺ بأهمية الخيل ، وتشجيعه المسلمين لاقتنائها بفضل

---

(٢٨) النَّزو : الوثبان ، ويُنْزِي الحمر على الخيل أي يحملها عليها للنسل (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، **مرجع سابق** ، جـ **١٥** ، ص ٣١٩) .

(٢٩) أحمد بن حنبل ، **مرجع سابق** ، جـ **١** ، ص ١٠٠ ، ١٥٨ .

(٣٠) راجع : أحمد بن حنبل ، **المرجع السابق** ، ص ١٨ ، ٩٢ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ؛ القاسم بن سلام أبو عبيد ، **كتاب الأموال** ، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس ، (القاهرة : دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ، ص ص ٥٦٢ – ٥٦٣ ؛ يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف ، **كتاب الخراج** ، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ، (القاهرة ، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ، ص ص ١٦٩ – ١٧٠ ؛ وفي رواية عن أبي يوسف عن أبي حنيفة تقول إن في الخيل السائمة صدقة دينار في كل فرس ، والسائم : الذاهب على وجهه حيث شاء ، والسائمة : كل إبل ترسل ترعى ولا تعلف في الأصل ، وفي الغالب المقصود بالخيل السائمة هنا التي يتاجر فيها صاحبها ؛ انظر كذلك محمد بن عبد القادر الجزائري ، **مرجع سابق** ، ص ٢٩ .

(٣١) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي : **سنن الدارمي** ، جـ **٢** ، **كتاب الجهاد** ، (بيروت ؛ دار إحياء السنة النبوية ، د . ت) ، ص ٢١٢ ؛ ورد هذا الحديث بنفس المعنى ولكن بدون أن يذكر فيه لفظا «الأجر والمغنم» عند : مالك بن انس ، الموطأ ، **كتاب الجهاد** ، إعداد أحمد راتب عرموش ، (بيروت : دار النفائس ، ط ٨ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ص ٣١١ ؛ سليمان بن الأشعث أبو داود ، **سنن أبي داود** ، جـ **٣** **كتاب الجهاد** ، تحقيق محمد محي الدين (القاهرة : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٥٠م) ص ٢٢ ؛ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني بن حجر ، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، جـ **٦** **كتاب الجهاد** ، (بيروت : دار المعرفة ، د . ت) ، ص ص ٥٤ – ٥٦ .

ماسيجدونه من ورائها من حوافز معنوية ومادية ، إلا أن تحقيق هذا الهدف كان يواجه بعض المصاعب . فالمعروف أن اقتناء الفرس وإعداده إعداداً حربياً بكل مايحتاج إليه من سلاح وعدة ، والعناية به وبطعامه وشرابه أمر لايتهيأ إلا لشخص ميسور الحال لما يتكلفه ذلك من المال ، وحتى عند قريش ، التي كانت تتمتع بثراء واسع من تجارتها ، لم تكن الخيل إلا عند أهل القوة منهم(٣٢) .

أما المسلمون فقد كانوا في بداية حياتهم في المدينة في وضع مالي صعب لايمكنهم من تحقيق أحلامهم ، وكان المهاجرون الذين هاجروا من مكة إلى المدينة بصفة خاصة يعانون من الفقر الشديد لأنهم هاجروا من مكة هرباً بدينهم ، وتركوا كل أموالهم وممتلكاتهم هناك ، ومالمؤاخاة(٣٣) التي عقدها الرسول ﷺ بينهم وبين الأنصار إلا تنظيماً مالياً يقوم بمقتضاه الأنصار بمساعدة المهاجرين في سكنهم ومعيشتهم إلى أن تنتهي هذه الظروف الصعبة . ولذلك فإنه من الصعب على المهاجرين في مثل هذه الأوضاع أن يرتبطوا الخيل للجهاد .

أما الأنصار فعلى الرغم من أنهم كانوا في وضع اقتصادي أفضل ، وكانوا يمتلكون الديار والمزارع إلا أن اقتصادهم كان يقوم على الزراعة . ولذلك انحصرت المنافسة الداخلية بينهم على الأرض الزراعية ، وكانت كل حروبهم التي دارت بينهم قبل الإسلام بسبب هذه المشكلة(٣٤) واعتمدوا في معظم هذه الحروب على الحصون والآطام(٣٥) مما قلّل حاجتهم إلى الخيل ، ومما يؤكد قولنا هذا أنهم لم يقتنوا الخيل إلا في ظل الأمة الإسلامية كما سيتضح لنا ذلك من خلال الغزوات والسرايا التي خاضها الرسول ﷺ والمسلمون .

كانت أول خيل اشتركت في الجهاد فرسين(٣٦) لإثنين من المسلمين في غزوة بدر ، أحدهما

---

(٣٢) محمد بن عمر الواقدي ، **مرجع سابق** ، جـ ١ ، ص ٣٩ .

(٣٣) قامت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار على الحق والمؤاساه وأن يتوارثوا بعد الممات دون ذوي الأرحام ، واستمرت كذلك حتى ألغيت المواريث على المؤاخاة وردت إلى ذوي الأرحام بعد غزوة بدر [راجع : أبو عبد الله محمد بن سعد ، **مرجع سابق** ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ ؛ أبو جعفر محمد بن حبيب ، **كتاب المحبر** (بيروت : دار الآفاق الجديدة ، د . ت) ، ص ٧١] .

(٣٤) انظر : نور الدين أبو الحسن بن عبد الله السمهودي ، **كتاب وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** ، (القاهرة : مطبعة الآداب ، ١٣٢٦هـ) ، ص ١٣٦ و١٤٦ .

W.M. Watt, *Muhammed at Medina,* (oxford, clarendon press, 1956), p. 155;

Julius Wellhausen, *Skizzen und Vorarbeiten,* (Berlin: Heft IV, 1889), p21.

(٣٥) الآطامة : جمع أطمة وهو الحصن ، أما عن حروب الأوس والخزرج فقد تحدث عنها ابن الاثير في كتابه (عز الدين أبو الحسن علي ابن محمد بن الأثير ، **الكامل في التاريخ** ، جـ ١ ، (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ، ص ص ٦٥٥ - ٦٨٠) .

(٣٦) سمى ابن هشام (محمد بن عبد الملك بن هشام ، **مرجع سابق** ، جـ ١ ، ص ٦٦٦) للمسلمين يوم بدر ثلاثة أفراس ذكرها بأسمائها وهي : السَّبَل فرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وبَعْزجة (أو سَبْحة) للمقداد بن عمرو ، واليعْسوب فرس الزبير بن العوام . أما الواقدي (محمد بن عمر الواقدي ، **مرجع سابق** ، جـ ١ ، ص ٢٧) وابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ١٢ ، ٢٤) ، فعلى الرغم من انهما ذكرا الرواية التي تقول بوجود ثلاثة أفراس إلا أنهما رجحا وجود فرسين لمرثد والمقداد . انظرك كذلك : محمد بن جرير الطبري ، تاريخ .. ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ٤٧٨ .

لمرثد بن أبي مرثد الغنوي(٣٧) والفرس الآخر للمقداد بن عمرو البهراني(٣٨) ، حليف بني زهرة ، وكلاهما من المهاجرين . وعلى الرغم من أن قريشاً اشتركت في هذه المعركة بقوة كبرى تفوق كثيراً عدد جيش المسلمين ، وبخاصة خيالتهم التي كانت تضم مائة فارس ،إلا أن المسلمين استطاعوا أن يحققوا انتصاراً كبيراً كانت له نتائج إيجابية في تغيير أوضاعهم السياسية والاقتصادية والحربية . فإلى جانب الغنائم التي حصل عليها المسلمون في بدر(٣٩) ، فإن الأمر بارتباط الخيل وإعدادها للجهاد ، نزل ، كما سبق أن ذكرنا ، في سورة الأنفال ، بعد غزوة بدر .

وتقول إحدى الروايات إن الرسول ﷺ ، عندما قسم غنائم بدر ، أعطى الفارس سهمين والراجل سهماً ، وإنما كان يوم بدر مع المسلمين فرسان وسبعون بعيراً . ففي هذا دليل أنه يسهم للفرس دون غيره من البهائم ، وهذا لأن الارهاب الذي يحصل بالخيل لايحصل بغيره(٤٠) وبذلك يكون الرسول ﷺ قد وضع نظاما فضَّل بمقتضاه الفارس على الراجل ، وفي ذلك تشجيع للمسلمين لاقتناء الخيل وارتباطها للجهاد . ولكن يبدو أن هذا النظام لم يطبق تطبيقاً عملياً وثابتاً إلا بعد غزوة بني قُرَيظة في السنة الخامسة للهجرة ففي حديثه عن غزوة بني قريظة ذكر ابن هشام(٤١) أن الرسول ﷺ «أعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخُمُس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سَهمان ولفارسه سَهم ، وللراجل من ليس له فرس ، سهم ، وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرساً ، وكان أول فَيْءٍ وقعت فيه السّهمان وأخرج منها الخُمُس فعلى سنتها ومامضى من رسول الله ﷺ وقعت المقاسم ، ومضت السنة في المغازي» . والنص هنا صريح في تحديد بداية العمل بهذا النظام ، ويبدو أن هذه البداية ارتبطت بنمو عدد خيالة المسلمين ، فلأول مرة منذ نشأة الأمة الإسلامية يكون للمسلمين مثل هذا العدد من الخيل ، وهو ستة وثلاثون فرساً . أما

---

(٣٧) كان مرثد بن ابي مرثد الغنوي حليفا لحمزة بن عبد المطلب ، شهد بدرا وأحدا ، وقتل يوم الرجيع شهيدا ، وكان أميرا في هذه السرية . وذلك في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من مهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة (أبو عبد الله محمد بن سعد ، **مرجع سابق** ، **جـ ٣** ، ص ٤٨) .

(٣٨) كان المقداد بن عمرو من أوائل المسلمين وكبار الصحابة ، أسلم مبكرا وهاجر إلى المدينة واشترك مع الرسول ﷺ في جميع غزواته ، وقد روى أن «أول من عدا به فرسه في سبيل الله المقداد» ، وذلك في غزوة بدر . توفي المقداد في خلافة عثمان بن عفان سنة ٣٣ هـ وهو ابن سبعين سنة أو نحوها (أبو عبد الله محمد بن سعد ، **مرجع سابق** ، **جـ ٣** ، ص ص ١٦١ – ١٦٣) .

(٣٩) انفرد الواقدي (محمد بن عمر الواقدي ، **مرجع سابق** ، **جـ ١** ، ص ١٠٣) بذكر رواية تقول أن المسلمين غنموا من قريش يوم بدر عشرة أفراس ، ولكن يبدو انه من الصعب الأخذ بهذه الرواية لأن المسلمين حتى غزوة أحد سنة ٣هـ لم يكن لديهم أكثر من فرسين ، وإن كانوا قد غنموا هذه الخيل بالفعل ، فكان لابد أن يركبوها في غزوة أحد .

(٤٠) شمس الدين السرخسي ، **كتاب المبسوط** ، **جـ ١٠** ، (بيروت : دار المعرفة ، ط ٣ ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ، ص ١٩ ؛ محمد بن جرير الطبري ، جامع ... ، **مرجع سابق** ، **جـ ١٠** ، ص ٣٢ .

(٤١) محمد بن عبد الملك بن هشام ، **مرجع سابق** ، **جـ ٢** ، ص ٢٤٤ ، أيضا : أبو عبد الله محمد بن سعد ، **مرجع سابق** ، **جـ ٢** ، ص ٧٤ ؛ محمد بن جرير الطبري ، تاريخ ... ، **مرجع سابق** ، **جـ ٢** ، ص ٥٩١ .

في غزوة بدر فقد كان عدد الخيل اثنين وماجرى فيها من تفضيل أصحاب الخيل كان بغرض التشجيع ، خاصة إذا تذكرنا أنهما أعطيا سهمين ، بينما أصبح نصيب الفارس منذ غزوة بني قريظة ، وفي جميع الغزوات ثلاثة أسهم ، وقد ظهر هذا بصورة أوضح في غزوة خَيْبَر في بداية عام ٧هـ ، والتي ارتفع فيها عدد خيالة المسلمين إلى مائتي فارس(٤٢) ، وقد أجمع المؤرخون والعلماء (ماعدا أبي حنيفة) على أن الرسول ﷺ جعل للفارس يوم خيبر ثلاثة أسهم من الغنيمة وللرجل سهماً(٤٣) .
ففي هذا المعنى كتب الشيباني يقول : «وإذا أصاب المسلمون الغنائم فأحرزوها وأرادوا قسمتها فعلى قول أبي حنيفة يُعطَى الفارس سهمين ، سهماً له وسهماً لفرسه ، والراجل سهماً وقال : (أي أبو حنيفة) لا أجعل سهم الفرس أفضل من سهم الرجل المسلم ، وهو قول أهل العراق من أهل الكوفة والبصرة . وعلى قول أبي يوسف(٤٤) ومحمد (بن الحسن الشيباني) رحمهما الله ، للفارس ثلاثة أسهم : سهم له وسهمان لفرسه ، وهو قول أهل الحجاز وأهل الشام . قال محمد (بن الحسن الشيباني) : وليس في هذا تفضيل البهيمة على الآدمي ، فإن السهمين لايُعطَيان للفرس وإنما يُعطَيان للفارس ، فيكون في هذا تفضيل للفارس على الراجل ، وذلك ثابت بالإجماع . ثم هو يستحق أحد السهمين بالتزام مؤونة فرسه والقيام بتعاهده ، والسهم الآخر لقتاله على فرسه ، والسهم الثالث لقتاله ببدنه ، وقال : أرجح هذا القول»(٤٥) .

ويتفق مع الشيباني في هذا الرأي أيضاً ابن قدامه الذي قال : «ان أكثر أهل العلم على أن الغنيمة تقسم للفارس فيها ثلاثة أسهم ، سهم له وسهمان لفرسه وللراجل سهم ، واختلف أبو حنيفة مع جماعة العلماء فقال للفرس سهم واحد حيث أن الرسول ﷺ قسم خيبر على أهل الحديبية ، فأعطى الفارس سهمين ، وأعطى الراجل سهماً . وقياس الفرس على الآدمي غير صحيح ، لأن أثرها في الحرب أكثر ، وكلفتها أعظم ، فينبغي أن يكون سهمها أكثر ، إلا أن يكون

---

(٤٢) محمد بن عبد الملك بن هشام ، **المرجع السابق** ، ص ٣٥٠ ؛ محمد بن عمر الواقدي ، **مرجع سابق** ، جـ **٢** ، ص ٦٨٩ ؛ أبو عبد الله محمد بن سعد ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٧ ، ١١٠ ؛ في رواية أخرى يذكر ابن سعد (ص ١٠٥) انهم كانوا ثلاثمائة فارس ، أو (ص ١١٤) مائة فارس ، ولكن الرواية الأولى أكثر قبولا ، فعلى ذلك يتفق جميع المؤرخين .

(٤٣) اتفق على هذا جماعة العلماء ؛ انظر : ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ، **مرجع سابق** ، جـ **٢** ، ص ص ٢٢٥ – ٢٢٦ ؛ سليمان بن الأشعث أبو داود ، **مرجع سابق** ، جـ **٣** ، ص ص **٧٥ – ٧٦** ؛ **شهاب الدين أحمد ابن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني بن حجر** ، مرجع سابق ، جـ **٧ كتاب المغازي** ، ص ٤٨٤ ؛ جـ **٦ كتاب الجهاد** ، ص ٦٧ ؛ أحمد بن حنبل ، **مرجع سابق** ، جـ **٢** ، ص ٢ ، ٤١ ، ٧٢ ، ٨٠ ؛ جـ **٤** ، ص ١٣٨ ، ابو الحسين مسلم ابن الحجاج ، **الجامع الصحيح** ، جـ **٥ كتاب الجهاد والسير** ، (بيروت : دار الآفاق الجديدة ، د . ت) ص ١٥٦ ؛ مالك بن أنس ، **مرجع سابق** ، ص ٣٠٢ .

(٤٤) أبو يوسف ، هو يعقوب بن إبراهيم ، صاحب كتاب الخراج وقاضي قضاة الخليفة العباسي هارون الرشيد .

(٤٥) محمد بن الحسن الشيباني ، **شرح كتاب السير الكبير** ، جـ **٣** ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، (القاهرة : مطبعة مصر ، ١٩٦٠م) ، ص ص ٨٨٥ – ٨٨٦ .

فرسه هجيناً[٤٦] فيعطى سهماً له وسهماً لفرسه[٤٧] .

مهما يكن من أمر فإن غزوة خيبر شهدت تطوراً كبيراً في عدد خيل المسلمين ، وتأكيد حق الفارس في الحصول على ثلاثة أضعاف مايحصل عليه الراجل من الغنيمة . ولابد هنا أن نتساءل عن أسباب هذا التطور السريع في عدد خيل المسلمين في غزوة خيبر في بداية سنة ٧هـ ، بينما كان هذا العدد في غزوة بني قريظة في أواخر سنة ٥هـ ، أي قبل عام تقريباً ، لايتجاوز ستة وثلاثين فرساً ، بالقياس إلى الفترة مابين غزوة بدر في سنة ٢هـ إلى ماقبل غزوة بني قريظة في سنة ٥هـ حيث كان المسلمون يمتلكون عدداً قليلاً جداً من الخيول . ولعل أول هذه الأسباب ماحدث في غزوة أُحُد ، ففي هذه الغزوة لم يكن مع المسلمين سوى فرسين ، فرس للرسول ﷺ وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي ، بينما كانت قوة قريش من الفرسان تتكون من مائتي فرس[٤٩] ، وقد جعلت قريش قيادة

---

(٤٦) أوضح الشيباني (المرجع السابق ، ص ٨٩١) الفرق بين أنواع الخيل المختلفة فقال إن الفرس هو اسم للفرس العربي والبرذون للفرس الأعجمي (أي الفارسي الأصل) والهجين مايكون الفحل عربيا والأم من أفراس العجم ، والمعرف أن تكون الأم عربية والأب أعجمي (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، **مرجع سابق** ، جـ ٩ ، ص ٢٨١) . ولعله من المفيد أيضا أن نضيف هنا ماذكره ابن هشام (محمد بن عبد الملك بن هشام ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ ، أنه يوم خيبر عرّب رسول الله ﷺ العربي من الخيل وهجن الهجين . ويضيف الجزائري (محمد بن عبد القادر الجزائري ، **مرجع سابق** ، ص ٣٢) أنه جعل للعربي سهمين وللهجين سهما . وعن أبي موسى أنه كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنا وجدنا بالعراق خيلا عراضا دكا فماترى يأمير المؤمنين في سهمانها ؛ فكتب له : تلك البراذين ، فما قارب منها العتاق (أي الخيول العربية الأصيلة) فاجعل له سهما واحدا والغ ماسوى ذلك . كذلك قال مالك (مالك بن أنس ، **مرجع سابق** ، ص ٣٠٣) : لا أرى البراذين والهجن (جمع هجين) إلا من الخيل ، لأن الله تبارك وتعالى قال في كتابه (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) ، فأنا أرى البراذين والهجن من الخيل إذا أجازها الوالي .. «انتهى كلام مالك» . والحقيقة إن الإنسان يشك في وجود براذين في غزوة خيبر أسهم لها الرسول ﷺ ، بدليل أن أباموسى عندما فتح المسلمون العراق ووجدوا هذا النوع من الخيل أشكل عليه الأمر ولم يدر أيسهم لها أم لا ، مما جعله يكتب في ذلك للخليفة عمر بن الخطاب . (انظر أيضا : محمد بن عمر الواقدي ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ص ٦٨٨ - ٦٨٩) . كذلك جاء في كتاب المعاني الكبير لأبن قتيبة (ابن قتيبة الدينوري ، **مرجع سابق** ، ص ١٢٨) مايلي :

« ... روى أن عمر بن الخطاب رحمه الله لما شك في العتاق والهجن دعا سلمان بن ربيعة الباهلي بطست من ماء فوضعت بالأرض ثم قدم الخيل فرسا فرسا فما ثنى منها سنبكه فشرب جعله هجينا وماشرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا وذلك لأن في أعناق الهجن قصرا فهي لاتنال الماء على تلك الحال حتى تثني سنابكها وأعناق العتاق طوال» .

انظر كذلك : نوري حمودي القيسي ، **مرجع سابق** ، ص ص ٣٨٣ - ٣٨٤ . وفي رواية أخرى عن أبي قتيبة (أبي قتيبة الدينوري ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٢٨ - ١٢٩) أن «أول من عرّب العراب وحل من وادعة همدان ، أغارت الخيل فصبحت العدو وأبطأت الكوادن فجاءت ضحى ، فأسهم العراب وترك الكوادن وكتب إلى عمر بذلك فقال عمر : هبلت الوادعي أمه ، لقد أذكرني أمرا كنت نسيته ، وكتب إليه أن يَمْمِ ماصنعت .

(٤٧) موفق الدين أبو عبد الله أحمد بن محمد بن قدامى ، **المغني** ، جـ ٨ (الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص . ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .

(٤٨) محمد بن عمر الواقدي ، **مرجع سابق** ، جـ ١ ، ص ٢١٥ ؛ أبو عبد الله محمد بن سعد ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ٣٩ ؛ محمد بن جرير الطبري ، تاريخ ... ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ص ٥٠٤ - ٥٠٥ .

(٤٩) محمد بن عبد الملك بن هشام ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ٦٦ ؛ محمد بن عمر الواقدي ، **المرجع السابق** ، ص ٢٠٦ ؛ أبو عبد الله محمد بن سعد ، **المرجع السابق** ، ص ٣٧ ؛ محمد بن جرير الطبري ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

خيالتها لخالد بن الوليد ، وعكرمة ابن أبي جهل(٥٠) وحاول الرسول ﷺ أن يَحدَّ من خطورة خيالة قريش فوضع الرماة خلف المسلمين وقال لقائدهم عبد الله بن جبير : «انضحْ عنّا الخيلَ بالنَّبل فلا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، واثبت مكانك لانُؤتَيَنّ من قِبَلِكَ»(٥١) غير أن غالبية الرماة خالفوا أوامر الرسول ﷺ وتركوا مكانهم في الجبل جرياً وراء الغنائم مما أعطى خيّالة المشركين الفرصة لأن توجه للمسلمين ضربة موجعة من الخلف ، مما كان له أكبر الأثر في استعدادات المسلمين لمواجهة قريش بنفس السلاح ، ففي الغزوة التي تلت ذلك وهي بدر الموعد في سنة ٤هـ كان مع المسلمين عشرة أفراس(٥٢) . وفي غزوة المريسيع في سنة ٥هـ ارتفع هذا العدد إلى ثلاثين فرساً(٥٣) ثم إلى ست وثلاثين فرساً في غزوتي الخندق وبني قريظة ، من نفس العام .

وبعد الانتهاء من غزوة بني قريظة بعث الرسول ﷺ سعد ابن زيد الأنصاري ، أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً(٥٤) ولاشك أن هذا كان سبباً آخر لارتفاع عدد خيالة المسلمين إلى مائتين في غزوة خيبر كما ذكرنا من قبل . أضف إلى ذلك أن الرسول ﷺ حرص أن تكون تلك الخيل من نجد لجودتها وصفاتها الحميدة التي سبق أن تحدثنا عنها في بداية بحثنا هذا .

محاولة بعض المسلمين تحقيق أكبر قدر من الغنائم

كان للنظام الذي وضعه الرسول ﷺ بتخصيص ثلاثة أسهم من الغنيمة للفارس أثره الذي تمثل في محاولة بعض المسلمين بتحقيق أكبر قدر من الغنائم ، وذلك باصطحاب أكثر من فرس إلى ميدان القتال ، ويبدو أن رغبة الرسول ﷺ في استزادة أعداد الخيل جعلته في بعض الأحيان يسهم للشخص الذي يصطحب معه فرساً آخر أربعة أسهم لفرسيه ، وسهماً له ، وبذلك يرتفع نصيبه من الغنائم إلى خمسة أضعاف الراجل ، ويبدو أن ذلك أغرى الكثيرين باصطحاب أكبر عدد ممكن من الخيل ، ولكن الرسول ﷺ كان لايسهم للرجل فوق فرسين ، كما ذكر ابن قدامة(٥٥) . ولكن يبدو

---

(٥٠) محمد بن عبد الملك بن هشام ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة ؛ محمد بن عمر الواقدي ، **المرجع السابق** ، ص ٢٣٢ ؛ أبو عبد الله محمد بن سعد ، **المرجع السابق** ، ص ص ٤١ - ٤٢ ؛ محمد بن جرير الطبري ، **المرجع السابق** ، ص ٥٠٧ .

(٥١) محمد بن جرير الطبري ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(٥٢) أبو عبد الله محمد بن سعد ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ٥٩ .

(٥٣) **المرجع السابق** ، ص ٦٣ .

(٥٤) محمد بن عبد الملك بن هشام ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ٢٤٥ ؛ محمد بن جرير الطبري ، تاريخ .. ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ص ٥٩١ - ٥٩٢ .

(٥٥) موفق الدين أبو عبد الله أحمد بن محمد بن قدامة ، **مرجع سابق** ، جـ ٨ ، ص ٤٠٧ .

أن هذا لم يحدث أيضا ، وإن حدث ففي حالات خاصة ، لأن العلماء والمحدثين اتفقوا على أن الرسول ﷺ لم يكن يسهم لأكثر من فرس واحد(٥٦) .

مهما يكن من أمر فإن جعل نصيب الفارس ثلاثة أسهم كان كفيلاً بأن يؤدي إلى ارتفاع أعداد الخيل بصورة سريعة ومذهلة في الغزوات التي تلت غزوة خيبر ، وهي غزوة فتح مكة في سنة ٨هـ وغزوة تبوك في سنة ٩هـ ، على النحو التالي :

فتح مكة

كان عدد خيول المهاجرين والأنصار وحدهم دون سواهم ، ثمانيمائة فرس في هذه الغزوة ، منها ثلاثمائة للمهاجرين وخمسمائة للأنصار . أما القبائل الأخرى فقد كان لبني مزينة مائة فرس ، ولأسلم ثلاثون فرساً ، ولجهينة خمسون فرساً ، ولبني سليم تسعمائة فرس ، وكان الأخيرون جميعهم فرساناً(٥٧) .

ورغم أن المصادر لاتمدنا بأعداد خيل جميع القبائل العربية التي اشتركت في فتح مكة ، إلا أن الإنسان يتوقع أن تكون عدة آلاف بالقياس إلى عدد المشتركين في فتح مكة ، وهو عشرة آلاف .

ومع أن المسلمين لم يحصلوا على غنائم عند فتحهم لمكة ، إلا أن الرسول ﷺ ، أراد أن يؤكد مرة أخرى التمسك بإعطاء الفارس ثلاثة أسهم من الغنيمة ، أو لعله أراد بذلك أن يغري خيالة قريش للانضمام للجهاد مع المسلمين ، فقد روي ابن سعد أن الرسول ﷺ لما دخل مكة جاء الزبير والمقداد بفرسيهما فقام رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجوههما بثوبه وقال : إني جعلت للفرس سهمين وللفارس سهما ، فمن نقصهما نقصه الله»(٥٨) .

غزوة تبوك

أما في غزوة تبوك فقد بلغ عدد الخيل قمة ارتفاعه في عهد الرسول ﷺ ، فقد اشترك في هذه الغزوة عشرة آلاف فارس ، بينما كان عدد المشتركين في غزوة تبوك جميعهم ثلاثين ألفاً(٥٩) . وكان

---

(٥٦) محمد بن عمر الواقدي ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ٦٨٨ ؛ **مالك بن أنس** ، **مرجع سابق** ، ص ٣٠٣ ؛ أبو الحسين مسلم ابن الحجاج ، **مرجع سابق** ، جـ ٥ . كتاب الجهاد والسيرة ، ص ١٥٦ ؛ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني بن حجر ، **مرجع سابق** ، جـ ٦ كتاب الجهاد ، ص ٦٧ ؛ موفق الدين أبو عبد الله أحمد بن محمد بن قدامة ، **مرجع سابق** ، ص ٤٠٧ .

(٥٧) محمد بن عمر الواقدي ، **المرجع السابق** ، ص ٨٠٠ ، ص ص ٨١٢ - ٨١٣ .

(٥٨) أبو عبد الله محمد بن سعد ، **مرجع سابق** ، جـ ٣ ، ص ١٠٤ .

(٥٩) محمد بن عمر الواقدي ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ ؛ أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر ، **تاريخ مدينة دمشق** ، جـ ٢ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، (دمشق : المجمع العلمي العراقي ، ١٣٧١هـ/١٩٥١م) ، ص ٤١٦ .

الغالبية منهم من القبائل العربية التي انضمت حديثاً إلى الأمة الإسلامية ، وكانت هذه أول مرة يظهر فيها جيش للمسلمين بمثل هذا العدد من الفرسان والرجال في هذه الجهات التي كانت توالي دولة الروم البيزنطيين في الشام ، ولاشك أنهم هم الذين أشارت إليهم الآية الكريمة : ﴿ وَأَعِدّوا لهم مااستطعتم من قوةٍ ومن رِباط الخيل تُرهبون به عدوَّ الله وعدوَّكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلَمُهم ﴾(٦٠) .

وقد كانت غزوة تبوك آخر غزوة قادها الرسول ﷺ بنفسه إلى تلك الجهة ، وقد مهد بها الطريق أمام خلفائه لتوجيه الجيوش لفتح تلك البلاد ونشر الدعوة الإسلامية ، وسنرى فيما بعد كيف لَعِبتْ خيل المسلمين دوراً بارزاً في هذه الفتوحات .

ترتيبات أخرى مرتبطة بالخيل

أولى هذه الترتيبات كان اتخاذ الرسول ﷺ حِمَى النَّقيع(٦١) مرعى ترعى فيه خيول المسلمين المرتبطة للجهاد دون سواها من البهائم ، أي أنه يحظر فيه الرعي لغير هذه الخيول ، وفي ذلك فائدتان ، أولاً ضمان وجود الكلأ الكافي لخيل الجهاد ، ومن جهة أخرى فإن وجود هذه الخيول في مكان واحد يجعلها في حالة استعداد مستمر عند الحاجة إليها للجهاد ، وقد روي عن الرسول ﷺ قوله : «حمى النقيع نعم مرتع الأفراس يُحْمى لهن ويجاهَدُ بهن في سبيل الله»(٦٢) وقد استمر هذا النظام معمولاً به طيلة عهد الخلفاء الراشدين .

شعار الخيل

كان من عادة الرسول ﷺ أن يتخذ شعاراً للحرب والقتال في كل غزواته وسراياه التي

---

(٦٠) لعل المقصود بقوله تعالى «وآخرين من دونهم ..» الروم أيضا لأن إحدى الروايات (محمد بن جرير الطبري ، جامع .. ، **جـ ١٠** ، ص ٣١) تقول إن الفرس هم المقصودون بذلك ، وطالما أن دولة الروم ومن جاورها من قبائل الشام كانت معادية للمسلمين ، فلا مانع من أن يؤخذ هذا عليهم بالقياس أيضا ، خاصة وقد أفزعهم دنو الرسول ﷺ منهم في غزوة تبوك (انظر : محمد بن عمر الواقدي ، **المرجع السابق** ، ص ١٠١٩) ، هذا ومن جهة أخرى فقد ذكر (محمد بن جرير القرطبي ، **مرجع سابق** ، **جـ ٤** ، ص ٣٨) في إحدى الروايات صراحة بأن المراد بذلك فارس والروم .

(٦١) انظر : أحمد بن حنبل ، **مرجع سابق** ، **جـ ٢** ، ص ص ١٥٥ - ١٥٧ ؛ القاسم بن سلام أبو عبيد ، **مرجع سابق** ، **ط ٢** ، ص ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، أما النقيع فهو ، كما ذكر [ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، **جـ ٥** (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ص ص ٣٠١ - ٣٠٢] ، موضع قرب المدينة كان الرسول ﷺ حماه لخيله ، وله هناك مسجد يقال له مُقَمَّل وهو من ديار مزينة ، وبين النقيع والمدينة عشرون فرسخا ، وقد ذكر ياقوت أن هذا غير نقيع الخضمات الذي حماه الخليفة عمر بن الخطاب لخيل المسلمين ، وسنعود للحديث عنه في حينه .

(٦٢) ياقوت الحموي ، **المرجع السابق** ، ص ٣٠٢ .

يبعثها ، فمثلاً كان شعارهم يوم بدر «أَحدٌ أَحَد»[٦٣] ، وكان شعارهم يوم أُحُد «أَمِتْ أَمِتْ»[٦٤] أما في غزوتي الخندق وبني قريظة فقد كان شعارهم «حمّ ، لايُنْصَرون»[٦٥] ، وفي غزوة المريسيع كان شعارهم : «يامنصور ، أَمِتْ أَمِتْ»[٦٦] ، وهكذا .

أما الخيل فقد اتخذ الرسول ﷺ لها شعاراً أيضاً ، فقد ذكر ابن سعد أنه في سنة ٦هـ أغار بعض الأعراب على سرح الرسول ﷺ فجاء الصريخ فنادي : الفزع الفزع[٦٧] ، فنودي : «ياخيل الله اركبي» وكان أول مانودي بها[٦٨] .

خيل الرسول ﷺ

كان للرسول ﷺ خيله الخاصة به ، والتي كانت لاستعماله الخاص في غزواته ، وقد كان أول فرس ملكه رسول الله ﷺ ، فرساً ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فزارة بعشر أواق[٦٩] ، وكان اسمه عند الأعرابي «الضَّرِس» ، فسماه رسول الله ﷺ «السَّكْبْ» ، فكان أول ماغزا عليه أُحُداً ليس مع المسلمين يومئذ فرس غيره ، وفرس لأبي بردة بن نيار يقال له «مُلاوِح» . وكان السَّكب أغرُّ مُحجلاً طلق اليمين[٧٠] . وكان للرسول ﷺ أيضاً فرس يدعى «المُرْتَجِز» ، وإنما سُمِّي المرتجز لحسن صهيله[٧١] . وكان للرسول ﷺ ثلاثة أفراس أخرى هي «لِزَار» ، و «الظَّرِب» و «اللَّحيف» فأما لزار فأهداه له المقوقس (عظيم القبط بمصر) ، و أما اللحيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء .. وأما «الظَّرِب» فأهداه له فروة بن عمير الجذامي ، وأهدى تميم الداري لرسول الله ﷺ

---

(٦٣) محمد بن عبد الملك بن هشام ، **مرجع سابق** ، **جـ ١** ، ص ٦٣٤ .

(٦٤) **المرجع السابق** ، **جـ ٢** ، ص ٦٨ .

(٦٥) **المرجع السابق** ، ص ٢٢٦ .

(٦٦) **المرجع السابق** ، ص ٢٩٤ .

(٦٧) الفزع هو الإغاثة (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، **مرجع سابق** ، **جـ ٨** ، ص ٢٥٢ .

(٦٨) أبو عبد الله محمد بن سعد ، **مرجع سابق** ، **جـ ٢** ، ص ٨٠ ؛ انظر كذلك سليمان بن الأشعث أبو داود ، كتاب الجهاد ، **مرجع سابق** ، **جـ ٣** ، ص ص ٢٥ - ٢٦ ؛ انظر كذلك : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، **مرجع سابق** ، **جـ ١١** ، ص ٢٣١ . وقد ذكر أن المراد بقوله : «ياخيل الله اركبي» «يافرسان خيل الله اركبي» على حذف المضاف ، وهو من أحسن المجازات وألطفها .

(٦٩) الأواق ، جمع أوقية وهي زنة سبعة مثاقيل ، وقيل زنة أربعين درهما ، (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، **مرجع سابق** ، **جـ ١٠** ، ص ١٢ ؛ انظر (محمد بن كامل الصاحبي الناجي ، **الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام** ، تحقيق حاتم صالح الضامن (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .) ، ص ٤٧ .

(٧٠) أبو عبد الله محمد بن سعد ، **مرجع سابق** ، **جـ ١** ، ص ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٧١) أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي ، **كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها** ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد (مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ص ص ٧٩ - ٨٠ .

فرساً يقال له «الورد»(٧٢) ، وذكر الطبري أن للرسول ﷺ فرساً يقال له «اليَعْسوب»(٧٣) ، وقد أضاف ابن الأعرابي فرساً آخر للرسول ﷺ يقال له «ذو اللّمة»(٧٤) وبذلك يكون عدد الخيل التي كان يمتلكها الرسول ﷺ ثمانية أفراس .

ملخص عدد الخيول في الغزوات والسرايا في عهد الرسول ﷺ

عدد	الغزوة/السرية	السنة	عدد الخيل	المصـــادر
١	بدر	٢ هـ	٢ - ٣	ابن سعد : الجزء ب صفحة ١٢ ، ٢٤ ، ابن هشام : ٦٦٦/١ .
٢	أُحُد	٣ هـ	٢	ابن سعد : ٩٣/٢ ؛ ابن هشام : ٦٦/٢
٣	بدر الموعد	٤ هـ	١٠	ابن سعد : ٥٩/٢
٤	المريسيع	٥ هـ	٣٠	ابن سعد : ٦٣/٢
٥	الخنـدق	٥ هـ	٣٦	ابن هشام : ٢٤٤/٢
٦	قريظة	٥ هـ	٣٦	ابن سعيد : ٧٤/٢ ؛ ابن هشام : ٢٤٤/٢
٧	بنو لحيان	٦ هـ	٢٠	ابن سعد : ٧٩/٢
٨	الحديبية	٦ هـ	٢٠	ابن سعد : ٩٥/٢
٩	خيبر	٧ هـ	٢٠٠-٣٠٠	ابن سعد : ١٠٥/٢ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ابن هشام : ٣٥٠/٢ .
١٠	العمـرة	٧ هـ	١٠٠	ابن سعد : ١٢١/٢
١١	ذات السلاسل (سرية)	٨ هـ	٣٠	ابن سعد : ١٣١/٢
١٢	فتح مكة	٨ هـ	١٨٨٠	(٨٠٠ للمهاجرين والأنصار فقط) الواقدي : ٨٠٠/٢ ، ٨١٢
١٣	تبـوك	٩ هـ	١٠,٠٠٠	ابن سعد : ١٦٦/٢ .
١٤	اليمن (سرية)	١٠هـ	٣٠٠	أول خيل دخلت إلى تلك البلاد (ابن سعد : ١٦٩/٢) .

عهد الخليفة أبي بكر الصديق

استفاد الخليفة أبو بكر من قوة الفرسان التي كونها الرسول ﷺ في تثبيت دعائم الأمة الإسلامية بعد أن كادت تعصف بها الفتن الداخلية المتمثلة في ردة معظم القبائل العربية وخروجها عن طاعة الأمة الإسلامية . وبعد أن تم القضاء على المرتدين بدأ الخليفة أبو بكر في توجيه تلك القوة نحو العراق والشام لفتح تلك البلاد ونشر الدعوة الإسلامية . وكان أول عمل حربي اشتركت فيه

---

(٧٢) أبو عبد الله محمد بن سعد ، **مرجع سابق** ، جـ ١ ، ص ٤٩٠ ؛ محمد بن جرير الطبري ، تاريخ ... ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٧٣ - ١٧٤ ؛ محمد بن كامل الصاحبي التاجي ، **مرجع سابق** ، ص ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ .

(٧٣) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ ... ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٧٤) أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي ، **مرجع سابق** ، ص ص ٧٩ - ٨٠ ؛ أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ، **مرجع سابق** ، ص ٣٠ ، ذكر أن «ذو اللمة فرس عكاشة بن محصن الأسدي ، ربما أعطاه له النبي ﷺ ، كذلك ذكر محمد بن كامل الصاحبي التاجي ، **مرجع سابق** ، ص ص ٦٣ - ٦٦ ، اسم فرسين آخرين نسبهما للرسول ﷺ ، هما المقدام ، والنجيب .

خيالة المسلمين في عهد أبي بكر حملة أسامة بن زيد إلى مُؤْتة(٧٥) ، وهي الحملة التي كان الرسول ﷺ قد أعدها قبل وفاته ، ولكن المَنية عاجلته قبل إنفاذها ، فأنفذها أبو بكر ، وكان جيش أسامة يتكون من ثلاثة آلاف رجل معهم ألف فرس(٧٦) . ولاشك أن ظهور هذه القوة من الرجال والخيل في تلك الجهات بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة أثبت لأعداء الإسلام أن المسلمين لم يضعفوا بوفاته .

وكان للانتصار الذي حققه أسامة في مؤتة أثر كبير في رفع الروح المعنوية للمسلمين فتصدوا لقتال المرتدين بقوة وحزم ، وقد ساعدت الخيل المسلمين في سرعة تحركهم وانقضاضهم على أعدائهم ، وقد اشتهر من القادة في هذه المرحلة خالد بن الوليد الذي كان له دور كبير في القضاء على الفتن ، وبخاصة فتنة بني حنيفة في اليمامة بقيادة مُسَيْلِمَة الكذّاب . بعد ذلك أمر أبو بكر خالد ابن الوليد أن يتوجه إلى العراق ، وهناك أيضاً استطاع خالد بفضل الخيل التي كانت معه أن يحقق انتصارات حاسمة وسريعة . ومع أن المصادر لاتمدنا بالأرقام التي توضح أعداد خيل المسلمين في فتوحات العراق في هذه المرحلة المبكرة ، إلا أنها في الغالب كانت قوة لايستهان بها . ففي هذه الأثناء كان المسلمون أيضاً يقاتلون الروم في الشام ، وأراد أبو بكر أن يمدهم بالمزيد من القوات فكتب إلى خالد بن الوليد في العراق : «أن انصرف بثلاثة آلاف فارس فأمدَّ إخوانك بالشام والعجلَ العجلَ»(٧٧) ولا بد أن يكون خالد قد ترك مجموعة من الفرسان ليحافظوا على مكتسبات المسلمين في العراق .

وكان لفِرَق الخيالة الإسلامية دور بارز في الانتصار الذي حققه المسلمون في معركة اليرموك التي وقعت بين المسلمين والروم في سنة ١٣هـ بعد مجيء خالد بن الوليد إلى هناك(٧٨) والمعروف أن أبا بكر توفي أثناء هذه المعركة وتولي الخلافة من بعده عمر بن الخطاب .

تنظيمات أبي بكر الخاصة بالخيل

سار الخليفة أبو بكر على نفس السياسة التي اختطها الرسول ﷺ في الاهتمام بالخيل ، وتشجيع المسلمين لارتباطها للجهاد . فمن ذلك أنه أبقى على حق الفارس في الحصول على ثلاثة أسهم من الغنيمة(٧٩) . واتخذ الخليفة أبو بكر أيضاً إجراءً آخر يوفر بمقتضاه الخيل والسلاح لمن يريد

---

(٧٥) مؤتة ، قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ، وقيل مؤتة من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف (ياقوت الحموي ، **مرجع سابق ، جـ ٥**) ، ص ٢٢٠ .

(٧٦) أبو القاسم علي بن الحسن ، **مرجع سابق ، جـ ١** ، ص ٤٣٨ .

(٧٧) **المرجع السابق** ، ص ٤٦٠ .

(٧٨) **المرجع السابق** ، ص ٤٩٨ ؛ ذكر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ ... ، **جـ ٣** ، **مرجع سابق** ، ص ٣٩٤ ، أن فرسان الروم يوم اليرموك كانوا ٨٠ ألف فارس .

(٧٩) أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر ، **مرجع سابق** ، ص ٤٣٩ .

أن يجاهد من المسلمين ولايملك فرساً أو سلاحاً ، وذلك أنه ، وبمشورة الصحابة ، جعل سهم ذوي القربى في الخيل والسلاح[٨٠] ، أي أنه أصبح بوجه الخُمُس لشراء الخيل والسلاح ، وكان هذا الخُمُسُ من كل غنيمة يجعل للرسول ﷺ يتصرف فيه كيفما شاء ، وفقاً لما جاء في القرآن الكريم ﴿ واعلموا أنّما غَنِمتم من شيءٍ فإنّ لله خُمُسَهُ وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾[٨١] .

وكان لابد من إيجاد المرعى المناسب لخيول المسلمين بعد أن كثرت وازدادت أعدادها ، لذلك حمى الخليفة أبو بكر الأبرق[٨٢] ، وهو المعروف بأبرق الربذة[٨٣] ، لخيول المسلمين ، وترك سائر بلاد الربذة للناس ، ثم عاد وحماها كلها لأنعام الصدقة بسبب قتال وقع بين الناس وأصحاب الصدقات[٨٤] ، أي المشرفين على جمع الصدقات .

عهد الخليفة عمر بن الخطاب

شهد عهد الخليفة عمر بن الخطاب قمة حركة الفتح الإسلامي حيث اكتمل في عهده فتح العراق وفارس والشام ومصر . وقد لعبت خيل المسلمين وفرسانهم دوراً بارزاً في هذه الفتوحات ، الشيء الذي يلمسه الإنسان من بعض الأخبار المتفرقة عن هذا الدور أو أنصبة الفرسان من الغنائم ، وإنه لمن المؤسف هنا أيضاً أننا لانجد في المصادر إحصاءات أو أرقاماً تبين أعداد هذه الخيل إلا في حالات قليلة ، ولكنها مع ذلك تعطينا فكرة عن مدى مساهمة الخيل في حركة الفتح الإسلامي .

تولى عمر بن الخطاب الخلافة في الوقت الذي كان المسلمون فيه يقفون على أبواب معركة اليرموك الحاسمة . وبعد أن انتصر المسلمون في هذه المعركة أرجع الخليفة عمر الجيش الذي جاء به خالد بن الوليد مدداً لجند الشام من العراق إلى هناك . ولكنها لم تكن المرة الأخيرة التي تساعد فيها مجموعات من خيالة المسلمين الموجودة في العراق في فتح مدن الشام ، فقد ذكر الطبري أن عمر (بن الخطاب) كان قد اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة .. فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس ، فلما وقع الخبر لعمر كتب إلى سعد بن مالك (الذي كان على جيش العراق) : أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرِّحْهُم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى

(٨٠) شمس الدين السرخسي ، **مرجع سابق** ، جـ **١٠** ، ص ١٤ ؛ محمد بن جرير الطبري ، جامع .. ، **مرجع سابق** ، جـ **١٠** ، ص ٧ .

(٨١) سورة الأنفال ، الآية ٤١ .

(٨٢) الأبرق ، موضع كانت به وقعة بين أهل الردة وأبي بكر الصديق ، كان من منازل بني ذبيان فغلبهم عليه أبو بكر لما ارتدوا وجعله حمى لخيول المسلمين (ياقوت الحموي ، **مرجع سابق** ، جـ **١** ، ص ٦٨) .

(٨٣) الربذة ، من قرى المدينة على ثلاثة أيام على طريق الحجاز (ياقوت الحموي ، **المرجع السابق** ، جـ **٣** ، ص ٢٤) .

(٨٤) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ .. ، **مرجع سابق** ، جـ **٣** ، ص ٢٤٨ .

حمص ، فإن أبا عبيدة (بن الجراح) قد أحيط به»(٨٥) . وبذلك تكون الخيل قد ساعدت على سرعة تحرك المسلمين مابين العراق والشام متى ماظهرت الحاجة إلى إمداد الجيوش الفاتحة هنا أو هناك .

أما في جبهة العراق فقد كان لخيل المسلمين تجربة جديدة ومثيرة مع الأفيال التي استعملها الفُرْس في حربهم ضد المسلمين . ففي موقعة الجسر(٨٦) مثلاً ، «عندما نظرت الخيول إلى الفِيَلَة عليها النحل والخيل عليها التجافيف(٨٧) رأت شيئا منكراً لم تكن رأت مثله ، فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم عليهم خيولهم ، وإذا حملت الفُرْس على المسلمين بالفيلة والجلاجل(٨٨) فرقت خيولهم وكراديسهم(٨٩) ورموهم بالنشاب» ، وقد استشهد أربعة آلاف من المسلمين في هذه المعركة(٩٠) .

وفي معركة القادسية سنة ١٤هـ واجه المسلمون أيضاً بعض المشاكل من الفيلة التي كان يركبها بعض الفرس في قتالهم ، ولكن المسلمين استطاعوا أن ينتصروا في هذه المعركة انتصاراً حاسماً اندفعوا بعده بجيش يتكون كله من الفرسان نحو عاصمة الفرس فاستولوا أولاً على مدينة بهرسير(٩١) ثم عَبَروا نهر دجلة بخيولهم إلى الجانب الشرقي ، فاستولوا على المدائن عاصمة دولة الفرس ، وكانوا جميعهم فرساناً ليس فيهم راجل(٩٢) ، وقد أصاب المسلمون بعد الاستيلاء على المدائن غنائم كثيرة حتى بلغ سهم الفارس اثني عشر ألف درهم(٩٣) أما في يوم نهاوند ، الذي أعقب ذلك في سنة

---

(٨٥) **المرجع السابق ، جـ ٤** ، ص ص ٥١ – ٥٢ .

(٨٦) كانت في شعبان سنة ١٣هـ .

(٨٧) النحل نوع من الحلي ، أما التجافيف فواحدها تجفاف ، وهي من آلات الحرب توضع على الفرس يتقي بها كالدرع للإنسان (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، **مرجع سابق ، جـ ١١** ، ص ٦٥٣ و جـ ٩ ، ص ٣٠) .

(٨٨) الجلاجل ، جمع جلجل ، وهو الجرس الصغير الذي يعلق في أعناق الدواب وغيرها (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، **المرجع السابق** ، ص ١٢٢) .

(٨٩) ورد لفظ كردوس (الجمع كراديس) ، محمد بن جرير الطبري ، تاريخ .. ، **مرجع سابق ، جـ ٣** ، ص ص ٣٩٦ – ٣٩٧ ، في حديثه عن معركة اليرموك التي خاضها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ضد الروم ، فذكر الطبري أن خالدا «اخرج في تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك ، فخرج في ستة وثلاثين كردوساً إلى أربعين ، وقال : «إن عدوكم قد كثر وطغى وليس في التعبية تعبية أكثر في رأي العين من الكراديس» ، وقد فسر (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، **مرجع سابق ، جـ ٦** ، ص ١٩٥) ، لفظ كردوس بقوله : هو الخيل العظيمة ، وقيل القطعة من الخيل العظيمة» ، ولكن لعله من الطريف أن نضيف هنا التعريف الذي أورده محمود شيت خطاب في بحثه بعنوان : «جيش الروم أيام الفتح الإسلامي» ، (**مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٢١** ، ص ١٣٥) ، فقد ذكر أن «الكراديس جمع كردوس وهي كلمة يونانية معربة استعملها العرب ومعناها : ألف جندي ، والكردوس يشابه الوحدة في التنظيم الحديث» .

(٩٠) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ .. ، **مرجع سابق** ، ص ٤٥٦ ؛ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الاثير ، **مرجع سابق ، جـ ٢** ، ص ص **٤٣٨ – ٤٤٠** .

(٩١) انظر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ .. ، **مرجع سابق ، جـ ٤** ، ص ص ٥ – ٨ ؛ بهرسير كانت تشكل مايعرف بالمدينة الدنيا من عاصمة الفرس المدائن ، وكانت على الجانب الغربي لنهر دجلة بينما كانت المدائن القصوى التي فيها قصر كسرى في الجهة الشرقية من دجلة (محمد بن جرير الطبري ، **المرجع السابق** ، ص ٨) .

(٩٢) **المرجع السابق** ، ص ٢٠ .

(٩٣) **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

٢١هـ ، فقد كان سهم الفارس ستة آلاف درهم(٩٤) ، وأصبحت هذه الغنائم حافزاً كبيراً لكثير من القبائل العربية للاشتراك في الجهاد بخيلها حتى بلغت خيل المسلمين أقصى بلاد فارس شمالاً وبلاد الشام ، وأقصى أرض مصر جنوباً(٩٥) .

ترتيبات الخليفة عمر الخاصة بالخيل

كما فعل الرسول ﷺ وأبو بكر من بعده ، اهتم أيضاً الخليفة عمر بخيل المسلمين ، ووفّر لها المرعى المناسب ، فحمى لها النَّقيع المعروف بنقيع الخضمات ، وهو من أودية الحجاز يدفع سيله إلى المدينة(٩٦) ، ويقال إنه غير النَّقيع الذي حماه الرسول ﷺ لخيله بالقرب من المدينة ، كما سبق ذكره . ولعل الخليفة عمر اختار مكاناً أوسع للخيل لازدياد أعدادها ، وكانت هذه الخيل يشتريها الخليفة من مال الخُمُس ويحبسها في سبيل الله ، ويحمل عليها من يريد أن يقاتل كفارس ، وليست لديه المقدرة على اقتناء فرس ، فكانت الدولة تعيره الفرس الذي يقاتل عليه ، ويكون «سهما الفرس الحبيس لمن غزا عليه»(٩٧) أي أن الفارس يحصل على السهمين الخاصين بالفرس وسهمه على أن يظل الفرس ملكاً للدولة ، ولذلك كان الخليفة عمر بن الخطاب يَسِمْ (أي يعلم) هذه الخيل في أفخاذها بعبارة «حبيس في سبيل الله»(٩٨) . ويقال إن الخليفة عمر كان يحمل على ثلاثمائة فرس كل عام(٩٩) . أي أنه يضع هذه الخيل الخاصة بالدولة تحت تصرف المسلمين .

الخلاصـة

التقى حب العرب للخيل منذ الجاهلية مع ماجعله الله لهم فيها من الخير في ظل الدعوة الإسلامية ، فبدلاً من أن كانوا يستعملونها في الإغارة على بعضهم بعضاً ، جاء القرآن الكريم فأمر المسلمين بارتباط الخيل للجهاد ، وجعل لهم فيها ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، فأصبح للفارس ثلاثة أضعاف مايناله الراجل من الغنيمة ، ولهم في ذلك أيضاً الأجر من الله سبحانه وتعالى لقتالهم في سبيله وإعلاء كلمته .

---

(٩٤) **المرجع السابق** ، ص ١٣٣ .

(٩٥) هنالك إشارات كثيرة على اشتراك خيل المسلمين في فتح مصر ؛ انظر مثلاً «أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم» ، فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر (القاهرة : لجنة البيان العربي ١٩٦١م) ، ص ص ٨٧ - ٨٨ .

(٩٦) ياقوت الحموي ، **مرجع سابق** ، جـ ٥ ، ص ٣٠١ .

(٩٧) موفق الدين أبو عبد الله أحمد بن محمد بن قدامة ، **مرجع سابق** ، جـ ٨ ، ص ٣٧٢ .

(٩٨) أبو عبد الله محمد بن سعد ، **مرجع سابق** ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦ .

(٩٩) **المرجع السابق** ، ص ٣٠٥ .

وقد بدأت قوة الخيل الإسلامية بداية متواضعة في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة بفرسين فقط . واستمر الرسول ﷺ يعمل على زيادة خيل المسلمين بكل السبل الممكنة ، رغم الصعوبات المالية التي كانت تواجه الأمة الإسلامية . واستطاع المسلمون في غزوة خيبر في السنة السابعة من الهجرة أن يدركوا بصورة عملية وواضحة أهمية الخيل في الجهاد وفي جلب المكاسب المادية ، فقد بلغ عدد خيل المسلمين في تلك الغزوة مائتي فرس . ثم استمرت أعداد الخيل في ازدياد مطرد خلال السنوات القليلة التي تبقت من حياة الرسول ﷺ حتى بلغت آلاف الخيل .

وكان الخلفاء الراشدون ، وبخاصة أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، من أكثر الناس إدراكاً لأهمية الخيل في الجهاد ، فعملا على جعل جيوش المسلمين تتكون في معظمها من الفرسان . كما أنهما حافظا على الامتيازات التي منحها الرسول ﷺ للفارس . وبذلك استطاعت جيوش المسلمين بفضل الخيل أن تكتسح بلاد العراق وفارس والشام ومصر في سرعة مذهلة . وأصبحت للمسلمين قوة ضاربة من الفرسان يَخْشَى بأسها كل أعداء الإسلام .

وبدراستنا لهذا الموضوع تكشف لنا جانب هام من جوانب الحضارة الإسلامية في مجال الحرب ، وازداد يقيننا بأصالة هذه الحضارة النابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

المراجع

أولا : كتب باللغة العربية

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ، **الكامل في التاريخ** ، ١٣ جزءً ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

ابن الأعرابي ، أبو عبد الله محمد بن زياد ، **كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها** ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ، الطبعة الأولى ، مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

ابن حبيب ، أبو جعفر محمد ، **كتاب المحبر** ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة (د . ت) .

ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني ، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، ١٣ جزءً ، بيروت ، دار المعرفة (د . ت) .

ابن حنبل ، أحمد ، **المسند** ، الطبعة الرابعة ، ٦ أجزاء ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

ابن سعد ، أبو عبد الله محمد ، **كتاب الطبقات الكبرى** ، ٨ أجزاء ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٠م .

ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، **فتوح مصر والمغرب** ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ، لجنة البيان العربي ١٩٦١م .

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن ، **تاريخ مدينة دمشق** ، الجزء ١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٣٧١هـ/١٩٥١م .

ابن قتيبة الدينوري ، **كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني** ، الجزء الأول ، بيروت ، دار النهضة الحديثة ، (د . ت) .

ابن قدامة ، موفق الدين أبو عبد الله أحمد بن محمد ، **المغني** ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ، **أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها** ، تحقيق: أحمد زكي باشا ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٤٦م .

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، **لسان العرب** ، ١٥ جزءاً ، بيروت ، دار صادر ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .

ابن هشام ، محمد بن عبد الملك ، **السيرة النبوية** ، ٤ أجزاء في مجلدين ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة ، دار الكنوز الأدبية ، (د . ت) .

أبو داود ، سليمان بن الأشعث ، **سنن أبي داود** ، ٤ أجزاء في مجلدين ، تحقيق محمد محيي الدين ، القاهرة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٥٠م .

أبو عبيد ، القاسم بن سلام ، **كتاب الأموال** ، الطبعة الثانية ، تحقيق وتعليق: محمد خليل هراس ، القاهرة ، دار الفكر ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم ، **كتاب الخراج** ، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ، القاهرة ، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، **كتاب الحيوان** ، الطبعة الثانية ، ٧ أجزاء ، تحقيق: عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م .

الجزائري ، محمد بن عبد القادر ، **عقد الأجياد في الصافنات الجياد** ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

خطاب ، محمود شيت ، جيش الروم أيام الفتح الإسلامي ، **مجلة المجمع العلمي العراقي** ، **المجلد ٢١** ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، ص ١٣٥ .

الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام ، **سنن الدارمي** ، جزءان ، بيروت ، دار إحياء السنة النبوية ، (د . ت) .

الدقس ، كامل سلامة ، **وصف الخيل في الشعر الجاهلي** ، الكويت ، دار الكتب الثقافية ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

السرخسي ، شمس الدين ، **كتاب المبسوط** ، الطبعة الثالثة ، ٣٠ جزءاً في ١٥ مجلداً ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

السمهودي ، نور الدين أبو الحسن بن عبد الله ، **كتاب وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** ، القاهرة ، مطبعة الآداب ، ١٣٢٦هـ .

الشيباني ، محمد بن الحسن ، **شرح كتاب السير الكبير** ، الجزء الثالث ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٦٠م .

الصاحبي التاجي ، محمد بن كامل ، **الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام** ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

الطبري ، محمد بن جرير ، **جامع البيان عن تأويل القرآن** ، الطبعة الثالثة ، ٣٠ جزءاً ، القاهرة ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

الطبري ، محمد بن جرير ، **تاريخ الرسل والملوك** ، ١٠ أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، (د . ت) .

الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، **القاموس المحيط** ، ٤ أجزاء ، بيروت ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري ، **الجامع لأحكام القرآن** ، الطبعة الثانية ، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلدات ، بيروت ، دار إحياء التراث ، ١٩٦٥م .

القيسي ، نوري حمودي ، كتاب الخيل للأصمعي ، أبي سعيد عبد الملك بن قريب ، **مجلة كلية الآداب ، العدد الثاني عشر** ، ١٩٦٥م ، بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٧٠م .

ابن أنس ، مالك ، **الموطأ** ، إعداد أحمد راتب عرموش ، الطبعة الثامنة ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، **الجامع الصحيح** ، ٨ أجزاء في ٤ مجلدات ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، (د . ت) .

الواقدي ، محمد بن عمر ، **كتاب المغازي** ، ٣ أجزاء ، تحقيق مارسدن جونز ، أكسفورد ، مطبعة جامعة أكسفورد ، ١٩٦٦م .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ، **معجم البلدان** ، ٥ أجزاء ، بيروت ، دار صادر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

ثانيا : كتب بلغات أوربية

Watt, W.M. *Muhammad at Medina*, Oxford, Clarendon Press, 1956

Wellhausen, Julius, *Skizzen und Vorarbeiten*, Heft IV, Berlin 1889.

The Muslim Cavalry and its Role in the Jihād and the Islamic Conquests

Salah El-Tigani Humoudi
Assistant Professor, Department of History,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT

This article tackles the rise and development of the Muslim Horse-power or the cavalry, from the time of the Prophet Muḥammad till the end of the Caliphate of 'Umar b. al-Haṭṭāb, the second Caliph, i.e. from the year 2 to the year 23 A.H. The Muslim Horse-power which started with only two horses at the battle of Badr, continuously increased until its number quickly jumped to tens of thousands in less than fifteen years. This accomplishment was accelerated by certain measures initiated by the Prophet Muḥammad in the form of material encouragements for the Muslims to possess horses for the Jihād. The Muslim Cavalry had, by the time of the Islamic conquests and the spread of Islam, indeed played an important role as a military power. This, of course, is an important topic of the Islamic Civilization which should be studied and understood.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١ ، ص ص ٢٤٧ - ٢٨٠ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

انقضاض عنيزة على جند خورشيد باشا وحصاره لها (صفر ١٢٥٤هـ)

محمد ثنيان الثنيان(*)

مستخلص البحث

يتعرض هذا البحث لوقعة حربية حدثت بين مدينة عنيزة وخورشيد باشا ، أحد قواد محمد علي البارزين . وقد تلى هذه الوقعة حصار للمدينة من قِبَل جيشه . وتعتمد هذه الدراسة على مصادر أولية أصيلة كالوثيقة التركية التي تحوي تقرير خورشيد باشا عن هذه الحرب ، هذا التقرير الذي بلاشك يعتبر مصدرا أساسيا أشارت إليه ، وأبرزته هذه الدراسة لأول مرة ، إذ لم يكن معروفا عن هذه الحرب سوى ماروته المصادر التاريخية المحلية فقط .

وهذا البحث ماهو إلا محاولة لدراسة هذه الحادثة وإلقاء الضوء على ماأحاط بها من غموض في بعض الجوانب ، لاسيما في أسبابها ونتائجها .

وطبقاً لما رواه خورشيد في تقريره ، فإن هذه الحرب انتهت بالتسليم ، ولكن من خلال هذا البحث ، أثبتت الحقائق التاريخية أن هذا القول غير صحيح ، وهذا ماروته المصادر النجدية وتأيَّد بالتناقض الواضح في تقرير خورشيد نفسه وماحواه من نقاط ضعف أخرى .

بعد أن خشيت الدولة العثمانية من منافسة الدولة السعودية الأولى لها ، والتي أحكمت سيطرتها على معظم بقاع شبه الجزيرة العربية ، أوعزت إلى واليها في مصر محمد علي بشنّ حرب على الدرعية .

ولكن بعد الحملات الأولى[1] التي أرسلها هذا الوالي ، يلاحظ أنها توقفت لفترة من الزمن ، ربما لانشغاله في تكوين دولة خاصة به ، وعدم تمكنه في نفس الوقت من استمرار السيطرة على وسط الجزيرة ، والتي قد تحُدّ من مهماته خارجها .

(*) أستاذ مساعد ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

(١) مثل حملة طوسون وحملة إبراهيم باشا .

وبعد فترة التوقف تلك ، والتي أنهى فيها كثيراً من مهماته الخارجية عاد إلى الجزيرة العربية ، ولكن هذه المرة لأهداف خاصة به ، وبشكل أكثر دهاء وخداعا ، إذ وضع على رأس الحملة ، بجانب إسماعيل آغا : خالد بن سعود لتيقنه من تجاربه السابقة بأن الناس في نجد لاتلين قناتهم لحاكم أجنبي ، واعتقاداً منه أن هذا سيذلل الصعاب أمام الحملة . ولكن النتيجة كانت عكسية ، والهزيمة فادحة(٢) .

هذه الهزيمة ، مع التقارب الذي تم بين الإمام فيصل وبين الوالي العثماني في العراق(٣) ضد العدو المشترك ، محمد علي كانا هما الدافعين الرئيسيين لإرساله حملةً جديدةً تحت قيادة خورشيد باشا(٤) .

وتأخذ الحملة في مسكلها الطريق التقليدي : ينبع – المدينة – الحناكية . وتغادر الحناكية في اليوم الثالث من شهر صفر سنة ١٢٥٤هـ . متجهة نحو القصيم ، لتقطع المسافة في سبعة عشر يوماً ، حيث تصل إلى مشارف عنيزة في العشرين من نفس الشهر . وتعسكر هناك خارج البلدة ، وماهي إلا أيام قلائل ، حتى شبت حرب عنيفة بينها وبين تلك البلدة هذه الحرب هي موضوع هذا البحث .

تعد هذه الحرب أول محك واختبار لقوات خورشيد باشا ولاسيما أنها حدثت في الوهلة الأولى من وصول هذه القوات إلى نجد وإلى القصيم بالذات ، كما أنها تعد واحدة من الملاحم التي ذاد بها سكان وسط الجزيرة عن كيانهم ، وجزءاً لايتجزأ من هذا التاريخ الحاسم . كذلك من الأمور

---

(٢) عن حملة إسماعيل وخالد وهزيمتها . انظر الوثيقة التركية رقم ٥٤ ، حمراء (المرفق العربي) ، محفظة ٢٦٢ ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في ٢٣ جمادى الأولى ١٢٥٣هـ . (تعميم مرسل لأهالي نجد بشأن هزيمة إسماعيل وخالد) ، نفس الوثيقة (مرفق) (خطاب مرسل لخالد بن سعود بأن لايتأثر بالهزيمة) ، الوثيقة التركية رقم ١٣ ، محفظة ٢٦٢ ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في ٢٠ رمضان ١٢٥٣هـ . (تعرض من بين مواضيع أخرى لهزيمة خالد وإسماعيل) ، عثمان بن عبد الله بن بشر . **عنوان المجد في تاريخ نجد** . جـ ٢ تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ . (الرياض : دارة الملك عبد العزيز ، ط ٤ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص ص ١٤٠ – ١٥١ .

(٣) الوثيقة التركية رقم ٢٦١ ، حمراء (المرفق العربي «هـ») محفظة ٢٦٤ ، دار الوثائق القومية بعابدين ، مؤرخة في ٢٣ شعبان ١٢٥٣هـ . (كتاب من علي باشا والي بغداد إلى الإمام فيصل حول العمل على دعمه ومساندته ضد خالد بن سعود ومن معه) ، الوثيقة التركية رقم ٢٦١ ، (المرفق العربي) ، محفظة ٢٦٤ ، دار الوثائق القومية بعابدين ، مؤرخة في ١٩ محرم ١٢٥٤هـ . (وهي كتاب من الإمام فيصل إلى خورشيد باشا بشأن اتصالاته بعلي باشا والي بغداد) ، عبد الله الصالح العثيمين ، **تاريخ المملكة العربية السعودية** ، (الرياض : ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(٤) هو محمد خورشيد باشا قائد ألباني مستعربٌ جاء إلى مصر صغيراً وتعلم في مدارسها المدنية ثم العسكرية وكان في حملة محمد علي باشا التي أرسلها إلى الحجاز أولاً ثم أرسله محمد علي هذه المرة الأخيرة إلى نجد تقوية لجانب خالد بن سعود وإسماعيل آغا اللذين أرسلهما محمد علي باشا إلى نجد قبله أي قبل خورشيد وقد عينه محمد علي بعد ذلك وكيلاً للجهادية ، بمصر ثم عينه مديراً للدقهلية ، وتوفي خورشيد باشا المذكورة بالمنصورة سنة ١٢٦٥هـ .

عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ ، (هامش للمحقق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ) .

التي تدخل ضمن نطاق أهمية هذه الحرب ، الاحتمال الكبير في أنها السبب الكامن الذي أبطأ بخورشيد خمسة أشهر ثمينة عن مهمته العاجلة .

ولكن مع ذلك فالحادثة هذه لم تدرس من قبل الباحثين على الإطلاق وكل ماذكر عنها ، هو هامش صغير في كتاب الدكتور عبد الله الصالح العثيمين (تاريخ المملكة العربية السعودية)(٥) ، وماكتبه صلاح الدين المختار ماهو إلا نقل يكاد يكون حرفياً كما هو مدون عنها في (عنوان المجد) للمؤرخ عثمان بن بشر مع خطأ في النقل سيشار إليه في مكانه(٦) .

وتقرير خورشيد باشا في الوثيقة التركية ، مصدرٌ أولي أشارت إليه ، وأبرزته هذه الدراسة لأول مرة ، إذ لم يكن معروفاً عن هذه الحرب سوى ماروته المصادر التاريخية المحلية فقط .

وهذه الحرب ، كما سيأتي ذات شقين : قتال داخل عنيزة ، ثم حصار لها من قبل جيش خورشيد . وتبرز أهمية الوثيقة بالنسبة للبحث ، في تغطيتها للشق الآخر ، (الحصار) ، والذي قصّرت فيه المصادر النجدية ، وبذا تكمل الصورة لهذه الحرب في شقيها .

وهذا البحث ماهو إلا محاولة لدراستها ، وإلقاء الضوء على ماأحاط بها من غموض في بعض الجوانب ، ولاسيما في أسبابها ونتائجها ، ومماانتهت إليه .

والمصادر التاريخية المتوفرة ، والتي كتبت عن هذه الحادثة ، تتباين بعض الشيء في تأريخ حدوثها . فالوثيقة التركية تشير إلى أن خورشيد باشا وصل إلى عنيزة في اليوم العشرين من شهر صفر سنة ١٢٥٤هـ ، وأن هذه الحرب اندلعت بعد ثلاثة أيام من وصوله ، وبالتحديد يوم الثلاثاء «ووصلنا في اليوم العشرين من الشهر إلى عنيزة آمنين سالمين ، فنصبنا الخيام في المعسكر ، خارج البلدة ، وبعد ذلك بثلاثة أيام ..»(٧) .

ويقول المؤرخ محمد بن عمر الفاخري «وفيها (١٢٥٤هـ) . سار خرشد باشا من المدينة فوصل إلى عنيزة لعشر بَقِينَ من صفر ، فبعد نزوله بأيام حصل منافرة وجرت بينهم وقعة»(٨) ومن

---

(٥) ونص الهامش هو : «(٢) وقد حدثت بين خورشيد وأهل عنيزة مشكلة قتل بسببها تسعون رجلاً من جنده وخمسون من أهل تلك البلدة» ص ٢٤١ .

(٦) صلاح الدين المختار ، **تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها** ، جـ ١ (بيروت : دار مكتبة الحياة ، ط ١ ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) ، ص ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٧) الوثيقة رقم ٢٠٨ ، زرقاء ، محفظة ٢٦٤ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٤ ربيع الأول ١٢٥٤هـ (تقرير مرفوع من خورشيد باشا يشرح فيه وقائع تحركه من المدينة - الحناكية وحتى عنيزة) ، وقد أشير إلى هذه الوثيقة اختصاراً بـ «تقرير خورشيد» . وقد وردت هذه الوثيقة ضمن الوثائق التي نقلها عبد الرحيم عبد الرحمن من وثائق عابدين : انظر عبد الرحيم ، عبد الرحمن عبد الرحيم . **من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي** ، جـ ١ (١٢٣٤هـ - ١٢٥٦هـ/١٨١٩م - ١٨٤٠م) ، (الدوحة : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ص ص ٥٩٨ - ٦٠٤ ؛ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، **محمد علي وشبه الجزيرة العربية** ، (القاهرة : ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص ص ٣٠٣ - ٣٠٦ .

(٨) محمد بن عمر الفاخري ، **الأخبار النجدية** ، تحقيق الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل ، الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود د . ت) ، ص ١٧٤ .

هذا يتضح مدى تطابق الروايتين فيما يتعلق بتأريخ وصول خورشيد إلى عنيزة ، ومدى تقاربهما في تأريخ بداية هذه الحرب .

ورواية المؤرخ عثمان بن بشر فيها بعض الاختلاف الطفيف عن هاتين الروايتين إذ يقول : «وفي آخر صفر أقبل خرشد باشا من الحناكية بعساكره ... ونزل بلد عنيزة ... فلما كان في أول ربيع الأول ثار الحرب بين أهل عنيزة وعسكر خرشد»[٩] ومن هذا يتضح أن ابن بشر قد أرخ قدوم خورشيد إلى عنيزة باخر شهر صفر مطلقاً دون تحديد دقيق ، كما هو في تاريخ الفاخري أو في الوثيقة التركية . وعَيَّنَ اليوم الأول من شهر ربيع الأول كبداية لتلك الحرب ، مخالفاً بهذا التأريخ ماجاء بالوثيقة التركية ومارواه الفاخري وبقية المؤرخين النجديين الآخرين كابن عيسى[١٠] وابن بسام[١١] . وعلى كل فالفرق بين هذين التأريخين أيام لاتزيد على الثلاثة .

أما المدة التي استغرقتها تلك الحرب أو بالأحرى الحصار ، فالوثيقة التركية تحددها كالآتي : «وهكذا أسفرت عن الحصار الذي استقرت ثار الحرب فيه يومين وليلة»[١٢] ويقول ابن بشر : «ثم ثار الحرب بين أهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام»[١٣] وهاتان الروايتان متفقتان تقريباً .

أما الفاخري وبقية المؤرخين النجديين فلا يعينون مدة محددة لفترة الحرب أو الحصار ، ولايذكرون شيئاً عن هذا . ولكن توحي روايتهم وتسلسل الأحداث التي ذكروها بعد ذلك أن فترة الحرب كانت قصيرة . وهذا يتفق مع رواية ابن بشر وتقرير خورشيد بالوثيقة التركية .

وخلاصة القول أن هذه الحادثة جرت في العشر الأواخر من شهر صفر ، واستغرقت مدة لاتتجاوز بحال من الأحوال ثلاثة أيام . ولا أدل على ذلك من تأريخ تحرير الوثيقة التركية ، والتي حوت تقرير خورشيد باشا عن هذه الحادثة والمؤرخة في ٤ ربيع الأول ١٢٥٤هـ .

ولتتبع مجريات تلك الحادثة ومحاولة رسم صورة لها فإن المصادر التاريخية المتوفرة تعطي انطباعاً بأن هذه الحرب كانت على مرحلتين :

الأولى

مباغتة أهل عنيزة لعساكر خورشيد في داخل البلدة ، في السوق ، وقتل الكثير من هؤلاء العساكر ، وتتبع وطرد الباقين منهم خارج أسوار البلدة ، والذي سيشار إليه بوقعة السوق .

---

(٩) عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، ص ١٦٣ .

(١٠) إبراهيم بن صالح بن عيسى . **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ : ١٣٤٠هـ)** (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر د . ت) ، ص ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(١١) عبد الله بن محمد البسام ، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق** ، نسخة خطية ، نقلها عن الأصل المحفوظ لدى ورثة المؤلف ، نور الدين شربة عام ١٣٧٥هـ ، ورقة ١٣٣ .

(١٢) تقرير خورشيد .

(١٣) عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، ص ١٦٤ .

الثانية

قيام خورشيد بحصار عنيزة وإعلان الحرب عليها وهي نتيجة طبيعية بعد البطش بجنوده .

وتجمع المصادر على أن الشرارة الأولى للقتال شبت في وسط عنيزة وبالتحديد في السوق ، حيث كان بعض العسكر يتسوقون . ويقول خورشيد عن وقعة السوق هذه : «نزل جندي من الترك إلى السوق ، فنشب بينه وبين بدوي نزاع من أجل كرم ، فانتزع الجندي غدارته من خصره ، وأطلقها على البدوي فأرداه ، فسرعان مااستل الحاضرون من أهل البلدة ، سيوفهم وقتلوا مطلق الغدارة ، وهكذا شرع العراك بين من كان بالسوق من العساكر ، وأهل البلدة ، فما زالوا يتبارزون بالسيوف والغدارات ، حتى هلك من الفريقين بضعة رجال ، ثم طرد الأهلون باقي العساكر من البلدة ، وغلقوا أبوابها»(١٤) .

وبجانب السبب ، الذي سيناقش فيما بعد ، يفهم من هذا الوصف مايلي :

١ - مكان الوقعة ، وهو السوق .

٢ - أن القتال خفيف والوقعة بسيطة .

٣ - أعداد القتلى من كلا الطرفين قليلة ، وتوحي بالتقارب .

٤ - تعقب وطرد بقية الجند من البلدة ، وإغلاق الأبواب دونهم .

ولكن ماذا يقول المؤرخون النجديون المعاصرون عن هذه الحادثة ؟ يصف عثمان بن بشر وقعة السوق هذه بمايلي : «وظهر يحيى(١٥) من البلد وقصد خرشد في خيمته ، فلما أراد الدخول عليه أخذ سيفه قواويس الباشا على العادة أنه لايدخل عليه أحد بسلاح ، فهرب خادم يحيى الذي معه إلى البلد ، وقال : أميركم قتل ، وكان جملة العسكر في وسط البلد يبيعون ويشترون ، فنهض عليهم أهل البلد ، وقتلوا كل من وجدوا منهم إلا رجلاً دخل بيتاً أو دكاناً فأخفاه صاحبه ، فسمع الباشا الصيحة في البلد ، فقال ليحيى : إن بلدكم حدث فيها شمطة ، وغمض رجل ليحيى فرمى عباته وهرب إلى البلد ، فعارضه في طريقه رجال من العسكر هاربين منها ، وهو في شدة الركض ، فرموه بالبنادق ، فسلمه الله تعالى ، ودخل بلده فإذا قد قتل فيها تسعون رجلاً»(١٦) .

---

(١٤) تقرير خورشيد .

(١٥) تولى يحيى السليم إمارة عنيزة في شعبان عام ١٢٣٨هـ . بعد قضائه على عبد الله بن حمد الجمعي أمير عنيزة من قبل إبراهيم باشا ، والذي أخرجه أهالي البلدة بعد رحيل الباشا . وعينوا بدلا عنه محمد بن حسن الحمل أميراً عليهم . وعندما أتى حسين بك إلى نجد عام ١٢٣٦هـ قضى على أمير عنيزة محمد بن حسن الحمل ، وأعاد عبد الله الجمعي إلى الإمارة . وبعد قدوم حسن بك أبو ظاهر في عام ١٢٣٧هـ إلى نجد ، وحربه لعنيزة ، وبعد أن دحرته المدينة وطردته ، كما سيأتي في هذا البحث ، قام يحيى السليم بقتل الأمير من قبلهم ، عبد الله الجمعي ، وتولى الإمارة في عنيزة وبايع الإمام تركي في عام ١٢٤٠هـ . واستمرت إمارته حتى عام ١٢٥٧هـ . عندما قتل في وقعة بقعاء صبرا . عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق ، ص ٤٥٣ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ وجـ ٢ ص ص ٣٦ ، ١٩٠** ؛ **ابراهيم بن صالح بن عيسى ، مرجع سابق** ، ص ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٥ .

(١٦) عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق ، جـ ٢** ، ص ص ١٦٣ - ١٦٤ .

وعلى عادته موجزاً ، يقول محمد بن عمر الفاخري ، عن هذه الوقعة : «حصل منافرة وجرت بينهم وقعة من غير قصد قتل فيها مقتلة من العسكر نحو تسعين»[١٧] ورواية المؤرخ إبراهيم بن عيسى قريبة من رواية الفاخري «حصل بينه (خورشيد باشا) وبين أهل عنيزة قتال من غير قصد ، وقتل من العسكر نحو تسعين ومن أهل عنيزة عدة رجال»[١٨] .

أما المؤرخ عبد الله بن بسام ، فيصف قتال السوق هذا بكلمات قليلة وبسيطة «فقام أهل عنيزة على من عندهم من العسكر فقتلوهم في وسط البلد .. وقتل في هذه الفتنة من العسكر نحو تسعين رجلاً»[١٩] .

ويمكن أن نستنتج مما أورده هؤلاء المؤرخون مايلي :

١ – ضراوة وقعة السوق هذه وشدتها على جند خورشيد .

٢ – هرب باقي العسكر من عنيزة بعد تعقبهم وطردهم .

٣ – عدد القتلى من جند خورشيد كبير ، تسعون قتيلا .

٤ – عدد القتلى من عنيزة لم يذكره سوى ابن عيسى «عدة رجال» وهذا يدل على أن العدد قليل .

٥ – إن مكان الوقعة وسط البلد في السوق .

ويلاحظ هنا أن رواية هؤلاء المؤرخين تتفق مع رواية خورشيد في ثلاثة أمور وتختلف عنها في أمرين ، أما أوجه الاتفاق فهي :

١ – في عدد القتلى من عنيزة ، حيث اتفقت رواية ابن عيسى مع ماذكره خورشيد .

٢ – تعقب وطرد بقية العسكر إلى خارج البلدة وغلق الأبواب .

٣ – مكان الوقعة وهو السوق .

وأوجه الاختلاف هي :

١ – الاختلاف في وصف الوقعة ، ومدى ضراوتها ، أو بساطتها .

٢ – عدد القتلى من جند خورشيد .

فتقرير خورشيد عن قتال السوق هذا ، يعطي الانطباع ببساطته وقلة خسائره «شرع العراك .. فمازالوا يتبارزون بالسيوق والغدارات ، حتى هلك من الفريقين بضعة رجال» . فبضعة رجال من القتلى ، نتيجة معقولة لوقعة بسيطة ، لاتعدو أن تكون عراكا ، ومبارزة بالسيوف والغدارات ولا يتوقع المرء غير هذا . ولكن خورشيد بعد روايته المبهمة هذه عن الخسائر ، يستطرد كما مر قائلا :

---

(١٧) محمد بن عمر الفاخري ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٤ .

(١٨) ابراهيم بن صالح بن عيسى ، **مرجع سابق** ، ص ١٦٣

(١٩) عبد الله بن محمد البسام ، **مرجع سابق** ، الورقات ١٣٣ ، ١٣٤

«ثم طرد الأهلونَ باقي العساكر من البلدة ، وغلقوا أبوابها» . وهنا تختلف الصورة ، فطرد بقية العسكر وتعقبهم وإخراجهم من البلدة ، وإغلاق الأبواب دونهم ، نتيجة لاتتناسب مع قتال بسيط بالإضافة إلى هذا التناقض ، في رواية خورشيد نفسها ، مناقضتها ، فيما يتعلق بعدد قتلى جنده ، لرواية المؤرخين النجديين المعاصرين ، تسعون قتيلا - بضعة رجال من الفريقين . وأمام هذا الاختلاف لايسع المرء إلا أن يتحقق في الأمر ملياً بغية الوصول إلى الحقيقة ، وهنا يتوجب العودة إلى الوثيقة مرة أخرى .

ففي المراحل الأخرى من القتال ، والتالية لوقعة السوق هذه دأب خورشيد في تقريره على تضخيم أعداد القتلى من أهل عنيزة إلى حد المئات بينما قتلى جيشه لايتجاوزون الاثني عشر . أما هنا وفيما يتعلق بخسائر وقعة السوق ، فإنه يختصر جداً ، ويُجمِل ويُغفِل ذكر الأعداد إغفالاً تاماً على خلاف مافعله في المراحل الأخرى من الحرب . فطريقة ذكره لقتلى الوقعة ، بالشكل الذي أوحى بقلة عددهم ، وربما بتساويهما لدى الطرفين ، مع ماقاله المؤرخون النجديون عنها ، مؤشرٌ على أن الهزيمة في جيشه هذه المرة ثقيلة والقتلى كثيرون . وهذا يتناسب ويتمشى مع عبارته «ثم طرد الأهلون باقي العساكر من البلدة ، وغلقوا أبوابها» ، فهذه العبارة بحد ذاتها تدل على هزيمة جند خورشيد هزيمة ساحقة ، تلاها تعقب وطرد لمن لم يقتل منهم ، ولو أن الأمر لم يتعد ، كما قال خورشيد بضعة رجال من الفريقين ، لأصبحت نتيجة الوقعة متكافئة ، ولما لاذ جنده بالفرار ، وأغلقت دونهم الأبواب . وقولنا هذا ينسجم مع رواية المؤرخين النجديين . فابن بشر ، كما مر ، يقول : إن أهل عنيزة قتلوا جميع من ظفروا به من جند خورشيد إلا رجلاً دخل في حماية صاحب بيت أو دكان فأخفاه ، أو من هرب . فالقتال كان عنيفاً وقوياً وبالتالي كان عدد القتلى كبيراً ، تسعين رجلاً ومن السياق يفهم أن ابن بشر يقصد تسعين رجلاً من رجال خورشيد ، وهو مانص عليه الفاخري صراحة ، وهو الرقم الذي ذكره كل من ابن عيسى وابن بسام كما تقدم .

وهنا تبرز نقطة جديرة بالنقاش وهي إجماع هؤلاء المؤرخين على ضخامة الخسائر في جند خورشيد والذي على مايبدو ، حاول إخفاءه . وإجماعهم أيضاً ، بما فيهم خورشيد ، على ضآلة عدد خسائر عنيزة في هذه الوقعة . فما السر في ذلك ، وهو قتال ضار كما صوره ابن بشر يتوقع أن تكون خسائره كبيرة في كلا الجانبين ؟ .

يبدو أن السبب وراء هذا أن وقعة السوق كانت عبارة عن هجوم كاسح من قبل أهل عنيزة على جند خورشيد ، الذين فوجئوا وأخذوا على غرة ، وبشكل مباغت ، في قتال لم يستعدوا له أصلاً وفي بلدة يجهلون اتجاهاتها ، وطرقاتها ومداخلها ومخارجها . وأصبحوا في موقف المدافع الهارب أمام خصم مهاجم تساعده الظروف المحيطة ، مما جعلهم في موقف صعب أمام غليان أهل البلدة الذين صعقوا لنبأ قتل أميرهم غير المتوقع ، والذي أغضبهم وحوّل عنيزة إلى طوفان وثورة عارمة ، عصفت بهؤلاء الجند وأبادت جلهم انتقاماً للأمير وتشفياً من هذا العدو .

وهذا التعليل قد يفسر لنا لماذا كان عدد القتلى الذين سقطوا من أهل عنيزة في وقعة السوق هذه قليلاً مع شدتها إلى درجة أن المؤرخين النجديين لم يعيروه انتباها ، عدا ابن عيسى ، الذي اتفقت روايته مع ماذكره خورشيد .

وكنتيجة طبيعية لوقعة السوق هذه ، والتي كانت وطأتها شديدة على جنده ، طوق خورشيد عنيزة وحاصرها . والمؤرخون النجديون لايذكرون هذا الحصار ولا يوردون عنه شيئاً ، عدا ابن بشر ، وابن بسام ، وباستثناء مانص عليه ابن بشر صراحة من حصار لقصر الضبط ، خارج عنيزة ، فحتى هذين المؤرخين لايشيران بشكل مباشر إلى أي حصار لعنيزة من قِبَل هذه القوات ومن خلال روايتيهما لايفهم أن خورشيد حاصر عنيزة فعلاً ، إلا استنتاجاً من السياق أو استنباطا لبعض العبارات كما في (عنوان المجد) إذ يقول ابن بشر : وهو في معرض حديثه عن أمير عنيزة (يحيى السليم) وكيفية تسلله وهربه من معسكر خورشيد إلى بلدته ، بعد علمه باندلاع القتال فيها «وغمض رجل ليحيى فرمى عباته وهرب إلى البلد ، فعارضه في طريقه رجال من العسكر هاربين منها .. ودخل بلده .. ثم نهضت العساكر على الحشاحيش والحطاطيب[٢٠] في من كان خارج البلد فقتلوهم ، وحصروا أهل قصر الضبط المعروف خارج عنيزة .. ثم ثار الحرب بين أهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام»[٢١] فابن بشر هنا ، لم ينص على حصار مابشكل مباشر وصريح ، سوى حصار قصر الضبط . ولكن روايته هذه أو عباراته ، توحي أن هناك حالتين : حالة داخل عنيزة ، وحالة خارجها فالعسكر الهاربون من عنيزة يلاقون أميرها مقبلاً ، وهو في شدة الركض ، ويحاولون إطلاق النار عليه ، ولكنه «دخل بلده» . وهذه إشارة من ابن بشر إلى أن الخطر زال عنه ، وأنه بلغ مأمنه بدخوله بلده التي هرب منها الجند مطروداً . وأوصدت بواباتها بدليل أن جند خورشيد في المعسكر ، الذين وصلهم الخبر بماجرى على زملائهم داخل البلدة ، وثار غضبهم ، لم يجدوا أمامهم سوى من هو خارج هذه البوابات والأسوار ، ففتكوا بهم «ثم نهضت العساكر على الحشاحيش والحطاطيب في من كان خارج البلد فقتلوهم» وقول ابن بشر بعد ذلك : ثم ثار الحرب .. الخ إشارة واضحة للحصار .

وابن بسام يقول : «وهرب الأمير يحيى إلى البلد فدخلها ولما علم العسكر الذين خارج البلد بما صار على أصحابهم الذين داخل البلد قاموا على من وجدوه خارج البلد من أهل عنيزة فقتلوهم»[٢٢] وماقيل عن رواية ابن بشر ينطبق على رواية ابن بسام هذه .

ومن هذا يتضح أن ذكر الحصار لم يرد صراحة في روايتي هذين المؤرخين ، وإنما يفهم ضمناً .

---

(٢٠) الحشاحيش : هم من يذهب إلى خارج البلدان للحصول على العشب والكلأ وجمعه . أما الحطاطيب : فهم الحطابون .

(٢١) عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ .

(٢٢) عبد الله بن محمد البسام ، **مرجع سابق** ، الورقات ١٣٣ ، ١٣٤ .

وعلى عكس هؤلاء المؤرخين تعطي الوثيقة التركية – كما سيأتي – وصفاً واضحاً ومفصلاً لهذا الحصار كما ورد في تقرير خورشيد.

ولكن كيف بدأ الحصار ؟

بعد هرب بقية جند خورشيد ، الفارين والناجين من وقعة السوق ، إلى خارج البلدة ، وتمكن الأمير يحيى من التسلل خارج معسكر خورشيد ، متبعاً الحيطة والحذر إذ ترك عباءته موهماً خورشيد أن الأمر لايتعدى لحظات ويعود ، ولكنه لايعود إليه بل إلى عنيزة التي يدخلها وقد أخذ مقاتلوها والمدافعون عنها ، من الرماة وغيرهم ، أماكنهم في أبراجها وحصونها توقعاً للخطر المرتقب . ويقول خورشيد عن هذا التأهب : «ثم طرد الأهلون باقي العساكر من البلدة ، وغلقوا أبوابها ، وبدر المبادرون إلى بنادقهم ، فما راعنا إلا أن رأيناهم ، يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة بالبلدة»[٢٣] . هذا فيما يتعلق بعنيزة واستعداداتها لهذا الحصار .

أما فيما يتعلق بالطرف الآخر ، جيش خورشيد فكما يُستَقْرأ من الوثيقة التركية قد أطبق الحصار على عنيزة من جميع الجهات ، وبشكل محكم طبقاً لرواية خورشيد ، وإن شاب هذا الإحكام وبدا عليه بعض الخلل ، والذي سيناقش في أسطر قادمة . وخورشيد يعطي وصفاً مفصلاً لحصار جيشه لعنيزة إذ يقول : «فبادرنا من فورنا بالجهادية ، فحملت سلاحها وبفرسان حسن آغا رئيس الأدلاء ، وبرجالة بكر آغا ، رئيس الرجالين ، فانضموا جميعاً تحت اللواء ، ورحنا باديء الأمر إلى البروج ، التي في جوف البساتين الغربية ، إلى البلدة ، التي استولينا على عدة بروج منها ، أجلينا عنها الذين كانوا (متحصنون) فيها ، وشغلنا كلاً منها بجنود من الرجالة ، يعون بحمايته ، ثم خبأنا بقية الرجالة بين النخيل ، وعبأنا أورطة ، ومدفعاً في المحل الذي يقال إنه (باطن) الواقع في شمال البلدة ، وأدخلنا مدفعاً آخر ، مع أربعة البلوكات الجهادية في القصر المسمى قصر الصفا المواجهة لباب عنيزة الأصلي ، وأقمنا مدفعاً ثالثاً ، ونحو مائة وخمسين فارساً في النخيل ، التي عن يمين القصر المذكور ، ثم حصرنا جوانب البلدة ، بما بقي من الخيل ، ولما رأينا أهل البلدة ، منهمكين في إطلاق البنادق ، من الداخل لم نجد بُدّاً ، من تخويفهم فأخذنا نطلق عليهم المدافع ، من ثلاث (نواحي) ، واستمر الضرب نهاراً ، وليلاً ، منذ ذلك اليوم الذي هو يوم الثلاثاء حتى اليوم التالي : يوم الأربعاء ، وكانوا يحاولون أحيانا الخروج والهجوم علينا ، ولكن كلما خرج منهم خارج ، انبرى له الفرسان القائمون في النخيل ، فعجلوا إليه وقتلوه»[٢٤] .

---

(٢٣) تقرير خورشيد .

(٢٤) المرجع السابق .

ونظراً لأهمية الدور الذي تلعبه الأبراج والحصون في مثل هذه الحرب فجيش خورشيد يسارع إلى احتلال بعض منها «ورحنا باديء الأمر إلى البروج ، التي في جوف البساتين الغربية ، إلى البلدة ، التي استولينا على عدة بروج منها» . ويتضح أن هذا الاستيلاء قد تم في الساعات الأولى من الحصار . ولا يذكر خورشيد أنه استولى على أي أبراج أخرى غير هذه .. وتحت الأبراج هذه ، في البساتين الواقعة إلى الغرب من عنيزة نَشَرَ أفراد فرقة «الرجالة» بين النخيل وفي «الباطن» ويقصد البويطن[٢٥] وضع مدفعاً وعبأ أورطة . أما في قصر الصفا ، المقابل لبوابة عنيزة الرئيسية ، فقد وضع مدفعاً مع «البلوكات الجهادية الأربعة» . وعلى يمين قصر الصفا هذا ، وضع مدفعاً ثالثاً ونحو مائة وخمسين فارساً منتشرين بين النخيل . وحاصر بقية جهات البلدة الأخرى ، بما تبقى لديه من الفرسان .

وهنا تبدو ملاحظة ، فقد أشار خورشيد إلى رماة البلدة وإلى أسوارها وأبراجها أكثر من مرة «وبَدَرَ المبادرون إلى بنادقهم ، فما راعنا إلا أن رأيناهم ، يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة بالبلدة» . وأشار أيضاً عند تعليله لمواصلة ضرب المدافع للبلدة دون انقطاع «ولما رأينا أهل البلدة ، منهمكين في إطلاق البنادق» . وأشار مرة ثالثة إلى الابراج والأسوار بقوله «وتهدمت البروج ، والأسوار ، التي اعتزوا بها ، فإذا هم يائسون من كل عاصم» . وكما هو معروف فإن هذه الأبراج والأسوار تحيط بمدن نجد وقراها من جميع الجهات ، والذي ذكره خورشيد نفسه «فما راعنا إلا أن رأيناهم ، يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة بالبلدة» . وإذا عرف ، من خلال تقرير خورشيد ، أنه احتل بعض هذه الأبراج «التي استولينا على عدة بروج منها» ، والتي تطل على منطقة ليست حساسة وبعيدة عن البوابة الرئيسية وقلب معترك القتال ، اتضح أن جميع أبراج البلدة الأخرى وسورها تحت سيطرة محاربي البلدة ورماتها .

ويبدو أن هؤلاء الرماة الكامنين بهذه الأبراج والأسوار قد أدوا دوراً هاماً في الحرب وفي الدفاع عن عنيزة وإلحاق الضرر بالجيش المحاصر ، ولا أدل على هذا من قول خورشيد «وتهدمت البروج ، والأسوار ، التي اعتزوا بها» وهذه العبارة وبما انطوت عليه ، هي إثبات للدور الهام والفعال الذي أدته هذه الأبراج والأسوار ، ومَنْ كمن بها من المقاتلين الرماة . ولولا متانة هذه الدفاعات وقوتها لما اعتز بها أهل عنيزة كما قال خورشيد . وهناك مؤشر آخر يؤكد على دور الرماة في أنهم لم يكتفوا بمجرد الدفاع عن البلدة ، بل نالوا من الجيش المحاصر «ولما رأينا أهل البلدة ، منهمكين في إطلاق البنادق من الداخل لم نجد بُدّاً ، من تخويفهم فأخذنا نطلق عليهم المدافع ، من ثلاث

(٢٥) البويطن الآن نخيل وبساتين مزدهرة . ويقع إلى الجنوب الغربي لمدينة عنيزة . وكان يسكنه في السابق العفالق من قحطان والذين ارتحلوا منه وعمروا بلدة الخبرا . محمد بن ناصر العبودي . **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد القصيم) القسم الثاني** (ب – ح) (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ص ٦٣٥ .

(نواحي) واستمر الضرب نهاراً وليلاً» . وعبارة خورشيد هذه ، تحتوي على بعض التناقض فهو يطلق مدافعه على البلدة من ثلاث نواحٍ ، ويضرب بشكلٍ متواصل نهاراً وليلاً ، رداً على رماة عنيزة «المنهمكين في إطلاق البنادق» وهذا شيء طبيعي . ولكن تبريره لهذا القصف الكثيف من مدافعه والمتواصل ، أنه لمجرد إخافتهم «لم نجد بُدّاً من تخويفهم» أمر مناقض . فمن الممكن أن يكون التخويف لساعة أو ساعتين أو ثلاث ، أو العدد من الساعات ، أما أن يكون الضرب مكثفاً ومتواصلاً نهاراً وليلاً طوال مدة الحصار ، فلا يتوقع المرء إلا أن تكون حرباً لحرب مضادة قوية ، ويبدو أن مما زاد دور الرماة قوةً اتخاذهم زمام المبادرة ، إذ أن الحالة بعد وقعة السوق لاتتطلب غير ذلك . فمقاتلو البلدة ورماتها ، في تعقبهم للجند الناجي والفار ، انطلقوا بنفس السرعة إلى الأبراج والأسوار ، وبنفس المباغتة صوبوا بنادقهم إلى معسكر العدو . وهذا يستوحي من تقرير خورشيد ، في معرض كلامه بعد وقعة السوق «وبدر المبادرون إلى بنادقهم ، فما راعنا إلا أن رأيناهم يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة بالبلدة» ويستطرد «ولما رأينا أهل البلدة منهمكين في إطلاق البنادق ..» .

ويقول خورشيد : «وكانوا يحاولون أحياناً الخروج والهجوم علينا ، ولكن كلما خرج منهم خارج ، انبرى له الفرسان القائمون في النخيل ، فعجلوا إليه وقتلوه ، .. وهكذا أسفرت .. عن (مِأتَيْ) هامة قتل أصحابها عند خروجهم» . والفرسان القائمون في النخيل ، حسب منطوق الوثيقة ، هم فرسان حسن آغا وعددهم مائة وخمسون فارساً ، وكانوا منتشرين بين النخيل التي عن يمين قصر الصفا ، المواجه لبوابة عنيزة الرئيسية ، شمال البلدة . ويبدو أن المهاجمين الخارجين من البلدة ، والذين أشار إليهم ، يبدو أنهم من فرسان عنيزة وخيالتها وبعض المشاة . فمهاجمة الخصم على هذه الحالة تتطلب السرعة والخفة ، وخير من يؤدي هذه المهمة هم الفرسان ومن على شاكلتهم . ويتوقع أن يكون خروجهم من البوابة الرئيسية ، المقابلة لقصر الصفا ، والكامن عن يمينه فرسان حسن آغا ، والذين نازلهم هؤلاء . ومجرد اعتراف خورشيد بأن مقاتلين خرجوا من عنيزة ، وهاجموا جيشه ، دليل على وجود ثغرات وخلل في حصاره إذ تمكن هؤلاء من اختراق أهم نقاطه وهي المنطقة المحيطة ببوابة عنيزة الرئيسية والمواجهة لها . وكلام خورشيد هنا يشير إلى حقيقة ربما أراد أن يتحاشى ذكرها ، وهي أنه في أثناء الحصار كان هناك مناجزات من قبل فرسان عنيزة ورجالها لجيش خورشيد ، المعسكر خارج البلدة ، يقابلها تصد معاكس من قبل فرسان الحملة . وهكذا يبدو واضحاً للعيان أن قتالاً بين الفرسان وغيرهم جرى خارج أسوار البلدة ، ولكن خورشيد يروي هذا القتال من طرف واحد ، إذ يقول بأن فرسانه عجلوا إلى كل خارج مهاجم وقتلوه . وهنا يحسن مناقشة هذه الرواية «عجلوا إليه وقتلوه» هكذا وكأنه أعزل بلا سلاح ، ونسي خورشيد أن حاضرة نجد وباديتها من أمهر أهل الجزيرة في ركوب الخيل وفن الفروسية ، و لهم باع في حرب المشاة

وماشابهها(٢٦) . ويفهم من روايته أن فرسانه أو بالأحرى فرسان حسن آغا ، الذين كانوا منتشرين بين النخيل ، كانوا يباغتون المهاجمين ويعجلون إلى قتلهم دون أن يفطن هؤلاء إلى وجودهم . والمتمعن في هذه الحادثة والحالة ، يتبين له أن خورشيد في هذه المرة فات عليه – وهو القائد العسكري مهمة الأبراج وماتؤديه ، بجانب وظائفها الأخرى ، من مراقبة دقيقة ومسح شامل للمنطقة المحيطة خارج أسوار البلدة ، والتي لايمكن أن تغفل عن وجود مثل هؤلاء الفرسان ، وبالتالي يأخذ المهاجمون من عنيزة حذرهم وأهبتهم لهم .

ومن الصورة هذه ، فالمرء لايتوقع إلا أن يكون ماجرى خارج الأسوار ليس إلا قتالاً ، ومناجزاتٍ ، قد تكون متكافئة ، والخسائر فيها ليست على طرف واحد كما صورها خورشيد . وإذا صح الرقم الذي ذكره عن عدد قتلى البلدة ، فالقتال كثيف والمعركة دامية ، إذ يتوقع أن خسائر جيش خورشيد تقارب هذا الرقم زيادة أو نقصاً ، إلا أن يكون المهاجمون مسلوبي الإرادة والقدرة ، وتنقصهم الخبرة فتحصدهم فرسان حسن آغا كما أراد أن يصورهم خورشيد .

ولكن يبدو أن الحقيقة ليست كذلك ، فمع أهمية هذا القتال إلا أن نتيجة كهذه أي مائتي قتيل ومن طرف واحد فقط ، ربما فاقت حجمه كما بدت غريبة . ورقم خورشيد هذا ، وإن بدا مبالغاً فيه ، إلا أنه قد يصدق ، ولكنه على فئة أخرى ، غير الخارجين لغرض الهجوم على جيش خورشيد ، على أناس طبيعة أعمالهم تتطلب أن يكونوا خارج البلدة معظم الوقت ، والذين لسوء حظهم ، كانوا كذلك عند قيام هذه الفتنة ، قال ابن بشر : «ثم نهضت العساكر على الحشاحيش والحطاطيب في من كان خارج البلد فقتلوهم ، وحصروا أهل قصر الضبط المعروف خارج عنيزة وقتلوا أهله كلهم وهم نحو (خمسون) رجلا» .

فالقتل ، وقع على من كان أصلاً خارج أسوار عنيزة لظرفه الخاص ، لا على من خرج بعد ذلك لغرض المناجزة والهجوم . وهنا يكمن الفرق ، إذ أن جند المعسكر ، عندما علموا بوقعة السوق ، لم يجدوا أمامهم خارج الأسوار سوى «الحشاحيش والحطاطيب» ومن على شاكلتهم ، ففتكوا بهم . وهذا قد يفسر ضخامة العدد الذي ذكره خورشيد ، والذي يمثل هؤلاء جُلَّه . هذا مع حذف قصر الضبط وقتلاه الخمسين ، والذي سيناقش بعد أسطر .

ولكن ماهي نتيجة هذا الحصار ؟

يحصي خورشيد خسائره وخسائر عنيزة كما يلي : «وهكذا أسفرت عن الحصار الذي استقرت

---

(٢٦) ج . ج . لوريمر . **دليل الخليج (القسم الجغرافي) جـ ٥** ترجمة قسم الترجمة – بمكتب أمير دولة قطر ، (الدوحة : مطابع علي بن علي ، د . ت) ، ص ١٨٥٥ ، عبد الله الصالح العثيمين . **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية** ، (الرياض : ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) ، ص ص ٢٢٧ – ٢٢٨ ، منير العجلاني ، **تاريخ البلاد العربية السعودية : (عهد عبد الله بن سعود ونهاية الدولة السعودية الأولى فترة الضياع)** (د . م ، د . ت) ، ص ٨٤ .

نار الحرب فيه يومين وليلة ، عن (مأتي) هامة ، قتل أصحابها عند خروجهم ، وعن فتك المدافع بما ينيف على مائتي قتيل أو جريح من بين القابعين في الداخل»(٢٧) . وعن خسائر جيشه قال : «وبلغ عدد الذين توفوا في هذه المعركة من جنودنا ، اثنى عشر رجلاً بين جهادي ، وفارس ، وراجل ، فإذا أضفنا إلى هذا العدد ثمانية عشر مجروحاً ، كانت جملة المصابين منا ثلاثين على أن جراح رجالنا لاتنذر بسوء ، وعما قريب تلتئم ويبرأ أصحابها»(٢٨) .

إذن ، وطبقاً لهذه الرواية ، فحصيلة خسائر جيش خورشيد فقط اثنا عشر قتيلاً ، وثمانية عشر جريحاً ، يقابلها من عنيزة مايقارب الأربعمائة ، قتل مائتان منهم خارج أسوار البلدة ، وحصدت المدافع مائتين آخرين «من بين القابعين في الداخل» .

ولكن ماذا يقول المؤرخون النجديون ، المعاصرون لهذه الحادثة ، عن نتائجها ؟ الفاخري ، يحصي خسائر عنيزة بنحو خمسين قتيلاً(٢٩) ، وابن بشر يعين هؤلاء الخمسين ، بأنهم أهل قصر الضبط ، أو منزلة الضبط كما يصفها ابن بسام(٣٠) . يقول ابن بشر : «ثم نهضت العساكر على الحشاحيش والحطاطيب ، في من كان خارج البلد فقتلوهم ، وحصروا أهل قصر الضبط المعروف خارج عنيزة ، وقتلوا أهله كلهم وهم نحو (خمسون) رجلا»(٣١) . وإذا عرفنا أن «منزلة» تعني : حي ، وأن الضبط حي معروف حتى الآن من أحياء عنيزة(٣٢) . فمن المتوقع أن يكون ضمن القتلى الخمسين هؤلاء ، عدد من المدنيين غير القادرين على حمل السلاح ، بالإضافة إلى ماذكره ابن بشر ، من فتك العسكر بمن وجدوه خارج الأسوار من «الحشاحيش والحطاطيب» . ومن هذا يتضح أن عدد المائتي قتيل ، الذين أشار إليهم خورشيد بأنهم قتلوا خارج عنيزة ، يحوي إلى جانب المهاجمين الحقيقيين ، أعداداً كثيرة ، إنْ لم يكن غالبهم ، من المدنيين الذين راحوا ضحية غضبة الجند ، إثر وقعة السوق ، حيث باغتوهم وهم خارج أسوار البلدة ، وإلى جانب هذا ، فمن بين المائتي قتيل وجريح «من بين القابعين في الداخل» أي داخل عنيزة ، والذين فتكت بهم المدافع ، يتوقع المرء أعداداً كبيرة من المدنيين العزل ، قد تفوق أعداد قتلى الجيش المحارب ، لتحصن هؤلاء ، وانكشاف أولئك .

---

(٢٧) **تقرير خورشيد** .

(٢٨) **المرجع السابق** .

(٢٩) محمد بن عمر الفاخري ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٤ .

(٣٠) عبد الله بن محمد البسام ، **مرجع سابق** ، ورقة ١٣٤ .

(٣١) عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، **جـ ٢** ، ص ١٦٤ .

(٣٢) يقول الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ، المدير العام لمديرية المعارف سابقا ، والمتوفي في رجب سنة ١٣٨٥هـ . رحمه الله تعالى ، مانصه : «وأما إمارتها (عنيزة) فقد مضى عليها قريب من مائتين وخمسين (٢٥٠) سنة وهي تبع للجناح ، ليس فيها أمير ، ولايحيط بها سور واحد . والجناح ثلاث دير : الضبط ديرة ، والخريزة ديرة ، ولها سور خاص ، والمليحة ديرة ، ولها سور خاص ، وكذلك العقيلية لها سور خاص وأصبحت هذه القرى كلها بلدة واحدة تسمى : «عنيزة» ابراهيم بن صالح بن عيسى ، **مرجع سابق** ، الملحق الثاني ، ص ٢٣٢ .

ويخلص خورشيد في تقريره إلى القول بأن أهل عنيزة «لم يجدوا إلى الفرار سبيلاً ، ولا من التسليم محيصاً» ولكن قبل مناقشة هذه النتيجة ، يجدر هنا إلقاء الضوء على الأسباب التي أدت إلى هذه الحرب .

فخورشيد ، في تقريره ، يُرجع السبب في اندلاعها إلى نزاع نشب بين أحد جنوده الأتراك وبين أحد الأعراب في السوق ، إذ يقول : «ووصلنا في اليوم العشرين من الشهر إلى عنيزة آمنين سالمين ، فنصبنا الخيام في المعسكر ، خارج البلدة ، وبعد ذلك بثلاثة أيام ، نزل جندي من الترك إلى السوق ، فنشب بينه وبين بدوي نزاع من أجل كرم ، فانتزع الجندي غدارته من خصره ، وأطلقها على البدوي فأرداه ، فسرعان ما استل الحاضرون من أهل البلدة ، سيوفهم وقتلوا مطلِقَ الغدارة ، وهكذا شرع العراك بين من كان بالسوق من العساكر ، وأهل البلدة»[٣٣] . والحادثة هذه بلا شك تعتبر سبباً كافياً لنشوب مثل هذه الحرب . فحساسية الموقف وتوتره ، مع الشعور المعادي لأولئك الجند ، جعل الرد سريعاً ، وحازماً ، على ذلك الجندي المعتدي ، وفرصة اهتبلها أهل البلدة ، للنَّيل من ذلك العدو والإيقاع به .

ولكن المصادر المحلية ، في المقابل ، تورد سبباً آخر يختلف تماماً عما أورده خورشيد هنا . فكلٌّ من الفاخري ، وابن عيسى ، يردان سبب نشوب هذا القتال إلى عامل الخطأ غير المقصود ، وعدم التأكد ، وروايتاهما ، تقريباً ، متماثلتان . فالفاخري يقول : «وجرت بينهم واقعة من غير قصد»[٣٤] . ويقول ابن عيسى : «حصل بينه (خورشيد) وبين أهل عنيزة قتال من غير قصد»[٣٥] . ويبدو أن ابن عيسى نقل روايته عن الفاخري . ورواية هذين المؤرخين مختصرة ، مبهمة ، لايفهم منها إلا أن هذه الحرب وقعت عن طريق الخطأ غير المقصود . والذي توضحه وتورده مفصلاً ، روايتا كلٍ من ابن بشر ، وابن بسام . يقول ابن بشر : «وسبب ذلك أنه سرق لخرشد عمانيتين من الركايب ، .. فجعل خرشد حرساً يدورون بالليل خارج العسكر فأمسكوا رجلاً من أهل عنيزة خارجاً من البلد إلى نخله في الليل ، فقال لهم : أنا من أهل هذا البلد ، وأنا ظاهر إلى نخلي فمشوا معه إلى نخله ، فلما أقبل على النخل تكلم لأبيه فجاء إليه فأمسكهما العسكر وعدلوا بهما إلى ناحية العسكر وذبحوهما ونقلوهما إلى النفوذ المقابل للبلد ، ودفنوهما فيه ، فلما أصبح أهل النخل ولم يأت إليهم أبوهم ولا أخوهم تبعوا أثرهم فوجدوهم مدفونين فأخرجوهم ، فقال يحيى أمير عنيزة : ارموهم عند خيمة خرشد ، وظهر يحيى من البلد وقصد خرشد في خيمته ، فلما أراد الدخول عليه أخذ سيفه قواويس الباشا على العادة أنه لايدخل عليه أحد بسلاح ، فهرب خادم يحيى الذي معه إلى البلد ، وقال : أميركم قُتِل ، وكان جملة العسكر في وسط البلد يبيعون ويشترون ، فنهض عليهم أهل

(٣٣) تقرير خورشيد .
(٣٤) محمد بن عمر الفاخري ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٤ .
(٣٥) ابراهيم بن صالح بن عيسى ، **مرجع سابق** ، ص ١٦٣ .

البلد ، وقتلوا كل من وجدوا منهم إلا رجلاً دخل بيتاً أو دكاناً فأخفاه صاحبه ، فسمع الباشا الصيحة في البلد ، فقال ليحيى : إن بلدكم حدث فيها شمطة ، وغمض رجل ليحيى فرمى عباته وهرب إلى البلد ، فعارضه في طريقه رجال من العسكر هاربين منها ، وهو في شدة الركض فرموه بالبنادق[٣٦] ، فسلمه الله تعالى»[٣٧] . ويروي ابن بسام رواية مماثلة ، مع اختلافات في بعض التفاصيل ، من أهمها قوله : «فسمع الأمير يحيى الصيحة في وسط البلد وهو جالس عند الباشا في خيمته وترك عباته ، وذهب كأنه يقضي حاجة وهرب إلى البلد ودخلها»[٣٨] . كما نص على غرض زيارة يحيى لخورشيد «فلما كان صبيحة تلك الليلة خرج يحيى بن سليمان بن زامل أمير بلد عنيزة وقصد خورشيد باشا في خيمته للشكاية عليه مما فعله العسكر في قتلهم الرجلين المذكورين»[٣٩] والذي فهم ضمناً من رواية ابن بشر .

وعند دراسة رواية خورشيد ، ورواية المؤرخين النجديين ، فيما يتعلق بالسبب المباشر لاندلاع الحرب ، يتضح أنه مع الاختلاف الجذري بينهما ، إلا أنه لاينفي أحدهما ورود الآخر ، وإمكانية حدوثه . فأحد السببين قد يكون كافياً لقيام مثل تلك الحرب ، ووقوع كليهما معاً أمر ممكن ، لايوجد ما ينفيه . غير أن المتمعن بهذه الحادثة وملابساتها ، لايمكنه إلا أن يرجح السبب الذي أورده المؤرخان ، ابن بشر ، وابن بسام ، وذلك انطلاقاً من ضراوة وقعة السوق وشدتها ، والتي لم يتوقع لها أن تكون كذلك ، إلا بحادث جَلَل ، وهو الالتباس بمقتل الأمير ، وردّ الفعل العنيف والمفاجيء ضد جند خورشيد . هذا الالتباس الذي تأيد بالرواية المختصرة للمؤرخين النجديين الآخرين ، كالفاخري ، وابن عيسى ، واللذين أشارا إليه بوقعة أو حرب من غير قصد ، حيث لايعتقد أن السبب الذي أورده خورشيد وحده كاف لقيام مثل ذلك الغليان العارم في سوق عنيزة . والذي فصله ابن بشر ، وألمح إليه خورشيد .

والمتمعن في رواية كل من ابن بشر وابن بسام ، توقفه ملاحظة أو ملاحظتان عابرتان ، وفي نفس الوقت على جانب من الأهمية :

الأولى : توقيت اندلاع قتال وقعة السوق ، الأمير يحيى لدى خورشيد في معسكره يفاوضه في أمر القتيلين ، والجند منتشرون في السوق لشراء بعض حاجياتهم . هذا التوقيت ليس من مصلحة خورشيد ولا عنيزة . والطرفان ليس من مصلحتهما أن تشب الحرب في تلك الساعة بالذات . فهل يكون هناك طرف ثالث أراد لهذه الحرب أن تثور ويكون من مصلحته ذلك ؟

---

(٣٦) يقول صلاح الدين المختار ، وتمكن يحيى من الهرب بعد أن أطلق الجند عليه الرصاص ولكن الله سلمه ، وقد يفهم من هذا أن الجند الذين أطلقوا الرصاص عليه هم جند المعسكر ، بينما هم الجند الهاربون من البلدة والذين قابلوه في الطريق ، كما نص على ذلك ابن بشر هنا . صلاح الدين المختار ، **مرجع سابق** ، ص ٢٩٧ .

(٣٧) عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣٨) عبد الله بن محمد البسام ، **مرجع سابق** ، ورقة ١٣٣ .

(٣٩) **المرجع السابق نفسه** .

هذا احتمال وارد ، لكن الجزم به دون دليل ملموس أمر غير ممكن ، إذ قد يكون الأمر كما روته وقصته هذه المصادر ليس إلا .

أما الملاحظة الثانية : فهي اختلاف ابن بسام مع ابن بشر فيمايتعلق بمن علم بالقتال في البلدة ، وسمعه أولا ، أهو خورشيد باشا أو الامير يحيى ؟ فابن بسام ، كما مر ، يروي بأن يحيى هو الذي سمع بالقتال وشعر به «فسمع الأمير يحيى الصيحة في وسط البلد وهو جالس عند الباشا في خيمته وترك عباته ، وذهب كأنه يقضي حاجة ، وهرب إلى البلد ودخلها» . وهذا أقرب إلى تصور إمكانية تسلل الأمير بالخدعة هذه ، فلو كان خورشيد ، كما قال ابن بشر ، هو الذي أحس بالقتال أو سمعه لما فرّط بأمير مثل يحيى بين يديه ، وعلى الأقل كان احتفظ به حتى يتأكد له ما الأمر .

والسبب الذي أورده ابن بشر وابن بسام للحرب ، هو بلاشك السبب المباشر لقيامها ، وبالتأكيد هو القشة التي قصمت ظهر البعير ، والشرارة التي أضرمت النار . ولكنه ليس السبب كله . فبالإضافة إلى ماذكر من سبب يعتقد حتى الآن أنه السبب المباشر ، فهناك بعض الدلائل والمؤشرات التي توحي بأن هذه الحرب مع كونها حدثت دون قصد كما تروي بعض المصادر ، أي عن طريق الخطأ غير المقصود والتسرع ، إلا أنها كانت نتيجة حتمية لتاريخ من العداء والصراع الطويل بين عنيزة وأميرها (يحيى السليم) من ناحية ، وحملات محمد علي من ناحية أخرى ، ويستنتج هذا مما ألمح إليه خورشيد وأيدته المصادر النجدية . يقول خورشيد : «وإنما نزلنا بعد مغادرة الشبيبية المارة الذكر ، في الغدير ، ولم ننزل في عنيزة لأننا بوصولنا إلى البكيرية ، والرويضة ، والشبيبية ، جاءنا عبد العزيز[٤٠] .. كما انضم إلينا جميع أمراء القرى وكبرائها طالبين الأمان ، إلا يحيى شيخ عنيزة وبعض الأهلين ، فإنهم خافو تَبِعَةَ ما اقترفوه قبل من مخالفة ، فلم يجسر على القدوم إلي ، وإنما أوفد أخاه ، فلم تقبل وفادته ، بل رُدَّ ، وقيل له : إن أتى يحيى نفسه فبها وإن لم يأت ، فسيلقى جزاء عصيانه ، فهذا هو السبب ، في تجاوزنا عن النزول ، في عنيزة حتى يتضح لنا كنه الأمور ، فنفعل مايقضي به حسن التدبير ، غير أن الامير المذكور يحيى ووجوه البلدة تداركوا ماسيحيق بهم آخر الأمر من ويل وشر ، فركنوا وجاءوا جميعاً يَعِدُون خادمكم بالدخول في حظيرة الطاعة والانقياد ، وبإيفاء كل ماعسى أن يكلفوه من خدمة للحكومة ، وبذلك استجيب لهم ، فيما طلبوه من العفو والأمان»[٤١] .

---

(٤٠) هو عبد العزيز آل محمد آل عبد الله أبو عليان ، أمير مدينة بريدة تولى إمارتها في عام ١٢٤٣هـ . بعد أن عزل الإمام تركي بن عبد الله أميرها السابق محمد آل علي بن عرفج وجعل الأمير عبد العزيز مكانه . وقد استمرت إمارته ، عدا بعض الفترات البسيطة التي عزل فيها عن الإمارة ، حتى عام ١٢٧٧هـ . وكان على وئام واتفاق تام مع أمير عنيزة يحيى السليم . ابراهيم بن صالح بن عيسى ، **مرجع سابق** ، ص ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، عثمان بن عبد الله بشر ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ٦٤ ، ١٨٨ - ١٩١ ، محمد بن ناصر العبودي ، **مرجع سابق** ، ص ٥٢٩ - ٥٤٧ .

(٤١) تقرير خورشيد .

ويستنتج من هذا النص عدة أمور من أهمها :

أولاً : يحتوي على شيء من التهديد والوعيد لأهل البلدة وأميرهم وأن خورشيد قد يكون وضع في الحسبان محاربة عنيزة لو اقتضى الأمر . وحسب روايته لم يفلّ عزمه هذا سوى ركونهم للسّلم والذي في مقابله منحهم العفو والأمان .

ولكن بالرغم من هذا ، فالنص يشير إلى محاولة خورشيد الجادة ، في التريث ومحاولة تجنب أي حرب مع هذه البلدة ، «حتى يتضح لنا كنه الأمور ، فنفعل مايقضي به حسن التدبير» .

ثانيا : كان يوجد عداء شديد بين الطرفين . وهذا أمر طبيعي لايتوقع غيره ، إذ أن عنيزة وأميرها سبق أن قاموا بأعمال حربية ضد جيوش محمد علي السابقة لحملة خورشيد ، مثلهم في ذلك مثل أي بلد نجدي آخر . ولكن يبدو أن هذا العداء كان عداء متميزاً ، وليس أدل على هذا من :

(أ) أن أمير عنيزة يحيى وبعض كبارها «إلا يحيى شيخ عنيزة وبعض الأهلين» هم الوحيدون من بين رؤساء القصيم الآخرين الذين لم يخرجوا لخورشيد ولم يقدموا للسلام عليه في أول الأمر ، بل اكتفى الأمير بإيفاد أخيه نيابة عنه ، طبقاً لرواية خورشيد هذه . وخورشيد هنا يعلل سبب عدم قدوم أمير عنيزة ، وبعض كبارها بالخوف ، ولو كان هذا هو السبب فعلاً ، وأن الأمير كان خائفاً من مقابلة خورشيد ، فإن هذا الخوف ينطبق أيضاً على أخي الأمير الموفد . وليس من المعقول أبداً ، أن يعرض الأمير يحيى أخاه لمثل هذا الخطر ، الذى قد يتهدده أو يقع عليه . وعلى كل ، فتعليل خورشيد هذا ضعيف ، وقد يكون مرفوضاً ، لأنه وصف به أهل جنوب نجد ، عندما لم يقدموا عليه ولم يكترثوا به ، حين قدم إلى العارض[٤٢] . وقد كانوا أقوياء ، منتصرين تماماً على جيش إسماعيل وخالد . ولربما كان الأمير يحيى هو الآخر غير مكترث كثيراً بمقدم ذلك القائد . وقد يكون مرده ثقة بالنفس واعتداداً بقوة المدينة .

(ب) أن خورشيد لم يكن أبداً مطمئناً لهذه البلدة بالذات ، وعدم قدوم الأمير عليه بلا شك زاد من مخاوفه وشكوكه ، مما دفعه إلى تجاوزها وتجنبها .

(جـ) يشير خورشيد إلى أمور مخالفة اقترفها أهل عنيزة وأميرهم من قبل «فإنهم خافوا تبعة مااقترفوه قبل ، من مخالفة» . ولهجة خورشيد توحي بأنها أمور حربية ، وهو لايذكر شيئاً عنها .

ويحسن هنا محاولة الإلمام بهذه الأمور . فعند استقراء المصادر ومادونته من أحداث سابقة لهذه الحرب ، سواء القريبة منها أو البعيدة بعض الشيء عنها ، والتي تتعلق بعنيزة ، في فترة أميرها يحيى السليم أو ماقبله بقليل ، ومقاومتها لجيوش محمد علي ، والدور الذي لعبته في هذا الصدد ، نجد هذه المصادر تسطّر بعض الأحداث التي توضح جانباً من هذا الصراع . والذي يمثل الجذور العميقة لهذه الحرب ، التي لاتكمل صورتها بدون الإلمام بها ومعرفتها .

---

(٤٢) الوثيقة التركية رقم ١٦٣ ، حمراء ، محفظة ٢٦٧ ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في ٢٩ جمادي الأول ١٢٥٥هـ . (رسالة من خورشيد وتقرير عن أحوال نجد – السند الخامس) .

فالمؤرخ عثمان بن بشر ، يروي ، ضمن أحداث عام ١٢٣٨هـ . مايلي : «وفي هذه السنة لما رجع حسن بيك أبو ظاهر من الجبل ببلاد شَمَّر بعدما غدر بهم ، وأخذ منهم أموالاً وقتل رجالاً ، نزل بلدة عنيزة ، وأنزل عساكره في بيوت في البلد ، فلما استقروا فيها طلب عليهم عدداً من الأموال ، وحبس أمير البلد عبد الله الجمعي (ورجال) من أكابرها فسلموا له بعض المطلوب .

ثم إن أهل عنيزة لما عرفوا غدره ، وأن ظلمه في زيادة ، عزموا على حربه وإخراجه وعسكره من بلدهم ، وأجمعوا على ذلك ، وثاروا عليه بعزيمة قوية ، وحملوا عليه في البيوت ، وطلب الأمان فأعطوه ، وأخرجوهم منها صاغرين ، ونزل هو وعسكره خارج البلد ، وأقبل العسكر الذي في بلد ثرمدا فنزلوا عليهم في عنيزة ورحلوا منها إلى المدينة ، وأبقى (أبو) ظاهر محمد آغا ومعه نحو ستمائة من الترك في قصر الصفا في عنيزة ، بعد مارحل أبو ظاهر وعساكره من القصيم بمدة قام أهل عنيزة على العسكر الذي في قصر الصفا وحاولوهم على الخروج منه بلا حرب وأنهم يلحقون بأصحابهم فأبوا إلا الحرب فثار عليهم أهل البلد وحربوهم ووقع بينهم قتال ومطالعات ورموا أهل البلد بالقبس والطوب ، وقتل من الترك نحواً من سبعين رجلاً ثم وقع الصلح فأخرجوهم من القصر بالأمان»(٤٣) .

ولتتبع سيرة حسن بك أبو ظاهر هذا وجيشه ، نجد أنه وسابقه ، حسين بك كانا من أعتى قواد حملات محمد علي وأشدهم ظلماً وغدراً . وليست المصادر النجدية فقط هي التي كتبت عن ظلمهما وجورهما بل أيدتها في ذلك الوثائق التركية ، والتي تقول في وصف ما اقترفته حملتا حسين بك وحسن بك وما ارتكبته من جرائم «وإذا بالمرحوم حسين بك ، وحسن بك ، جاءا وجعلا نجداً خراباً يباباً ، وكان يعطي الأمان لبعضهم ، فإذا جاءوا عنده قتلهم ، فلهذا كان من وراء ذلك ، خسائر كثير ، ولم يكتف بما فعله ، بالرجال ، بل تجاوز في عدوانه حتى وصل إلى النساء»(٤٤) .

وإن طرد حسن بك بهذه الطريقة الحازمة القوية ، وقتل نحو سبعين من رجاله ، ليؤكد بسالة هذه البلدة ورجالها ، وعلى رأسهم أميرهم يحيى السليم ، والذي يبدو أن له دوراً أساسياً وفعالاً في هذا ، إذ أنه تولى إمارة عنيزة في ذلك العام ، بعد طرد حسن بك مباشرة . كما أن هذا الحدث يبرهن على مدى صلابتهم وقوة صمودهم أمام تلك الحملات والجيوش الغازية . لا سيما إذا تذكر المرء أن هذه الحادثة حصلت في أحلك فترات نجد السياسية ، بعد سقوط الدرعية وانتهاء حكم الدولة السعودية الأولى ، وانفراط عقد الأمن وتفشي الفوضى والنزاعات ، وانكشاف المدن والقرى أمام الغزاة ، واعتمادها فقط على قوتها الذاتية ، مع ماصاحب هذا من هزيمة وقهر ، وشعور بالمرارة القصوى ، نتيجة لهذه الأحداث الدامية . فإن القيام بمثل هذا العمل له مكانته الحربية والمعنوية ،

---

(٤٣) عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦ ، ٢٧ ؛ ابراهيم بن صالح بن عيسى ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

(٤٤) الوثيقة التركية رقم ١٦٣ ، حمراء ، محفظة ٢٦٧ ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في ٢٩ جمادي الأولى عام ١٢٥٥هـ (رسالة من خورشيد باشا إلى الباشمعاون الخديوي – البند السادس) .

ويعطي أيضاً الدلالة التاريخية ، فعنيزة ، في هذه السنة (١٢٣٨هـ) – ونجد تعيش ظروفاً قاسية إثر هزيمة عامة – استطاعت أن تدحر حسن بك هذا القائد الذي شهد حتى أهله بفتكه وشراسته ، فهل تكون عنيزة في عام ١٢٥٤هـ ، عاجزة ومقدرتها الحربية متدنية ، إلى درجة أن تكون لقمة سائغة لخورشيد باشا لتستسلم له بعد حرب وحصار دام يومين وليلة فقط ؟ لاسيما وأن الظروف السياسية والاقتصادية قد تحسنت ، ووطأة الهزيمة على المنطقة ، قد خفّت .

ويبدو أن يحيى أراد أن ينهي إنهاء تاماً ، جميع مايذكر بهؤلاء – الغزاة . إذ قام على أمير البلدة من قبلهم ، عبد الله الجمعي وقتله في مجلس عنيزة ، في وسط البلدة ، وتولى الإمارة مكانه . وكان هذا في شعبان عام ١٢٣٨هـ . وكان عبد الله هذا قد عينه إبراهيم باشا أميراً على عنيزة . وبعد رحيل إبراهيم باشا من نجد ، قام أهل عنيزة بإخراجه ، وطرده منها . وولوا مكانه محمد بن حسن الجمل ، أميراً عليهم ، ثم أعاده حسين بك إلى تولي إمارة البلدة ، مرة أخرى ، بعد قضائه على أميرها محمد بن حسن . وعندما دُحِر حسن بك أبو ظاهر ، كما تقدم ، وطرد من عنيزة هو وجنوده ، قام يحيى بعمله هذا[٤٥] . والذي يعتبر بلاشك تحدياً صارخاً لهؤلاء ومن قد يمثلهم . كما يعتبر عمله هذا – والحملات لم تنقطع تترى على نجد جيئة وذهاباً – عملاً ينم عن جرأة وجسارة . وربما دخل هذا التصرف في إطار الأمور المخالفة التي قد يكون عناها خورشيد .

ومن الأمور التي ربما عناها خورشيد أيضاً وقصدها في تقريره ، بالأمور المخالفة . أنه في أثناء استعداد الإمام فيصل بالقصيم ، للتصدي لجيش محمد علي ، المرسَل إلى نجد ، بقيادة إسماعيل بك وخالد بن سعود ، لعبت عنيزة وأميرها يحيى السليم دوراً بارزاً وقيادياً . حيث غدت قاعدة ومركزاً لقوات الإمام والتي كان يعدّها ويجهزها لصد هذا الجيش[٤٦] وهذا يوحي بقوتها الحربية والقيادية في هذا المجال ، ويدعم هذا تصديها لهذا الجيش ، بعد رحيل الإمام فيصل عنها ، إذ يقول ابن بشر ضمن أحداث عام ١٢٥٣هـ : «رجعنا إلى قصة إسماعيل وخالد وعساكرهم .. رحلوا من الرس ونزلوا الخبرا ثم رحلوا منها وقصدوا بلد عنيزة فأغلق أهلها عنه الأبواب وحاربوه ، ثم وقع بينهم الصلح»[٤٧] وهذا النص يدل على أن عنيزة استبسلت في صد هذا الجيش وحربه حتى تم الصلح بينهم ، وهو ما فهمه الباحثون في التاريخ الحديث إذ يقول صلاح الدين المختار : «ماكاد الإمام فيصل يتحرك من عنيزة حتى أوعز إسماعيل آغا وخالد بن سعود إلى الجنود المصريين بالسفر إليها ، وما أن وصلوها حتى أغلق سكانها الأبواب في وجوههم ونازلوا القوات المصرية بقسوة وعنف ، ثم عقدوا الصلح مع قادتها»[٤٨] .

---

(٤٥) نفس هامش (١٥) .
(٤٦) عثمان بن عبد الله بن بشر ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ص ١٤٢ – ١٤٣
(٤٧) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .
(٤٨) عبد الله الصالح العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨ .

وقد يكون خورشيد ، عند إشارته إلى الأمور المخالفة التي ارتكبها أهل عنيزة وأميرهم ، قد عنى واحداً أو اثنين من هذه الحوادث ، أو قد عناها كلها ، فكلها أمور بالنسبة لخورشيد وحملته مخالفة .

والآن لنعد إلى دراسة نتيجة الحرب . فخورشيد ، كما مَرّ ، يخلص في تقريره إلى القول ، بأن أهل البلدة «لم يجدوا إلى الفرار سبيلاً ، ولا من التسليم مَحِيصاً»(٤٩) وطبقاً لهذا فثلاثة أيام أو يومان وليلة من الحصار كان نتيجتها الاستسلام . ولكن ماذا يقول المؤرخون النجديون عن هذه النقطة ؟ .

ابن بشر ، بعد وصفه لوقعة السوق ، والهزيمة الساحقة التي تلقاها جند خورشيد ، وتعداده لقتلاهم التسعين ، وقتلى عنيزة الخمسين ، والذين قتلوا خارج البلدة ، انتقاماً لوقعة السوق ، يخلص إلى القول : «ثم ثار الحرب بين أهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام ، ثم وقع الصلح بينهم»(٥٠) فهو لم يقل بأن البلدة هزمت أو استسلمت ، ولكن عبارة «ثم وقع الصلح بينهم» مجملة ، ومختصرة جداً ، ولسبر غور هذه العبارة ، ومحاولة فهم ماعناه ابن بشر ، يحسن مقارنتها بما أورده المؤرخ إبراهيم بن عيسى ، عن الصلح الذي تم بين إبراهيم باشا وبين بلدة الرس ، بعد حصار دام أكثر من ثلاثة أشهر ونصف ، تكبد خلالها إبراهيم باشا خسائر فادحة ، واضطر إلى توقيع صلح متكافيء مع الرس(٥١) ، إذ يقول ابن عيسى «ثم إنه وقع الصلح بينه وبينهم»(٥٢) نفس عبارة ابن بشر التي وصف بها صلح عنيزة مع خورشيد باشا . والمدقق في كتابات المؤرخين النجديين ، يلاحظ أنهم غالباً مايستخدمون أساليب وعبارات ، متجانسة ومتشابهة مع بعضهم البعض ، لوصف أحداث متماثلة .

أما المؤرخ محمد بن عمر الفاخري ، فروايته عن نتيجة هذه الحرب ، أقوى وأوضح «وفيها سار خرشد باشا من المدينة فوصل إلى عنيزة .. فبعد نزوله بأيام حصل منافرة وجرت بينهم وقعة من غير قصد قتل فيها مقتلة من العسكر نحو تسعين ، ومن عنيزة نحو (خمسون) ثم تراجعوا على الكف وتركوا ماسبق وتبايعوا»(٥٣) وهذه الرواية وعباراتها ، لاتحتاج إلى تفسير ، أو تعليق ، فهي دليل واضح ، على أن ذلك الصلح ، قد أبرم بين طرفين متكافئين في الموقف ، على أرض المعركة ، لابين منتصر ومنهزم . بل وأكثر من هذا ، فرواية ابن بشر ، مع رواية الفاخري هذه ، وروايات المؤرخين الآخرين ، الذين كتبوا وأرخوا لهذه الحرب ، تشير إلى شيء واحد ، هو رجحان كفة عنيزة ، حيث

---

(٤٩) تقرير خورشيد .

(٥٠) عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ .

(٥١) الوثيقة التركية رقم ١٢ ، محفظة ٥ ، بحريرا ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في ٢٣ محرم ١٢٣٣هـ . (حصار مدينة الرس) ، ج ج لوريمر ، **دليل الخليج (القسم التاريخي)** ، جـ ٣ ، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر (الدوحة : د . ت) ، ص ١٦٢٠ ؛ عبد الرحمن الرافعي ، **عصر محمد علي** ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م) ، ص ص ١٥٥ – ١٥٧ .

(٥٢) ابراهيم بن صالح بن عيسى ، **مرجع سابق** ، ص ١٤٤ .

(٥٣) محمد بن عمر الفاخري ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٤ .

لاتشير إلى أي انتصار لجيش خورشيد ، ففحوى روايتهم انتصار البلدة . والحالة هذه ، فقد يكون من الحصافة بمكان ، القول بأنه لم يكن هناك استسلام ، كما يروي خورشيد في تقريره ، وإنما هو صلح متكافيء ليس به أي غضاضة على عنيزة ، ولم يتنازلوا عن شيء ، ولم يسلموا بشيء . والذي يدعم هذا ويرجحه ، بعض الحقائق التي استرعت ولفتت الانتباه ، سواء تلك التي وردت ضمن تقرير خورشيد ، أو التي أشار إليها بعض المؤرخين النجديين المعاصرين وغيرهم ، والتي يجدر التوقف عندها ودراستها .

وفيما يتعلق برواية خورشيد ، فهناك دلائل ومؤشرات وردت في ثنايا تقريره ، إلى جانب معلومات تصل أحيانا ، إلى درجة التناقض . فالأسلوب الذي اتبعه في ذكره لخسائره ، وعباراته في تعداده لقتلى جيشه وجرحاه ، توحي بالبحث عن حقيقة ضائعة بين السطور ، وتدعو إلى التوقف والشك في أن العدد الحقيقي ، قد يفوق ماذكره أضعافاً ، إذ أن هذه العبارات تحمل جانب التطمين لسيده ومرجعه . وَلْنَستعِدْ ماقاله عن خسائر الطرفين «وهكذا أسفرت عن الحصار الذي استقرت نار الحرب فيه يومين وليلة ، عن مائتي هامة ، قتل أصحابها عند خروجهم ، وعن فتك المدافع بما يتوف على مائتي قتيل أو جريح ، من بين القابعين في الداخل» وعن خسائر جيشه قال «وبلغ عدد الذين توفوا في هذه المعركة من جنودنا ، اثني عشر رجلاً ، بين جهادي ، وفارس ، وراجل ، فإذا أضفنا إلى هذا العدد ثمانية عشر مجروحاً كانت جملة المصابين منا ثلاثين على أن جراح رجالنا لاتنذر بسوء ، وعما قريب تلتئم ويبرأ أصحابها» وعن وقعة السوق قال : «هلك من الفريقين بضعة رجال» . فبضعة رجال ، واثني عشر قتيلاً ، وثمانية عشر جريحاً ، لاتتواءم ولاتتناسب ، مع نحو أربعمائة من الطرف الآخر ، مع الأخذ في الاعتبار وقعة السوق وظروفها ، وماذكره المؤرخون النجديون خلافاً لهذا ، على أن الرقم الأخير ، على المبالغة الكبيرة فيه ، يشمل أعداداً من المدنيين ، كما مَرّ ، تفوق أعداد المحاربين . وقتل المدنيين ، على فداحته وتأثيره ، إلا أنه لا يفتّ في عضد الجيش المحارب أو يضعفه .

رفع خورشيد ، السريع والمباشر ، للحصار وقبوله الصلح حال استلام كتاب عنيزة «فلما جاء كتابهم بطلب الأمان ، رفع عنهم الحصار ، بشرط أن يعاهدونا ، على امتثال كل أمر ، وأداء كل خدمة»(٥٤) وإذا سلمنا بورود مثل هذا الكتاب إليه ، وهو أمر لم تؤيده المصادر الأخرى ، ولم تشر إليه ، فإن موافقته السريعة عليه ، توحي بأنه كان في موقف المتلهف لمثل هذا الكتاب . وهذا ما يستنتج من عباراته هذه ، وسياقها فقد رفع الحصار وقَبِل الصلح ، وليس بعيداً أن يكون قَبِل شروطاً تضمنها ذلك الكتاب . وفي المقابل ، لم يشترط ، سوى «امتثال كل أمر وأداء كل خدمة» وهذا أمر يدعو إلى الدهشة . فهذا هو الأمان الثاني ، الذي يعطيه خورشيد للبلدة . إذ سبق وأن

---

(٥٤) تقرير خورشيد .

منحهم أمانا في أول مقدمة ، حين لم يقدم الأمير ووجهاء البلدة إليه «غير أن الأمير المذكور يحيى ووجوه البلدة ، تداركو ماسيحيق بهم آخر الأمر ، من ويل وشر ، فركنوا وجاءوا جميعاً يعدون خادمكم بالدخول في حظيرة الطاعة والانقياد ، وبإيفاء كل ماعسى أن يكلفوه ، من خدمة للحكومة ، وبذلك استجيب لهم ، فيما طلبوا من العفو والأمان»(٥٥) وعبارات هذا الأمان ، تبدو أشد لهجة وأقوى من الثاني ، الذي أعطي اثناء الحصار ، كما أن خورشيد مهدد وتوعد لمجرد أن أمير البلدة ، أوفد أخاه نيابة عنه في أول الأمر ولم يقدم عليه بنفسه ، وهذا بالطبع سابق على حرب البلدة له ولجيشه والذي يدل على أنه ليس بالقائد المتساهل . فبالإضافة إلى قوله السابق «تداركوا ماسيحيق بهم آخر الأمر ، من ويل وشر» قال : «... وإنما أوفد أخاه ، فلم تقبل وفادته ، بل رد ، وقيل له إن أتى يحيى نفسة ، فبها ، وإن لم يأت ، فسيلقى جزاء عصيانه»(٥٦) ، ولذا يتوقع أن خورشيد ، لو كان فعلاً في مركز القوة والتمكن ، لما أعطاهم الأمان الثاني ، وقد نقضوا الأول ، وفتكوا بجنده ، إلا بشروط قوية ومحددة وواضحة ، قد تحمل في طياتها عقاباً صارماً ، لا مجرد «امتثال كل أمر وأداء كل خدمة» . فالمطلعون على تاريخ الجزيرة العربية الحديث يعرفون أن مثل هذا الشرط ، كان أمراً عاديا ، اعتاد أن يأخذه ويطلبه قادة حملات محمد علي في الجزيرة العربية من المدن والقرى ومواطن القبائل التي يصلون إليها أو يمرون بها . وهو في معظم الحالات ، لايعني سوى طاعة اسمية ، تمشياً مع خضوع منطقة نجد الاسمي لتلك السلطة ، في بعض فترات ذلك الزمن(٥٧) .

وفيما عدا هذا فلا المصادر النجدية ، ولا غيرها ، أشارت إلى أي شروط حاول خورشيد أن يفرضها على عنيزة ، كذلك لم تشر ، إلى أي لقاء بين يحيى السليم أمير البلدة وخورشيد باشا سواء بعد رفع الحصار أو أثناءه .

وأجمعت المصادر النجدية على أن خورشيد ، بعد انتهاء الحرب ، ظل معسكراً خارج عنيزة مدة خمسة أشهر(٥٨) ، وتأيد ذلك بما أوردته بعض الوثائق التركية من تأريخ للأحداث والوقائع التي

---

(٥٥) المرجع السابق .

(٥٦) المرجع السابق .

(٥٧) الوثيقة التركية رقم ١٦٣ ، حمراء ، محفظة ٢٦٧ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٩ جمادي الأولى ١٢٥٥هـ . (رسالة من خورشيد ، وتقرير عن أحوال نجد) .

(٥٨) عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ ؛ ابراهيم بن صالح بن عيسى ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٦٣ - ١٦٤ ، عبد الله بن محمد بن بسام ، **مرجع سابق** ، ورقة ١٣٤ ويقول الدكتور عبد الفتاح أبو علية : «قرر محمد علي تعزيز قواته المحاصرة في نجد فأرسل خورشيد باشا بقوات كثيفة عسكرت في بلدة الرس في القصيم» . ويبدو أن الأمر تشابه عليه ، إذ أن الحملة التي فعلا عسكرت في الرس ، هي حملة إسماعيل بك وخالد بن سعود ، والذي أرسل خورشيد نجدة لهم ، عبد الفتاح أبو علية . **الدولة السعودية الثانية (١٢٥٦/١٣٠٩هـ - ١٨٤٠/١٨٩١م)** ، جـ ٢ (الرياض : دارة الملك عبد العزيز ط ٤ ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) ص ٤٧ ، عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ ؛ عبد الله بن محمد البسام ، **مرجع سابق** ، ص ١٣٢ .

تلت ذلك[٥٩] . والمتتبع لسير حملة خورشيد ، منذ مغادرتها للحناكية ، وحتى وصولها إلى عنيزة ، يلاحظ أنها لم تقم في أي من الأماكن التي مرت بها ، إلا استراحة السفر الضرورية كيوم أو ليلة ، والذي أيضا قاله خورشيد[٦٠] . وأنها كانت حثيثة السير مستعجلة ، حتى إنه عند وصول هذه الحملة إلى مشارف القصيم جعلها خورشيد تسير متحدة مع بعضها ، وكان سبق أن قسمها إلى قسمين ، يسير أحدهما قبل الآخر ، تجنباً للتزاحم على موارد المياه في الطريق ، والذي لم يعد له حاجة لتوفر هذه المياه في القصيم[٦١] .

فلماذا هذه الإقامة الطويلة — وبالذات بعد الحرب ؟

قد تكون من قبيل الصدفة ، وهذا أمر وارد ، وقد يكون خورشيد خطط مسبقاً لمثل هذه الإقامة ، وهذا غير وارد كما سيبين ، وقد تكون نتيجة لهذه الحرب وهو ما أشارت إليه الظروف والقرائن .

فخورشيد ، لم يخطط لإقامة طويلة خارج عنيزة ، فتقريره لايوحي بهذا ، بل أراد تجنب هذه البلدة وتجاوزها . كما أن مهمته لاتحتمل ذلك . فمن ضمن الأهداف الأساسية لحملة خورشيد ، نجدة جيش إسماعيل بك ، وخالد بن سعود ، والذي تكبد هزيمة فادحة على أيدي قوات جنوب نجد ، مما جعله في حالة يُرثَى لها .»[٦٢] . حيث أصبح إما محاصراً في الرياض من قبل الإمام فيصل ، أو فلولاً هائمة على وجهها في الصحراء . وكان هذا الجيش في أمسّ الحاجة إلى منقذ ومنجد ، وماكان هذا المنجد سوى خورشيد وجيشه . يقول الدكتور عبد الله الصالح العثيمين : «وفي أثناء ذلك جرت اتصالات بين فيصل بن تركي وبين والي العراق العثماني . ومن الواضح أن كلاً منهما حاول أن يستفيد من الآخر في الوقوف أمام العدو المشترك لهما حينذاك ؛ محمد علي . وحينما أدرك هذا الأخير ضعف موقف خالد بن سعود ومن معه وماقد تؤدي إليه الاتصالات المذكورة سابقاً من نتائج بعث حملة جديدة إلى نجد بقيادة واحد من أمهر قادته العسكريين ، وهو خورشيد باشا . وكان مما قام به ذلك القائد فور وصوله إلى جزيرة العرب أن أرسل إلى فيصل بن تركي هدية مع عبد

---

(٥٩) الوثيقة التركية رقم ٢٢٠ ، محفظة ٢١٤ ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في ٢٥ جمادي الأولى ١٢٥٤هـ . (بشأن فرار جلوي بن تركي) ، الوثيقة التركية رقم ٦ ، محفظة ٢٦٦ ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في رمضان ١٢٥٤هـ . (تقرير من خورشيد باشا ، عن الوضع في نجد ، كما تحوي بعض الخطابات الأخرى) .

(٦٠) تقرير خورشيد .

(٦١) **المرجع السابق** . كما أن هناك وثيقة تركية تثبت بأن خورشيد فعلا كان مستعجلا وأن – مهمته لاتحتمل التأخير إلى درجة أنه أراد إرسال بعض الخيالة والفرسان إلى الرياض كنجدة لها – كما أرسل خطاب تهديد إلى فيصل بن تركي . وهو بهذا يسعى إلى كسب الوقت قبل فوات الأوان . الوثيقة التركية رقم ٢١٨ ، محفظة ٢٦٢ ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في ٥ ذي القعدة ١٢٥٣هـ . ، (حول إرسال كتاب تهديد إلى فيصل – وإرسال خيالة إلى الرياض – وأمور أخرى) .

(٦٢) انظر هامش رقم (٢) .

الله الشريف ، صاحب بلدة ينبع ، آذناً له أن يأخذ ما أراد أخذه من ممتلكاته الموجودة في الرياض ، وواعداً إياه «التقرير في ملكه ، ولا عليه منازع» كما يقول ابن بشر . ولعل ماحدث وعده بأن يظل حاكماً على أجزاء مما كان تحت يده ، مثل الجهات الجنوبية من نجد والأحساء ، وهما الجهتان اللتان كانتا لاتزالان مواليتين له . ومن الواضح أن هدف خورشيد من ذلك العرض كسب الوقت لكي يصل إلى العارض قبل أن ينال فيصل من خالد ماينال»(٦٣) ومن هذا يتضح جلياً أن عامل الوقت مهم لدى خورشيد وأن مهمته لاتحتمل التباطؤ أو التأخير في المسير ، فكيف يضيع خمسة أشهر من هذا الوقت الثمين إلا أن يكون الأمر خارجاً عن إرادته ومرغماً عليه .

وإذا أخذ بعين الاعتبار أن هذه الحملة لم تتحرك من الحناكية إلا بعد اكتمالها من جميع النواحي ، وأن المؤرخين والباحثين أجمعوا على قوة جيش خورشيد وكثافته ، وأنه في طريق إلى القصيم كان جيشاً قوياً مهاباً ، يفهم هذا من تعبيرات خورشيد نفسه حيث يقول : «وفي فجر اليوم السادس عشر من الشهر غادرنا المحل المذكور جماعة واحدة انتظمت الجهادية ، والفرسان ، والمدافع ، والمهمات ، والزاد ، والذخيرة بقضهم وقضيضهم»(٦٤) . ومن هذا يتضح أن هذا الجيش كان على جانب كبير من القوة والاستعداد ، بحيث لم يعد بحاجة إلى أن ينتظر لتلقي مددٍ أو قوات أخرى مساعدة أو ماشابه ذلك . ولكن الأمر الذي يدعو إلى الدهشة أن خورشيد يضمن تقريره ، الذي أرسله بعد الحرب مباشرة ، والتي حدثت كما مر ، بعد وصوله لعنيزة ببضعة أيام فقط ، يضمن هذا التقرير حاجته إلى الجنود والذخيرة . إذ يقول «فإذا جاءت هذه الجمال ، فسنرسلها مع الجمال المزمّع ورودها ، من المحلات الأخرى ، إلى المدينة المنورة ليأتوا منها بجنود وليجلبوا منها ذخيرة ، إن كان فيها ذخيرة»(٦٥) ويقول في مكان آخر من الوثيقة ، سيشار إليه فيما بعد ، أنه سيكون في ضيق مابعده ضيق إذا لم يلب طلبه . وهذا يتناقض مع وصفه لهذا الجيش عند قدومه للقصيم قبل أيام فقط من إرسال تقريره . مما قد يشير إلى أن هناك أمراً ما ، لم يكن متوقعاً ، قد حدث .

والذي يبدو أن هذه الحرب قد أثرت في هذا الجيش وفتت في عضده مما أجبر خورشيد على أن يمكث هذه المدة لترميم مالحق به من خلل وإصلاح مافسد . لاسيما إذا تذكرنا مدى شدة وقعة السوق على جند خورشيد ، وما أحدثته من أثر مادي ومعنوي خيم على هذا الجيش طوال فترة الحصار .

ويمضي خورشيد في تقريره ، فيقول : «أما نحن فقد رأينا أن هذه البلدة ، مركز للتجارة ، يختلف إليه التجار ، من بغداد ، والشام ، ابتغاء الأخذ والعطاء ، كما يقصده الأعراب ببضائعهم من كل نوع ، وأننا لو دمرناها ، لما نلنا من تدميرها فائدة ، فضلاً عما يحيق بمصالح التجار ،

---

(٦٣) عبد الله الصالح العثيمين ، تاريخ ... ، **مرجع سابق** ، ص ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٦٤) تقرير خورشيد .

(٦٥) **المرجع السابق** .

والأعراب الواردين عليها ، .. وعما نكابده في طلب الميرة ، والذخيرة وسائر العتاد ، مما يستحيل ، وجدانه إذا أصابها الخراب»(٦٦) . وعند تحليل هذه المبررات والأسباب التي أوردها خورشيد كعائق حال دون تدمير عنيزة ، يتراءى أنها ضعيفة ، وغير منطقية ، ولذا فقد تكون غير مقبولة .

فالسبب الأول : «أنها مركز للتجارة ، وهذا بالتأكيد صحيح ، أما أنه لم يرد القضاء على مثل هذا المركز ، فهذا غير صحيح ، فمتى كان يعني أو يكترث قواد حملات محمد علي بمراكز التجارة ، أو الحضارة ، في الجزيرة العربية عموماً ، ناهيك عن قلبها ، والذي اتخذوا منه موقفاً عدائياً واضحاً .. وهل يصدق أن مصلحة مثل هذه المراكز تهمهم ، أو يعنيهم في شيء أمر المترددين عليها ، من تجار وأعراب وغيرهم ؟ ويبدو أن خورشيد ، كان على علم بهذه الحقيقة ، وخشي ألا يصدقه مرجعه ، فأورد السبب الآخر ، والذي بدا له أن قد يكون أكثر إقناعاً لذلك المرجع «وعما نكابده في طلب الميرة ، والذخيرة ، وسائر العتاد مما يستحيل ، وجدانه إذا أصابها الخراب» ولكن خورشيد ، من حيث يعلم أو لايعلم ، نقض هذا السبب في آخر تقريره بقوله : «هذا ومع أننا الآن .. في حاجة ماسة إلى ورود الميرة .. على حين أن أشد ماتحتاج إليه العساكر ، في هذه الديار ، هي الذخيرة ، التي لاشك في أنها ، إذا لم تتوافر في المدينة ، وينبع .. تعذر علينا استيرادها ، ووقعنا في ضيق ، مابعده ضيق ، .. فالمرجو من همة دولتكم ، ياسيدي أن ترفعوا هذه الأمور وتبلغوها إلى عتبات ولي النعم»(٦٧) .

والتناقض بين هذين النصين ، فيما يحويانه من معلومات ، واضح فخورشيد يقول في النص الأول : إن عنيزة إذا أصابها الخراب فسيستحيل عليه الحصول على الميرة أو الذخيرة .

ويقول في النص الثاني : إنه في حاجة ماسة إلى الميرة.والذخيرة وإنها ، إذا لم تتوفر في ينبع أو المدينة ، تعذر عليه استيرادها ، ووقع في ضيق ما بعده ضيق .

وكلمات مثل : فيستحيل – حاجة ماسة – تعذر عليه استيرادها – ضيق مابعده ضيق – هي كلمات قوية قاطعة نهائية تعني الاستحالة . ففي أي الاستحالتين تؤخذ رواية خورشيد ؟ في استحالة الحصول على ميرة وذخيرة ، في حالة خراب عنيزة ، أم في تعذر الحصول عليها ، في حالة عدم توفرها في المدينة وينبع .

إن طبيعة الأحداث ، واستقراء تاريخ الحملات وتجهيزاتها ، تؤكد بأن ذخائرها وميرتها وعتادها وما إليه ، كله ، يرسل إليها من مصر ، عن طريق ينبع – المدينة ، غالباً(٦٨) إذن فخورشيد ، كان يعني ماقاله في النص الثاني تماماً . وكان في أمسّ الحاجة إلى ماطلبه ، ويريد من مرجعه أن يخبر محمد علي ، بأن العتاد وما إليه ، إذا لم يتوفر في المدينة وينبع ، فسيكون هو وجيشه في

---

(٦٦) المرجع السابق .

(٦٧) المرجع السابق .

(٦٨) عبد الفتاح ابو علية ، مرجع سابق ، ص ص ٤٠ – ٤١ .

ضائقة ماسة . وكانت تلك هي الحقيقة ، فعنيزة ليس لها علاقة بتلك الحملات ، من ناحية التموين أو الميرة والذخيرة ، إلا أشياء قد يتسوقها العسكر من أسواقها ليست من الأساسيات التي قد تعول عليها الحملة في شيء ، والتي قد يجدونها في أي بلدة أخرى مجاورة . ولعل خورشيد قال ماقاله في استحالة الحصول على الميرة والذخيرة ، في حالة تخريبه للبلدة ، عله يقنع مرجعه بهذا السبب ، والذي حاول أن يواري خلفه عجزه عن فعل ذلك .

ولعل مما يضعف تبرير خورشيد في عدم هدمه للبلدة ، والذي ربما يكون عقد العزم عليه في حالة انتصاره ، أنه حتى لو فعل ذلك لما تأثرت حملته بشيء . إذا أخذ في الحسبان ، مدى ماتتمتع به معظم مدن وقرى القصيم من نشاط تجاري متميز ، لاشتغال الكثير من سكانها بتجارة القوافل . حيث ستتمكن هذه الحملة من الاعتماد على أي من هذه المدن في التزود بما يلزمها .

وحتى لو سلم بهذين التبريرين ، وهو أن عنيزة مركز تجاري ، لم يرد تدميره . واستحالة الحصول على الميرة والذخيرة في حالة خرابها لو سلم بهما على سبيل الفرض ، فهل انحصرت سبل عقاب الخصم المهزوم والتشفي منه بالهدم فقط ؟ إما هدم البلدة أو لا عقاب ! لاسيما إذا أخذ بعين الاعتبار مدى عمق الكارثة التي لحقت بجند خورشيد في وقعة السوق ، والعداء التاريخي المسبق والمتميز ، والذي أشار إليه خورشيد نفسه .

فلو أن الحقيقة كما صورها ، فعلاً بلدة مستسلمة أمام جيش منتصر ، مع جميع الظروف والملابسات هذه ، لكان المتوقع أن يقوم ذلك الجيش وقائده ، بعقاب لتلك البلدة ، إن أفلتت من الهدم ما نجا ولا سلم منه قادتها وزعماؤها ، وعلى رأسهم الأمير ، وقد ظفر بهم ذلك القائد ، ولكن شيئاً من هذا لم يحصل ، وهذا على خلاف عادة حملات وجيوش محمد علي ، فعند حصارها لبلد من بلدان الجزيرة ، وعندما يسقط هذا البلد أو يستسلم ، فإن مصيره ، غالباً ، التدمير والتخريب ، ويلاقي أهله القتل والتشريد[٦٩] . وخورشيد نفسه قد أمر بهدم أسوار وحصون جميع المدن والقرى التي انتصر عليها في الأحداث اللاحقة لهذه الحرب[٧٠] . وبالتأكيد ماكان لعنيزة أن تنجو من هذا المصير ، لو أنها كانت فعلاً استسلمت لجيش خورشيد ، أو هزمت على يديه ، لاسيما وقد حاربته بعنف وقسوة وفتكت بجنده ، ولكن يبدو أن الحقيقة غير ذلك .

وكان يتوقع ، على الأقل ، أن يأمر خورشيد بإكمال هدم الأسوار والبروج ، والتي كما قال : هدمتها مدافعه . والذي لايمكن إلا أن يكون هدماً جزئياً وبسيطاً ، في ظرف يومين وليلة من الحصار فقط ، مهما ضعف بنيانها . والتي لم تكن كذلك ، بل كانت قوية شامخة .

(٦٩) سليمان بن محمد الغنام ، **قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ - ١٨٤٠) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا** ، (جدة : تهامة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ١٠٦ .

(٧٠) عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ١٨١ .

وينقل الدكتور منير العجلاني ، تقريراً للقنصل الفرنسي في القاهرة والذي يحتوي على وصف لبعض الأحداث في القصيم إبان حملة إبراهيم باشا على نجد . إذ يقول : «ويقول القنصل الافرنسي في القاهرة في رسالتين أرسلهما إلى وزير الخارجية بباريس ..

وقد بُنِيَ حصنُها خلال سبعين سنة .. وهو ثخين جداً ، وكان الناس يظنون أن عنيزة مدينة منيعة لايرام قهرها بسبب مناعة حصنها العظيم ، ولذلك قال صاحب الرس لإبراهيم باشا : سنسمح لحامية مصرية بالإقامة في بلدتنا متى تم لكم الاستيلاء على عنيزة»(٧١) .

وكان هذا القول ينطوي على شيء من السخرية والمكر .

ويتحدث عبد الرحمن الرافعي ، بعد فشل إبراهيم باشا الذريع في حصار الرس ، وبعد أن أرغمته المدينة على رفع الحصار(٧٢) ، قائلاً : «وإنه إذا استولى الجيش على مدينة (عنيزة) تسلم له «الرس» بدون قتال وإن لم يفلح يعود القتال ثانية»(٧٣) .

ويقول لوريمر . عن نفس الموضوع : «وحدث شبه اتفاق مع أهل الرس أصبح مصير هذه المدينة بموجبه مرتبطاً بمصير عنيزة عاصمة القصيم»(٧٤) .

ويفهم من هذه الروايات ، ولاسيما الرواية الأولى ، مناعة أسوار وحصون عنيزة وقوة دفاعاتها . وأن الاستيلاء عليها من قبل إبراهيم باشا كان أشبه بالمستحيل . وعلى ذلك كان أمير الرس المتصر ، واثقاً من هذا ، عندما قال لإبراهيم باشا متحدياً : سنسمح لحامية مصرية بالإقامة في بلدتنا متى تم لكم الاستيلاء على عنيزة . ومهما كانت نتائج تلك الأحداث فهذه الروايات المتعددة الأطراف تؤكد على حقيقة واحدة ، وهي قوة المدينة وأسوارها وبروجها .

والحالة هذه ، فمن الصعب أن يقبل من خورشيد ، بأن عنيزة استسلمت في حصار دام فقط يومين وليلة . وأنه تمكن في هذا الحصار القصير جداً ، من هدم أسوارها وبروجها «التي اعتزوا بها» كما قال . والأمة لاتعتز بضعيف فلولا قوتها لما اعتزوا بها . ورواية خورشيد هذه ، يصعب قبولها مع وجود ماينافضها ، سواء من أقوال خورشيد نفسه ، أو من روايات المؤرخين النجديين وغيرهم .

ويحسن هنا أن نلقي مزيداً من الضوء على قوة المدينة ، وكذلك قوة حملة خورشيد ، يقول خورشيد وهو يتجهز للسير إلى القصيم : «في حين أكملت معدات أورطتي الآلاي الخامس عشر المندوب لنجد ..»(٧٥) ويحدد الرافعي عدد الآلاي الخامس عشر هذا المندوب لنجد بـ ٢٫٥٥٥ جندياً(٧٦) ، فإذا أضيف إلى هذا العدد ، بعض الفرسان الآخرين الذين اصطحبهم خورشيد ، مع

(٧١) منير العجلاني ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

(٧٢) كما تقدم هذا الحصار دام أكثر من ثلاثة أشهر ونصف تكبد فيها إبراهيم باشا خسائر فادحة .

(٧٣) عبد الرحمن الرافعي ، مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

(٧٤) ج ج لوريمر ، مرجع سابق ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٦٢٠ .

(٧٥) تقرير خورشيد .

(٧٦) عبد الرحمن الرافعي ، مرجع سابق ، ص ٤١٦ .

مالحق بهذا الجيش من العربان ، فيكون العدد الإجمالي ثلاثة آلاف أو يربو قليلاً . وهو مايتفق مع ماذكره لوريمر عن تعداد جيش خورشيد[٧٧] ، وقد سلح هذا الجيش بأحدث الأسلحة العسكرية ، حسب مقاييس ذلك الزمن ، واختير له قائد يحمل أعلى رتبة عسكرية ، ميرمران[٧٨] .

أما من ناحية عنيزة ومركزها الحربي إبان تلك الفترة ، فهي كما تروي المصادر التاريخية على جانب كبير من الأهمية والقوة الحربية والنفوذ . وهذا ماأدركه إبراهيم باشا ، ودفعه إلى القول : «وبما أن البندر المسمّى عنيزة جسيم في حد ذاته ، واتضح أن جميع أهالي القصيم لايخالفون رأي وتدبير هذا البندر ، وأن القرى الكائنة في وادي القصيم أيضاً تتبعه في سيره»[٧٩] ويقول لوريمر : «هي المدينة الرئيسية في القصيم بل في الحقيقة في كل أنحاء نجد»[٨٠] وينسجم مع هذا ، ما ذكره خورشيد عن ازدهار تجارتها وعلاقاتها التجارية بالأمصار المجاورة كالعراق والشام[٨١] . ومما يؤكد على أهمية هذه البلدة ، كون الإمام فيصل اتخذها قاعدة ومركزاً لتجهيزاته العسكرية ضد خالد بن سعود وإسماعيل بك . وهذه الأهمية جعلتها مستهدفة من قبل هذه الحملات ، مثلها مثل بقية مدن وسط الجزيرة الهامة .

وطبقاً للسوابق التاريخية ، فقد تصدت هذه البلدة ، لأكثر من جيش وحملة . وسقوط أميرين من أمرائها[٨٢] ، في أزمنة متفاوتة ، قتلى في خضم صراعها مع هذه الجيوش الغازية ، دليل بحد ذاته لايحتاج إلى إيضاح . وتوفر قيادة قوية ، على رأسها أمير عرف عنه الجرأة والشجاعة وسدد الرأي[٨٣] إلى جانب دفاعات البلدة من أسوار وأبراج ، والذي ألمح خورشيد نفسه إليها ، وأشار إليها المؤرخون الآخرون حتى الرسميون منهم كلوريمر الذي يقول : «والمدينة مسوَّرة وتقع في وسط واحة

---

(٧٧) ج ج لوريمر ، **مرجع سابق** ، ص ١٦٣٨ .

(٧٨) رتبة ميرمران هي رتبة فريق . عبد الرحمن الرافعي ، **مرجع سابق** ، ص ٤٠٠ .

(٧٩) الوثيقة التركية رقم ٥ ، محفظة ٥ ، بحريرا دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في ٩ محرم ١٢٣٣هـ (عن بعض العمليات في القصيم) .

(٨٠) ج ج لوريمر ، **مرجع سابق** ، القسم الجغرافي ، جـ ١ ، ص ٩٥ .

(٨١) تقرير خورشيد ، يقول خورشيد : «إن من البلاد العامرة في نجد ، هي (عنيزة) وسبب عمرانها ، لكون أهلها رجال تجارة ، وهم على الدوام في حالة سفر ما بين بغداد ، والبصرة ، والكويت ، والبحرين ، وأرض الحرمين ، لأجل التجارة» . الوثيقة التركية رقم ١٦٣ ، حمراء ، محفظة ٢٦٧ ، دار الوثائق القومية ، عابدين مؤرخة في ٢٩ جمادي الأولى ١٢٥٥هـ . (رسالة من خورشيد ، وتقرير عن واردات نجد) .

(٨٢) هما عبد الله بن رشيد ، ومحمد بن حسن الجمل ، عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، **جـ ١** ، ص ٤٣٧ ، ٤٥٣ .

(٨٣) بعد الانتصارات الأولى التي حققها أهل القصيم وحلفاؤهم على وحعان الراس من قبيلة شمر ، أشار أمير عنيزة يحيى بن سليم على بقية رؤساء القصيم ومن معهم أن يكتفوا بما أحرزوه من نصر ، أو على الأقل بما اظهروه للخصوم من قوة ، ويعودوا إلى بلدانهم ، لكنهم ، لم يأخذوا بنصيحته . وساروا إلى بقعاء ، وكانت الهزيمة عليهم فادحة . وهذا بلاشك مؤشر على بعد نظر يحيى وسداد رأيه ، كما كان له موقف بطولي في وقعة بقعاء نفسها يدل على جرأته وشجاعته . عثمان بن عبد الله بن بشر ، **مرجع سابق** ، **جـ ٢** ، ص ص ١٨٨ – ١٩٠ ؛ عبد الله الصالح العثيمين . **نشأة إمارة آل رشيد** ، (الرياض : جامعة الرياض ، عمادة شؤون المكتبات ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص ص ١٠٦ – ١٠٧ .

مسوَّرة ، أو كانت مسوَّرة قبل ذلك ، والواحة مزروعة بغابات النخيل وحدائق الفاكهة والمزارع .. وتنتشر أبراج الحراسة فوق أسوار البلدة والواحة ، وتحول الموارد الزراعية وآبار المياه الموجودة في الواحة دون إنجاح أية محاولة لحصار البلدة»(٨٤) .

كل هذه الظروف والمزايا ، رقت بالبلدة من الناحية الحربية إلى مستوى قد يصل إلى النِّدِّيَّة لهذه الحملة ، ومنازلتها إذ اقتضى الأمر . ومع أن جيش خورشيد كان كثيفاً ، لكن ليس إلى الدرجة التي يستحيل على هذه البلدة مقاومته أو يصبح ليس بمقدورها قهره . والأحداث التي تلت بعد ذلك ، والتي جرت بين خورشيد والإمام فيصل ، أثبتت أن قوات خورشيد ارتدت وهزمت أكثر من مرة ، وكادت أن تهزم هزيمة ساحقة نهائية لولا النجدات التي وصلت إليها ، مع ماصاحب هذا من تذبذب لبعض الفئات لم يكن له أي مبرر . والفاخرى يقول إنه لولا الخيانة التي حدثت من بعض المحاربين في جيش الإمام فيصل ، لما تمكن خورشيد من الانتصار ، ولما هزم فيصل ، حيث كانت مجريات المعركة ، في صالح فيصل ضد خورشيد ، إذ بلغت خسائر الأخير ثمانيمائة قتيل في مقابل مائتين فقط . يقول الفاخري : «ثم سار (خورشيد) إلى الرياض فركب معه خالد بن سعود بأهل الرياض وقصدوا بلد الدلم وفيها فيصل بن تركي قد استعد للقتال بمن معه (وجرا) بينهم وقعات قيل قتل من العسكر نحو ثمان مابة ، ومن قوم فيصل نحو مايتين وهذه هي وقعة الخراب .. وذلك كله في شعبان .. وآخر الأمر أنهم استولوا عليه وقهروه بسبب الخيانة من بعض قومه ، ثم سيروه إلى المدينة المنورة ثم إلى مصر»(٨٥) . وهذا مؤشر على أن جيش خورشيد ليس بذلك الجيش الذي يستحيل قهره أو هزيمته .

ولعل من استعراض هذه الحرب ، أصبح من الممكن أن يكون المرء صورة للنتيجة التي انتهت إليها . فكما مرّ ، قال خورشيد باستسلام البلدة . ونتيجة الحرب كما رواها المؤرخون النجديون تسعين قتيلا إلى خمسين أو ثلاثين لصالح عنيزة ، وفحوى روايتهم توحي برجحان كفة البلدة . ولكن يبدو أن الذي حدث ، لا هذا ولا ذاك ، وإنما أمر وسط ، كان نتيجة طبيعية لتدارك هذه الحرب ، وإيقافها دون نتيجة حاسمة لأي منهما . وأسبابها ، سواء ماذكره خورشيد أو الذي قال به هؤلاء المؤرخون ، تثبت بأن هذه الحرب فعلاً نشبت عن طريق الخطأ غير المقصود ، وأن كلا الطرفين لم يكن راغباً في حدوثها ، ولا أراد ذلك . خصوصاً إذا تذكرنا أن الأمير ، ساعة اندلاع الفتنة ، كان لدى خورشيد في معسكره خارج البلدة . كما كان الجند يتسوقون في سوقها . ولعل خورشيد كان أكثر رغبة في تجنب حرب كهذه . إذ ربما عبارته ، «وبدر المبادرون إلى بنادقهم ، فما راعنا إلا أن رأيناهم ، يحتلون السور ويدخلون البروج المحيطة «بالبلدة» كانت تعني أمراً آخر أراد أن

---

(٨٤) ج ج لوريمر ، **مرجع سابق** ، جـ ١ ، القسم الجغرافي ، ص ٩٦ .

(٨٥) محمد بن عمر الفاخري ، **مرجع سابق** ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، وابراهيم بن صالح بن عيسى ، **مرجع سابق** ، ص ١٦٤ .

يقوله . «فما راعنا» ، يبدو مندهشاً لفعلهم هذا . وقد يكون رأي أن الأمر ممكن أن يُحْتَوَى ويحجّم ويعاقَب المتسبب المباشر لفتنة السوق ولا يحتاج الأمر إلى حرب . كما أن إعطاءه أمانين لهذه البلدة ، يعطي الانطباع بأن خورشيد ربما أراد فعلاً عدم الدخول في أي مجابهة معها . وعندما أصبح أمام الأمر الواقع ، حدثت هذه المجابهة والحرب أراد لها ألا تستمر ، وأن ينهيها بشكل سريع . لدرجة أن الأمان الثاني ، بالرغم من إلحاق خسائر كبيرة بجنده في قتال السوق ، لم يضمنه أية شروط أو عقاب . وقد يكون رأي في قتك جنوده بالمدنيين ، ممن كانوا خارج الأسوار عند حدوث الفتنة ، انتقاماً كافياً . وأن استمرار الحصار ليس بصالحه لاسيما بعد أن لمس شيئا من بأس هذه البلدة ، وتبين له صلابة مقاومتها ، ومتانة دفاعاتها من بروج وأسوار . وأن هذا الحصار يتطلب مدة قد تطول ، وهو الأمر الذي لايريد خورشيد أن يقع فيه للأسباب التالية :

بالإضافة إلى ماأحدثته وقعة السوق من أضرار وخسائر بهذا الجيش ، فإن استمرار الحصار ، بالتأكيد ، سينهكه ويضعفه أكثر . وخورشيد يريد لهذا الجيش أن يظل قوياً متماسكاً وألا يدخل في حرب قد تطول وتؤثر عليه وربما تثنيه عن مهمته الأساسية . ولاسيما أن هذه الحرب قد حدثت في الوهلة الأولى من وصول هذا الجيش إلى نجد .

ومهمته العاجلة تجعل عامل الوقت مهماً لدى خورشيد ، وحصار البلدة لو طال ، قد يتيح الفرصة لخصمه ، الإمام فيصل ، إما بالانتصار على خالد بن سعود في الرياض ، وكان على وشك ذلك ، أو بمناوشة جيش خورشيد نفسه ومناجزته . وبذا قد يتحرج موقفه بين بلدة تحاربه وتشغله بحصارها ، وبين خصم يناوشه ويناجزه . لاسيما إذا أعدنا إلى الأذهان ، كما مر ، أنه بالإضافة إلى قوة هذه البلدة ، فقد كانت مركزاً وقاعدة لقوات الإمام فيصل في القصيم من قبل .

ومن هذا نخلص ، إلى أن خورشيد ، أمام صلابة عنيزة ومقاومتها من ناحية ، والضرر الذي لحق بجيشه ، إثر قتال السوق من ناحية أخرى ، بالإضافة إلى مهمته العاجلة ، وخصمه المتربص به ، والذي ظل خورشيد يخادعه كسباً للوقت ، أمام كل هذه العوامل ، وقد يكون لغيرها أيضاً ، اضطر خورشيد إلى رفع الحصار ، وإنهاء الحرب . مفضلاً مصالحة عنيزة ومهادنتها ، والتي ربما رأت أنه مع إمكانية قدرتها يومئذ ، على التصدي لجيش خورشيد ، إلا أن الصلح خير من الاستمرار في حرب ، قد تكون نهايتها ، مهما طالت ، غير مضمونة . لأن انتصار عنيزة على حملة خورشيد ، لو تحقق ، فلن يكون آخر المطاف . فخورشيد يستند إلى بلد ذي إمكانات يحكمه والٍ له مطامع أكيدة في جزيرة العرب ، سيوالي المدد والدعم سواء لحملة خورشيد هذه أو لغيرها من الحملات .

لذا انتهت هذه الحرب دون إحراز نتيجة حاسمة لأي من الطرفين ، حيث أنه ليس من مصلحة أي منهما استمرارها . ولعل المؤرخ الفاخري عندما قال : «وجرت بينهم وقعة من غير قصد .. ثم تراجعوا على الكف وتركوا ماسبق وتبايعوا» قصد بأن هذه الحرب قامت بطريق الخطأ ولكن الفريقين تداركوا الأمر وتراجعوا وأنهوها بصلح متكافىء ، حيث قال «وتبايعوا» .

أما قول خورشيد باستسلام البلدة ، فلعله أراد بذلك إقناع مرجعه . خصوصاً وأن هذه الوقعة حدثت في الأيام الأولى من وصوله إلى نجد . وليس من المعقول من وجهة نظر خورشيد ، أن تهتز صورة هذا الجيش أو قائده في عين ذلك المرجع . لذا مَوَّهَ خورشيد الحقائق حتى بدت متناقضة من أجل إدخال السرور على سيده وإقناعه من ناحية ، وعدم اهتزاز الثقة به كقائد عسكري من ناحية أخرى . وعبارات الوثيقة ، كما سبق ، توحي بهذا . بالإضافة إلى أنه سبق أن لوحظ على خورشيد عدم الدقة في بعض تقاريره(٨٦) وأمام قوة عنيزة ومتانة دفاعاتها من بروج وأسوار ، والتي لم يتجاهلها خورشيد نفسه ، وماسطرته المصادر التاريخية من سجل لصراعها ومقاومتها لمثل هذه الحملات ، فإنه من غير المعقول أن تهزم أو تستسلم في مدة وجيزة كهذه ، يومين وليلة . خصوصاً وأن جيش خورشيد مهما بدا قوياً إلا أن الوقائع التاريخية وبالذات تلك التي تلت هذه الحرب أثبتت أنه ليس بذلك الجيش الصلب . ومن ناحية أخرى ، فإن المصادر التاريخية أيضاً تذكر أنه في أكثر من مرة حدث وأن حوصرت عنيزة من قبل بعض القوى في نجد ووجهت المدافع إلى أسوارها وأبراجها . ولكن هذه المدافع لم تستطع أن تؤثر فيها بشيء . وصمدت المدينة ، مما اضطر هذه القوى إلى رفع الحصار والانسحاب(٨٧) .

الوثائق والمراجع

أولا : الوثائق

* الوثيقة رقم ٥ ، محفظة ٥ ، بحربرا ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في ٩ محرم ١٢٢٣هـ . (عن بعض العمليات في القصيم) .

* الوثيقة رقم ٦ ، محفظة ٢٦٦ ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في رمضان ١٢٥٤هـ . (تقرير من خورشيد باشا ، عن الوضع في نجد ، كما تحتوي على بعض الخطابات الأخرى) .

* الوثيقة رقم ١٢ ، محفظة ٥ ، بحربرا ، دار الوثائق القومية – عابدين مؤرخة في ٢٣ محرم ١٢٣٣هـ . (حصار مدينة الرس) .

* الوثيقة رقم ١٣ ، محفظة ٢٦٢ ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في ٢٠ رمضان ١٢٥٣هـ . (تتعرض من بين مواضيع أخرى ، لهزيمة خالد وإسماعيل) .

* الوثيقة رقم ٥٤ ، حمراء (المرفق العربي) ، محفظة ٢٦٢ ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في ٢٣ جمادي الأولى ١٢٥٣هـ . (تعميم مرسل لأهالي نجد ، بشأن هزيمة إسماعيل وخالد) .

* الوثيقة رقم ١٦٣ ، حمراء ، محفظة ٢٦٧ ، دار الوثائق القومية – عابدين ، مؤرخة في ٢٩ جمادى الأولى ١٢٥٥هـ رسالة من خورشيد ، وتقرير عن أحوال نجد ، البند الخامس) .

---

(٨٦) عبد الله الصالح العثيمين ، بحوث .. ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٥٦ – ١٦٠ .

(٨٧) ج ج لوريمر ، **مرجع سابق** ، جـ **٣** ، القسم التاريخي ، ص ص ١٧٤٦ – ١٧٤٨ .

* الوثيقة رقم ٢٠٨ ، زرقاء ، محفظة ٢٦٤ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٤ ربيع الأول ١٢٥٤هـ . (تقرير مرفوع من خورشيد باشا يشرح فيه وقائع تحركه من المدينة - الحناكية وحتى عنيزة ، ويحتوي - ضمن مايحتويه - تقرير عن الحرب والحصار لمدينة عنيزة) وقد أشير إلى هذه الوثيقة اختصارا بـ «تقرير خورشيد» .

* الوثيقة رقم ٢١٨ ، محفظة ٢٦٢ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٥ ذي القعدة ١٢٥٣هـ . (حول إرسال كتاب تهديد من قبل خورشيد إلى فيصل - وإرسال خيالة وفرسان إلى الرياض - وأمور أخرى) .

* الوثيقة رقم ٢٢٠ ، محفظة ٢١٤ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٥ جمادى الأولى ١٢٥٤هـ . (بشأن فرار جلوي بن تركي) .

* الوثيقة رقم ٢٦١ ، حمراء ، (المرفق العربي «هـ») ، محفظة ٢٦٤ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ٢٣ شعبان ١٢٥٣هـ . (كتاب من علي باشا ، والي بغداد إلى الإمام فيصل حول العمل على دعمه ومساندته ضد خالد بن سعود ومن معه) .

* الوثيقة رقم ٢٦١ ، (المرفق العربي) ، محفظة ٢٦٤ ، دار الوثائق القومية - عابدين ، مؤرخة في ١٩ محرم ١٢٥٤هـ (كتاب من الإمام فيصل ، موجه إلى خورشيد باشا ، بشأن اتصالاته بعلي باشا والي بغداد) .

ثانيا : المراجع

البسام ، عبد الله بن محمد (١٢٦٨/١٣٤٦هـ) ، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق** ، نسخة خطية ، نقلها عن الأصل ، المحفوظ لدى ورثة المؤلف ، نور الدين شريبة عام ١٣٧٥هـ .

ابن بشر ، عثمان بن عبد الله (١٢١٠/١٢٩٠هـ) ، **عنوان المجد في تاريخ نجد ، جزءان** ، تحقيق : الشيخ عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ ، الرياض ، دارة الملك عبد العزيز ، ط ٤ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الرافعي ، عبد الرحمن ، **عصر محمد علي** ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

عبد الرحيم ، عبد الرحيم عبد الرحمن ، **من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي ، (١٢٣٤ - ١٢٥٦هـ/١٨١٩ - ١٨٤٠م) جـ ١** ، الدوحة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ،

محمد علي وشبه الجزيرة العربية ، (القاهرة : ١٤٠١هـ/١٩٨١م) .

العبودي ، محمد بن ناصر ، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، بلاد القصيم ، القسم الثاني** (ب - ح) الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

العثيمين ، عبد الله الصالح ، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

تاريخ المملكة العربية السعودية ، الجزء الأول ، الرياض ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

العثيمين ، عبد الله الصالح ، **نشأة إمارة آل رشيد** ، عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض (الملك سعود حاليا) ، الرياض ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

دليل الخليج ، القسم التاريخي ، الجزء الثالث ، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر ، الدوحة ، د . ت .

العجلاني ، منير ، **تاريخ البلاد العربية السعودية : عهد عبد الله بن سعود ، ونهاية الدولة السعودية الأولى** (فترة الضياع) ، (د . م ، د . ت) .

أبو علية ، عبد الفتاح ، **الدولة السعودية الثانية : ١٢٥٦ - ١٣٠٩هـ/١٨٤٠ - ١٨٩١م** ، أسهمت دارة الملك عبد العزيز في طبعه ، الرياض ، مطبعة المدينة ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

ابن عيسى ، إبراهيم بن صالح (١٢٧٠ - ١٣٤٣هـ) **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ - ١٣٤٠هـ)** ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، (د . ت) .

الغنام ، سليمان بن محمد ، **قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ - ١٨٤٠) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا** ، جدة ، تهامة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

الفاخري ، محمد بن عمر (١١٨٦ - ١٢٧٧هـ) ، **الأخبار النجدية** ، تحقيق : الدكتور عبد الله ابن يوسف الشبل ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر ، (د . ت .) .

لوريمر ، ج . ج ، **دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، جـ ١ و٥** ، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، د . ت .

المختار ، صلاح الدين ، **تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، جـ ١** ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

Unayzah's Attack on Khurshid's Soldiers and His Siege of the City (Safar, 1254 A.H.)

Mohammed Thenayan Al-Thenayan
Assistant Professor, Department of History,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT

This paper is to study the fight and the siege which took place in Safar, 1254 A.H. between Khurshid, one of the Mohammed Ali Commanders, and the city of Unayzah in al-Qasim. It sheds light on the cause and consequences of such war and confrontation. This subject, we believe has not been studied by any of the modern researchers. Consequently, we believe that this paper may be the first to tackle this matter critically and thoroughly. It refers to some historical documents overlooked by most researchers, such as Khurshid's report.

In his report, Khurshid claims that the fight ended and the siege was over by the surrender of Unayzah. However, the study proves that this is untrue. One should emphasises the fact that the conflict was ended and the siege was over by concluding an equal peace treaty between the two parties, not as Khurshid claims. This conclusion is built upon several factors among which are: The statements of the Najdi historians supported by the weak points and contradictory facts in Khurshid's report.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١ ، ص ص ٢٨١ - ٣٢٧ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

تطور حركة البناء في المملكة العربية السعودية

دراسة جغرافية

إبراهيم سلمان العلاوي(*)

مستخلص البحث

شهدت المملكة العربية السعودية منذ سنة ١٣٩٣هـ حركة عمرانية واسعة النطاق شملت جميع مناطق المملكة . وهذه الحركة العمرانية الهائلة ماهي إلا انعكاس لعدة عوامل ، يأتي في مقدمتها تحسن الوضع الاقتصادي بسبب زيادة الدخل من البترول خلال تلك الفترة ، وثانيها حقن ذلك الدخل في تنفيذ العديد من المشاريع التنموية ، من خلال خطط التنمية الخمسية ، والتي تبنّتها الدولة ، وثالثها قيام الدولة بمساعدة المواطنين تارة بمنحهم قطع أراضٍ سكنية لاقامة مساكنهم عليها ، وتارة أخرى بانشاء صندوق التنمية العقاري ، والذي يقدم قروضا ميسّرة للمواطنين . إضافة إلى إسهام الدولة في اسكان بعض منسوبي القطاعات الحكومية في مختلف مناطق المملكة .

وقد ساعدت هذه العوامل مجتمعة على تعزيز حركة البناء والتشييد ، والتي عمّت أرجاء المملكة ، إلى درجة أن النمو العمراني في جميع مدن وقرى المملكة أصبح من السمات البارزة خلال الفترة المذكورة .

وتبرز أهمية هذه الدراسة في تتبع تطور حركة البناء والتشييد التي شهدتها مختلف مناطق المملكة بنسب متفاوتة خلال تلك الفترة القصيرة من الزمن ، والتي لم يسبق لها مثيل طوال تاريخ المملكة القديم والمعاصر .

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان الجهود التي تمكنت بموجبها الدولة من إيجاد حل لمشكلة الاسكان ، عن طريق إجراء دراسات تحليلية عن أحجام البناء في مختلف مناطق المملكة . وبيان مناطق الكثرة ومناطق القلة والعوامل المؤثرة فيها .

ولابد من الاشارة إلى أن فترة الدراسة ستنحصر بين أعوام ١٣٩٣ - ١٤٠٢هـ ، وذلك لقلة البيانات الاحصائية في الفترة السابقة لعام ١٣٩٣هـ ولعدم صدور البيانات الاحصائية بعد عام ١٤٠٢هـ ، وقت كتابة هذا البحث .

(*) أستاذ مساعد ، قسم الجغرافيا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، المملكة العربية السعودية

أبعاد مشكلة السكن في العالم النامي

ليس من شك في أن الكثير من دول العالم عانت في فترةٍ من تاريخها من مشاكل الإسكان ، وبخاصة تلك الدول التي شهدت هجراتٍ كبيرة إلى مدنها بغرض الاستيطان الدائم أو المؤقت بدافع اقتصادي أو اجتماعي . لكن الاهتمام الحقيقي بمشاكل الإسكان هو ظاهرة حديثة نسبياً ، حيث ظهرت تحذيرات بخطورة مشاكل الإسكان لأول مرة من الأمم الأوروبية والأمريكية الصناعية ، وذلك بسبب فقدان التوازن في التوزيع السكاني نتيجة الحركات السريعة من الأرياف إلى المدن ، وذلك بتأثير الاتجاه نحو التصنيع والانتعاش الاقتصادي ، مما نتج عنه تركّز شديد لمعظم السكان في المراكز الحضرية .

وقد اتجهت الحركات السكانية من الأرياف إلى المدن في وقت لم تكن فيه المراكز الحضرية مهيأة لاستقبال تلك الهجرات إليها . وقد أصبحت هذه المراكز الحضرية نوىً للمشاكل الإسكانية[١] .

وفي العالم الثالث تزايدت مشكلة الإسكان بفعل نمو سكان المدن بصورة سريعة ، كادت تأخذ صفة الانفجار ، وذلك نتيجة للحركات السكانية تجاه المدن الرئيسية فيها ، حتى بلغت نسبة نمو المدن في بعض دوله حوالي ٥٪ سنوياً ، وفي نيومكسيكو عاصمة المكسيك حوالي ٧٪ في عام ١٩٨٠م ، ووصلت نسبة النمو في بعض مدن كولومبيا مثل مدينتي «بوجوتا» و«ليما» إلى ٨٪ سنوياً . ومن المتوقع أن يقفز عدد مدن العالم الثالث من مائة مدينة يزيد عدد سكان كل منها عن مليون نسمة في الوقت الحاضر إلى ٣٠٠ مدينة ، بنهاية هذا القرن ، بل يتوقع أن يصل عدد سكان بعض مدن الهند إلى ٣٥ مليون نسمة[٢] .

إن مشكلة التحضر في البلاد العربية لاتزال مصدر قلق لدى منظمات الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية والمؤسسات العلمية كالجامعات في البلاد العربية . ولذا فقد ازداد الاهتمام بدراسة المشاكل الأساسية المرتبطة بالتحضر كظاهرة توسع المدينة السريع ، وما نتج عن ذلك من مشكلات إسكانية في المناطق الحضرية[٣] . وحيث إن نسبة النمو الحضري في البلاد العربية تتراوح بين ٣ - ٦٪ في السنة إلا أنها ترتفع كثيراً في الدول النامية الخليجية لتصل إلى ١٦٪ في السنة[٤] وذلك بسبب

---

(١) عبد الإله ابو عياش ورميله ، **النمو والتخطيط الحضري في دول الخليج العربي** ، (الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٨٠م) ، ص ٣٠٥ .

(٢) محمد عبد الله الحماد ، نمو المدن السعودية بين النظرية والتطبيق ، **ندوة المدن السعودية : انتشارها وتركيبها الداخلي (٧ - ٩ جمادي الاخرة ١٤٠٣هـ ، الموافق ٢١ - ٢٣ مارس آذار ١٩٨٣م** ، (الرياض : جامعة الملك سعود ، عمادة شؤون المكتبات ، ١٤٠٣هـ) ، ص ٧ .

(٣) إسحاق يعقوب القطب ، اتجاهات التحضر في الوطن العربي ، من كتاب : **التحضر في الوطن العربي ، جـ ٢** ، (القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٨م) ، ص ٥٨ .

(٤) **المرجع السابق** ، ص ٣٩ .

المعطيات السياسية والاقتصادية والثقافية ، والتي تلعب دوراً هاماً في انتقال السكان من الريف والبادية إلى المدن الصغيرة والمتوسطة والكبيرة ، وهذا الوضع أدى إلى امتصاص المكاسب الاقتصادية التي تجنيها الدول الخليجية العربية بواسطة الزيادة السريعة في السكان والاستثمار في المجالات غير الإنتاجية ، أو ذات المردود البعيد(٥) .

والمملكة العربية السعودية كدولة نفطية عانت في النصف الأول من التسعينات من عجز كبير في كل أنواع المساكن التي تحتاجها سواء للسكن الخاص ، أو لاستعمالها كمدارس ومستشفيات ، أو للأغراض التجارية . ولمقابلة هذا الطلب المتزايد على المساكن تبنت الدولة عدة خطط تنموية خمسية (١٣٩٥ - ١٤٠٥هـ) وذلك لحل مشكلة الإسكان والمشاكل الأخرى ، ويمكن الإشارة إلى الخطة الخمسية الثانية كمثال لاهتمام الحكومة في حل مشكلة الإسكان ، حيث رصدت الدولة في هذه الخطة مبلغاً قدره (٩٢,٠٠٠ مليون ريال) أي بنسبة ١٨,٥٪ من إجمالي الأموال المرصودة لكل مشاريع الخطة لحل مشكلة الإسكان ، والتي تفاقمت في عام ١٣٩٦/٩٥هـ . وفي عام ١٣٩٤هـ أنشأت الحكومة صندوق إقراض لمساعدة القطاع الخاص (صندوق التنمية العقارية) وذلك لتقديم القروض للمواطنين لبناء وحدات سكنية خاصة أو للاستثمار التجاري(٦) .

تطور حركة البناء في المملكة

شهدت حركة البناء في المملكة العربية السعودية منذ بداية الخطط الخمسية ، وحتى عام ١٤٠٢هـ تطوراً كبيراً ، سواء على مستوى المملكة ، أو على مستوى إماراتها الرئيسة الأربع عشرة ، بما في ذلك إجمالي حركة البناء كلها (من تشييد جديد وتسوير وترميم) أو بالنسبة للإنشاءات الجديدة .

ويرجع معظم هذا التطور إلى التوسعات الكبيرة في الخطة الخمسية الثانية ، خاصة تلك التي تخدم قطاع التشييد مثل المنتجات التعدينية غير المعدنية ومنتجات الأشغال المدنية(٧) .

ويمكن أن نتناول هذا التطور من ثلاثة جوانب : الأول من حيث إجمالي حركة البناء في المملكة كلها ، والثاني من حيث الإنشاءات الجديدة لبيان حجمها من جملة حجم البناء في المملكة ، والثالث من حيث التوزيع المكاني للبناء في إمارات المملكة خلال السنوات المذكورة لإظهار التباينات الإقليمية . وذلك على النحو الآتي :

---

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٦) مركز الأبحاث والتنمية الصناعية ، **دليل الاستثمار الصناعي في المملكة العربية السعودية** ، (الرياض : مركز الأبحاث والتنمية الصناعية ، ١٣٩٨هـ) ، ص ٦٨ .

(٧) المملكة العربية السعودية ، وزارة التخطيط ، **خطة التنمية الثالثة - ١٩٧٥م/١٩٨٠م (١٣٩٥/١٤٠٠هـ)** ، (الرياض : وزارة التخطيط ، ١٤٠١هـ) ، ص ١٨٩ .

(أ) إجمالي حركة البناء في المملكة

تميز إجمالي حجم البناء في المملكة بالتطور المستمر منذ عام ١٣٩٠هـ وحتى عام ١٤٠٢هـ[٨] . ويمكن إبراز جوانب هذا التطور من قراءة الجدول رقم (١) والأشكال من (١) إلى (٣) على النحو التالي :

١ - تضاعف حجم البناء - بكافة أنواعه - من تشييد وتسوير وترميم نحو ٤٧ وربع مرة ، فقد بلغت جملة التراخيص المنصرفة ٦١٧٫٥٩١ رخصة في سنة ١٤٠٢هـ ، بالمقارنة بـ ١٣٫٠٧٧ رخصة في سنة ١٣٩٠هـ .

٢ - وقد حدث تطور مطّرد في عدد تراخيص البناء خلال السنوات العشر من سنة ١٣٩٠ وإلى سنة ١٤٠٠هـ باستثناء عامي ١٣٩١ و١٣٩٨هـ ، فقد زاد العدد من ١٣٫٠٧٧ رخصة إلى ٨٣٫٥١٨ رخصة بزيادة ٦٫٤ ضعفاً . مما يشير إلى ضخامة حركة البناء التي شهدتها أرجاء المملكة خلال هذه الفترة .

٣ - وتشكل السنوات الخمس من ١٣٩٦ - ١٤٠٠هـ - وهي سنوات الخطة الخمسية الثانية أكثر من نصف إجمالي حركة البناء في المملكة خلال الفترة من ١٣٩٠هـ إلى ١٤٠٢هـ . فقد بلغت جملة التراخيص المنصرفة خلالها ٣٤٤٫٢١١ رخصة بنسبة ٥٨٪ من إجمالي المنصرف منها بكافة أنواعها ، ويتفق ذلك مع فترة الذروة والازدهار التي أعقبت ارتفاع أسعار البترول ، وزيادة الدخل القومي .

٤ - كذلك فإن السنوات السبع من ١٣٩٦ إلى ١٤٠٢هـ - أي الفترة التي بدأت بتنفيذ الخطة الخمسية الثانية وماأعقبها - تشكل أكثر من ثلاثة أرباع إجمالي حركة البناء في المملكة أو مايعادل ٧٧٫٢٢٪ .

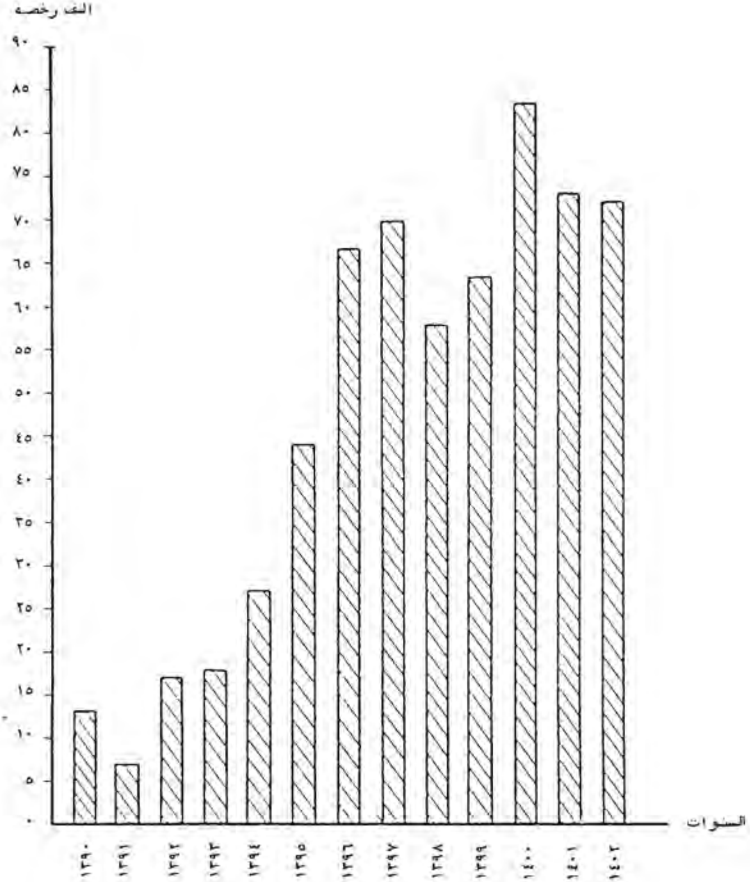
٥ - ومنذ عام ١٤٠١هـ أخذت حركة البناء في التناقص ، بسبب زيادة المعروض من الوحدات السكنية والمحلات عن الحاجة إليها . فقد تناقص عدد الرخص المنصرفة بنحو عشرة آلاف رخصة في عام ١٤٠١هـ عما كان عليه في عام ١٤٠٠هـ ، وبلغ هذا التناقص ألف رخصة في عام ١٤٠٢هـ عن العام السابق له .

(ب) التشييد والإنشاءات الجديدة

وفي مجال التشييد والإنشاء الجديد شهدت المملكة العربية السعودية تطوراً كبيراً أيضاً منذ بداية الخطط الخمسية ، ومن دراسة الجدول رقم (٢) والأشكال من (٤) إلى (٦) يمكن إبراز جوانب هذا التطور على النحو التالي :

---

(٨) توقفت الدراسة عند سنة ١٤٠٢هـ وهي آخر سنة ظهرت فيها بيانات البناء في الكتاب الإحصائي السنوي عن المملكة .



شكل رقم (١) تطور حركة البناء في المملكة (تشييد/ترميم/تسوير) خلال الفترة من ١٣٩٠ - ١٤٠٢هـ

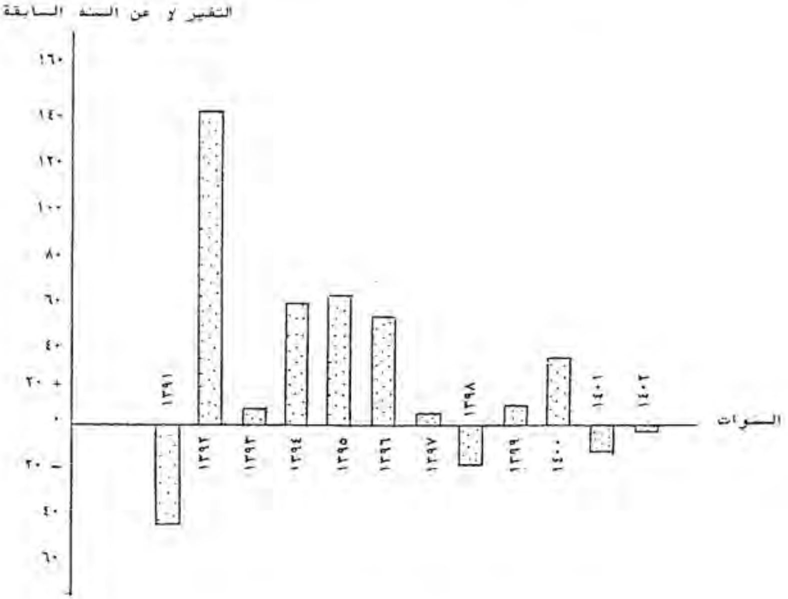
جدول (١) تطور إجمالي حركة البناء بالمملكة
(في الفترة من ١٣٩٠ إلى ١٤٠٢هـ[٩])

السنة (أ)	عدد التراخيص	بالنسبة لسنة الأساس (ب) ١٣٩٠		التغير عن العام السابق (ب)		نسبة كل سنة من إجمالي حركة البناء خلال الفترة (ب)
		٪	الترتيب	٪	الترتيب	
١٣٩٠	١٣٫٠٧٧	–	–	–	–	٢٫١٢
١٣٩١	٧٫٠١٩	٥٤	١٢	٤٦–	١٢	١٫١٤
١٣٩٢	١٧٫٠٩٧	١٣١	١١	١٤٤+	١	٢٫٧٧
١٣٩٣	١٨٫٣٠٣	١٤٠	١٠	٧+	٧	٢٫٩٦
١٣٩٤	٢٧٫٩٨٣	٢١٤	٩	٥٣+	٣	٤٫٥٣
١٣٩٥	٤٤٫٦٥٠	٣٤١	٨	٦٠+	٢	٧٫٢٣
١٣٩٦	٦٧٫٣٤٦	٥١٤	٥	٥١+	٤	١٠٫٩١
١٣٩٧	٧٠٫٩٧٠	٥٤٣	٤	٥+	٨	١١٫٤٩
١٣٩٨	٥٨٫٥٩٧	٤٤٨	٧	١٨–	١١	٩٫٤٨
١٣٩٩	٦٣٫٧٨٠	٤٨٨	٦	٩+	٦	١٠٫٣٣
١٤٠٠	٨٣٫٥١٨	٦٣٩	١	٣١+	٥	١٣٫٥٢
١٤٠١	٧٣٫٢٣٠	٥٦٠	٢	١٢–	١٠	١١٫٨٦
١٤٠٢	٧٢٫٠٢١	٥٥١	٣	٢–	٩	١١٫٦٦
الإجمالي	٦١٧٫٥٩١	٤٫٧٢٣	–	–	–	١٠٠٫٠٠

١ – تضاعف عدد المباني المشيدة حديثاً خلال الفترة من ١٣٩٠ إلى ١٤٠٢هـ بنحو ٥٨ مرة ، فقد زاد عدد تراخيص الإنشاءات الجديدة من ٨٫٠٤٢ إلى ٥٤٫٥٣٥ ترخيصاً ، بمتوسط مقداره خمسة أضعاف في كل عام عن العام السابق له .

٢ – بلغت جملة تصاريح المباني الحديثة خلال الفترة السابقة مايقرب من نصف مليون مبنى جديد (٤٦٤٫٥٨١) ، بمتوسط سنوي ٣٨٫٧١٥ مبنى ، مما يشير إلى ضخامة حركة البناء في المملكة خلال سنوات الخطة وبخاصةٍ إذا قورنت بالفترة السابقة لها من ١٣٧٩ – ١٣٨٤هـ التي بلغت جملة تصاريح البناء فيها (٤١٫٢٢٢) بمتوسط سنوي (٦٫٨٧٠) تصريحاً ، أي مايعادل ستة أضعاف الفترة السابقة سنوياً .

(٩) جدول من تصميم الباحث اعتماداً على :
(أ) المملكة العربية السعودية ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، **الكتاب الإحصائي السنوي ، السنوات من ١٣٩١ – ١٤٠٣هـ** ، جدول رقم (٤) .
(ب) من حساب الباحث .



شكل رقم (٢) تطور حركة البناء الإجمالي في المملكة (تشييد/ترميم/تسوير) في الفترة من ١٣٩٠ – ١٤٠٢هـ

٣ – وقد شهدت بعض السنوات زيادة كبيرة في حركة البناء الحديث بالمقارنة بالسنوات السابقة لها ، ففي عام ١٣٩٢هـ زادت الإنشاءات الجديدة حوالي ثلاث مرات عن العام السابق ١٣٩١هـ ، وفي عام ١٣٩٥هـ زادت هذه الإنشاءات نحو ضعفين عن عام ١٣٩٤هـ ، كما زادت هذه الحركة بنحو مرة ونصف المرة أو أكثر قليلاً في عامي ١٣٩٤، ١٣٩٦هـ عن العامين السابقين لهما ، وبلغت ١٫٢مرة في عام ١٤٠٠هـ عن عام ١٣٩٩هـ .

٤ – وفي مقابل هذه الزيادة السنوية حدث انخفاض في عدد تصاريح المباني الحديثة في بعض السنوات عن السنوات السابقة لها ، وإن اقتصر ذلك على ثلاث سنوات فقط من جملة ١٢ سنة ، هي أعوام : ١٣٩١هـ التي انخفضت فيها أعداد تصاريح البناء الجديدة إلى الضعف عما كانت عليه عام ١٣٩٠هـ وعامي ١٣٩٨ و١٤٠١هـ التي هبطت فيها أعداد هذه التصاريح بنحو الخُمُس

(٢٠٪) عن العام السابق لكلّ منهما . ويشير ذلك بصفة عامة إلى الاضطراد شبه المستمر لحركة البناء والتشييد الجديدة في المملكة باستثناء هذه السنوات الثلاث .

٥ – وبالمقارنة بسنة ١٣٩٠هـ التي تعتبر سنة الأساس في هذه الدراسة يأتي عام ١٤٠٠هـ في مقدمة سنوات هذه الفترة من حيث زيادة حركة البناء والتشييد . فقد زادت تراخيص البناء الجديدة المنصرفة فيه بحوالي ثماني مرات عن عام ١٣٩٠هـ ، يليه عام ١٣٩٧هـ بحوالي سبع مرات ورُبْع المرة ، ثم أعوام ١٤٠٢ و١٣٩٩ و١٣٩٦هـ بأقل قليلاً من سبع مرات ، فعام ١٤٠١هـ بنحو ٦٫٣ مرة . بينما كان عام ١٣٩١هـ أقل هذه الأعوام من حيث حركة البناء الجديدة حيث انخفضت فيه هذه الحركة بنحو النصف عمّا كانت عليه عام ١٣٩٠هـ .

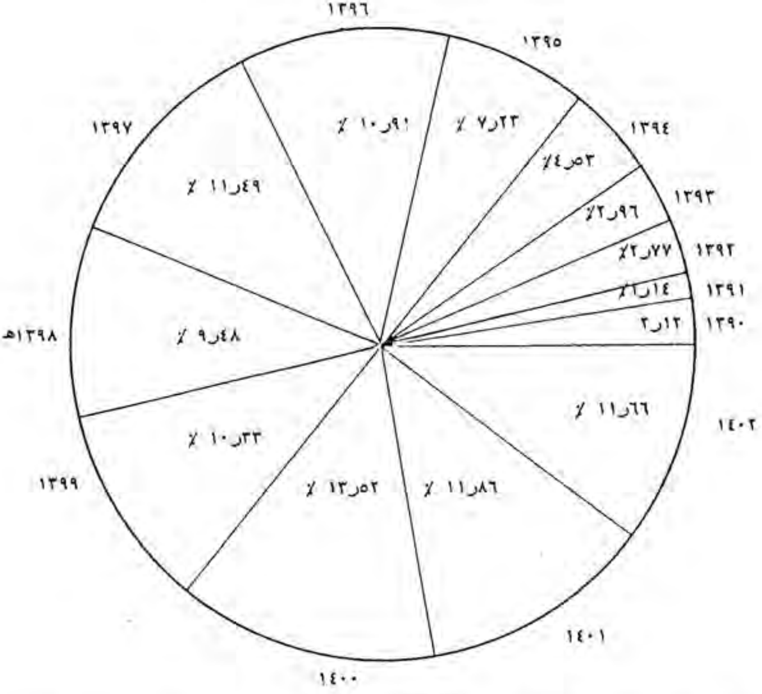
٦ – وقد استأثرت بعض سنوات هذه الفترة بنسبة عالية من إجمالي حركة البناء والتشييد في المملكة . ويأتي في مقدمتها عام ١٤٠٠هـ الذي تم فيه بناء نحو سُبْع إجمالي المباني الجديدة ، يليه عام ١٣٩٧هـ الذي تم فيه إنشاء ١ : ٨ من إجمالي ماتم تشييده في نفس الفترة ، فأعوام ١٤٠٢ و١٣٩٦ و١٣٩٩ و١٤٠١ و١٣٩٨هـ على التوالي التي بلغت نسبة ماتم بناؤه في كل منها من عُشُر إلى تُسُع إجمالي حركة البناء الجديدة كلها خلال الفترة المذكورة .

٧ – وقد تركزت عملية التطور البنائي الحديث في سنوات الخطة الخمسية الثانية (١٣٩٥/١٣٩٦ – ١٣٩٩/١٤٠٠هـ) . فخلال هذه الخطة تم بناء ٣٠٨٫٤٦٣ مبنى جديداً ، أو مايعادل ثلثي إجمالي المباني الحديثة (٦٦٫٤٠٪) المشيدة خلال الفترة من ١٣٩٠ إلى ١٤٠٢هـ . ويتفق هذا مع الارتفاع في أسعار البترول منذ بداية تنفيذ هذه الخطة ، وقبل الانخفاض الحاد الذي شهدته سوق البترول العالمي بعدها وبخاصة منذ عام ١٩٨٢م .

٨ – وقد بلغت جملة المباني الجديدة المشيدة خلال السنوات السبع من ١٣٩٦ – ١٤٠٢هـ ، ٣٨١١٢٠ مبنى ، تشكل أكثر من أربعة أخماس (٨٢٪) إجمالي المباني التي شيدت منذ عام ١٣٩٠هـ وحتى نهاية عام ١٤٠٢هـ . مما يشير إلى تركز حركة البناء وتطورها خلال هذه الفترة التي يمكن تسميتها «**بفترة الطفرة**» .

٩ – وبمقارنة الجدول رقم (٢) بالجدول رقم (١) يتضح أن المباني المنشأة حديثاً تشكل أكثر من ثلاثة أرباع إجمالي تراخيص البناء المنصرفة بكافة أنواعها ، والتي تمت خلال الفترة من ١٣٩٠ إلى ١٤٠٢هـ أو (٧٥٫٢٥٪) . مما يشير إلى كثرة الإضافات الجديدة في حركة التعمير والبناء ، بينما اقتصرت عمليات الترميم والتسوير على ربع إجمالي هذه الحركة فقط (٢٤٫٧٥٪) . وقد ساهم ذلك بشكل فعال في الامتداد العمراني المساحي لمدن وقرى المملكة .

١٠ – إن معدلات البناء الحديث في المملكة كل عام تفوق تلك المعدلات التي اقترحتها الأمم المتحدة كحلّ لمشكلة الإسكان في الدولة النامية . فقد رأت الأمم المتحدة أن حل هذه المشكلة يكون

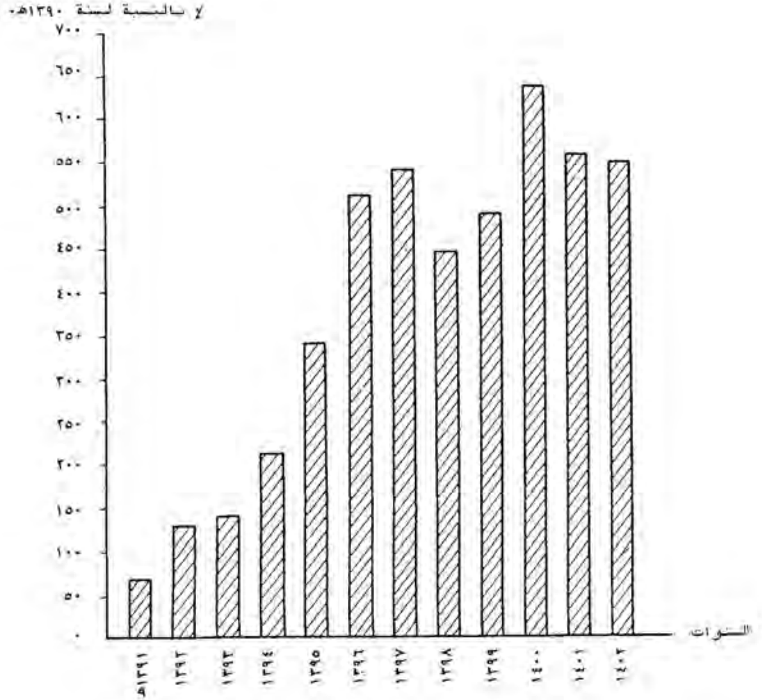


شكل رقم (٣) نصيب كل سنة من إجمالي حركة البناء في المملكة (تشييد/ترميم/تسوير) خلال الفترة من ١٣٩٠ - ١٤٠٢هـ

بناء عشرة مساكن جديدة لكل زيادة قدرها ألف نسمة كل عام ولمدة ٣٠ سنة[١٢] .

ومن مراجعة الجدول رقم (٣) والشكل رقم (٧) يتضح أن معدل المساكن/السكان المقترح ، يبلغ في المملكة ١٩٣/الألف نسمة في المتوسط خلال الفترة من عام ١٣٩٥ إلى ١٤٠٢هـ ، وأنه قد

(١٢) I.B. Sinha, Large-Panel housing for the cities with a population of over one million in developed and developing countries, In: Oktay Ural (ed.) *proceedings of the internal conference on housing planning, financing, construction, december 2 – 7, 1979,* Miami Beach Florida, (New York: Pergamon, 1979), v. 2, p. 1089.

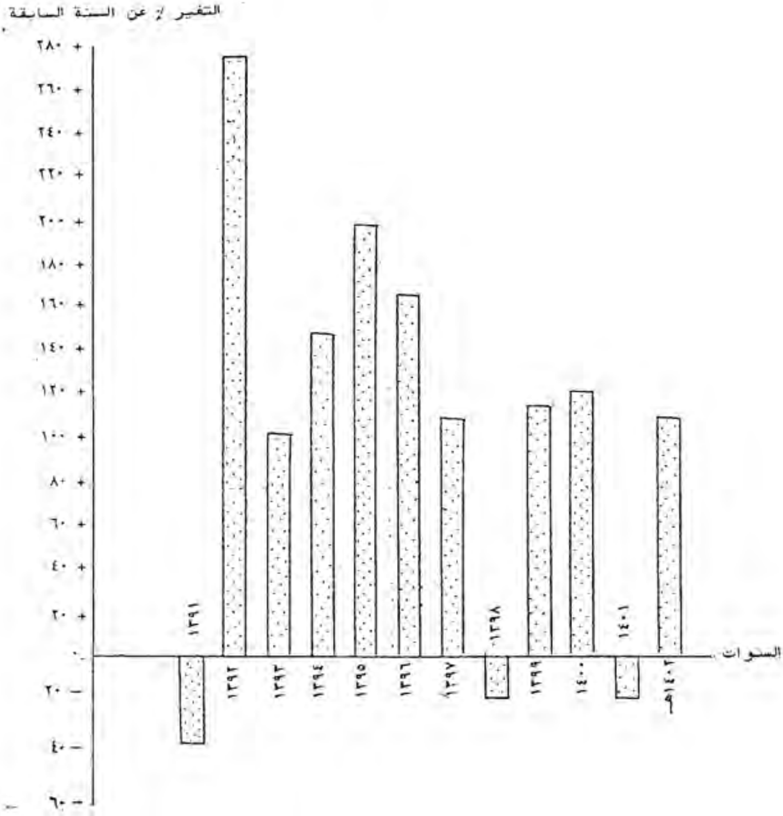


شكل رقم (٤) تطور حركة المباني المنشأة في المملكة في الفترة من ١٣٩١ – ١٤٠٢هـ

بلغ حده الأقصى (٢٢٩ مسكناً لكل ألف نسمة من السكان الجدد) في عامي (١٣٩٧ و١٤٠١هـ) ، وبلغ حده الأدنى (١٣٧ مسكناً/لكل ألف نسمة من السكان الجدد) في عام (١٣٩٥هـ) .

ويشير ذلك إلى تفوق حركة البناء الجديدة في المملكة عن المعدلات العالمية المقترحة للأمم النامية . ويتضح ذلك من زيادة الوحدات السكنية الجديدة عن الطلب عليها ، ووجود الكثير من هذه الوحدات خالية من السكان والتي بلغ عددها ٦٠٫٠٠٠ وحدة في جدة ، حسب تقرير أمانة مدينة جدة[١٣] .

(١٣) تصريح لشيخ طائفة مكاتب العقار بمدينة جدة ، **جريدة عكاظ** ، ١٤٠٦هـ ، شعبان ، ص ٦ .



شكل رقم (٥) نسبة تغير حركة المباني المنشأة في المملكة خلال الفترة من ١٣٩٠ – ١٤٠٢هـ

(جـ) التوزيع المكاني للبناء في إمارات المملكة

وعلى المستوى المحلي شهدت إمارات المملكة الأربعة عشرة تطورا مطرداً في حركة البناء إجمالا أو تشييدا ، وإن اختلفت الإمارات بعضها عن الآخر من حيث نسبة البناء وحجمه . ومن مراجعة الجداول أرقام ٤ ، ٥ ، ٦ والأشكال ٨ – ١١ ، يمكن استخلاص أهم الظاهرات التالية :

جدول (٢) تطور إجمالي حركة المباني الجديدة المنشأة في المملكة
(في الفترة من ١٣٩٠ إلى ١٤٠٢هـ[١٠])

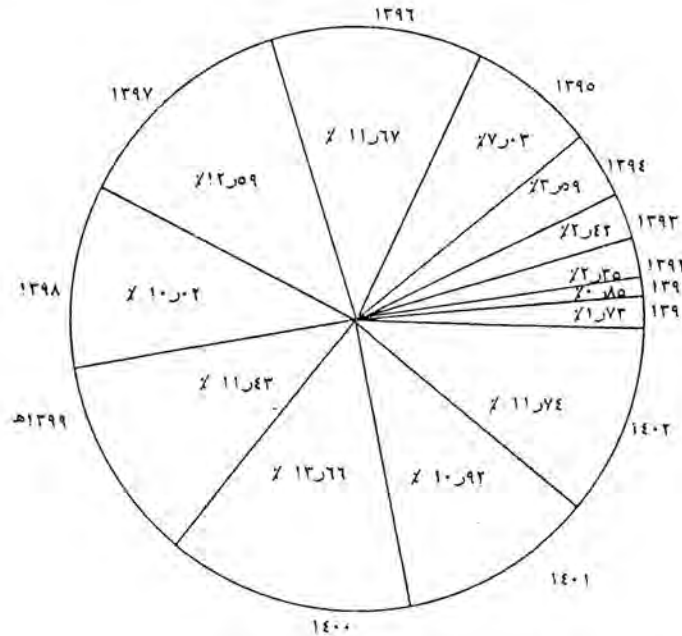
السنة (أ)	عدد التراخيص (أ)	بالنسبة لسنة الأساس (ب) ١٣٩٠		التغير عن العام السابق (ب)		نصيب كل سنة (ب) من إجمالي التراخيص بالمملكة خلال نفس الفترة ٪
		٪	الترتيب	٪	الترتيب	
١٣٩٠[١١]	٨٫٠٤٢	–	–	–	–	١٫٧٣
١٣٩١	٣٫٩٥١	٤٩	١٢	٥١-	١٢	٫٨٥
١٣٩٢	١٠٫٩١٣	١٣٦	١١	٢٧٦+	١	٢٫٣٥
١٣٩٣	١١٫٢٤٤	١٤٠	١٠	١٠٣+	٩	٢٫٤٢
١٣٩٤	١٦٫٦٥٩	٢٠٧	٩	١٤٨+	٤	٣٫٥٩
١٣٩٥	٣٢٫٦٥١	٤٠٦	٨	١٩٧+	٢	٧٫٠٣
١٣٩٦	٥٤٫٢١٧	٦٧٤	٤	١٦٦+	٣	١١٫٦٧
١٣٩٧	٥٨٫٤٦٧	٧٢٧	٢	١٠٨+	٧	١٢٫٥٩
١٣٩٨	٤٦٫٥٦٣	٥٨٠	٧	٢٠-	١١	١٠٫٠٢
١٣٩٩	٥٣٫١٠٢	٦٦٠	٥	١١٤+	٦	١١٫٤٣
١٤٠٠	٦٣٫٤٦٣	٧٨٩	١	١٢٠+	٥	١٣٫٦٦
١٤٠١	٥٠٫٧٧٣	٦٣١	٦	٢٠-	١٠	١٠٫٩٢
١٤٠٢	٥٤٫٥٣٥	٦٧٨	٣	١٠٧+	٨	١١٫٧٤
الإجمالي	٤٦٤٫٥٨١	٥٫٧٧٧	–	–	–	١٠٠٫٠٠

١ – إن إمارة منطقة الرياض تأتي في المركز الأول من الإمارات من حيث إجمالي حجم حركة البناء خلال السنوات العشر من ١٣٩٣ إلى ١٤٠٢هـ حيث يزيد نصيبها عن ربع إجمالي حركة البناء في المملكة تشييدا وترميما وتسويرا (٢٨٫٢٪) ، تليها إمارة المنطقة الشرقية ، فإمارة مكة المكرمة التي تشكل كل منهما نحو خمس إجمالي حركة البناء في المملكة وذلك بنسبة ١٨٫٧٣٪ و١٨٫٠١٪ على التوالي .

وتستأثر إمارات هذه المناطق الثلاث – التي تشكل خمس إجمالي عدد إمارات المملكة – بحوالي ثلثي إجمالي حركة البناء في المملكة خلال الفترة المذكورة (٦٤٫٩٤٪) . بينما يتوزع الثلث

(١٠) جدول من تصميم الباحث مبني على :
(أ) الكتاب الإحصائي السنوي للمملكة ، السنوات من ١٣٩١ إلى ١٤٠٣هـ ، جدول رقم (٤) .
(ب) من حساب الباحث .

(١١) اتخذت سنة الأساس سنة ١٣٩٠هـ باعتبارها بداية خطط التنمية الخمسية .



شكل رقم (٦) نصيب كل سنة من إجمالي عدد تراخيص البناء الجديد في المملكة خلال الفترة من ١٣٩٠ – ١٤٠٢هـ

الباقي على إمارات المناطق الأخرى الإحدى عشرة . مما يشير إلى أهمية هذه المناطق وإلى تركز النشاط والعمران فيها .

وتعتبر إمارات مناطق القريات والباحة ونجران وجيزان والجوف وتبوك والحدود الشمالية – التي تشكل نصف عدد إمارات المملكة – أقل الإمارات من حيث حجم حركة البناء التي تمت خلال السنوات العشر المذكورة ، التي تمثل فترة الطفرة والنمو الهائل في المملكة ، حيث لايزيد إجمالي حركة البناء فيها جميعا عن العشر إلا قليلا من إجمالي حركة البناء بالمملكة (١١ر٥٦٪) .

٢ – تختلف إمارات المناطق بعضها عن البعض الآخر اختلافاً واضحاً من حيث نصيب

جدول (٣) معدل المساكن/السكان في المملكة
(في الفترة من ١٣٩٥ - ١٤٠٢هـ[١٤])

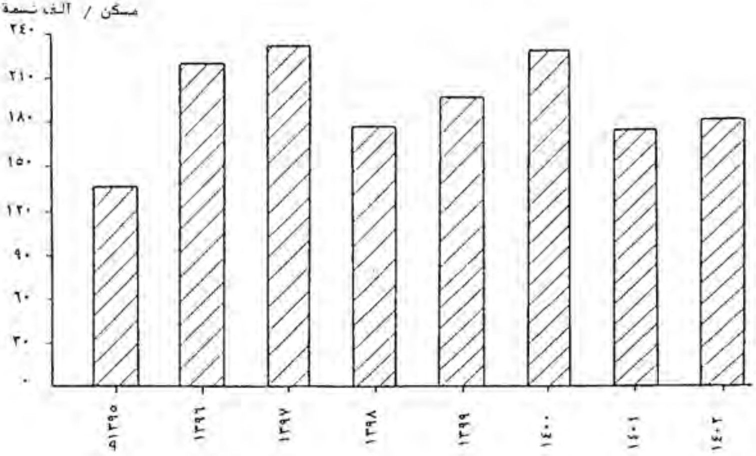
السنة	(أ) عدد التراخيص الجديدة	(ب) الزيادة في السكان (نسمة)	(جـ) معدل المساكن (لكل ألف نسمة)
١٣٩٥	٣٢٫٦٥١	٢٣٨٫٢٩١	١٣٧
١٣٩٦	٥٤٫٢١٧	٢٤٦٫٣٩٢	٢٢٠
١٣٩٧	٥٨٫٤٦٧	٢٥٤٫٧٧٠	٢٢٩
١٣٩٨	٤٦٫٥٦٣	٢٦٣٫٤٣٢	١٧٧
١٣٩٩	٥٣٫١٠٢	٢٧٢٫٣٨٩	١٩٥
١٤٠٠	٦٤٫٤٦٣	٢٨١٫٦٤٩	٢٢٩
١٤٠١	٥٠٫٧٧٣	٢٩١٫٢٢٦	١٧٤
١٤٠٢	٥٤٫٥٣٥	٣٠١٫١٢٨	١٨١
المجموع	**٤١٤٫٧٧١**	**٢٫١٤٩٫٢٧٧**	**١٩٣**

حركة البناء والتشييد الجديدة من إجمالي حركة البناء فيها . ويمكن تصنيف هذه الإمارات الى المجموعات الآتية :

(أ) إمارات تزيد فيها حركة التشييد الجديدة عن أربعة أخماس إجمالي حركة البناء فيها ، وتشمل أربع إمارات هي بالترتيب : الباحة - الرياض - الجوف - عسير ، وتبلغ نسبة عملية التشييد والبناء الجديدة فيها ٨٢٫٨٩٪ ، ٧٢٫٨٤٪ ، ٠٤٫٨١٪ ، ٧٦٫٨٠٪ على التوالي . بينما تقل فيها عمليات التسوير والترميم إلى أقل من خمس إجمالي حركة البناء ، ويشير ذلك إلى ضخامة عملية النمو والتعمير في هذه الإمارات الأربع .

(ب) إمارات تتراوح نسبة عمليات البناء والتشييد الجديدة فيها بين الثلثين إلى أقل من أربعة أخماس إجمالي حركة البناء ، وتشمل تسع إمارات ، أي نحو ثلثي عدد الإمارات بالمملكة ، وتشمل بالترتيب : القصيم - حائل - تبوك - نجران - المنطقة الشرقية - المدينة المنورة - مكة المكرمة - القريات - الحدود الشمالية . وتبلغ نسبتها ٩٨٫٧٧٪ ، ٤٨٫٧٧٪ ، ٠٢٫٧٤٪ ، ٢٫٧٣٪ ،

(١٤) جدول من إعداد الباحث اعتماداً على :
(أ) الكتاب الإحصائي السنوي للمملكة ، سنوات مختلفة من ١٣٩٦ إلى ١٤٠٣هـ ، جدول رقم (٤) .
(ب) I.B. Sinha, *op. cit*, p. 1090
(جـ) من حساب الباحث .



شكل رقم (٧) معدل المساكن/ألف نسمة من الزيادة السكانية بالمملكة بين أعوام ١٣٩٥ - ١٤٠٢هـ

٢٦ر٧٢٪ ، ٢٦ر٧١٪ ، ١١ر٧٠٪ ، ٨٢ر٦٧٪ ، ٠٤ر٦٧٪ على التوالي . ويشير ذلك إلى اتساع عملية النمو العمراني في هذه الإمارات .

(جـ) إمارات تقل فيها عمليات البناء والتشييد الجديدة عن ثلثي إجمالي حركة البناء فيها وتنخفض إلى النصف . وتشمل إمارة واحدة هي جيزان التي تبلغ نسبتها ١٤ر٥٨٪ . مما يشير إلى اعتدال عملية التجديد والإحلال والنمو العمراني .

٣ - كذلك يختلف نصيب كل إمارة من إمارات المناطق الأربعة عشرة من حيث حجم حركة التشييد فيها بالقياس إلى إجمالي حركة التشييد في المملكة خلال السنوات العشر المذكورة .

وتأتي إمارة الرياض في المقدمة حيث تستأثر وحدها بنحو ثلث إجمالي حركة التشييد في المملكة (٣٧ر٣١٪) ، تليها إمارة المنطقة الشرقية ، ثم إمارة منطقة مكة المكرمة بنسبة ٧٧ر١٧٪ ، ٥٨ر١٦٪ ، وتشكل هذه الإمارات الثلاث حوالي ثلثي إجمالي حركة التشييد بالمملكة (٧٢ر٦٥٪) ، بينما يتوزع الثلث الباقي على إحدى عشرة إمارة .

وفي مقابل ذلك تنخفض حركة التشييد والبناء الجديدة في إمارات القريات والباحة ونجران وجيزان والجوف إلى كسر ضئيل لايتعدى ٠٦ر٦٪ من إجمالي حركة التشييد الجديدة في المملكة .

جدول (٤) ترتيب المناطق الإدارية بالمملكة حسب حجم حركة البناء (في الفترة من ١٣٩٣ - ١٤٠٢هـ[١٥])

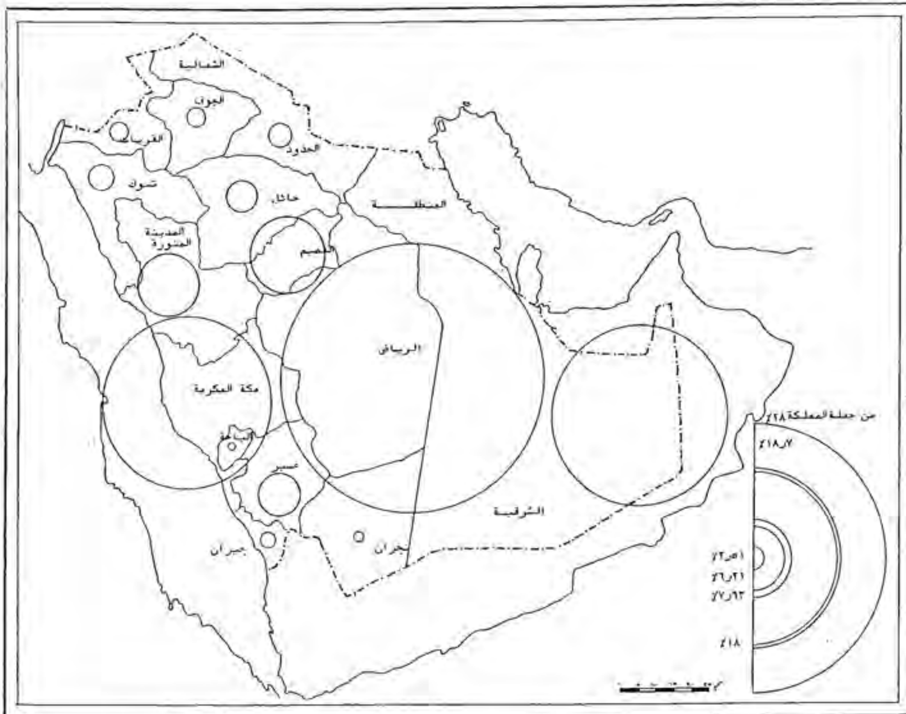
الإمـارة	تشيد	ترميم وتسوير	مجموع التراخيص	الترتيب
الرياض	١٣٨٫٥٠٠	٢٤٫٩٨٤	١٦٣٫٤٨٤	١
المنطقة الشرقية	٧٨٫٤٨٠	٣٠٫١٣٤	١٠٨٫٦١٤	٢
مكة المكرمة	٧٣٫٢٢١	٣١٫٢٢٠	١٠٤٫٤٤١	٣
القصيـم	٣٤٫٤٩٣	٩٫٧٤٠	٤٤٫٢٣٣	٤
المدينة المنورة	٢٥٫٦٧٧	١٠٫٣٥٦	٣٦٫٠٣٣	٥
عسير	٢٠٫٤١٤	٤٫٨٦٤	٢٥٫٢٧٨	٦
حائل	١٧٫٠٣٠	٤٫٩٥٠	٢١٫٩٨٠	٧
الحدود الشمالية	٩٫٩٤٤	٤٫٨٨٨	١٤٫٨٣٢	٨
تبوك	١٠٫٤٢١	٣٫٦٥٩	١٤٫٠٨٠	٩
الجوف	٨٫٢٠٧	١٫٩٢٠	١٠٫١٢٧	١٠
جيزان	٥٫٤٢٣	٣٫٩٠٥	٩٫٣٢٨	١١
نجران	٤٫٦٤٨	١٫٧٠٢	٦٫٣٥٠	١٢
القريات	٤٫٠٤٤	١٫٩١٩	٥٫٩٦٣	١٣
الباحة	٤٫٤٣٩	٠٫٥٠٣	٤٫٩٤٢	١٤
أخرى	٦٫٦١٩	٣٫٥٣٠	١٠٫١٤٩	—
الإجمالي	**٤٤١٫٥٦٠**	**١٣٨٫٢٧٤**	**٥٧٩٫٨٣٤**	

جدول (٥) نصيب المناطق الإدارية من إجمالي حركة البناء في المملكة (في الفترة من ١٣٩٣ - ١٤٠٢هـ[١٦])

الإمـارة	نصيبها ٪	الترتيب	الإمـارة	نصيبها ٪	الترتيب
الرياض	٢٨٫٢٠	١	تبوك	٢٫٤٣	٩
المنطقة الشرقية	١٨٫٧٣	٢	الجوف	١٫٧٥	١٠
مكة المكرمة	١٨٫٠١	٣	جيزان	١٫٦١	١١
القصيـم	٧٫٦٣	٤	نجران	١٫١٠	١٢
المدينة المنورة	٦٫٢١	٥	القريات	١٫٠٢	١٣
عسير	٤٫٣٦	٦	الباحة	٠٫٨٥	١٤
حائل	٣٫٧٩	٧	الأخرى	١٫٧٥	—
الحدود الشمالية	٢٫٥٦	٨	**الاجمالي**	**١٠٠٫٠٠**	—

(١٥) جدول من تجميع الباحث وتصميمه اعتماداً على الكتاب الإحصائي السنوي للمملكة ، سنوات متعددة من ١٣٩٣ إلى ١٤٠٣هـ .

(١٦) جدول من إعداد الباحث مبني على الجدول السابق .



شكل رقم (٨) نصيب إمارات المناطق بالمملكة من إجمالي حركة البناء في الفترة من ١٣٩٣ - ١٤٠٢هـ

جدول (٦) تصنيف حركة البناء في المناطق الإدارية بالمملكة
(في الفترة من ١٣٩٣ – ١٤٠٢هـ[١٧])

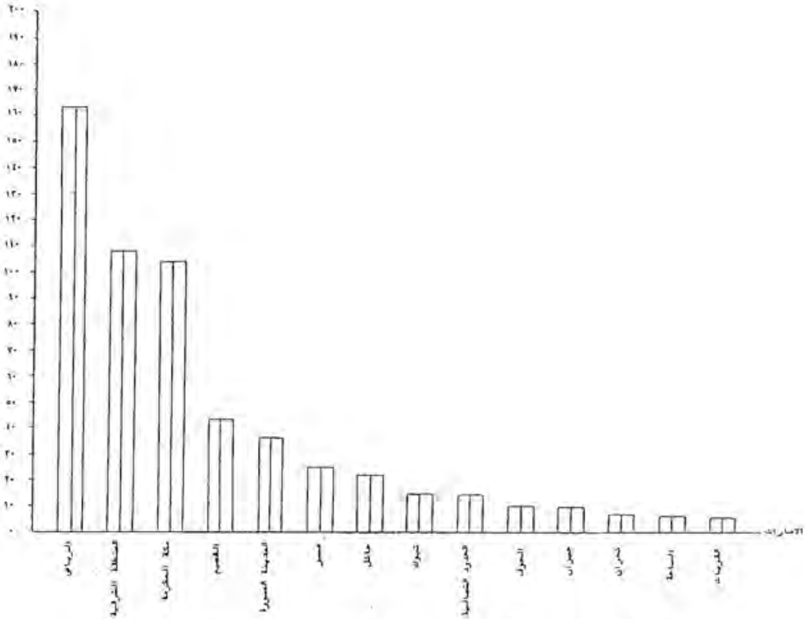
الإمــــارة	تشيـــــد		ترميم وتـــــوير	
	من المنطقة ٪	من المملكة ٪	من المنطقة ٪	من المملكة ٪
الرياض	٨٤٫٧٢	٣١٫٣٧	١٥٫٢٨	١٨٫٠٧
المنطقة الشرقية	٧٢٫٢٦	١٧٫٧٧	٢٧٫٧٤	٢١٫٧٩
مكة المكرمـة	٧٠٫١١	١٦٫٥٨	٢٩٫٨٩	٢٢٫٥٨
القصيم	٧٧٫٩٨	٧٫٨٢	٢٢٫٠٢	٧٫٠٤
المدينة المنورة	٧١٫٢٦	٥٫٨١	٢٨٫٧٤	٧٫٤٩
عسيـــر	٨٠٫٧٦	٤٫٦٢	١٩٫٢٤	٣٫٥٢
حائــل	٧٧٫٤٨	٣٫٨٦	٢٢٫٥٢	٣٫٥٨
تبــوك	٧٤٫٠٢	٢٫٣٦	٢٥٫٩٨	٢٫٦٥
الحدود الشمالية	٦٧٫٠٤	٢٫٢٥	٣٢٫٩٦	٣٫٥٤
الجــوف	٨١٫٠٤	١٫٨٦	١٨٫٩٦	١٫٣٩
جيـــزان	٥٨٫١٤	١٫٢٣	٤١٫٨٦	٢٫٨٢
نجـــران	٧٣٫٢٠	١٫٠٥	٢٦٫٨	١٫٢٣
الباحــة	٨٩٫٨٢	١٫٠٠	١٠٫١٨	٠٫٣٦
القريـــات	٦٧٫٨٢	٠٫٩٢	٣٢٫١٨	١٫٣٩
الأخـــرى	٦٥٫٢٢	١٫٥٠	٣٤٫٧٨	٢٫٥٥
جملة المملكة	**٧٦٫١٥**	**١٠٠**	**٢٣٫٨٥**	**١٠٠**

٤ – وبالنسبة لحركة الترميم والتسوير تأتي إمارة منطقة مكة المكرمة في المقدمة بنسبة الربع تقريباً (٢٢٫٥٨٪) ، تليها إمارة المنطقة الشرقية (٢١٫٧٩٪) بسبب قِدَم عملية الاستيطان البشري والبناء في المنطقتين ، ثم إمارة منطقة الرياض بنسبة ١٨٫٠٩٪ . وتشكل هذه الإمارات الثلاث كذلك أقل قليلاً من ثلثي إجمالي حركة الترميم والتسوير في المملكة كلها .

وتشير هذه الأرقام جميعها إلى تركز حركة التشييد والتعمير الحديث في إمارة منطقة الرياض باعتبارها عاصمة المملكة ومقر الدوائر الحكومية مما يجعلها مرآة المملكة أمام العالم الخارجي بحداثة مبانيها وجدّتها وذلك للأسباب التالية :

١ – عدم تجانس الظروف الجغرافية في المناطق الإدارية بالمملكة ، وخاصة تلك المرتبطة بالأمطار حيث تدفع قلة الأمطار في بعض المناطق الإدارية بالسكان إلى انتهاج حياة الترحال ، لعدم

(١٧) جدول من إعداد الباحث مبني على الجدول رقم (٤) .

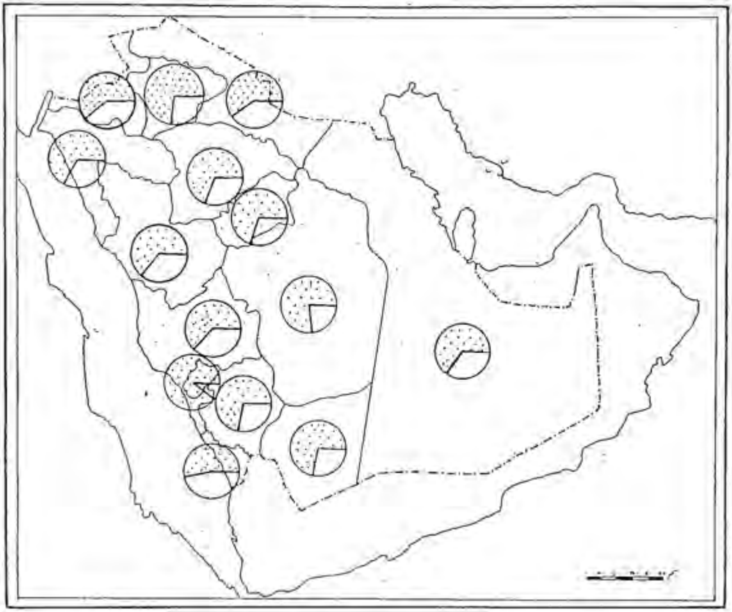


شكل رقم (٩) حجم البناء في إمارات مناطق المملكة في الفترة من ١٣٩٣ – ١٤٠٢هـ

إمكانية الاستقرار ، بينما تجذب الأمطار الملائمة في بعض المناطق السكان للاستقرار فيها وانتهاج حياة الحضر ، ولذا نجد أن اعلى نسبة للبداوة في المملكة تتركز في مناطق الحدود الشمالية بنسبة ٦٥٪ وحائل (٥٤٪) والجوف (٤٧٪) وتبوك (٤٦٪)[١٨] ، مما يؤدي إلى تناقص البناء كما يتضح من الجدول رقم (٧) الذي يبين أن هناك علاقة ارتباط سالبة وثيقة جدا بين حركة البناء وحياة البداوة تبلغ (– ٩٤ر٠) ، بمعنى أن كل ارتفاع في نسبة البداوة يؤدي إلى تناقص نسبة البناء في المنطقة من إجمالي المملكة .

٢ – اختلاف نسبة الحضرية أي سكنى المدن في المناطق الإدارية بالمملكة . والتي ترتفع إلى أقصى حد لها في الرياض (٢ر٢٨٪) ، وتليها الشرقية (٧٣ر١٨٪) ، ومكة المكرمة (٠١ر١٨٪) ،

(١٨) المملكة العربية السعودية ، جامعة الرياض ، كلية الآداب ، قسم الجغرافيا ، لجنة الأطلس الوطني ، **أطلس السكان للمملكة العربية السعودية** (الرياض : جامعة الرياض ، كلية الآداب ، قسم الجغرافيا ، لجنة الأطلس الوطني ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص ١٣

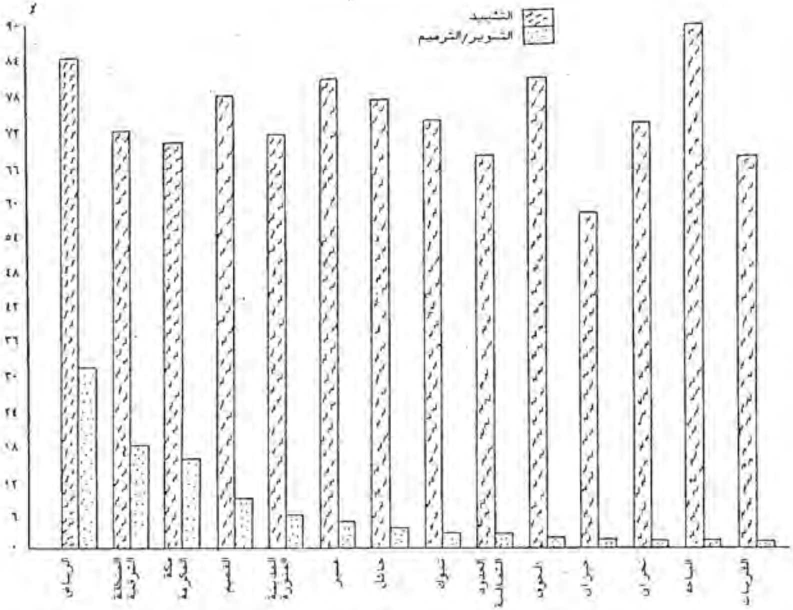


شكل رقم (١٠) نسبة التشييد من إجمالي حركة البناء في إمارات مناطق المملكة في الفترة من ١٣٩٣ - ١٤٠٢هـ

بينما تنخفض إلى أقصى حد لها في القريات (٨٥ر٠٪) ، والباحة (٢ر١٪) . ويشير الجدول رقم (٨) إلى أن هناك علاقة ارتباط موجبة وكبيرة بين حركة البناء ، ونسبة الحضرية وتبلغ ٨٨ر٠٪ ، بمعنى أن كل ارتفاع في نسبة سكنى المدن تؤدي إلى ارتفاع نسبة البناء في المملكة بنفس الدرجة تقريباً .

٣ - تأثير نسبة السكان في كل منطقة إدارية على حركة البناء فيها بدرجة واضحة . فمن الجدول رقم (٩) يتضح أن هناك علاقة ارتباط موجبة واضحة بين العاملين تبلغ ٨٢ر٠ ، وهذا يشير إلى أن ارتفاع نصيب المنطقة من جملة السكان تصحبه ارتفاع في نصيبها من حركة البناء بالنسبة إلى إجمالي المملكة .

٤ - تأثير مساحة كل منطقة إدارية في جملة حركة البناء فيها ، وهذا يتضح من الجدول رقم (١٠) الذي يوضح أن هناك علاقة ارتباط موجبة أكثر من متوسطة بين الظاهرتين تبلغ ٦٨ر٠ مما يشير إلى أن ازدياد مساحة المنطقة الإدارية يؤدي إلى ارتفاع نصيبها من جملة حركة البناء العامة في المملكة .



شكل رقم (١١) نصيب حركة التشييد من إجمالي حركة البناء في كل إمارة وفي المملكة كلها في الفترة من ١٣٩٣ - ١٤٠٢هـ

٥ - تأثير الصناعة على حركة البناء العامة في كل منطقة إدارية فمن الواضح أن اختلاف أنصبة المناطق من المصانع تنعكس على نصيب الإمارة من جملة حركة البناء العامة في المملكة . كما يتضح من الملحق رقم (٧) . والذي يبين أن هناك علاقة ارتباط موجبة قوية جداً بين نصيب الإمارة من البناء ونصيبها من عدد المصانع ، وتبلغ هذه العلاقة ٩٠ر٠ وهذا يشير إلى أن كل ارتفاع في نصيب الإمارة من المصانع يصحبه بالتالي وبدرجة متساوية تقريباً إرتفاع نصيبها من جملة حركة البناء في المملكة .

هذا إلى جوانب العوامل الأخرى التي سيأتي ذكرها فيما بعد ، والتي تؤثر في اختلاف نصيب كل منطقة إدارية من جملة حركة البناء ، وبخاصة اختلاف معدلات الدخل الفردي ، ونسبة القروض المقدمة من صندوق التنمية العقارية ونصيبها من الخدمات العامة كالكهرباء والمياه والخدمات الصحية والتعليمية .

جدول (٧) العلاقة بين حركة البناء وحياة البداوة في مناطق المملكة العربية السعودية

المنطقة الإدارية	نسبة البناء[19] ٪ من مجموع المملكة	نسبة البداوة[20] ٪ حسب احصاء ١٣٩٤هـ	ترتيب معامل البناء (س)	ترتيب معامل البداوة (ص)	الفرق بين س ، ص (ف)	ف٢
الرياض	٢٨ر٢	٢٤	١	٨	−٧	٤٩
مكة المكرمة	١٨ر٠١	١٤	٣	١٠	−٧	٤٩
الشرقية	١٨ر٧٣	١٠	٢	١١	−٩	٨١
المدينة المنورة	٦ر٢١	٤٦	٥	٤	١	١
القصيم	٧ر٦٣	٣١	٤	٧	−٣	٩
عسير	٤ر٣٦	٣٦	٦	٦	٠	٠
تبوك	٢ر٤٣	٤٦	٩	٤	٥	٢٥
حائل	٣ر٧٩	٥٤	٧	٢	٥	٢٥
جيزان	١ر٦١	٤	١١	١٢	−١	١
الباحة	١ر٠٢	١٥	١٣	٩	٤	١٦
نجران	١ر١	٣٩	١٢	٥	٧	٤٩
الحدود الشمالية	٢ر٥٦	٦٥	٨	١	٧	٤٩
الجوف	١ر٧٥	٤٧	١٠	٣	٧	٤٩
القريات	٠ر٨٥	٣٩	١٤	٥	٩	٨١
المجموع ١٤						**٤٨٤**

وبتطبيق صيغة ارتباط الرتب المعروفة بصيغة سبيرمان

نجد أن $ر = ١ - \frac{٦ \text{ مجـ } ف^{٢}}{ن (ن^{٢} - ١)}$

$$= ١ - \frac{٦ \times ٤٨٤}{(١٤ \times ١٤^{٢} - ١)} = ١ - \frac{٢٩٠٤}{٢٧٣٠}$$

$$= ١ - ١ر٠٦ = -٠ر٩٤$$

---

(١٩) انظر الجدول رقم (٤) السابق بيانه .

(٢٠) جامعة الرياض ، كلية الآداب ، قسم الجغرافيا ، **مرجع سابق** ، ص ١٣ .

جدول (٨) العلاقة بين حركة البناء والحضرية في مناطق المملكة الإدارية (في الفترة من ١٣٩٣ – ١٤٠٢هـ)

المنطقة الإدارية	نسبة البناء[21] %	نسبة الحضرية[22] %	ترتيب معامل البناء (س)	ترتيب معامل البناء الحضرية (ص)	الفرق بين س، ص (ف)	ف²
الرياض	٢٨ر٢	٢٣ر٥	١	٢	١−	١
مكة المكرمة	١٨ر٠١	٣٦ر٢	٣	١	٢	٤
الشرقيـــة	١٨ر٧٣	١٤ر٩	٢	٣	١−	١
المدينة المنورة	٦ر٢١	٧ر٥	٥	٤	١	١
القصيـــم	٧ر٦٣	٣ر٩	٤	٥	١−	١
عسيـــر	٤ر٣٦	٢ر٩	٦	٦	٠	٠
تبـــوك	٢ر٤٣	٢ر٨	٩	٧	٢	٤
حائـــل	٣ر٧٩	١ر٣	٧	١١	٤−	١٦
جيـــزان	١ر٦١	٢ر٣	١١	٨	٣	٩
الباحـــة	١ر٠٢	٠ر٢	١٣	١٤	١−	١
نجـــران	١ر١	١ر٩	١٢	٩	٣	٩
الحدود الشمالية	٢ر٥٦	١ر٨	٨	١٠	٢−	٤
الجـــوف	١ر٧٥	٠ر٧	١٠	١٢	٢−	٤
القريـــات	٠ر٨٥	٠ر٤	١٤	١٣	١	١
المجموع ١٤						**٥٦**

وبتطبيق صيغة ارتباط الرتب السابق ذكرها نجد أن :

$$ر = ١ - \frac{٦ \text{ مجـ } ف^{٢}}{ن (ن^{٢} - ١)}$$

$$= ١ - \frac{٦ \times ٥٦}{١٤ (١٩٦ - ١)} = ١ - \frac{٣٣٦}{٢٧٣٠}$$

$$= ١ - ٠ر١٢ = ٠ر٨٨$$

(٢١) جدول رقم (٤) من حساب الباحث استنادا على :

(أ) المملكة العربية السعودية ، جامعة الرياض **مرجع سابق** ، ص ص ١٤ – ١٥ .

(٢٢) عبد الإله أبو عياش ، **الاحصاء والكمبيوتر في معالجة البيانات مع تطبيقات جغرافية** ، (الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٨٤م) ، ص ٢١٤ .

جدول (٩) العلاقة بين نسبة السكان في كل منطقة وحركة البناء فيها

المنطقة الإدارية	نسبة البناء ٪ من مجموع المملكة	نسبة السكان ٪ من إجمالي المملكة	ترتيب معامل البناء (س)	ترتيب معامل السكان (ص)	الفرق بين س ، ص (ف)	ف^{2}
الرياض	٢٨ر٢	١٨ر٨	١	٢	−١	١
مكة المكرمة	١٨ر٠١	٤٦ر١	٣	١	٢	٤
الشرقيـــة	١٨ر٧٣	١١ر٣	٢	٣	−١	١
المدينة المنورة	٦ر٢١	٧ر٧	٥	٥	٠	٠
القصيـــم	٧ر٦٣	٤ر٩	٤	٧	−٣	٩
عسيـــر	٤ر٣٦	١٠ر٢	٦	٤	٢	٤
تبـــوك	٢ر٤٣	٢ر٩	٩	٩	٠	٠
حائـــل	٣ر٧٩	٣ر٨	٧	٨	−١	١
جيـــزان	١ر٦١	٦ر٢	١١	٦	٥	٢٥
الباحـــة	١ر٠٢	٢ر٥	١٣	١٠	٣	٩
نجـــران	١ر١	٢ر٢	١٢	١١	١	١
الحدود الشمالية	٢ر٥٦	١ر٩	٨	١٢	−٤	١٦
الجـــوف	١ر٧٥	١ر٠	١٠	١٣	−٣	٩
القريـــات	٠ر٨٥	٠ر٥	١٤	١٤	٠	٠
المجموع ١٤						٨٠

وبتطبيق صيغة ارتباط الرتب نجد أن :

نجد أن $\text{ر} = ١ - \frac{٦ \text{ مجـ ف}^{٢}}{\text{ن} (\text{ن}^{٢} - ١)}$

$$= ١ - \frac{٦ \times ٨٠}{١٤ \times (١٤^{٢} - ١)} = ١ - \frac{٤٨٠}{٢٧٣٠}$$

$$= ١ - ٠ر١٨ = ٠ر٨٢$$

جدول (١٠) العلاقة بين حركة البناء والمساحة في مناطق المملكة العربية السعودية (في الفترة من ١٣٩٣ - ١٤٠٢هـ)

المنطقة الإدارية	نسبة البناء ٪ من مجموع المملكة	المساحة(٢٣) ٪ من إجمالي المملكة	ترتيب معامل البناء (س)	ترتيب معامل السكان (ص)	الفرق بين س ، ص (ف)	ف٢
الرياض	٢٨ر٢	١٦ر٨	١	٢	١-	١
مكة المكرمة	١٨ر٠١	٦ر٥	٣	٥	٢-	٤
الشرقية	١٨ر٧٣	٣٤ر٥	٢	١	١	١
المدينة المنورة	٦ر٢١	٦ر٨	٥	٣	٢	٤
القصيم	٧ر٦٣	٢ر٦	٤	١١	٧-	٤٩
عسير	٤ر٣٦	٣ر٧	٦	٩	٣-	٩
تبوك	٢ر٤٣	٤ر٥	٩	٨	١	١
حائل	٣ر٧٩	٥ر٦	٧	٧	٠	٠
جيزان	١ر٦١	٠ر٧	١١	١٣	٢-	٤
الباحة	١ر٠٢	٠ر٥	١٣	١٤	١-	١
نجران	١ر١	٦ر٦	١٢	٤	٨	٦٤
الحدود الشمالية	٢ر٥٦	٥ر٧	٨	٦	٢	٤
الجوف	١ر٧٥	٣ر١	١٠	١٠	٠	٠
القريات	٠ر٨٥	٢ر٤	١٤	١٢	٢	٤
المجموع ١٤						١٤٦

وبتطبيق صيغة ارتباط الرتب المعروفة بصيغة سبيرمان نجد أن :

$$\text{ر} = ١ - \frac{٦ \text{ مجـ ف}^{٢}}{\text{ن}(\text{ن}^{٢} - ١)}$$

$$= ١ - \frac{١٤٦ \times ٦}{١٤(١٤^{٢} - ١)} = ١ - \frac{٨٧٦}{٢٧٣٠}$$

$$= ١ - ٠ر٣٢ = ٠ر٦٨$$

(٢٣) النسبة من حسابات الباحث بناء على :
حسين حمزة بندقجي ، **الخريطة الجغرافية للمملكة العربية السعودية** ، (جدة : بندقجي ، ١٤٠٤هـ) .

العوامل المؤثرة في حركة البناء بالمملكة

يرجع التطور الكبير في حركة البناء بأنواعه المختلفة في المملكة إلى مجموعة من العوامل أهمها : الزيادة المطردة في عدد السكان ، زيادة الدخل الفردي والقومي ، دور صندوق التنمية العقارية ، توفر الخدمات الضرورية التي تسهل البناء وبخاصة المياه والكهرباء .

ويمكن تفصيل كل عامل منها على النحو التالي :

١ - زيادة عدد السكان

أدت الزيادة المستمرة في عدد السكان إلى زيادة إنشاء المباني الجديدة لاستيعاب الزيادة السكانية . ومن دراسة الملحق رقم (١) والشكل رقم (١٢) يتضح مايلي :

١ - أن عدد سكان المملكة قد ازدادوا بصورة مطردة منذ إحصاء عام ١٣٩٤هـ بنسبة نمو سنوي مقدارها ٣٫٤٪(٢٤) وقد أدت نسبة النمو هذه إلى ارتفاع عدد سكان المملكة من ٧٫٠١٢٫٥٤٤ نسمة عام ١٣٩٤هـ إلى ٩٫١٦٢٫٣٣٦ نسمة في عام ١٤٠٢هـ .

٢ - وقد واكبت هذه الزيادة في عدد السكان زيادة شبه متطابقة في حركة البناء التي تمت في المملكة . وقد أدى ذلك إلى ارتفاع عدد تراخيص البناء التي صرفت من ٢٧٫٩٨٣ عام ١٣٩٤ إلى حدها الأقصى ٨٣٫٥١٨ في سنة ١٤٠٠هـ . وإن انخفضت بعد ذلك إلى ٧٢٫٠٢١ في عام ١٤٠٢هـ بسبب زيادة عدد المباني عن الطلب عليها .

٣ - وبتطبيق صيغة ارتباط الرتب والمعروفة بصيغة سبيرمان Spearman وهي :

$$ر = ١ - \frac{٦ \text{ مج } ف^{٢}}{ن (ن^{٢} - ١)}$$

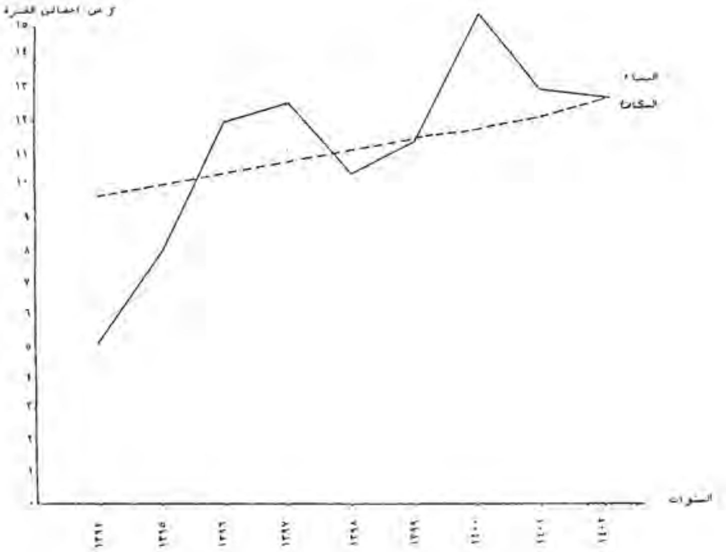
والمبنية في ملحق رقم (١) يتبين أن هناك علاقة ارتباط واضحة بين عدد تراخيص البناء وعدد السكان ، كما يتضح من دراسة الفترة من ١٣٩٤ إلى ١٤٠٢هـ ، وهي علاقة ارتباط موجبة وثيقة تبلغ ٠٫٨٠ ، وهذا يعني أن كل زيادة في عدد السكان تتطلب المزيد من الوحدات السكنية مما يؤدي إلى زيادة وتطور حركة البناء .

٢ - ارتفاع الدخل القومي

وقد تأثرت حركة البناء في المملكة بارتفاع الدخل الفردي في المملكة منذ زيادة أسعار البترول العالمي في عام ١٣٩٤هـ وحتى نهاية سنة ١٤٠٢هـ ويبين الجدول رقم (١١) أن الدخل

---

(٢٤) The Population Reference Bureau, Inc. *world population data sheet.* (Washington, D.C., April, 1983).



شكل رقم (١٢) العلاقة بين البناء والسكان في المملكة خلال الفترة من ١٣٩٤ - ١٤٠٢هـ

الفردي في المملكة قد شهد ارتفاعاً مطرداً بصورة عامة خلال الفترة المذكورة باستثناء ثلاث سنوات انخفض فيها الدخل عن السنة السابقة لها بنسب ضئيلة . وقد شهدت الفترة كلها زيادة في متوسط الدخل الفردي عن عام ١٣٩٣/١٣٩٤هـ بلغ أقصاه في عام ١٤٠١/١٤٠٢هـ حيث وصل إلى نحو ١٢ ضعفاً عما كان عليه في ١٣٩٣هـ ، وتلتها سنة ١٤٠٢/١٤٠٣هـ التي بلغ فيها الدخل الفردي عشرة أضعاف ماكان عليه منذ عشر سنوات . وكانت أقل زيادة في الدخل الفردي تلك التي تحققت في عام ١٣٩٥/١٣٩٦هـ التي بلغت فيها حوالي أربعة أضعاف ماكانت عليه في بداية الفترة المذكورة .

وترتبط حركة البناء في المملكة ارتباطاً موجباً وثيقاً جداً بارتفاع متوسط الدخل الفردي في المملكة . ومن دراسة الملحق رقم (٢) والشكل رقم (١٣) يتضح أن هناك علاقة ارتباط موجبة وثيقة جداً بين زيادة حركة البناء وزيادة الدخل الفردي ، وصل إلى ٠ر٨٦ تقريباً ، مما يبين أن كل زيادة في الدخل الفردي يواكبها زيادة في حجم البناء بالمملكة .

جدول (١١) متوسط الدخل الفردي في المملكة العربية السعودية[٢٥]
(في الفترة من ١٣٩٣ - ١٤٠٢هـ)

السنة	الناتج القومي[أ] بالمليون ريال	تقدير عدد السكان/نسمة[ب]	متوسط الدخل الفردي[جـ]/ريال	الزيادة٪ عن عام ١٣٩٣هـ[د]	الترتيب
١٣٩٤/١٣٩٣	٢٢٫٨١٠	٧٫٠١٢٫٥٤٤	٣٫٢٥٣	٠	١٠
١٣٩٥/١٣٩٤	٩٨٫٢٤٧	٧٫٢٥٠٫٤٠٨	١٣٫٥٥١	٤١٧	٨
١٣٩٦/١٣٩٥	٩٥٫٨٤٧	٧٫٤٩٦٫٩٢٢	١٢٫٧٨٥	٣٩٣	٩
١٣٩٧/١٣٩٦	١١٠٫٩٣٥	٧٫٧٥١٫٨١٧	١٤٫٣١٣	٤٤٠	٧
١٣٩٨/١٣٩٧	١٤٦٫٤٩٣	٨٫٠١٥٫٣٧٩	١٨٫٢٧٦	٥٦٢	٥
١٣٩٩/١٣٩٨	١٣٠٫٠٠٠	٨٫٢٨٧٫٩٠٢	١٥٫٦٨٦	٤٨٢	٦
١٤٠٠/١٣٩٩	١٦٠٫٠٠٠	٨٫٥٦٩٫٦٩١	١٨٫٦٧٠	٥٧٤	٤
١٤٠١/١٤٠٠	٢٦١٫٥١٦	٨٫٨٦١٫٠٦٠	٢٩٫٥١٣	٩٠٧	٣
١٤٠٢/١٤٠١	٣٤٠٫٠٠٠	٩٫١٦٢٫٣٣٦	٣٧٫١٠٨	١١٤١	١
١٤٠٣/١٤٠٢	٣١٣٫٤٠٠	٩٫٤٧٣٫٨٥٥	٣٣٫٠٨١	١٠١٧	٢

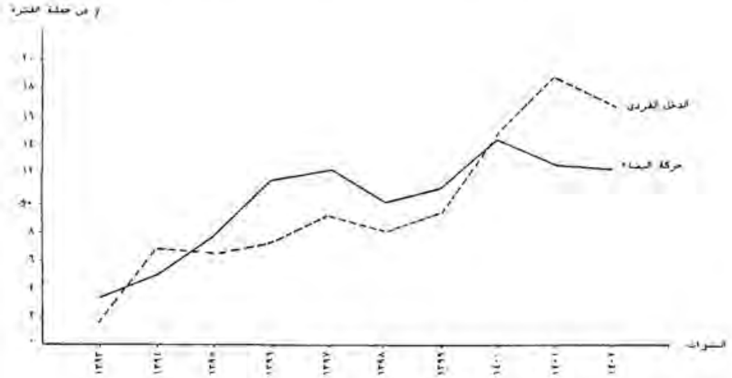
جدول (١٢) تطور قروض صندوق التنمية العقارية بالمملكة[٢٦]
(في الفترة من ١٣٩٦ - ١٤٠٢هـ)

السنة	عدد القروض[أ]	٪ من جملة المملكة[ب]	السنة	عدد القروض	٪ من جملة المملكة
١٣٩٦	٣٤٫١٨٩	١٥٫٩٨	١٤٠٠	٣٣٫٤٧٧	١٥٫٦٤
١٣٩٧	٤٧٫٣٩٤	٢٢٫١٥	١٤٠١	٢٨٫٧٩٥	١٣٫٤٦
١٣٩٨	٣٫٩٧١	١٫٨٥	١٤٠٢	٣١٫٣٢٩	١٤٫٦٤
١٣٩٩	٣٤٫٨٢٦	١٦٫٢٨	**الجملة**	**٢١٣٫٩٨١**	**١٠٠٫٠٠**

---

(٢٥) جدول من حساب الباحث اعتماداً على :
(أ) الكتاب الإحصائي السنوي للمملكة لسنة ١٤٠٢/١٤٠٣هـ ، جدول (١٠ - ١) ص ٥٠٥ .
(ب) من حساب الباحث على أساس نسبة زيادة سنوية مقدارها ٣٫٤٪ .
(جـ) من حساب الباحث بقسمة ١ على ٢ .
(د) من حساب الباحث .

(٢٦) جدول من حساب الباحث مبني على :
(أ) المملكة العربية السعودية ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني - صندوق التنمية العقارية ، **التقرير السنوي العام لسنة ١٤٠٣/١٤٠٤هـ** ، (الرياض : وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، ١٤٠٥هـ) .
(ب) من حساب الباحث .



شكل رقم (١٣) العلاقة بين البناء والدخل الفردي في المملكة في الفترة من ١٣٩٣ - ١٤٠٢هـ

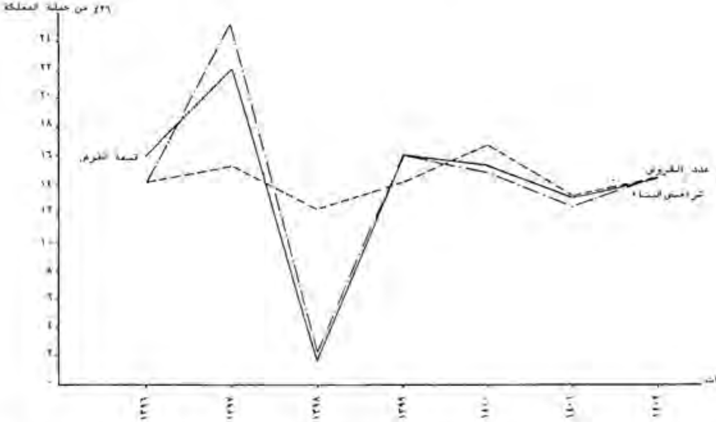
جدول (١٣) قيمة القروض المدفوعة من صندوق التنمية العقاري بالمملكة(٢٧)
(في الفترة من ١٣٩٦ - ١٤٠٢هـ)

السنة	قيمة القروض(أ)(*) بالمليون ريال	٪ من جملة المملكة(ب)	السنة	قيمة القروض بالمليون ريال	٪ من جملة المملكة
١٣٩٦	٨٫١٩٧	١٤٫١٦	١٤٠٠	٨٫٦٤٥	١٤٫٩٤
١٣٩٧	١٤٫٥٧٨	٢٥٫١٩	١٤٠١	٧٫٣٤١	١٢٫٦٩
١٣٩٨	١٫٢٣٢	٢٫١٣	١٤٠٢	٨٫٥١١	١٤٫٧١
١٣٩٩	٩٫٣٦٥	١٦٫١٨	**الجملة**	**٥٧٫٨٦٩**	**١٠٠**

٣ - صندوق التنمية العقارية

وقد ساهم صندوق التنمية العقارية بدور فعال في تنشيط حركة البناء في المملكة منذ إنشائه . وبمراجعة الجدولين أرقام ١٢ و١٣ والملحقين أرقام (٣) و(٤) والشكل رقم (١٤) يمكن إبراز أهم ملامح هذا الدور فيمايلي :

(٢٧) جدول من حساب وتجميع الباحث استناداً إلى :
(أ) المملكة العربية السعودية ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني وصندوق التنمية العقارية ، **مرجع سابق** ، ص ٢٢ .
(*) يشمل إجمالي الارتباط والصرف خلال الفترة المذكورة .
(ب) من حساب الباحث .



شكل رقم (١٤) العلاقة بين عدد وقيمة القروض التي منحها صندوق التنمية العقارية وبين تراخيص البناء على مستوى المملكة في الفترة من ١٣٩٦ - ١٤٠٢هـ

١ - وصل عدد القروض الممنوحة من الصندوق إلى ذروته في عام ١٣٩٧هـ حيث بلغ أقل قليلاً من ربع إجمالي عدد القروض الممنوحة خلال السنوات السبع من ١٣٩٦ إلى ١٤٠٢هـ . وكانت سنة ١٣٩٩هـ هي التالية من حيث عدد القروض ونسبتها (٢٨ر١٦٪) تلتها سنوات ١٣٩٦ ثم ١٤٠٠ و١٤٠٢هـ ثم ١٤٠١ ، بينما انخفضت أعداد القروض إلى حدها الأدنى في عام ١٣٩٨هـ حينما توقف الصندوق تقريباً عن منح القروض حيث لم تتعد نسبة القروض الممنوحة في هذا العام عن ٨٥ر١٪ من إجمالي الفترة المذكورة كلها .

٢ - وقد كانت سنة ١٣٩٦ أولى سنوات الفترة المحددة من حيث قيمة القروض التي صرفت حيث بلغت نسبتها ٧٣ر٢٢٪ تلتها سنة ١٣٩٧هـ (٦٥ر٢١٪) ثم سنوات ١٤٠٢ و١٤٠١هـ بينما كانت أقلها في عام ١٣٩٨هـ .

٣ - هناك علاقة ارتباط متوسطة بين عدد القروض الممنوحة وعدد تراخيص البناء الجديدة في المملكة تبلغ ٥٠ر٠ ، كذلك فإن هناك علاقة ارتباط أقوى بين قيمة القروض التي منحها الصندوق وبين عدد تراخيص البناء خلال الفترة من ١٣٩٦ إلى ١٤٠٢هـ تبلغ ٧١ر٠ ، وهذا يعني أن كل زيادة في منح القروض تؤدي إلى زيادة مماثلة في عدد الوحدات الجديدة المبنية ، مما يوضح أثر الصندوق في تطور حركة البناء في المملكة .

٤ – كمية المياه المستهلكة

تعتبر المياه عاملاً هاماً في تطور حركة البناء في المملكة العربية السعودية ، وذلك لكونها أداة من أدوات البناء لايمكن الاستغناء عنها ، كما أن توفر المياه يجتذب البناء والسكن .

ومن مراجعة الجدول رقم (١٤) والملحق رقم (٥) والشكل رقم (١٥) يتضح مايلي :

١ – أن كمية المياه المستهلكة في المملكة قد ازدادت بصورة مطردة خلال السنوات العشر من ١٣٩٣ إلى ١٤٠٢هـ باستثناء سنة ١٣٩٩هـ فقد زادت هذه الكميات من ١٦٫٨٨٤ مليون جالون في بداية هذه الفترة إلى ٨٩٫١٧٩ مليون جالون في نهايتها بزيادة خمس مرات وربع المرة .

٢ – وقد ارتبطت بهذه الزيادة في المياه المستهلكة زيادة مشابهة في حركة البناء خلال الفترة نفسها بصفة عامة حيث ارتفعت من ١٨٣٠٣ ترخيصاً في بداية هذه الفترة إلى ٨٣٫٥١٨ ترخيصاً في عام ١٤٠٠ ، وإن انخفضت بعد ذلك إلى ٧٢٫٠٢١ ترخيصاً في ١٤٠٢هـ . أي بما يتراوح بين أربع مرات ونصف المرة إلى أربع المرات .

٣ – أن هناك علاقة ارتباط موجبة وثيقة بين حركة البناء وكمية المياه المستهلكة تبلغ ٠٫٨٤ ، مما يشير إلى أن كل تطور في كمية المياه يصحبه تطور مماثل في حركة البناء .

٥ – تطور انتاج الكهرباء

ويعتبر التطور في إنتاج الطاقة الكهربائية وانتشارها عاملاً هاماً يؤثر في تطور حركة البناء بالمملكة . ومن مراجعة الجدول (١٥) والملحق رقم (٦) والشكل رقم (١٦) ويمكن استنباط الملاحظات الآتية :

١ – واصل إنتاج وبيع الكهرباء زيادة مطردة خلال السنوات من ١٣٩٥ إلى ١٤٠٢هـ من ٣٫٧٦ مليون كيلووات/ساعة في ١٣٩٥هـ إلى سبعة أمثالها ، أي مايوازي ٢٦٫٦٣ مليون كيلووات/ساعة في عام ١٤٠٢هـ .

٢ – ارتبطت الزيادة في إنتاج وبيع الكهرباء بالزيادة في حركة البناء خلال نفس الفترة ، وقد تبين أن العلاقة بين الظاهرتين هي علاقة موجبة وثيقة ، وتبلغ ٠٫٧١ مما يوضح أن كل زيادة في إنتاج الكهرباء تؤدي إلى زيادة مماثلة في البناء تصل إلى ثلاثة أرباعها تقريباً .

٦ – الصناعة

تعتبر الصناعة من العوامل الهامة المؤثرة في تطور حركة البناء ، في المملكة ، فالصناعة تجتذب الأيدي العاملة للتركز في مناطق التصنيع ، وهذا يفرض إقامة المساكن الجديدة الكافية لاستيعاب العاملين فيها ، فضلا عن الخدمات الاجتماعية المرتبطة بها ، والحاجة إلى إنشاء المستودعات والمخازن(٢٩) .

---

(٢٩) يسري عبد الرزاق الجوهري ، **جغرافية الإنتاج الاقتصادي** ، (الإسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٧٦م) ، ص ١٥٥ .

جدول (١٤) تطور كمية المياه المستهلكة بالمملكة[٢٨]
(في الفترة من ١٣٩٣ - ١٤٠٢هـ)

السنة	الكمية المستهلكة[أ] (بالمليون جالون)	٪ من جملة[ب] المملكة في نفس الفترة	الترتيب[ب]	الزيادة[ب]	
				الكمية	٪عن سنة ١٣٩٣هـ
١٣٩٣	١٦ر٨٨٤	٣ر٧٣	١٠	-	-
١٣٩٤	٢٢ر١٠٥	٤ر٨٩	٩	٥ر٢٢١	١٣١
١٣٩٥	٢٦ر٢٠٦	٥ر٧٩	٨	٤ر١٠١	١٥٥
١٣٩٦	٣٦ر٢٠٧	٨ر٠٠	٧	١٩ر٣٢٣	٢١٤
١٣٩٧	٤٣ر٣٨٤	٩ر٥٨	٦	٢٦ر٥٠٠	٢٥٧
١٣٩٨	٥٠ر٢٢٨	١١ر١٠	٤	٣٣ر٣٤٤	٢٩٧
١٣٩٩	٤٩ر٣٤٦	١٠ر٩١	٥	٣٢ر٤٦٢	٢٩٢
١٤٠٠	٥٦ر٣٠٧	١٢ر٤٥	٣	٣٩ر٤٢٣	٣٣٣
١٤٠١	٦٢ر٥٨٧	١٣ر٨٣	٢	٤٥ر٧٠٣	٣٧١
١٤٠٢	٨٩ر١٧٩	١٩ر٧٢	١	٧٢ر٢٩٥	٥٢٨
المجموع	٤٥٢ر٤٣٣	١٠٠ر٠٠	-	-	-

ومن مراجعة الملحق رقم (٧) والشكل رقم (١٧) يمكن ملاحظة مايلي :

١ - تعتبر الرياض هي أولى إمارات المناطق بالمملكة من حيث نصيبها من المصانع وحركة البناء حتى نهاية عام ١٤٠٢هـ ، تليها إمارة منطقة مكة المكرمة ، ثم إمارة المنطقة الشرقية اللتان تكادان تتساويان في نصيبهما من حركة البناء، وإن تفوقت منطقة مكة المكرمة على المنطقة الشرقية في نصيبها من المصانع .

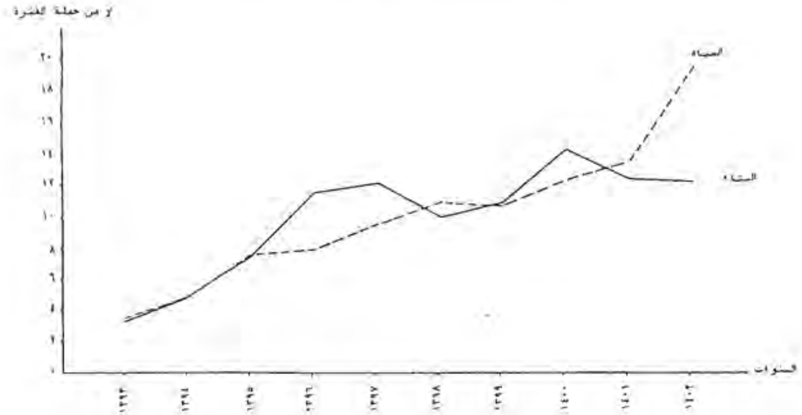
وتضم الإمارات الثلاث السابقة مايزيد عن أربعة أخماس إجمالي المصانع بالمملكة (٨٣ر٨٩٪) . وفي نفس الوقت يضمان حوالي ثلثي إجمالي حركة البناء في المملكة كلها (٦٤ر٩٤٪) فيما يتوزع خمس المصانع على الإمارات الأخرى وتختفي من إمارة القريات ، كما يتوزع الثلث الباقي من إجمالي حركة البناء على الإمارات الإحدى عشرة الباقية .

---

(٢٨) جدول من إعداد وتجميع الباحث اعتمادا على :

(أ) المملكة العربية السعودية ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، مصلحة الاحصاءات العامة ، **الكتاب الاحصائي السنوي ، ١٤٠٣/١٤٠٤هـ (١٩٨٣/١٩٨٤م)** جدول (٧ - ٩) ، (الرياض : وزارة المالية والاقتصاد الوطني) ، ص ٣٢٢ .

(ب) من حساب الباحث .



شكل رقم (١٥) العلاقة بين حركة البناء وكمية المياه المستهلكة في الفترة من ١٣٩٣ - ١٤٠٢هـ

٢ - تظهر علاقة ارتباط موجبة وثيقة جداً بين حركة البناء والصناعة تصل إلى ٩٠ر٠ ، مما يشير إلى أن كل زيادة في عدد المصانع تؤدي إلى زيادة حركة البناء بصورة مطردة وإلى حد بعيد .

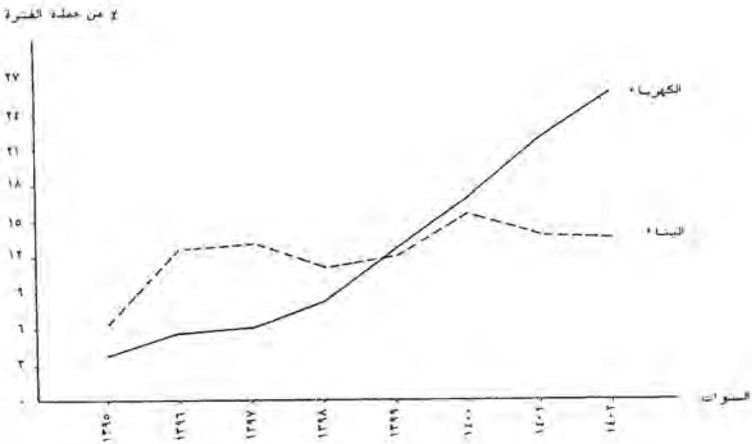
تفاعل العوامل المؤثرة في حركة البناء في المملكة

بمراجعة الجدول رقم (١٦) والشكل رقم (١٨) يمكن إبراز مايلي : تعتبر العلاقة بين البناء والبداوة أقوى علاقات الارتباط السالبة بين البناء من جانب وجميع العوامل الأخرى المؤثرة من جانب آخر حيث يبلغ معامل الارتباط بينهما - ٩٤٪ ، وهي علاقة سالبة . وتأتي الصناعة ثانية من حيث قوة العلاقة والتأثير في تطور حركة البناء لكنها علاقة موجبة . ويمثل الارتباط بينها وبين البناء ٩٠ر٠ ، تليه الحضرية بنسبة ٨٨ر٠ ثم الدخل الفردي بنسبة ٨٦ر٠ ثم العامل السكاني بنسبة ٨٤ر٠ ثم السكان حسب المناطق والسنوات بنسبة ٨٢ر٠ ، ٨٠ر٠ ، بينما يتساوى تأثير كل من عامل الكهرباء وقيمة قروض صندوق التنمية العقارية في تأثيرهما على البناء بنسبة ٧١ر٠ لكل . كما تميزت المساحة بتأثيرها على البناء ويبلغ معامل الارتباط فيها ٦٨ر٠ .

أما عامل عدد قروض صندوق التنمية العقارية فيأتي في مؤخرة العوامل المؤثرة في حركة البناء ، ولاتزيد العلاقة بينهما عن ٥٠ر٠ .

جدول (١٥) تطور الطاقة الكهربائية المباعة في المملكة(٣٠)
(في الفترة من ١٣٩٥ - ١٤٠٢هـ)

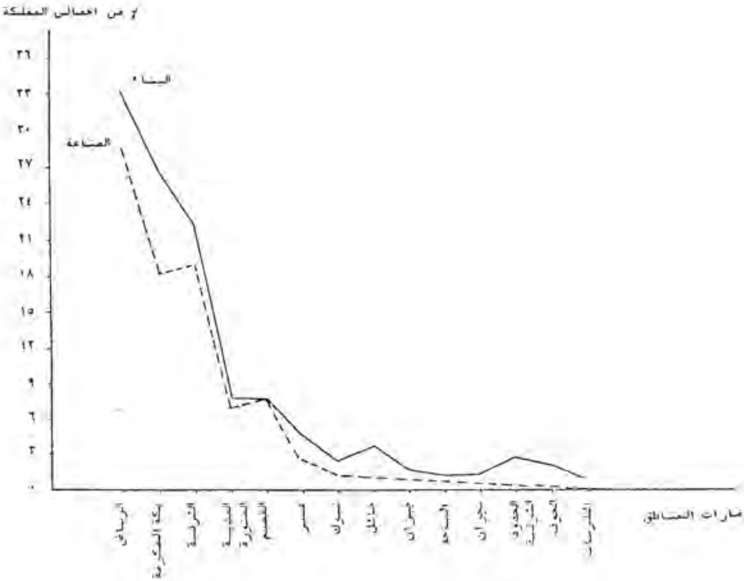
السنة	الطاقة الكهربائية(أ) المباعة ميجاوات/ساعة	٪ من إجمالي(ب) الفترة	السنة	الطاقة الكهربائية المباعة ميجاوات/ساعة	٪ من إجمالي الفترة
١٣٩٥	٣٫٧٦٠٫٠٠٩	٣٫٦٥	١٤٠٠	١٧٫٤٣٦٫٩٦٥	١٦٫٩٢
١٣٩٦	٥٫٣٢٢٫٦١٢	٥٫١٦	١٤٠١	٢١٫٦٤٣٫٦٨٦	٢٢٫٠
١٣٩٧	٦٫٣٦٤٫٦٢٠	٦٫١٧	١٤٠٢	٢٦٫٦٣١٫١٢٩	٢٥٫٨٤
١٣٩٨	٨٫٤٦٥٫٩١١	٨٫٢٠			
١٣٩٩	١٣٫٤٤٩٫٤٠٣	١٣٫٠٥	**الجملة**	**١٠٣٫٠٧٤٫٠٣٥**	**١٠٠٫٠٠**



شكل رقم (١٦) العلاقة بين تطور حركة البناء وتطور استهلاك الكهرباء في المملكة في الفترة من ١٣٩٥ - ١٤٠٢هـ

---

(٣٠) جدول من تجميع وحساب الباحث اعتماداً على:
(أ) **الكتاب الإحصائي السنوي للمملكة**، سنة **١٤٠٣/١٤٠٤هـ**؛ الجدول من ٧ - ٢ إلى ٧ - ٦، ص ص ٣٠٥ - ٣٠٧.
(ب) من حساب الباحث.

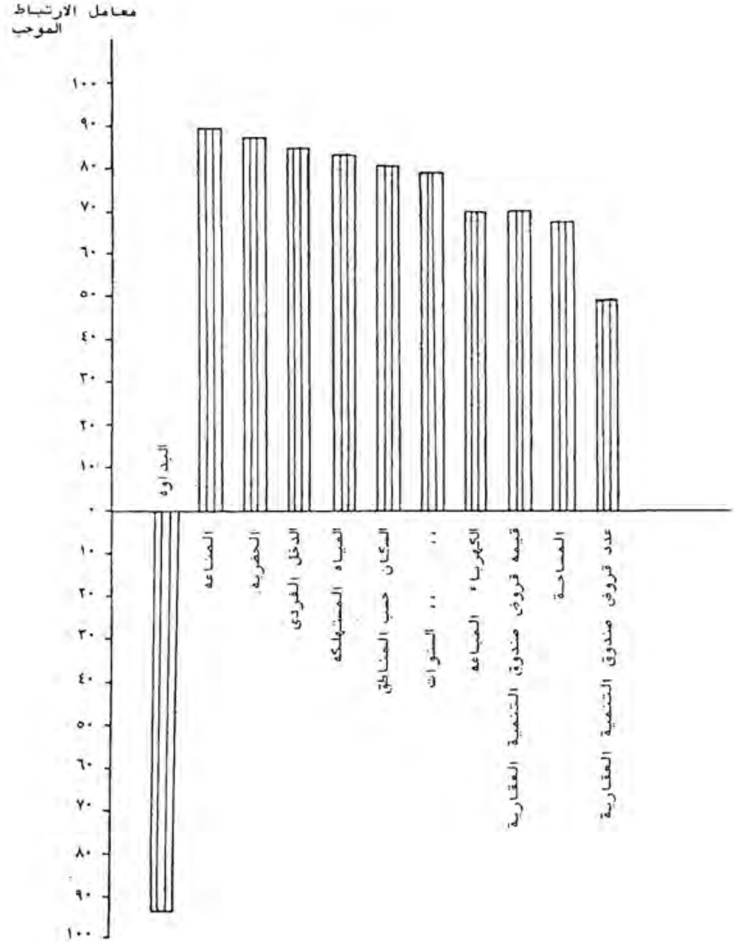


شكل رقم (١٧) العلاقة بين حركة البناء والصناعة في إمارات المناطق بالمملكة

الخلاصـــة

لقد استهدفت الدراسة تحليل حركة البناء في مختلف مناطق المملكة الإدارية الأربعة عشر ، والتعرف على الأنماط التوزيعية لحركة البناء والتشييد . فقد حددت هذه الدراسة أعداد رخص البناء الممنوحة للمواطنين في كل منطقة استناداً على الكتاب الإحصائي السنوي الذي تصدره وزارة المالية بالمملكة . ومن مقارنة نصيب كل منطقة من رخص البناء خلال العشر سنوات الماضية ، اتضح أن هناك تفاوتاً كبيراً بين منطقة وأخرى .

وقد اهتمت الدراسة بمناقشة العوامل التي أثرت سلباً أو إيجاباً في حركة البناء الجديد ومعدلات النمو المتزايد خلال فترة الدراسة ، والتي تمتد من ١٣٩٣ وتنتهي بنهاية عام ١٤٠٢هـ ، ومنها العوامل الاقتصادية والاجتماعية .



شكل رقم (١٨) العلاقة بين البناء والعوامل الأخرى المؤثرة فيها بالمملكة

جدول (١٦) جملة العوامل المؤثرة في حركة البناء بالمملكة[٣١]

الظاهرة الأساسية	معـــــامل الارتبـــاط	الدرجة	الترتيب
البناء	البداوة	-٩٤ر٠	١
البناء	الصناعة	٩٠ر٠	٢
البناء	الحضرية	٨٨ر٠	٣
البناء	الدخل الفردي	٨٦ر٠	٤
البناء	المياه المستهلكة	٨٤ر٠	٥
البناء	السكان حسب المناطق	٨٢ر٠	٦
البناء	السكان حسب السنوات	٨٠ر٠	٧
البناء	الكهرباء المباعة	٧١ر٠	٨
البناء	قيمة قروض صندوق التنمية العقارية	٧١ر٠	٩
البناء	المساحـــة	٦٨ر٠	١٠
البناء	عدد قروض صندوق التنمية العقارية	٥٠ر٠	١١

كما أثبتت الدراسة أن حركة البناء في المملكة قد تأثرت بالعامل الاقتصادي المرتبط باستغلال البترول وتسويقه واستثمار عائداته في تنفيذ خطط التنمية التي تبنتها الدولة ، والتي كان لها أكبر الأثر في زيادة حركة البناء في مختلف المناطق .

وأشارت الدراسة إلى أن نمو حركة البناء في المملكة تفسر بوجود معدلات نمو عالية خلال فترة الدراسة ، وذلك بسبب الإنفاق المتزايد على التنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال مشروعات وخطط التنمية التي تبنتها الدولة من ناحية ، وبسبب ارتفاع العائد من الاستثمار في مجال البناء والتشييد .

وقد بينت الدراسة أن حركة البناء في مناطق المملكة تنحصر بنسبة كبيرة في المدن الرئيسية ، وفي تلك المدن ، التي تتمركز فيها أنشطة إدارية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، ولذا فإن حركة البناء والتشييد تعتبر من السمات البارزة التي تتميز بها مدننا في الوقت الحاضر .

وهكذا استطاعت المملكة حل مشكلة الاسكان خلال فترة البناء فيها حيث أنجز نحو ١٩ ضعفا من المعدل العالمي الذي اقترحته الامم المتحدة لحل مشكلة الاسكان في العالم النامي . وتجربة المملكة هذه تعتبر رائدة يقتدي بها في حل مشكلة الاسكان في العالم النامي .

(٣١) جدول من حساب الباحث اعتماداً على الجداول السابقة

ملحق رقم (١)
العلاقة بين البناء والسكان في المملكة(٣٢)
(في الفترة من ١٣٩٤ - ١٤٠٢هـ)

السنة	عدد تراخيص(٣٣) البناء	تقدير عدد* السكان	ترتيب معامل البناء (س)	ترتيب معامل السكان (ص)	الفرق بين س ، ص (ف)	ف٢
١٣٩٤	٢٧٫٩٨٣	٧٫٠١٢٫٥٤٤	٩	٩	٠	٠
١٣٩٥	٤٤٫٦٥٠	٧٫٢٥٠٫٤٠٨	٨	٨	٠	٠
١٣٩٦	٦٧٫٣٤٦	٧٫٤٩٦٫٩٢٢	٥	٧	-٢	-٤
١٣٩٧	٧٠٫٩٧٠	٧٫٧٥١٫٨١٧	٤	٦	-٢	-٤
١٣٩٨	٥٨٫٥٩٧	٨٫٠١٥٫٣٧٩	٧	٥	٢	٤
١٣٩٩	٦٣٫٧٨٠	٨٫٢٨٧٫٩٠٢	٦	٤	٢	٤
١٤٠٠	٨٣٫٥١٨	٨٫٥٦٩٫٦٩١	١	٣	-٢	-٤
١٤٠١	٧٣٫٢٣٠	٨٫٨٦١٫٠٦٠	٢	٢	٠	٠
١٤٠٢	٧٢٫٠٢١	٩٫١٦٢٫٣٣٦	٣	١	٢	٤
المجموع						٢٤

وبتطبيق صيغة ارتباط الرتب المعروفة بصيغة سبيرمان نجد أن :

$$ر = ١ - \frac{٦ \text{ مج } ف^{٢}}{ن (ن^{٢} - ١)}$$

$$= ١ - \frac{٦ \times ٢٤}{٩ (٨١ - ١)} = ١ - \frac{١٤٤}{٧٢٠} = ٠٫٨٠$$

(٣٢) راجع في صيغة ارتباط الرتب : عبد الإله أبو عياش ، **مرجع سابق** ، ص ص ٢١٤ - ٢١٦ .

(*) من حساب الباحث على أساس نسبة نمو سنوي مقدارها ٣٫٤٪ . استناداً إلى : The Population Reference Bureau, *op. cit.*

(٣٣) يستند رقم الأساس على التعداد العام للسكان لعام ١٣٩٤هـ . راجع جدول رقم (٤) .

ملحق رقم (٢)
العلاقة بين البناء والدخل الفردي في المملكة[٣٤]
(في الفترة من ١٣٩٣ - ١٤٠٢هـ)

السنة	عدد تراخيص البناء	متوسط الدخل[٣٥] الفردي/ريال	ترتيب معامل التراخيص (س)	ترتيب عامل (معامل الدخل) (ص)	الفرق بين س ، ص (ف)	$ف^{2}$
١٣٩٣	١٨٫٣٠٣	٣٫٢٥٣	١٠	١٠	٠	٠
١٣٩٤	٢٧٫٩٨٣	١٣٫٥٥١	٩	٨	١	١
١٣٩٥	٤٤٫٦٥٠	١٢٫٧٨٥	٨	٩	١−	١
١٣٩٦	٦٧٫٣٤٦	١٤٫٣١٣	٥	٧	٢−	٤
١٣٩٧	٧٠٫٩٧٠	١٨٫٢٧٦	٣	٥	٢−	٤
١٣٩٨	٥٨٫٥٩٧	١٥٫٦٨٦	٧	٦	١	١
١٣٩٩	٦٣٫٧٨٠	١٨٫٦٧٠	٦	٤	٢	٤
١٤٠٠	٨٣٫٥١٨	٢٩٫٥١٣	١	٣	٢−	٤
١٤٠١	٧٣٫٢٣٠	٣٧٫١٠٨	٢	١	١	١
١٤٠٢	٧٢٫٠٢١	٣٣٫٠٨١	٤	٢	٢	٤
المجموع						٢٣

وبتطبيق صيغة ارتباط الرتب نجد أن :

$$\text{ر} = ١ - \frac{٦ \times \text{مجـ ف}^{٢}}{\text{ن}\,(\text{ن}^{٢} - ١)}$$

$$= ١ - \frac{٦ \times ٢٣}{١٠ \times (١٠٠ - ١)} = ١ - \frac{١٣٨}{٩٩٠}$$

$$= ١ - ١٤ر٠ = ٨٦ر٠$$

---

(٣٤) جدول من حساب الباحث اعتمادا على : عبد الإله أبو عياش ، **مرجع سابق** ، ص ٢١٤ .

(٣٥) المملكة العربية السعودية ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، مصلحة الاحصاءات العامة ، **مرجع سابق** ، جدول رقم ٧ - ١ .

ملحق رقم (٣)
العلاقة بين القروض وتراخيص البناء في المملكة[٣٦]
(في الفترة من ١٣٩٦ - ١٤٠٢هـ)

السنة	عدد القروض	عدد تراخيص البناء٪ (التشييد)	ترتيب معامل القروض (س)	ترتيب معامل البناء (ص)	الفرق بين س ، ص (ف)	ف^2
١٣٩٦	٣٤٫١٨٩	٥٤٫٢٦٧	٣	٤	١-	١
١٣٩٧	٤٧٫٣٩٤	٥٨٫٤٦٨	١	٢	١-	١
١٣٩٨	٣٫٩٧١	٤٦٫٥٦٣	٧	٧	٠	٠
١٣٩٩	٣٤٫٨٢٦	٥٣٫١٠٢	٢	٥	٣-	٩
١٤٠٠	٣٣٫٤٧٧	٦٣٫٤٦٢	٥	١	٤	١٦
١٤٠١	٢٨٫٧٩٥	٥٠٫٧٧٣	٦	٦	٠	٠
١٤٠٢	٣١٫٣٢٩	٥٤٫٥٣٥	٤	٣	١	١
المجموع						٢٨

وبتطبيق صيغة ارتباط الرتب المعروفة بصيغة سبيرمان نجد أن :

$$\text{ر} = ١ - \frac{٦ \times \text{مجـ ف}^{٢}}{\text{ن} (\text{ن}^{٢} - ١)}$$

$$= ١ - \frac{٦ \times ٢٨}{٧ \times (٤٩ - ١)} = ١ - \frac{١٦٨}{٣٣٨}$$

$$= ١ - ٠٫٥٠ = ٠٫٥٠$$

---

(٣٦) جدول من إعداد الباحث مبني على كتاب : عبد الإله أبو عياش ، **مرجع سابق** ص ٢١٤ .

ملحق رقم (٤)
العلاقة بين قيمة القروض المدفوعة وتراخيص البناء في المملكة[٣٧]
(في الفترة من ١٣٩٦ - ١٤٠٢هـ)

السنة	قيمة القروض ٪	تراخيص البناء ٪	ترتيب معدل القروض (س)	ترتيب معامل التراخيص (ص)	الفرق بين س ، ص (ف)	ف٢
١٣٩٦	١٤ر١٦	١٤ر٢٣	٥	٤	١	١
١٣٩٧	٢٥ر١٩	١٥ر٣٤	١	٢	١-	١
١٣٩٨	٢ر١٣	١٢ر٢٢	٧	٧	٠	٠
١٣٩٩	١٦ر١٨	١٣ر٩٣	٢	٥	٣-	٩
١٤٠٠	١٤ر٩٤	١٦ر٦٥	٣	١	٢	٤
١٤٠١	١٢ر٦٩	١٣ر٣٢	٦	٦	٠	٠
١٤٠٢	١٤ر٧٢	١٤ر٣١	٤	٣	١	١
المجموع						١٦

وبتطبيق صيغة ارتباط الرتب نجد أن :

$$\text{ر} = ١ - \frac{\text{٦} \times \text{مجـ ف}^{٢}}{\text{ن} (\text{ن}^{٢} - ١)}$$

$$= ١ - \frac{\text{٦} \times \text{١٦}}{\text{٧} \times (\text{٤٩} - ١)} = ١ - \frac{\text{٩٦}}{\text{٣٣٦}}$$

$$= ١ - \text{٢٩ر٠} = \text{٧١ر}$$

(٣٧) جدول من حساب الباحث استناداً إلى : عبد الإله أبو عياش ، **مرجع سابق** ، ص ٢١٤ .

ملحق رقم (٥)
العلاقة بين البناء وكمية المياه المستهلكة في المملكة[٣٨]
(في الفترة من ١٣٩٣ – ١٤٠٢هـ)

السنة	عدد تراخيص البناء	المياه المستهلكة ٪ من جملة الفترة	ترتيب معامل البناء (س)	ترتيب معامل المياه (ص)	الفرق بين س، ص (ف)	ف٢
١٣٩٣	١٨ر٣٠٣	٣ر٧٣	١٠	١٠	٠	٠
١٣٩٤	٢٧ر٩٨٣	٤ر٨٩	٩	٩	٠	٠
١٣٩٥	٤٤ر٦٥٠	٥ر٧٩	٨	٨	٠	٠
١٣٩٦	٦٧ر٣٤٦	٨ر٠٠	٥	٧	-٢	٤
١٣٩٧	٧٠ر٩٧٠	٩ر٥٨	٤	٦	-٢	٤
١٣٩٨	٥٨ر٥٩٧	١١ر١	٧	٤	٣	٩
١٣٩٩	٦٣ر٧٨٠	١٠ر٩١	٦	٥	١	١
١٤٠٠	٨٣ر٥١٨	١٢ر٤٥	١	٣	-٢	٤
١٤٠١	٧٣ر٢٣٠	١٣ر٨٣	٢	٢	٠	٠
١٤٠٢	٧٢ر٠٢١	١٩ر٧٢	٣	١	٢	٤
المجموع						٢٦

وبتطبيق صيغة ارتباط الرتب نجد أن :

$$ر = ١ - \frac{٦ \times مجـ\ ف^{٢}}{ن\ (ن^{٢} - ١)}$$

$$= ١ - \frac{٦ \times ٢٦}{١٠ \times (١٠٠ - ١)} = ١ - \frac{١٥٦}{٩٩٠}$$

$$= ١ - ٠ر١٦ = ٠ر٨٤$$

(٣٨) جدول من حساب الباحث استناداً إلى الجداول السابقة.

ملحق رقم (٦)
العلاقة بين البناء الكهرباء في المملكة[٣٩]
(في الفترة من ١٣٩٥ – ١٤٠٢هـ)

السنة	عدد تراخيص البناء	الطاقة الكهربائية المباعة ٪	ترتيب معامل البناء (س)	ترتيب معامل الكهرباء (ص)	الفرق بين س ، ص (ف)	ف^{2}
١٣٩٥	٤٤٫٦٥٠	٣٫٦٥	٨	٨	٠	٠
١٣٩٦	٦٧٫٣٤٦	٥٫١٦	٥	٧	٢–	٤
١٣٩٧	٧٠٫٩٧٠	٦٫١٧	٤	٦	٢–	٤
١٣٩٨	٥٨٫٥٩٧	٨٫٢	٧	٥	٢	٤
١٣٩٩	٦٣٫٧٨٠	١٣٫٠٥	٦	٤	٢	٤
١٤٠٠	٨٣٫٥١٨	١٦٫٩٢	١	٣	٢–	٤
١٤٠١	٧٣٫٢٣٠	٢٢٫٠٠	٢	٢	٠	٠
١٤٠٢	٧٢٫٠٢١	٢٥٫٨٤	٣	١	٢	٤
المجموع						٢٤

وبتطبيق صيغة ارتباط الرتب نجد أن :

$$\text{ر} = ١ - \frac{٦ \times \text{مجـ ف}^{٢}}{\text{ن} \left(\text{ن}^{٢} - ١\right)}$$

$$= ١ - \frac{٦ \times ٢٤}{٨ \times \left(٦٤ - ١\right)} = ١ - \frac{١٤٤}{٥٠٤}$$

$$= ١ - ٠٫٢٩ = ٠٫٧١$$

(٣٩) جدول من حساب الباحث ، استناداً إلى الجداول السابقة .

ملحق رقم (٧)
العلاقة بين حركة البناء والصناعة في إمارات مناطق المملكة[٤٠]
(حتى نهاية ١٤٠٢هـ)

المنطقة	نسبة البناء[٤١] ٪ المملكة	نسبة المصانع ٪ المملكة	ترتيب معامل البناء (س)	ترتيب معامل الصناعة (ص)	الفرق بين س ، ص (ف)	$ف^2$
الرياض	٢٨,٢	٣٣,٤٥	١	١	٠	٠
مكة المكرمة	١٨,٠١	٢٦,٨٨	٣	٢	١	١
الشرقيـــة	١٨,٧٣	٢٣,٥٢	٢	٣	١-	١
المدينة المنورة	٦,٢١	٤,٥١	٥	٤	١	١
القصيــم	٧,٦٣	٤,٥١	٤	٤	٠	٠
عسيــر	٤,٣٦	٢,٣٤	٦	٦	٠	٠
تبــوك	٢,٤٣	١,٢	٩	٧	٢	٤
حائــل	٣,٧٩	١,٠٩	٧	٨	١-	١
جيــزان	١,٦١	,٩١	١٠	٩	١	١
الباحــة	١,٠٢	٠,٧٤	١٣	١٠	٣	٩
نجــران	١,١	٠,٥١	١٢	١١	١	١
الحدود الشمالية	٢,٥٦	٠,٢٣	٨	١٢	٤-	١٦
الجـــوف	١,٧٥	٠,٨١	١٠	١٣	٣	٩
القريـات	٠,٨٥	٠,٢	١٤	١٤	٠	٠
المجموع						٤٤

وبتطبيق صيغة ارتباط الرتب السابق ذكرها ، نجد أن :[٤٢]

$$ر = ١ - \frac{٦ مجـ ف^٢}{ن (ن^٢ - ١)}$$

$$= ١ - \frac{٦ \times ٤٤}{١٤ (١٩٦ - ١)} = ١ - \frac{٢٦٤}{٢٧٣٠}$$

$$= ١ - ٠,١ = ٠,٩٠$$

(٤٠) جدول من حساب الباحث استناداً إلى جدول رقم (٤) .

(٤١) المملكة العربية السعودية ، وزارة الصناعة والكهرباء ، وكالة الوزارة للشؤون الصناعية ، **قائمة بالمصانع المنتجة والمرخصة بموجب نظامي حماية وتشجيع الصناعات الوطنية واستثمار رأس المال الأجنبي حتى نهاية ١٤٠٥/١٠٤هـ** ، (الرياض : مطابع الدرعية ، ١٩٨٥م) .

(٤٢) عبد الإله أبو عياش ، **مرجع سابق ، ص ٢١٤**

المراجـــع

أولا : المراجع العربيـــة

أبو عياش ، عبد الإله ، **الاحصاء والكمبيوتر في معالجة البيانات مع تطبيقات جغرافية** ، الطبعة الثانية ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٨٤م .

أبو عياش ، عبد الإله والقطب ، اسحاق يعقوب ، **النمو والتخطيط الحضري في دول الخليج العربي** ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٨٠م .

بندقجي ، حسين حمزة ، **أطلس المملكة السعودية** ، أكسفورد ، ١٣٩٨هـ .

بندقجي ، حسين حمزة ، **الخريطة الجغرافية للمملكة العربية السعودية** ، جدة ، بندقجي ، ١٤٠٤هـ .

الجوهري ، يسري عبد الرزاق ، **جغرافية الانتاج الاقتصادي** ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٦م .

الحماد ، محمد عبد الله ، نمو المدن السعودية بين النظرية والتطبيق ، **ندوة المدن السعودية : انتشارها وتركيبها الداخلي ٧ - ٩ جمادي الآخرة ١٤٠٣هـ الموافق ٢١ - ٢٣ مارس ١٩٨٣م** ، الرياض ، جامعة الملك سعود (تحت الطبع) .

القطب ، اسحاق يعقوب ، اتجاهات التحضر في الوطن العربي ، من كتاب : **التحضر في الوطن العربي جـ ١** ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٨م .

المملكة العربية السعودية ، جامعة الرياض ، كلية الآداب - قسم الجغرافيا ، **أطلس السكان للمملكة العربية السعودية** ، الرياض ، جامعة الرياض ، ١٤٠١هـ .

المملكة العربية السعودية ، مركز الأبحاث والتنمية الصناعية ، **دليل الاستثمار الصناعي في المملكة العربية السعودية** ، الرياض ، مركز الأبحاث والتنمية الصناعية ، ١٣٩٨هـ .

المملكة العربية السعودية - وزارة التخطيط ، **خطة التنمية الثالثة ، ١٣٩٥/١٤٠٠هـ - ١٩٧٥/١٩٨٠م** ، الرياض ، وزارة التخطيط ، ١٤٠١هـ .

المملكة العربية السعودية - وزارة الصناعة والكهرباء ، وكالة الوزارة للشئون الصناعية ، **قائمة بالمصانع المنتجة المرخصة بموجب نظامي حماية وتشجيع الصناعة الوطنية واستثمار رأس المال الأجنبي حتى نهاية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م** ، الرياض ، مطابع الدرعة ، ١٩٨٥م .

المملكة العربية السعودية - وزارة المالية والاقتصاد الوطني - صندوق التنمية العقارية ، **التقرير السنوي العام ١٤٠٣/١٤٠٤هـ** ، الرياض ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، ١٤٠٥هـ .

المملكة العربية السعودية ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني - مصلحة الاحصاءات العامة ، **الكتاب الاحصائي السنوي ، من ١٣٩١ إلى ١٤٠٣هـ** ، جدول رقم (٤) وجدول رقم (١٠ - ١) ، الرياض ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني .

المملكة العربية السعودية ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني - مصلحة الاحصاءات العامة ، **الكتاب الاحصائي السنوي ، من عام ١٣٩٣ - ١٤٠٣هـ** ، الرياض ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني .

المملكة العربية السعودية ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني - مصلحة الاحصاءات العامة ، **المؤشر الاحصائي ، العدد السابع** ، الرياض ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، ١٤٠٣هـ .

ثانيا : المراجع الأجنبيـــة

The Population Reference Bureau, Inc., *World Population Data Sheet*. Washington. D.C.: April 1983.

Sinha, I.B. "Large-Panel housing for the cities with a population of over one million in developed and developing countries". In: *Proceedings on Housing Planning, Financing, Construction, December 2-7, 1979, Miami Beach, Florida*, edited by Oktay Ural. New York: Pergamon, 1979, v. 2, p. 1087-116.

Development of Building and Construction in Saudi Arabia "A Geographical Study"

Ibrahim Salman Al-Alawi
Assistant Professor, Department of Geography,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT

Saudi Arabia has witnessed considerable building constructions in all parts of the Kingdom since 1973. These constructions are a result of various factors. The first of them is the economic improvement which was caused by the rapid increases of oil income. This factor is considered as the most important of all. The second factor is the plan of the Government to use the huge oil income in the development of the country through several development plans. The third factor is the establishment of the Real Estate Development Fund which offers loans to citizens for constructing houses of their own. Also the government offers lands in the towns freely to citizens to build their private residents. Moreover, the government offers houses to some of its employees in certain sectors. These and other factors have encouraged people in development of buildings in different parts of the country. This study traces the housing construction development in the country between 1973 and 1982. It examines the method which the government of Saudi Arabia followed to solve the problem of housing. This will be done through analysing the size of housing construction development in the Kingdom within a period of ten years. It will follow up the reasons for the differences in the provinces of the country.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١ ، ص ص ٣٢٩ - ٣٦٢ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

إستانبول (القسطنطينية) في مواجهة القوى الأجنبية بعد الحرب العالمية الأولى

أحمد حسين العقبي(*)

مستخلص البحث

تعرضت استانبول عبر تاريخها الطويل لكثير من المطامع والتحديات فتاريخها العريق وموقعها الجغرافي والاستراتيجي ثم تحولها من عاصمة مسيحية إلى عاصمة إسلامية تنطلق منها رسالة الإسلام للعالم المسيحي الأوروبي جعلها هدفا للمطامع والمؤامرات .

فهذا البحث يركز وثائقيا على كشف وابراز صمود استانبول في مواجهة القوى الاجنبية خاصة بعد الحرب العالمية الأولى . وقد بدأ البحث بفترة ماقبل الفتح العثماني ثم الفتح العثماني ، فالتهديدات الموجهة لها بعد الفتح العثماني وفترة الحرب العالمية الأولى حيث ازداد ضغط التهديد الذي تواجهه وخطره ، الأمر الذي دفع بالوزير سعيد باشا لأن يقترح على السلطان عبد الحميد الثاني نقل العاصمة من استانبول إلى بورصة . وفي خلال الحرب العالمية الأولى تم الاتفاق بين الحلفاء أن تكون استانبول من نصيب روسيا ، إلا أن الثورة الروسية في ١٥ مارس ١٩١٧م ألغت ذلك . وبعد توقيع هدنة مدروس ومعاهدة سيفر احتلت القوات البريطانية والفرنسية والإيطالية واليونانية استانبول وفرضت رقابة عسكرية صارمة على مرافق العاصمة العثمانية حيث يقيم السلطان العثماني ورجال حكومته وأخذ أبناء العاصمة يعملون جهدهم على مقاومة الاحتلال وردت سلطات الاحتلال بإحكام سيطرتها ، ونفت الزعماء الوطنيين إلى مالطة . وبعد نهاية الحرب أخذت اليونان تطالب وتهدد باحتلال استانبول الأمر الذي أثار قلق فرنسا وإيطاليا ، وأخذت الصحافة ورجال الجيش اليوناني يتحدثون عن إعادة القسطنطينية اليونانية ، وقد استخدم اليونانيون إستانبول كورقة ضغط ضد رجال المقاومة الأتراك خارج العاصمة . وقد ركز

(*) أستاذ مشارك التاريخ الحديث ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

البحث وثائقيا على توضيح موقف كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا من هذا التهديد اليوناني ، وانتهى البحث إلى معرفة رد الفعل الكمالي ثم نهاية الاحتلال لاستانبول والذي تغير معه وضعها كعاصمة للدولة التركية الجديدة وأصبحت مدينة لها مكانتها ولاتزال لدى الأتراك والمسلمين .

تمهيد : القسطنطينية والتاريخ

فترة ماقبل الفتح العثماني لها

يعتبر موقع القسطنطينية أجمل موقع في أوروبا ، فهي عاصمة القياصرة الشرقيين التي كان يقال عنها : «تمتع بمشاهدة رومية (القسطنطينية) ثم مت ناعم البال» . ولليونان في أقاصيصهم القديمة حكايات وحكايات عن طروادة والساحل البحري المجاور لها وجزيرة تندوس ومضايق الدردنيل[١] .

ولو عدنا إلى البحث عن نشأة هذه المدينة العظيمة فإننا نجدها قد وجدت منذ فجر التاريخ كمدينة صغيرة وقوية أطلق عليها اسم بيزانطيوم «بيزنطة» ، تحدها المياه من ضلعيها الشمالي الغربي والجنوبي الغربي ، القرن الذهبي وبحر مَرْمَرَة وبينهما بوغاز البوسفور ، وقد بنيت هذه المدينة الصغيرة القوية على سبعة تلال ، وهي مدينة يونانية وثنية[٢] . وفي عام ٣٢٤م استولى قسطنطين على مدينة بيزانطيوم ، ويقال إنه شيّد عاصمته في الموضع القديم لبيزنطة[٣] . وحين توج قسطنطين قيصراً بدأ في إقامة سور لتلك المدينة ، واحتفل بتدشينها في ١١ مايو (أيار) سنة ٣٠٠م . واستمرت احتفالات التدشين أربعين يوماً ، امتزجت بالطقوس الدينية المسيحية ، حيث كان قسطنطين أول إمبراطور روماني اعتنق المسيحية ، وهكذا أقام الإمبراطور ورجال دولته في العاصمة الجديدة التي حملت اسمه ، ويذكر أن القسطنطينية شيدت لتكون مدينة مسيحية الصبغة ، بينما ظلت مدينة روما حصناً للديانة القديمة . وكانت الإمبراطورية قد قسمت في عهد الأمبراطور تيودور سنة ٣٧٥م إلى قسمين غربي وشرقي ، أما الإمبراطورية الغربية فإنها لم تعش طويلاً بعد هذا التقسيم حتى زالت عام ٤٧٦م ، أما الإمبراطورية الشرقية فقد ظلت قائمة بعد ذلك التقسيم أكثر من عشرة قرون ، وظلت مدينة القسطنطينية ألفاً ومائة عام عاصمة للأمبراطورية الرومانية الشرقية وخط دفاع ضد الشعوب غير المسيحية . وأصبح لهذه العاصمة شأن وأي شأن بين أمهات مدن العالم القديم في عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٣٢م) . وبتوالي السنين أصبحت القسطنطينية العاصمة الأولى للعالم ، وصمدت هذه المدينة بفضل موقعها الاستراتيجي ، وتمكنت من صد الغزاة وحملاتهم من التتار

---

(١) حسين لبيب ، **كتاب تاريخ الأتراك العثمانيين** ، جـ ٣ ، (القاهرة : مطبعة الواعظ ، ١٩١٧م) ، ص ٩ .

(٢) عبد السلام فهمي ، **فتح القسطنطينية** ، (القاهرة : الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٦٩م) ، ص ١٦ .

(٣) مجلة المعرفة ، **المجلد السادس** ، شركة ترادكيو جينيف ، (مصر : مطابع الأهرام التجارية ، ١٩٧١م) ، ص ١٠٥٧ .

والبلغار والهون والقوط والسلاف . وبعد وفاة الأمبراطور جستنيان كادت الأمبراطورية أن تنهار إلا أنها أنقذت بفضل كفاءة وقوة هرقل (٦١٠ - ٦٤١م) الذي أعاد لها مجدها وقوتها(٤) .

القسطنطينية والتطلعات العربية الإسلامية

وفي عهد هرقل كانت مكة المكرمة تشرق فيها أنوار دين جديد هو الدين الإسلامي ، وتذكر المصادر التاريخية أن هرقل هذا تلقّى رسالة من الرسول ﷺ يدعوه فيها للإسلام ، وأن هرقل ردّ عليها رداً حسناً(٥) . وتوالى الأباطرة على الأمبراطورية الرومانية الشرقية التي كانت تتلقى الضربات من العرب المسلمين الذين انتزعوا منها بعض ممتلكاتها مثل الشام ومصر ، ثم جاء بنو أمية للحكم ، وواصلوا سياسة دولة الخلافة الراشدة في الفتوحات التي أخذت امتداداتها تصل قريباً إلى القسطنطينية ، حيث كانت المحاولة الأولى لفتحها عام ٦٦٨م حينما جهز معاوية بن أبي سفيان جيشاً لفتح القسطنطينية براً وبحراً بقيادة شعبان بن عوف ، وكان من أبرز القادة المسلمين في هذا الجيش عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو أيوب الأنصاري ، وسار هذا الجيش حتى وصل إلى مشارف القسطنطينية ، وهناك دارت معارك كبيرة بين الروم المدافعين عن القسطنطينية والمسلمين المهاجمين لها كما فتكت النار الإغريقية بالسفن الإسلامية ، وفي أثناء حصار المسلمين للقسطنطينية قتل أبو أيوب الانصاري ودفن خارج أسوار القسطنطينية ، ولم تتمكن هذه الحملة للجيش الإسلامي الأموي من تحقيق أهدافها ، وعادت إلى الشام(٦) . حيث وافق الخليفة معاوية بن أبي سفيان على عقد معاهدة صلح عام ٦٧٨م ، إلا أن القسطنطينية مالبثت أن أصبحت هدفاً لحملة أموية ثانية في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك عام ٧١٧م ، ولم تنجح هذه المحاولة الثانية في الاستيلاء على القسطنطينية أيضاً(٧) . واعتبر هذا الهجوم العربي الكبير أعنف ضغط عسكري تعرضت له القسطنطينية(٨) . ثم تدرج الصراع بين المسلمين والدولة البيزنطية واتخذ صفة الحرب المقدسة ، فالمسلمون كانوا يوجهون أنظارهم لفتح القسطنطينية بينما يوجه البيزنطيون أنظارهم للاستيلاء على القدس(٩) .

---

(٤) عبد السلام فهمي ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٧ - ٢٠ .

(٥) عمر كال توفيق ،**تاريخ الدولة البيزنطية** ، (الاسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الاسكندرية ، ١٩٧٧م) ، ص ٩٣ وعرفت أيضا بالامبراطورية البيزنطية ، أو الامبراطورية الرومية .

(٦) حسن ابراهيم حسن ، **تاريخ الإسلام السياسي** ، جـ ١ ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤م) ، ص ٢٨٥ .

(٧) عمر كال توفيق ، **مرجع سابق** ، ص ص ٩٦ - ٩٧ .

(٨) وسام عبد العزيز فرج ، **دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية** ، (القاهرة : مطبعة مصنع الاسكندرية للكراس ، ١٩٨٣م) ، ص ١٦٣ .

(٩) عمر كال توفيق ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٠٦ - ١٠٧ .

القسطنطينية والحروب الصليبية

وقبل أن تبدأ الحملات الصليبية كفكرة ودعوة ثم كحرب مسيحية للسيطرة على بيت المقدس وغيرها كان الإمبراطور البيزنطي نقفور فوقاس (٩٦٤م) قد أوضح هذه الفكرة ، وأكد هذا الهدف في الرسالة التي وجهها إلى الخليفة العباسي «المطيع» وطالب فيها الخليفة العباسي بعودة المسلمين إلى أرض صنعاء والحجاز وإخلاء الأقاليم التي سبق أن استولوا عليها من البيزنطيين ، وأعلن عن عزمه على استرداد دمشق ، ومصر ، وبيّن رغبته في القيام بنشر الدين المسيحي في مشارق الأرض ومغاربها ، كما أوضح رغبته الأكيدة في استرجاع بيت المقدس ، بل لقد هدد بإخضاع مدينة مكة[١٠] . وفي شهر نوفمبر (تشرين الأول) من عام ١٠٩٥م كان جمع غفير من الشعوب الأوروبية قد اجتمع في مدينة كلير مونت بفرنسا برئاسة البابا أوربان الثاني يستمع إلى تحريض ساخط ضد المسلمين الذين اتُّهِموا زُوراً وبهتاناً بأنهم أهانوا المسيحيين في بيت المقدس ، ودنسوا المقدسات المسيحية وغير ذلك الكثير من الأكاذيب والافتراءات لإثارة الحماسة في نفوس الناس الذين اندفعوا يعلنون تطوعهم لتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين . وقد حدد مؤتمر كلير مونت يوم ١٥ أغسطس (آب) ١٠٩٦م لتوجه القوات الصليبية إلى الحرب ، وكان مكان التجمع والالتقاء هو مدينة القسطنطينية التي تعهّد لهم إمبراطورها أليكسيوس كومنينوس بتقديم كل العون ، وكان هذا الإمبراطور قد بعث برسالة إلى البابا أوربان الثاني يطلب منه الإغاثة ، لأن الترك (السلاجقة) قد أغاروا على بلاده[١١] . وحينما وصلت قوات الحملة الصليبية إلى القسطنطينية كان أمبراطورها قد دخل في نزاع مع بعض قادتها حتى إن بوهيموند أمير تارانتا فكّر في الاستيلاء على القسطنطينية[١٢] . وفي الحملة الصليبية الثالثة فكر أمبراطور ألمانيا فردريك بارباروسا بالاستيلاء على القسطنطينية بالتعاون مع الصرب والبلغار[١٣] .

وفي الحملة الصليبية الرابعة ، وفي وقت مبكر من عام ١٢٠٣م رسا الأسطول اللاتيني أمام القسطنطينية ، واستولى عليها بالقوة يوم ١٨ يوليو (تموز) ١٢٠٣م ، وفي ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٢٠٤م انتهت السيطرة اللاتينية من جانب البندقية على القسطنطينية ، إلا أن اللاتينيين عادوا واستولوا على القسطنطينية مرة ثانية وبالقوة المسلحة في ١٢ أبريل (نيسان) عام ١٢٠٤م وخربوها بقسوة بالغة ، وهكذا سقطت القسطنطينية في أيدي الصليبيين ، واستمروا في حكمها حتى عام

---

(١٠) وسام عبد العزيز فرج ، **مرجع سابق** ، ص ٢٩٠ .

(١١) سيد علي الحريري ، **كتاب الأخبار السَّنية في الحروب الصليبية** ، (مصر : المطبعة العمومية بمصر ، ط ١ ، ١٣١٧هـ) ، ص ص ٥ – ٨ .

(١٢) **المرجع السابق** ، ص ١١ .

(١٣) عمر كمال توفيق ، **مرجع سابق** ، ص ١٩٧ .

١٢٦١م حتى تم للبيزنطيين استرجاعها في ٢٥ يوليو (تموز) عام ١٢٦١م[١٤] .

الفتح العثماني للقسطنطينية

حينما خلف الأتراك العثمانيون بني عمومتهم سلاجقة الروم في السيطرة على آسيا الصغرى أصبح هدفهم فتح القسطنطينية ، ومن هذا المنطلق قام السلطان العثماني بايزيد الأول[*] بحصارها عام ١٣٩٦م ، إلا أنه رفع حصاره عنها لصد الحملة الصليبية الأوروبية التي دعا إليها سجمون ملك المجر ، وبعد أن هزم تلك الحملة وعلى رأسها عدد من أشراف فرنسا أبرزهم الكونت دي نيفر ، عاد ثانية لمحاصرة القسطنطينية ، وضيق عليها الخناق هذه المرة أكثر من المرة السابقة حتى اضطر الأمبراطور البيزنطي يوحنا إلى التسليم بشروط بايزيد عام ١٤٠٠م ، وكان من أبرزها تخصيص حي في العاصمة ليكون داراً للمسلمين ، وبناء مسجد لهم ، وتعيين قاضٍ شرعي يفصل في أحوالهم الشخصية[١٥] . وكان بايزيد قد أنشأ قلعة «أناضولي حصار» على الجانب الآسيوي من البسفور[١٦] . وجاء السلطان مراد الثاني[**] وحاصر القسطنطينية عام ١٤٢٢م ، ولم يتمكن من فتحها . وحينما تولى السلطان محمد الثاني[***] السلطة في الدولة العثمانية عمل على تنفيذ خطة أسلافه في العمل على فتح القسطنطينية ، وبدأ في حصارها في أوائل أبريل (نيسان) عام ١٤٥٣م[١٧] . وكان السلطان محمد الثاني قد قام ببناء قلعة «روم ايلي حصار» على بعد سبعة كيلو مترات من أسوار القسطنطينية على الضفة الأوروبية من البسفور مقابلة للقلعة التي سبق أن شادها السلطان بايزيد ، وبذلك أصبح العثمانيون يسيطرون على ضفتي البسفور[١٨] . وقد تمكن القائد الجنوي جوستنياني أن يخترق الحصار العثماني للقسطنطينية والدخول إلى ميناها بأسطوله لمساعدة الأمبراطور البيزنطي بها يوم ٢١ أبريل (نيسان) ١٤٥٣م ، إلا أن العثمانيين بقيادة السلطان العثماني محمد الثاني توّجوا حصارهم الخانق للقسطنطينية بفتحها يوم ٢٩ مايو (أيار) ١٤٥٣م بعد أن تمكنوا من اقتحام أسوار

---

(١٤) **المرجع السابق** ، ص ص ١١٩ - ٢١١ .

(*) السلطان بايزيد الأول هو السلطان العثماني الرابع حكم في ١٣٨٩ - ١٤٠٣م .

(١٥) أمين شاكر سعيد العريان ومحمد مصطفى عطا ، **تركيا والسياسة العربية من خلفاء آل عثمان إلى خلفاء أتاتورك** ، (مصر : دار المعارف ، ١٩٥٤م) ، ص ٢٢ .

(١٦) كارل بروكلمان ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** (تعريب نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي) ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ط ٥ ، ١٩٦٨م) ، ص ٤٢٩ .

(**) السلطان مراد الثاني ، هو السلطان العثماني السادس حكم من ١٤٢١ - ١٤٥١م .

(***) السلطان محمد الثاني ، هو السلطان العثماني السابع حكم من ١٤٥١ - ١٤٨١م .

(١٧) محمد فريد بك المحامي ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، (بيروت : دار النفائس ، ١٩٨١م) ، ص ١٦٣ .

(١٨) كارل بروكلمان ، **مرجع سابق** ، ص ٤٣٠ .

هذه المدينة الحصينة ، وأطلق عليها منذ ذلك اليوم اسم إسلامبول ، أي تخت الإسلام أو مدينة الإسلام[١٩] .

وكان لفتح القسطنطينية على يد العثمانيين دلالته السياسية البعيدة الأثر على أوروبا والذي قد يكون من أبرزها أن العالم المسيحي قد أنهى بعدها صراعاته الدينية العنيفة ، وأخذ يتحد لمواجهة الخطر الذي يمثله التقدم الإسلامي إلى القسطنطينية ومواجهته بقوة مسيحية موحدة .

وقد اعتبر يوم ٢٩ مايو (أيار) ١٤٥٣م بداية للتاريخ الحديث ، وأصبحت فيه استانبول أو إسلامبول (القسطنطينية) عاصمة للأمبراطورية العثمانية .

التهديدات الموجهة لاستانبول (القسطنطينية) بعد الفتح العثماني

عمل شارل الثامن ملك فرنسا لفتح مدينة إستانبول (القسطنطينية) عن طريق الإغارة على إيطاليا[×] وذلك في عهد السلطان بايزيد الثاني[×] ، كما أخذت هذه العاصمة تصبح هدفاً مطلوباً وأملاً مرغوباً لدى روسيا القيصرية التي أوصى قيصرها بطرس الأكبر في البند التاسع من وصيته المشهورة بأنه ينبغي التقرب بقدر الإمكان من إستانبول كما ذكر في البند الحادي عشر من الوصية ذاتها : بأن من يحكم على استانبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها ، وأضافت الوصية : بأنه ينبغي تحريض العائلة المالكة في النمسا على طرد الأتراك وإبعادهم من الروملي ، وحينما نستولي على إستانبول ، علينا أن نسلط دول أوروبا القديمة على ألمانيا حرباً ، وبعد معارك جرت بين روسيا والدولة العثمانية واشعال الروس النار في السفن العثمانية في ٥ يوليو (تموز) ١٧٧٠م بالقرب من أزمير قرر الأميرال الروسي الفنستون الهجوم على مدينة إستانبول (القسطنطينية) ، إلا أن القائد أرلوف لم يوافق على هذا القرار ، ولذلك بادر إلى احتلال جزيرة لمنوس بدلاً منها ، وفي نفس الوقت كانت الدولة العثمانية قد أخذت تعمل على تحصين مضيق الدردنيل وبناء القلاع على ضفتيه وتسليحها بالمدافع الضخمة حتى أصبحت من أحسن المعاقل البحرية[٢٠] . إلا أن هذه المضايق (البسفور والدردنيل) أصبحت بعد ذلك ركناً أساسياً في علاقات الدولة العثمانية بالدول الأوروبية ، بل غدت من أبرز مشكلات السياسة الدولية ، واضطرت الدولة العثمانية إلى إبرام عدد من المعاهدات مع

---

(١٩) محمد فريد بك المحامي ، **مرجع سابق** ، ص ١٦٤ .

(٢٠) محمد فريد بك ، **مرجع سابق** ، ص ص ٣٣٢ - ٣٣٦ .

(×) يذكر بعض المؤرخين بأن هذا القول ليس له أساس تاريخي ، وإن كنا لانستبعد حدوثه خاصة وأن أوروبا آنذاك كانت تعيش قمة الألم لسقوط القسطنطينية في يد العثمانيين .

(×) السلطان بايزيد الثاني ، هو السلطان العثماني الثامن حكم من ١٤٨١ - ١٥١٢م .

الدول في هذا الصدد ، من ذلك معاهدة بلجراد(*) عام ١٧٣٩م بينها وبين روسيا[٢١] .

وفي ٢١ يوليو (تموز) من عام ١٧٧٤م وبعد ست سنوات من القتال بين روسيا والدولة العثمانية وقع البلدان معاهدة كتشك كينارجي **Kuçuk Kaynarça** وتقرر في هذه المعاهدة أن تكون الملاحة مفتوحة أمام السفن الروسية التجارية في البحر الأسود وحقها في حرية المرور في المضايق ، وأن تكون إستانبول من بين الثغور التي يسمح لسفنهم بدخولها والمرابطة فيها لتفريغ شحناتها وشحن حمولات جديدة منها . وتبع هذه المعاهدة إعطاء تعهد عثماني للنمسا عام ١٧٨٤م حصلت النمسا بموجبه على حق الملاحة الحرة لسفنها في البحر الأسود وفي عبور المضايق . وقد أصدر هذا التعهد حامد باشا الصدر الأعظم بتاريخ ٢٤ فبراير (شباط) . ثم تلتها معاهدة التحالف الدفاعي بين Senet الدولة العثمانية وروسيا في عهد السلطان سليم الثالث(**) عام ١٧٩٨م كرد فعل للحملة الفرنسية على مصر ، وبعد سنة من معاهدة التحالف هذه حصلت بريطانيا على تحرير عثماني بالمرور عبر المضايق عام ١٧٩٩م . وفي عام ١٨٠٢م تمكنت فرنسا هي الأخرى من توقيع معاهدة سلام بينها وبين الدولة العثمانية سمحت بموجبها الدولة العثمانية للسفن الفرنسية بالعبور عبر المضايق[٢٢] . ولأول مرة تتمكن روسيا من توقيع معاهدة للتحالف الدفاعي بينها وبين الدولة العثمانية عام ١٨٠٥م ونصت هذه المعاهدة على أن الدفاع عن المضايق إنما هو مسئولية مشتركة تقع من حيث المبدأ على عاتق الدولتين[٢٣] ، وحينما لمست بريطانيا أثر التقارب الفرنسي العثماني في السياسة العثمانية اتحدث مع روسيا وطالبت السلطان العثماني بطرد الجنرال سبستياني **Sebastiani** السفير الفرنسي من إستانبول ، وإعلان الحرب على فرنسا ، وإلا فإن بريطانيا ستكون مضطرة لاجتياز الدردنيل وإطلاق مدافعها على إستانبول ، وكان رد السلطان العثماني الرفض لهذا الطلب أو الانذار البريطاني ، وفشل الأميرال اللورد دوك وورث **Sir John T. Duckworth** قائد الأسطول البريطاني من دخول البسفور حيث تصدت له المدفعية العثمانية بنيران حامية فولي أدباره هاربا في أول مارس (آذار) ١٨٠٧م[٢٤] . وكانت فرنسا وروسيا قد أبرمتا معاهدة بينهما عرفت باسم معاهدة تلسيت ، والتي قضت بعض بنودها السرية على تقسيم الدولة العثمانية إلا أن خلافاً بين نابليون والقيصر إسكندر الأول حال دون

---

(٢١) J.C. Hurweitz, *Diplomacy in the Near and Middle East*, A Doucmentary Record, **2Vols** (New York: **Vol.1**, 1965.) pp. 47 – 51.

(٢٢) *Ibid*., pp. 54 – 72

(٢٣) *Ibid*., pp. 72 – 77

(*) وهذه المعاهدة أتت بعد الحرب التي اندلعت بين البلدين عام ١٧٣٥م وبعد إخفاق الروس في تحقيق هدفهم من أن يكون لهم وجود عسكري على الساحل الشمالي للبحر الأسود كخطوة إلى المضاريق أرغموا على توقيع المعاهدة يوم ١٨ سبتمبر (ايلول) .

(**) السلطان سليم الثالث : هو السلطان العثماني الثامن والعشرون حكم من عام ١٧٨٩ – ١٨٠٧م .

(٢٤) عبد العزيز الشناوي ، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ، جـ ١ ، (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٠م) ، ص ص ٣٨٨ – ٣٨٩ .

تنفيذها ، وقد تركز هذا الخلاف حول رفض نابليون ضم مدينة إستانبول للقيصر الروسي الذي سيكون له مضيقا البسفور والدردنيل وبالتالي مفاتيح العالم بأسره(٢٥) .

وحينما ظهرت المنظمة السرية اليونانية المسماة «فيليكي هيتريا Philike Hetairia» كان من أبرز أهدافها طرد العثمانيين من أوروبا ، وبعث الدولة البيزنطية ، وإعادة أمجادها القديمة ، وجعل إستانبول (القسطنطينية) عاصمة لها كما كانت(٢٦) .

وفي الحرب التي شنتها روسيا على الدولة العثمانية عام ١٨٢٩م . كادت الجيوش الروسية أن تسيطر فيها على العاصمة العثمانية لولا مسارعة الدول في تصديها لروسيا والتوسط في إبرام الهدنة بينهما ، والتي عرفت بمعاهدة أدرنة في ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٨٢٩م(٢٧) . وحينما تقدمت قوات محمد علي باشا في الأناضول وأصبحت قريبة من بورصة بات من المحتمل أن يكون نهاية هذا التقدم هو إستانبول (القسطنطينية) ولذلك سارعت روسيا إلى الإعلان بأنها ستحمي إستانبول ولن تسمح لقوات محمد علي بالتقدم بعد كوتاهية Kutaya ، وفعلاً بعثت بسفنها الحربية لترابط أمام إستانبول في ٢٠ فبراير (شباط) ١٨٣٢م ، وتوسطت الدول بين محمد علي والسلطان ، وتم توقيع معاهدة كوتاهية في ٨ أبريل (نيسان) عام ١٨٣٣م ، وانسحبت القوات الروسية من إستانبول بعد أن وقعت روسيا مع الدولة العثمانية على معاهدة أنكيار أسكلسي Unkiar Skelessi في ٨ يوليو (تموز) ١٨٣٣م(٢٨) . وقد تضمنت هذه المعاهدة في ملحقها السري تعهد السلطان العثماني(*) بإغلاق المضايق في وجه أية سفينة حربية أجنبية ماعدا السفن الروسية الحربية التي يكون لها وحدها دون سواها من السفن الأجنبية حق عبور المضايق ، إلا أن معاهدة انكيار اسكلسي هذه لم يكتب لها البقاء طويلاً حيث بادرت الدول الكبرى آنذاك (بريطانيا ، روسيا ، بروسيا ، النمسا) إلى عقد اجتماع في لندن عام ١٨٤٠م توصل في نهايته المجتمعون إلى توقيع معاهدة مع الدولة العثمانية ثم انضمت فرنسا إلى هذه المعاهدة في ١٥ مارس (آذار) ١٨٤١م وأصبحت هذه المعاهدة سداسية الأطراف ، واعتبرت هذه المعاهدة بمثابة إلغاء للمعاهدة الروسية العثمانية عام ١٨٣٣م . وإذا كانت المعاهدة الملغاة حرصت فيها روسيا على ضمان مصلحتها الخاصة فإن معاهدة لندن السداسية الأطراف ضمنت مصلحة كل الدول الموقعة عليها ، وكان من أبرز ماورد فيها أمران هامان هما :

أولا : التزام كامل من السلطان العثماني(**) بمنع جميع السفن الحربية من المرور في المضايق .

ثانيا : التزام مقابل من الدول الخمسة الكبرى بحماية عرش السلطان العثماني بناء على طلب

---

(٢٥) محمد فريد بك ، **مرجع سابق** ، ص ص ٤٠١ – ٤٠٢ .

(٢٦) عبد العزيز الشناوي ، **مرجع سابق** ، جـ ٢ ، ص ص ٨٣٧ – ٨٣٨ .

(٢٧) محمد رفعت ، **تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية** ، (مصر : دار المعارف ، ١٩٥٩م) ، ص ص ٧١ – ٧٢ .

(٢٨) J.A.R. Marriott, *The Eastern Question*, (London: oxford, 1969), pp. 234 – 235

(*) السلطان العثماني هو : السلطان محمود الثاني وهو السلطان الثلاثون وحكم من ١٨٠٨ – ١٨٣٩م .

منه ، وتلتزم أيضاً باتخاذ الإجراءات اللازمة للدفاع عن استانبول إذا ماأقدم محمد علي باشا والي مصر على توجيه قواته البرية والبحرية للزحف على العاصمة العثمانية(٢٩) .

وحينما اندلعت حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية عقدت كل من بريطانيا وفرنسا معاهدة مع الدولة العثمانية أطلق عليها معاهدة من أجل المساعدة العسكرية للباب العالي ، وكان ذلك في الثاني عشر من شهر مارس (آذار) ١٨٥٤م ، وقد جاء في تلك المعاهدة بأن بريطانيا وفرنسا قد استجابتا لطلب السلطان لمساعدته في صد العدوان الروسي الذي هدد سلامة الأمبراطورية العثمانية ، وأنهما قد أمرا قواتهما البحرية بالتقدم نحو إستانبول .

وبعد انتهاء حرب القرم عقدت معاهدة باريس في الثلاثين من شهر مارس (آذار) سنة ١٨٥٦م جعلت البحر الأسود منطقة محرمة على السفن الحربية التابعة لجميع الدول بما فيها روسيا ، كما أكدت على المبدأ التقليدي ، وهو منع السفن الحربية الأجنبية من المرور في المضايق ، إلا أن هذه المعاهدة قد تم تعديلها فيما بعد بمعاهدة أخرى ، هي معاهدة لندن ، والتي تم توقيعها في الثالث عشر من شهر مارس (آذار) عام ١٨٧١م(٣٠) . وتقرر فيها إلغاء النصوص الخاصة بحيدة البحر الأسود ، كما ألغيت الاتفاقية الخاصة بتحديد القوات البحرية للدولتين في البحر الأسود ، على أن يظل نافذاً مبدأ غلق المضايق وتخويل السلطان العثماني الحق في فتح المضايق في أوقات السلم أمام السفن الحربية التابعة للدول الصديقة والمتحالفة إذا رأى الباب العالي أن مرور مثل هذه السفن في المضايق أمر يضمن تنفيذ أحكام معاهدة باريس .

وبعد أن شنت روسيا الحرب ضد الدولة العثمانية في ٢٣ يونيو (حزيران) عام ١٨٧٧م ، قرر دزرائيلي رئيس الوزارة البريطانية رفض اقتراح بسمارك (تقسيم أملاك الدولة العثمانية بين الدول العظمى) ولكنه حصل على موافقة الوزارة يوم ٢١ يوليو (تموز) ١٨٧٧م على دخول بريطانيا الحرب ضد روسيا ، إذا ما احتل الروس إستانبول ، ورفضوا الانسحاب منها(٣١) . وحينما اتضح لبريطانيا أن إستانبول باتت على وشك السقوط في يد الروس الذين سيطروا على أدرنة أصدرت تعليماتها إلى أسطولها بالتوجه إلى إستانبول وذلك في ٢٣ يناير (كانون الثاني) سنة ١٨٧٨م ، إلا أن روسيا والدولة العثمانية وقعتا اتفاقية أدرنة يوم ٣١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٨٧٨م ، وتوقفت الحرب بين البلدين بموجبه ، وأصبحت الجيوش الروسية محتلة لأراضٍ تركية قريبة جداً من إستانبول ، وكان على بريطانيا ألا تدع لروسيا أي سبب قد يدفعها إلى احتلال إستانبول ، ولذا فقد أصدر رئيس الوزراء

---

(٢٩) محمد مصطفى صفوت ، **المسألة الشرقية ومؤتمر باريس** ، (القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٨م) ، ص ص ٣٤ - ٤٩ .

(٣٠) William Miller, *The Ottoman Empire and its Successors* (1801 – 1927) (London: Cass, 1966), pp.199 – 242

(٣١) محمد كمال الدسوقي ، **الدولة العثمانية والمسألة الشرقية** ، (القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦م) ، ص ٢٥١ .

البريطاني دزرائيلي أوامره للأسطول البريطاني يوم ١٢ فبراير (شباط) ١٨٧٨م بالتقدم إلى إستانبول (القسطنطينية) . وفعلاً تقدمت تلك الأساطيل ، ورست على الشاطيء الآسيوي لبحر مرمرة بناء على طلب من السلطان العثماني . وبقي الحال متوتراً حتى تم توقيع معاهدة سان استيفانو San Stfano( ) يوم ٢ مارس (آذار) ١٨٧٨م . إلا أن هذه المعاهدة الجائرة تم إلغاؤها بموجب معاهدة برلين( ) الموقعة في ٢٢ يونيو (حزيران) ١٨٧٨م وسحبت الجيوش الروسية وعاد الأمن إلى إستانبول[٣٢] .

وحينما اندلعت الثورة في جزيرة كريت عام ١٨٩٦م . كانت جمعية اثنيكا هيتاريا (ظهرت عام ١٩١٤م) Ethinke Hetairca تنادي بضم مقاطعتي مقدونيا وإبيروس إلى المملكة اليونانية مهددين بأنه إذا امتنع السلطان العثماني عن إجابة طلباتهم فإنهم سيتوغلون بجيوشهم في بلاده والاستيلاء على إستانبول (القسطنطينية) نفسها[٣٣] .

وفي الحرب البلقانية الأولى وبعد شهر من اندلاع القتال بين الدولة العثمانية وعصبة البلقان أي في ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩١٢م . أصبحت أصوات طلقات المدفعية البلغارية تسمع في إستانبول (القسطنطينية) نفسها بعد أن استولوا على القلاع المحيطة بها . وبات الخطر يتهدد العاصمة العثمانية من جديد . إلا أن قوات أنور بك العثمانية استطاعت استعادة السيطرة على مدينة أدرنة من البلغاريين ، وانتهى بذلك التهديد الموجه ضد إستانبول (القسطنطينية) ، وبعدها تم توقيع الهدنة في بوخارست يوم ١٠ أغسطس (آب) ١٩١٣م[٣٤] .

إستانبول (القسطنطينية) في فترة الحرب العالمية الأولى

يبدو أن التهديد المستمر الذي كانت تتعرض له العاصمة العثمانية خاصة حينما ازداد ضغط هذا التهديد وخطره قبل الحرب العالمية الأولى مما دفع بالوزير سعيد باشا(*) لأن يقترح على السلطان عبد

---

(٣٢) المرجع السابق ، ص ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٣٣) كامل صدقي وعبد الواحد حمدي ، تاريخ حرب الدولة العلية ودولة اليونان ، (مصر : المطبعة الاميرية الكبرى ببولاق ، ١٣١٥هـ) ، ص ١٧ .

(٣٤) محمد كمال الدسوقي ، **مرجع سابق** ، ص ص ٣٤٢ - ٣٤٦ .

( ) هذه المعاهدة لم يرد فيها أي ذكر عن إستانبول أو المضايق ، إلا أن بريطانيا رأت فيها ضرراً بمصالحها لأنها تجعل روسيا في مركز المتحكم في استانبول والمضايق .

( ) معاهدة برلين : فهذه لم يرد فيها ذكر لإستانبول أو المضايق .

(*) سعيد باشا ، عينه السلطان عبد الحميد رئيسا للوزراء عام ١٩٠٧م وقد عرف بميوله التحررية وقد وصفه السلطان في موضع آخر من مذكراته بالذئب العجوز سعيد باشا الصغير . انظر محمد أنيس ورجب حراز ، **الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر** ، (مصر : دار النهضة العربية ، ١٩٦٧م) ، ص ١٧٤ .

الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩م) نقل العاصمة العثمانية من إستانبول إلى بورصة **Bursa** وجعلها عاصمة للأمبراطورية ، وقد رأى السلطان عبد الحميد في هذا الاقتراح مايستحق الدراسة الجدية خاصة وأنه كان يرى بأن وجود إستانبول على برميل من البارود حقيقة واقعة ، لأنه لو جاء الروس مرة ثانية إلى مشارف إستانبول فإنهم سيحتلون المدينة ، وهذا يعني في نظر السلطان نهاية كل شيء ، ولأنه إذا ضاعت إستانبول ضاعت معها الخلافة . ونظر السلطان عبد الحميد إلى هذا الاقتراح من زاوية أخرى فقال : إن ماضينا السعيد يربطنا بإستانبول ، فيها مساجدنا التاريخية والأمانات المقدسة(*) ، ثم إن تكاليف نقل الدوائر والموظفين إلى بورصة ستبلغ ملايين الليرات(٣٥) .

وقبل اندلاع الحرب بعدد من السنين ارتاحت العاصمة العثمانية من كل تهديد خارجي وبقيت تشهد صراعات سياسية ومسلحة في داخلها حتى دقت طبول الحرب العالمية الأولى ولم تسرع الدولة العثمانية إلى دخولها كما هو معروف .. إلا أنها وجدت نفسها بعد فترة قصيرة في ميدانها ، ولكن أين وضع إستانبول من هذه الحرب ؟ . يذكر أن الدولة العثمانية لم تعلن الحرب رسميا بل فعل ذلك نيابة عنها الطراد جوبن بضربه في ٢٩ أكتوبر (تشرين الأول) من عام ١٩١٤م عدداً من الموانيء الروسية(٣٦) . فقد كان الطرادان الألمانيان الكبيران جوبن وبروسلاو قد وصلا إلى مياه الدردنيل في ٤ أغسطس (آب) من عام ١٩١٤م ، واعتبر وجود هذين الطرادين الألمانيين في مياه إستانبول (القسطنطينية) دليلاً على اتجاه السياسة العثمانية ، حيث قدمت ألمانيا الطرادين هدية للحكومة العثمانية التي قبلتهما رسمياً ليحلا محل سفينتين حربيتين كانتا تصنعان في إنجلترا لحساب الحكومة العثمانية ، واستولت عليهما الحكومة البريطانية(٣٧) . وفي عام ١٩١٥م أقنع السير ونستون تشرشل وزير الحربية البريطانية آنذاك حكومته على إرسال حملة بحرية إلى إستانبول معتقداً بأن ظهور أسطول انجليزي - فرنسي أمام إستانبول قد يؤدي إلى ثورة انهزامية ، وحاول الأسطول البريطاني اقتحام الدردنيل إلا أنه رد على أعقابه مدحوراً بعد غرق ست من سفنه الحربية في ١٨ مارس (آذار) ١٩١٥م . وبعد قتال عنيف جرى بين القوات العثمانية المدافعة عن المضايق اندحرت حملة الدردنيل البريطانية ، واضطرت القوات البريطانية للانسحاب من المياه العثمانية في ٨ - ٩ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٦م(٣٨) .

(*) الأمانات المقدسة ، تراث الرسول ﷺ وآثاره .

(٣٥) السلطان عبد الحميد الثاني ، **مذكراتي السياسية** (١٨٩١ - ١٩٠٨م) ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٩٧٩م) ، ص ٣٩ .

(٣٦) ذزموند ستيورت ، **تاريخ الشرق الأوسط الحديث** ، تعريب : زهدي جار الله ، (بيروت : دار النهار للنشر ، ١٩٧٤م) ، ص ١٨٩ .

(٣٧) وليم لانجر ، **موسوعة تاريخ العالم** ، تعريب الدكتور محمد مصطفى زيادة ، المجلد السابع ، (مصر : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٩م) ، ص ٢٣٩٣ .

(٣٨) ذزموند ستيورت ، **مرجع سابق** ، ص ص ١٩٠ - ١٩٢ .

وفي خريف عام ١٩١٦م كان الحلفاء قد أكدوا في المذكرات المتبادلة بينهم وبين روسيا حق الأخيرة في إستانبول[٣٩] . وكان الهدف من حملة الدردنيل هو الاستيلاء على إستانبول وفتح المضايق ليكون ذلك أعظم تخفيف عن روسيا ، وربما رد سحر الفوز بإستانبول إلى قيصر روسيا ماضاع من كرامته ومكانته بسبب الهزائم المتكررة[٤٠] .

وفي أحداث تاريخ الحرب العالمية الأولى ظهر ماسمي أو عرف بأسم اتفاق إستانبول (القسطنطينية) والذي برز في أوائل يناير (كانون الأول) عام ١٩١٥م عندما طالبت روسيا دول الحلفاء بضرورة فتح جبهة ثانية في الحرب للتخفيف على جيوشها في القوقاز ، وبرز مع هذا الطلب التفكير الجاد والاتفاق النهائي بين الحلفاء على تقسيم أملاك الأمبراطورية العثمانية ، وهو ماظهر في مشروع اتفاق إستانبول (القسطنطينية) في مارس (آذار) ١٩١٥م ، وكان وزير الخارجية البريطاني السير أدوارد جراي قد أصدر تعليماته إلى سفيره في بطرسبرج كي يتعهد لروسيا بأن يأتي الفصل في مسألة استانبول (القسطنطينية) والمضايق (البسفور والدردنيل) بالشكل الذي يتفق مع حاجة روسيا ورغباتها حالما تهزم ألمانيا ، بل إن الملك جورج الخامس قد أكد للسفير الروسي في لندن : أن إستانبول (القسطنطينية) سوف تكون في حوزة روسيا . وحينما قوي الأمل في انتصار الحلفاء وتهديد إستانبول (القسطنطينية) بادرت روسيا لإعادة طلبها بأن تكون القسطنطينية عند هزيمة تركيا من نصيبها ، أما الموقف الفرنسي فقد كان أكثر صراحة وأبعد عن الدبلوماسية البريطانية التي كانت تمن على الروس ولاتلتزم رسمياً بذلك . فقد كتب ريمون بوانكاري Poincaré رئيس الجمهورية الفرنسية إلى سفيره لدى روسيا موريس باليولوج في ٩ مارس (آذار) ١٩١٥م بما نصه : إن إعطاء روسيا إستانبول (القسطنطينية) وتراقيا والمضايق وسواحل بحر مرمرة معناه تقسيم الأمبراطورية العثمانية ، أما نحن فليس لدينا من الأسباب القوية مايدعونا إلى الرغبة في حدوث مثل هذا التقسيم ، بل إن استيلاء روسيا على إستانبول من شأنه أن يأتي بها إلى البحر المتوسط ، ومن المحتمل أن يجعل منها دولة بحرية كبيرة ، مما يترتب عليه حدوث تغير شامل في ميزان القوى في أوروبا[٤١] .

ثم مالبثت المواقف الفرنسية والبريطانية من مسألة إستانبول والمطالب الروسية فيها أن تبدلت ، وقد يرجع ذلك إلى إلحاح روسيا المستمر وربما الخوف من انسحابها من الحرب كما أن هذه الدول قد ضمنت مايهمها كسبه من أملاك الأمبراطورية العثمانية ، فنجد أن وزير الخارجية الفرنسي يبلغ السفير الفرنسي لدى روسيا في ٨ مارس (آذار) ١٩١٥م بأن عليه أن يؤكد لوزير الخارجية الروسي

---

(٣٩) لونسكي ، **تاريخ الأقطار العربية الحديث** ، (موسكو : دار التقدم ، د . ت) ، ص ٤٦٢ .

(٤٠) أ . ج . جرانت ، هارولد تمبرلي ، **أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ - ١٩٥٠م)** تعريب محمد علي أبو درة ولويس اسكندر ، (القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٨م) ، ص ٢٠٣ .

(٤١) محمد أنيس والسيد رجب حراز ، **الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر** ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٧م) ، ص ص ٣١٤ - ٣١٧ .

«سازونوف» استعداد الحكومة الفرنسية لتسوية مسألة إستانبول والمضايق وفق رغبات روسيا . وأما بريطانيا فقد بعث وزير خارجيتها جراي إلى السفير البريطاني في بطرسبرج بتاريخ ١٢ مارس (آذار) ١٩١٥م موافقة بريطانيا على استيلاء روسيا على العاصمة العثمانية والمضايق وتعهد سازونوف وزير الخارجية الروسي لفرنسا وبريطانيا بأن تكون إستانبول ميناءً حراً(٤٢) .

وفي نهاية عام ١٩١٦م حينما أبدت ألمانيا رغبتها في التفاوض مع الحلفاء من أجل الصلح ، عملت بريطانيا وفرنسا بكل قوة على أن تتضمن شروط الصلح مطالب كان منها طرد الأتراك من إستانبول (القسطنطينية)(٤٣) . وفي ٢٢ فبراير (شباط) ١٩١٦م كان الرئيس الأمريكي ويلسن قد أعلن الشروط التي سوف تتوسط على أساسها الولايات المتحدة الأمريكية بين الحلفاء وألمانيا ، وقد ورد ضمن هذه الشروط حصول روسيا على إستانبول (القسطنطينية)(٤٤) . وانتهت مطالب روسيا في إستانبول بعد أن أعلنت الثورة الروسية في ١٥ مارس (آذار) ١٩١٧م بأنهم لايقرون المعاهدات السرية ويتبرأون منها ومن شروطها ، ويستنكرون اغتصاب الأراضي التي ليست لهم(٤٥) .

آثار هدنة مدروس ومعاهدة سيفر على إستانبول

وحينما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، ووقع العثمانيون على هدنة مدروس Mudros(*) في ٣٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٨م . وقد تضمنت ثلاث نقاط لم يكن بينها أي نص على احتلال الحلفاء للعاصمة العثمانية ، إلا أنه في ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨م ألقت بعض قطع الأسطول التابع للحلفاء مراسيها في ميناء إستانبول وفي ٨ ديسمبر (كانون الأول) احتلت القوات الأجنبية المتحالفة شتى أحياء العاصمة وفرضت رقابة عسكرية صارمة على الميناء وعلى كل المرافق العامة في العاصمة العثمانية(٤٦) .

وإذا توقفنا عند شهر فبراير (شباط) من عام ١٩١٩م ، وفي اليوم الثامن منه على وجه التحديد فإن إستانبول يومها كانت تشهد منظراً حزنت منه النفوس . حينما دخل في هذا اليوم القاسي الأسود إلى إستانبول القائد الفرنسي الجنرال فرانشيه دسبري General Franchet d'Esperey ممتطياً جواداً أبيض أهداه إليه السكان اليونانيون في إستانبول وكأنهم يعيدون للمسلمين

---

(٤٢) المرجع السابق ، ص ص ٣١٧ - ٣١٨ .
(٤٣) أ . ج . جرانت وهارولد تمبرلي ، **مرجع سابق** ، ص ٢١٠ .
(٤٤) وليم لانجر ، **مرجع سابق** ، جـ ٧ ، ص ٢٣٤٥ .
(٤٥) محمد رفعت ، **مرجع سابق** ، ص ٣٣٤ .
(٤٦) عبد العزيز الشناوي ، **مرجع سابق** ، جـ ١ ، ص ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .
(*) ميناء في جزيرة لمنوس Lemnos وهي إحدى جزر بحر الأرخبيل .

الصفعة ويذكرونهم بما مضى من زمن الأمجاد حينما دخل القسطنطينية السلطان محمد الثاني (الفاتح) ممتطياً صهوة جواد أبيض عام ١٤٥٣م[٤٧] .

ويقول بعض المحللين السياسيين لأوضاع مابعد الحرب العالمية الأولى أن بريطانيا التي كان من المتوقع أن تعالج الأزمة التي ظهرت عن رد فعل الأتراك لاحتلال اليونانيين لأزمير بالحكمة والحنكة التي اشتهرت بها ، بادرت إلى احتلال إستانبول عسكرياً فارتكبت بذلك خطأ لاشك فيه عجل في دفع الأتراك إلى تصعيد المقاومة ، والتعجيل في وضع الدستور في أنقرة[٤٨] .

وشهدت العاصمة العثمانية رغم الظلام الحالك الذي كان يلفها ، دعوة رئيس الحكومة على رضا باشا بإعادة انتخاب البرلمان التركي من جديد ، ودعوته إلى الانعقاد في إستانبول ، وقد أقر هذا البرلمان الجديد يوم ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٠م الميثاق الوطني الذي كان قد أصدره مؤتمر سيواس والذي طالب بالاستقلال والحرية الكاملة لجميع الأقاليم التي تسكنها أغلبية تركية وعلى رأسها إستانبول ومنطقتها الممتدة على بحر مرمرة[٤٩] .

وأمام هذا التطور في التحرك الوطني داخل إستانبول زاد الحلفاء من إحكام سيطرتهم على العاصمة العثمانية بغية القضاء على الحركة الوطنية التي ظهرت إشعاعاتها فيها ، وقد قامت سلطات الاحتلال بنفي بعض الزعماء الوطنيين إلى مالطة . وقد أثارت تلك الإجراءات في إستانبول موجة عارمة من الاستياء من قِبَل الإتراك ، إلا أن الحكومة التركية الضعيفة برئاسة فريد باشا اضطرت إلى توقيع معاهدة سيفر في ١٠ أغسطس (آب) التي اعتبرت كارثة كبرى حلت بتركيا . ويلاحظ بعض المؤرخين على معاهدة سيفر فيما يتعلق بإستانبول بأنه قد ورد في بعض موادها إقرار رسمي من قِبَل الحلفاء بأن إستانبول هي العاصمة ، وأن حقوق الحكومة التركية على إستانبول لاتمس ، وأن إستانبول هي المقر الرسمي للسلطان والحكومة التركية بصفتها عاصمة للدولة التركية[٥٠] .

وهكذا أصبحت إستانبول عاصمة للدولة التركية ، ولكن تحت مظلة الاحتلال من قِبَل جيوش الحلفاء . وكان الأتراك خارج العاصمة ينظرون إليها بالحنين والألم ، وتعاهدوا على العمل المسلح حتى يتمكنوا من تمزيق هذه المظلة ودفع جنود الحلفاء بعيداً عنها وهو ماحدث بالفعل في النضال المرير الذي خاضوه ضد الاحتلال اليوناني والتي كانت تمثل رأس حربة الحلفاء حتى تمكنوا من كسرها وهو ما نلاحظ ضغطه وآثاره على إستانبول في الصفحات التالية .

---

(٤٧) Bernard. Lewis, *The Emergenc of Modern Turkey,* (London, oxford un. press 1968), p. 240

(٤٨) فرنان ويليه ، **الأسس التاريخية لمشكلات الشرق الأوسط** ، (تعريب نجدة هاجر وطارق شهاب) ، (بيروت : المكتبة التجارية للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٩٦٠م) ، ص ٧٤ .

(٤٩) كارل بروكلمان ، **مرجع سابق** ، ص ٦٩٥ .

(٥٠) عبد العزيز الشناوي ، **مرجع سابق** ، جـ ١ ، ص ٢٤٦

إستانبول (القسطنطينية) وفترة مابعد الحرب العالمية الأولى

أولا : إستانبول (القسطنطينية) والتهديدات اليونانية باحتلالها

أمام الهزائم المتلاحقة التي حلت بالجيش اليوناني في الأناضول حاولت القيادة اليونانية أن تخفف منها بل وتلعب بورقة كانت في نظرها الورقة الرابحة وربما الأخيرة . وأخذت تطالب بأن يسمح لها باحتلال العاصمة العثمانية إستانبول ، فقد كتب القائد العام البريطاني في إستانبول إلى وزارة الحربية البريطانية يوم ٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٢م تقريراً عن الوضع العسكري بالنسبة للقوات اليونانية بعد زيارة لضباط الاتصال البريطانيين أوضح فيه بأن هناك حديثاً عن التحرك نحو إستانبول . ولكن ليس هناك دليل على إعداد خطة لذلك(٥١) .

كما أن السفير الفرنسي لدى اليونان أكد للممثل البريطاني بأنه علم أن الحكومة اليونانية تعتزم إعلان ضم الأراضي المحتلة في آسيا الصغرى وأنها تفكر في حركة ضد إستانبول ، وهذا الممثل البريطاني في أثينا يؤكد لايرل بلفور وزير الخارجية بأنه رغم عدم تصديقه لمثل هذه الشائعة فهو يعرف بأن كل هذه الاحتمالات قد نوقشت من قِبَل عددٍ من أعضاء الحكومة اليونانية ، وأنهم بحثوا ذلك وسواه من أعمال بطولية ، وأنه من المحتمل أن تفكر الحكومة اليونانية وهي في حالة يأسٍ في عملٍ أحمق من هذا القبيل حتى تقف الدول في وجهها وتحول بينها وبين تنفيذه ، وهذا يعطيها الفرصة لتقدم للرأي العام اليوناني شيئاً أفضل(٥٢) .

ويبدو أن اليونانيين أخذوا يعملون على الاستفادة من وجود بعض التسهيلات ومشاركتهم في احتلال إستانبول مع بقية دول الحلفاء . ففي ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٢٢م بعث ممثل الحكومة الوطنية التركية برسالة إلى المندوبين الساميين للحلفاء بإستانبول موجهة لهم من وزير خارجية حكومة أنقرة يعلن فيها احتجاج حكومته على اتخاذ إستانبول قاعدة بحرية تنطلق منها السفن الحربية اليونانية لتخريب المدن الساحلية التركية على البحر الأسود ، وأوضح بأنه في ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٢٢م ظهرت قاذفة طوربيد يونانية وأوقفت عند ققفين Kafken ثلاث سفن شراعية محملة بالأخشاب وبعد تفتيش حمولتها ألقت بها في البحر وأخذتها أسرى ويمتلك هذه السفن الثلاث سليم ورفعت وعلي أوجلو إسماعيل . وأنه يلفت النظر إلى خطورة هذا العمل وأنه يجب وقف استخدام الأسطول اليوناني لميناء إستانبول كقاعدة حربية لعملياته(٥٣) .

وقد أيد المندوب السامي البريطاني ذلك بمذكرة مطولة بعث بها إلى ايرل بلفور Earl Balfour وزير الخارجية بتاريخ ٨ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٢م أوضح فيها أن السفن اليونانية تقوم من إستانبول باعتراض وتدمير السفن التركية الصغيرة والتي تحمل الأخشاب من ققفي إلى إستانبول . وهذا سيؤثر على عملية إمداد إستانبول بالخشب وهو بالغ الأهمية بالنسبة للحالة الاقتصادية ، كما أن

---

(٥١) F.O.,E6714/27/44. *From General Sir C. Harington (Conststantinople) to War Office*, London. July 3,1922.

(٥٢) E6803/5/44. *From Mr. Lindley (Athenes) to the Earl Balfour* London, No. 245. July 8,1922.

(٥٣) E7066/76/44. *From Nevile Henderson (Const.) to Earl Balfour* London, No. 614 July 8,1922.

اليونانيين قد وضعوا قيوداً عديدة على نقل الأخشاب من جومليك بلوفا إلى إستانبول . وأصبح الاعتماد في الخشب على جهة تشيل ، وبهذا فإن كمية الأخشاب اللازمة لأفران الخبز لم تعد تكفي لأكثر من ستة أسابيع ، فإذا استمرت سلطات البحرية اليونانية في تصرفها هذا فإن الكثير من المخابز ستغلق أبوابها ، وسينتج عن ذلك حدوث أزمة في الخبز وفي ارتفاع أسعاره . وأن زميليه ممثلي إيطاليا وفرنسا أصبحا يشعران بعدم الارتياح للمشاكل التي أخذت تتزايد نتيجة لتواجد سلطات الأسطول والجيش اليوناني في إستانبول وأنه بات من المستحسن إبلاغ الحكومة اليونانية بأنه سيلحق بهم الضرر إذا لم يتصاعوا لتعليمات ممثلي سلطات الاحتلال بإستانبول ، كما أن القائد العام لقوات الحلفاء يطالب اليونانيين بسحب قواتهم من نقط وجودهم الحالية خلف خط الحدود في شرق تراقيا[٥٤] .

وقد أخذ اليونانيون يطلقون بين آونة وأخرى الإشاعات التي تتناقلها الصحف عن قرب تقدمهم لاحتلال إستانبول ، وقد انتاب القلق المندوبين الساميين لحكومتي فرنسا وإيطاليا في إستانبول . اللذين بادرا إلى نقل قلقهم وانزعاجهم إلى زميلهم المندوب السامي البريطاني والذي بادر بإبلاغ حكومته عن ذلك مؤكداً بأن اليونانيين يشيعون ذلك من أجل إنعاش الروح المعنوية لدى الجيش والشعب اليوناني ، وأيضاً لإحداث إرباك للكماليين ، كما أن اليونانيين ربما كانوا يرغبون في أن توجه لهم الدول تحذيراً لعدم التقدم نحو إستانبول لاستغلاله في شرح الأمر للشعب من أن الدول الكبرى هي التي منعتها من تحقيق ذلك . ويقترح المندوب السامي البريطاني على حكومته بأن توافق على أن يتخذ القائد العام لقوات الحلفاء خططاً للطوارىء بالاتفاق مع زميله الفرنسي تحسباً لمقاومة أية محاولة يمكن أن تحدث وأن ذلك الإجراء سيكون دليلاً على أن حكومة صاحب الجلالة لاتتستر على أي انقلاب من هذا القبيل[٥٥] .

وحينما قام الملحق العسكري بالسفارة البريطانية في أثينا بجولة في أنحاء آسيا الصغرى قدم تقريراً مطولاً لحكومته بتاريخ ١٣ يوليو (تموز) ١٩٢٢م عن مشاهداته وملاحظاته في هذه الجولة التي استمرت شهراً كاملاً وورد في الفقرة العاشرة منه أنه صدر قرار هام من الحكومة اليونانية بأنه لم تعد القوات في تراقيا تمثل جيشاً منفصلاً بل أصبحت جزءاً من الجيش الرابع ووضعت تحت إمرة جنرال هادجيا فستي وبالتالي أصبحت قوات آسيا الصغرى وتراقيا تحت قيادة واحدة موحدة . ومن الممكن أن يفسر من هذا التنظيم الجديد على أن اليونان عازمة على محاولة احتلال إستانبول بالقوة من الحلفاء ، ولقد سمعت أن هذا الاستنتاج قد خطط له ولكني لا أرى مبرراً له ، والحق أن فكرة القسطنطينية اليونانية ظلت حية في عقول الجنود اليونانيين كما سمعت بنفسي في خطاب جنازة عند النصب العسكري التذكاري في أفيون قره حصار Afion Kerrhuror ، ومن الممكن أيضاً أنه لو ترك الحلفاء إستانبول فإن اليونانيين قد يحاولون احتلالها[٥٦] .

---

(٥٤) *Ibid.*, No. 614 July 8, 1922

(٥٥) *From Mr. Henderson (Const.) to Earl Balfour* London. No. 313 July 22, 1922.

(٥٦) E7351/27/44. *From Mr. Lindley (Athenes) to the Earl Balfour* London, No. 352 July 14, 1922

وقد كان بعض رجالات الحكومة اليونانية أخذو يعتقدون بأن إنهاء الحرب بينهم وبين الأتراك الوطنيين لن يكون إلا باحتلالهم لإستانبول . وهذا ماأشار إليه السفير البريطاني في أثينا ببرقية بعثها لحكومته بتاريخ ٢٤ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٢م[٥٧] .

وأخذ موضوع رغبة اليونان في احتلال إستانبول يأخذ اتجاهاً تصاعدياً حيث أخذت الصحافة اليونانية تكتب بشكل واضح وصريح محرضة الحكومة اليونانية على وضع حد للحرب باحتلال إستانبول ، كما تحاول بعض هذه الصحف التأكيد بأن الحلفاء لن يعارضوا في ذلك وحتى لو عارضوا فإنه يجب عدم المبالاة بذلك ، بينما تقوم الحكومة اليونانية ببعض الإجراءات التي تشير إلى أنها تنوي عمل شيء من ذلك نقلها مابين ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ جندي من رجال الدَّرَك (الجندرمة) من أثينا إلى تراقيا ، وأيضا شراء الآلاف من البنزين لاستخدامها في تراقيا . وفي نفس الوقت صرح أكثر من مصدر مسؤول أن تقدماً يونانياً نحو إستانبول وشيك الحدوث ، وهذا التقدم سيتم بموافقة ضمنية من قِبَل الحكومة البريطانية[٥٨] .

وقد زادت القوات اليونانية الموجودة في تراقيا بفرقتين على الأقل ليصبح مجموعها أربعة فرق ، وهذا التركيز للقوات في تراقيا قد يكون الغرض منه محاولة اليونانيين احتلال إستانبول[٥٩] . إلا أن وزير الخارجية اليونانية نفى الشائعات التي ترددت بأن الأوامر قد صدرت بالفعل مساء يوم ٢٦ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٢م إلى القوات اليونانية بالتقدم نحو إستانبول ، إلا أنه أوضح بأن هذه الأوامر قد تصدر في أية لحظة . وهنا تدخل السفير البريطاني في أثينا ولفت نظر الوزير اليوناني إلى التحذير الذي سلم للحكومة اليونانية في العام الماضي بواسطة لورد جرانفيل من أن أي هجوم على إستانبول لن يكون هناك تسامح تجاهه ، وأنه لاوجود لأي افتراض بأن الحكومة البريطانية قد غيرت موقفها منذ العام الماضي[٦٠] . ثم عاد السفير البريطاني لدى اليونان بإبلاغ حكومته في برقية في نفس اليوم أوضح فيها أن السفير الفرنسي ذكر له أن استراتوس Stratos(*) يدفع الحكومة اليونانية للموافقة على التقدم نحو إستانبول ولكن جوناريس Gounaris رئيس الوزراء ووزير الشؤون الخارجية يعارضان ذلك ، وأنه لايعتقد أن التقدم سيستخدم كوسيلة ضغط[٦١] .

وفي أثينا أوضحت المصادر الحكومية عن عزم الحكومة اليونانية على نشر بلاغ أو إنذار موجه

(٥٧) *From Mr. Lindley (Athenes) to the Earl Balfour* London, No. 258. July 24, 1922

(٥٨) *From Mr. Bentinck (Athenes) to the Earl Balfour* London, No. 260 July 26, 1922

(٥٩) *From Mr. Henderson (Const.) to the Earl Balfour* London No. 316 July 27, 1922

(٦٠) *From Mr. Bentink (Athenes) to the Earl of Balfour* London. No. 263 July 27,1922

(٦١) *From Mr. Bentinck (Athenes) to the Earl of Balfour* London. No. 264 July 27,1922

(٦٢) *From Mr. Bentinck (Athenes) to the Earl of Balfour* London. No. 267 July 28,1922

(*) Stratos كان وزيرا للداخلية في الحكومة اليونانية ، وشخصيته قوية ومؤثرة .

لمصطفى كمال بأنه إذا لم يوافق على قرارات الدول في مارس (آذار)(*) فإن اليونانيين سوف يحتلون إستانبول[٦٢]. وفي يوم ٢٩ يوليو (تموز) قام وزير الشؤون الخارجية اليوناني بتسليم سفراء بريطانيا وفرنسا وإيطاليا مذكرة مطولة جاء فيها بأن الحكومة اليونانية قد وصلت إلى استنتاج مؤداه أن احتلال إستانبول سوف يأتي فقط بالسلام. ويطلب من الحلفاء أن يصدروا الأوامر الضرورية إلى قوات الاحتلال[٦٣]. وقد كان رأي السفير الفرنسي بأن الغرض من هذا الطلب اليوناني هو إجبار الدول على التوصل إلى قرار فوري وأن يظهر للشعب اليوناني أن الحكومة ليست غافلة أو أنها تستحق اللوم[٦٤]. إلا أن وزير الشؤون الخارجية عاد في نفس الوقت ليؤكد للسفير البريطاني بأنه ليس هناك سبب للانزعاج، فإن القوات اليونانية لن تدخل المنطقة المحايدة تحت أي ظرف بدون مصادقة أو قبول الحلفاء، وأن حكومته تطلب مصادقة الحلفاء على مذكرتها، وأنها سوف تنتظر إجابة الحلفاء قبل اتخاذ عمل جديد[٦٥].

وقد كتب بعض المؤرخين عن هذا الموقف من جانب اليونانيين، واعتبروا أن تهديد اليونان في نهاية يوليو (تموز) بدخول إستانبول بالقوات التي حشدتها في تراقيا، والتي هي عبارة عن أربع فرق يتكون منها الجيش الرابع كان الهدف منه دفع الأتراك إلى مهاجمة البسفور، وهنا لن يكون أمام الحلفاء إلا دعوة القوات اليونانية إلى حماية قوات الحلفاء في المنطقة المحايدة وإستانبول[٦٦].

وعادت الحكومة اليونانية في يوم ٣ أغسطس (آب) وبعثت بمذكرة إلى ممثلي الدول المتحالفة المعتَمَدين لديها تقول لهم فيها: بأن القرارات التي اتخذتها القوى المتحالفة ستسبب عرقلة أهداف الحكومة اليونانية وما تمارسه هذه الحكومة من حقها كدولة محاربة ضد عدوها ومواجهة المقاومة التركية بعمل معنوي وعسكري حاسم، وأنهم بموقفهم هذا يعرقلون ماتنوي الحكومة اليونانية القيام به كعمل حاسم ويزيدون الموقف صعوبة بعدم تحقيق السلام وزيادة حرج وضع المسيحيين في تركيا[٦٧].

وكان أمراء البحار لأساطيل الحلفاء قد بعثوا بمذكرة مشتركة إلى مجلس المندوبين السامين للحلفاء برأيهم وكخطوة احتياطية بأنه يجب إخطار الحكومة اليونانية فوراً بأن رجال السفن الحربية

(*) قرارات الدول في مارس: يعني ذلك المؤتمر الذي عقد في لندن في مارس (آذار) ١٩٢١م والذي أعلن فيه الحلفاء أنه لو قام أي الطرفين بأعمال العنف، فإن ذلك يكون على مسؤوليته الخاصة.

(٦٣) *Ibid.*, No. 269 July 29,1922

(٦٤) *Ibid.*, No. 270 July 29, 1922

(٦٥) *Ibid.*, No. 271 July 29, 1922

(٦٦) Douglas Dankin, *The Unification of Greece* (1770-1923), London Earnest Benn, 1972. p. 236

(٦٧) E7718/5/44. *From Mr. Rizo Rangabe Greek Legation (London) to the Earl of Balfour*, Aug. 3,1922

اليونانية لم يعد مسموحاً لهم باستعمال مياه البسفور أو المناطق المؤدية إليها ، وأنه من الأفضل ألا يسمح للسفن الحربية اليونانية أو لوسائل نقل القوات أو الفرق الاحتياطية باستعمال المياه التي تؤدي إلى مضيق الدردنيل طالما بقي التوتر الحالي قائماً[٦٨] . بينما تركز الحكومة اليونانية على أنه لو أظهر الحلفاء اتحاداً ومنعوا وصول الإمدادات إلى الكماليين فإن الشعور الأدبي في جميع أنحاء الشرق كان يمكن أن يكون عظيماً لدرجة أن السلام كان سيأتي دون أن يلجأ الحلفاء إلى استعمال القوة ، وقد ذكر سكرتير المستر ستراتوس Stratos بأنه إذا فشلت القوى العظمى في وضع نهاية للحالة المحزنة التي وصلت إليها الأمور في مدة لاتتجاوز الشهرين فإن القوات اليونانية سترحف نحو إستانبول مهما كان الثمن[٦٩] .

وكانت اليونان رغم كل ذلك تبدي استعداداً عسكرياً ظاهرا فقد نشر في جميع الصحف اليونانية الصادرة مساء يوم ٢٧ أغسطس (آب) أمراً صادراً من القائد العام للجيوش اليونانية يحتم على جميع رعايا اليونان وكذلك الأشخاص الذين هم من سلالة يونانية والقاطنين في المنطقة المحتلة والذين ولدوا عام ١٩٠٣م أن يحضروا لقيد أنفسهم للخدمة العسكرية خلال الأسبوع الأخير من شهر أغسطس (آب) وأن الذين سيتخلفون سيحاكمون كمتهربين من الخدمة العسكرية[٧٠] . وأخذت الصحافة اليونانية تضرب هي الأخرى على وتر إستانبول . وتهاجم الحلفاء قائلة بأنه ليس للحلفاء جيش ، دعهم يطوون أعلامهم في إستانبول عندما يقترب منها جيش التحرير اليوناني . وقالت صحف أخرى : إن بريطانيا تعطي اليونان أقوالاً معسولة إلا أن فرنسا وحدها هي التي تستطيع أن تعطي اليونان ماتريد[٧١] .

وربما كانت هذه الأقوال بمثابة تهديد من جانب الصحف اليونانية بالانحياز إلى جانب فرنسا خاصة ونحن نعرف بأن فرنسا لم تكن متعاطفة مع مخططات اليونان .

وبعد أن اشتد ضغط القوات التركية على اليونانيين في الأناضول وإنزال الهزيمة تلو الهزيمة بها أخذت اليونان في طلب وساطة بريطانيا لعمل ترتيب للهدنة مقابل جلاء القوات اليونانية من آسيا الصغرى . وأخذت المناقشات تدور عن الطريقة المثلى للوصول إلى تنفيذ الهدنة بدون أن تستفيد القوات الوطنية أي مميزات . وأنه يمكن لبريطانيا أن تقدم مساعدة فعالة لليونان ، وأنه لن يكون في مقدور الفرنسيين ومصطفى كمال إجبار اليونانيين على إخلاء أي جزء من تراقيا لو اعترضت حكومة

---

(٦٨) *From Sir Rumbold (Const.) to the Earl of Balour* London. No. 329 Aug. 2, 1922

(٦٩) *From Mr. Bentinck (Athenes) to the Earl of Balfour* London. No. 289 Aug. 3,1922

(٧٠) *From Mr. Bentinck (Athenes) to the Marquess Curzon of Kedleston*, London. No. 333 Aug. 28, 1922.

(٧١) *Ibid.*, No. 336 Aug. 29, 1922

صاحب الجلالة وبينا الموافقة الفعالة لحكومة صاحب الجلالة ربما تكون لاتزال قادرة على تمكين اليونانيين من دخول إستانبول التي ستسهل الدفاع عن تراقيا(٧٢) .

ثانيا : موقف بريطانيا من التهديدات اليونانية لاحتلال إستانبول

وبما أن إستانبول تعتبر من وجهة نظر المسلمين هي مقر الخلافة الإسلامية ، ولذلك كان كل مايمسها أو يشكل خطراً عليها يقلق المسلمين ويؤلمهم ، وهكذا فقط أصبح موضوع إستانبول هاجس المسلمين في جميع أنحاء العالم . وتجسد ذلك بوضوح فيما نقله نائب الملك في الهند إلى مكتب شؤون الهند ببريطانيا أوضح فيه أن وكالة الأنباء الهندية The India News Agency أعلنت يوم ٧ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٢م من مدينة بومباي بأن اللجنة المركزية للخلافة Central khilafat Committee قد أبرقت للمستر لويد جورج Lloyd George وإلى المركيز كرزون Curzon موضحة بأن مسلمي الهند قد أصابهم الذعر عندما بلغت مسامعهم أن المندوب السامي البريطاني قد سمح للأساطيل اليونانية بالمرور عبر البواغيز لتعويق التجارة التركية في البحر الأسود ولاستعمال إستانبول كقاعدة يونانية للأعمال العدائية ، وأن مسلمي الهند يرون أن نكث بريطانيا لعهودها بالحياد يعتبر دليلاً جديداً على المواقف البريطانية المعادية لتركيا وللإسلام . وحتى تتغير هذه السياسة فإن مسلمي الهند لن يكونوا رعايا مخلصين للأمبراطورية البريطانية . وطلب نائب الملك من الحكومة البريطانية إمداده بأية معلومات لاتخاذ موقف بهذا الخصوص(٧٣) .

فقد جاء في رد الحكومة البريطانية على نائب الملك :

١ — إن استمرار اليونانيين في استعمال إستانبول كقاعدة للأعمال العدائية في عمليات لايشترك فيها الحلفاء الآخرون يمكن أن يفسر كلية في ضوء الوضع الشاذ الذي يعنيه الموقف الحيادي للحلفاء ، ذلك الموقف الشاذ للحياد قد نشأ أصلاً من أن اليونانيين قد اشتبكوا في الحرب الحالية كحلفاء ولازالوا إلى الآن حلفاء لنا بينا لم يدرك الأتراك بما فيهم الكماليون فلسفة السلام فلازالوا إلى الآن أعداءنا الذين مازلنا معهم للآن من الناحية الفعلية في حالة حرب . فلايمكن اعتبار إستانبول محايدة بمعنى الكلمة ، ولم يسبق أن منع حليف من أن يستعمل أرض عدو بدعوى الحياد لاسيما إذا كان هؤلاء المحايدون لازالوا مرتبطين بذلك الحليف .

٢ — إنه من الخطأ القول بأن اليونانيين قد جاءوا إلى إستانبول في رِكَاب الحلفاء ، إذ أنهم كانوا أحد الحلفاء الذين ذهبوا إلى إستانبول ، فإذا انسحب حلفاؤهم غداً من إستانبول فما هو المانع من أن يظل اليونانيون في إستانبول ينعمون بثمرة انتصار الحلفاء وهو الانتصار الذي ساهموا فيه

---

(٧٢) *Ibid.*, No. 380 Sept. 5, 1922

(٧٣) E7074/76/44. *From Mr. Wakely (Indian Office) to Mr. Oliphant.* July 12, 1922

بأنفسهم فالحقيقة يجب أن يقال بأن حلفاء اليونانيين هم لوحدهم الذين يمنعون اليونان من احتلال إستانبول ، هذا فضلاً عن أنه من حق اليونانيين أن يستمروا بإستانبول كحلفاء فإن مركزهم العسكري في تراقيا وسيادتهم على البحار ستمكنهم من احتلال إستانبول بكفاءة في حالة ماإذا انسحب الحلفاء منها غداً .

٣ - لايمكن حرمان اليونانيين من الفوائد العملية التي حصلوا عليها كشركاء في النصر الذي أحرزه الحلفاء ، كما وأن أنقره لايمكن أن تتهرب من دفع ثمن انهزام تركيا عام ١٩١٨م وذلك بتجريدها من السفن الحربية ، وحرمانها من استعمال إستانبول لامحل للجدال حتى من وجهة النظر الشكلية في أن تجعل من الحياد التام المطلق وسيلة للمساواة بين فريقين متحاربين يصفون حسابهم مستعملين إلى أقصى حد ميزة الوضع الذي وجدوا أنفسهم فيه نتيجة للحرب .

وأنهت الحكومة البريطانية مذكرتها مشيرة إلى أن السماح لليونانيين باستعمال إستانبول كقاعدة لأسطولهم مرجعه قرار من الحلفاء ككل كما وأن أي قرار آخر لحرمان اليونانيين من استعمالها يجب أن يصدر منهم أيضاً(٧٤) . إلا أن بريطانيا وأمام التقارير الواردة إليها من سفارتها في أثينا والتي كانت تؤكد أن الحكومة اليونانية لديها نية القيام باحتلال إستانبول كما أخذت الصحف اليونانية هي الأخرى تحرض عليه وتدفع الحكومة للقيام به ، وهنا نجد أن الحكومة البريطانية توضح في ردها على مذكرة بعثت بها إليها الحكومة اليونانية بأنها مشمئزة للربط في إنهاء النزاع بينها وبين الأتراك بتهديد إستانبول وأن ماذكرته الصحف اليونانية من حيث الرغبة في إنهاء الحرب باحتلال إستانبول يدعوها إلى إخبار الحكومة اليونانية بأن أي تقدم يوناني نحو إستانبول سيقاوم من قبل الحلفاء(٧٥) . وفي نفس اليوم أبرقت الخارجية البريطانية للسفير البريطاني في أثينا تقول : بأنها لاتعتقد بأن الحكومة اليونانية ستقوم بعمل أي شيء جنوني لمهاجمة المنطقة التي يحتلها الحلفاء ، ولكن نبرة البرقيات الواردة من أثينا وإستانبول تنذر ، ويجب عليه اتخاذ الخطوات الملائمة لمنع الكارثة(٧٦) .

وقد كانت الحكومة الروسية قد احتجت لدى بريطانيا على قيام السفن الحربية اليونانية بأعمال حربية في البحر الأسود . وردت بريطانيا على ذلك بأنه مادامت حالة الحرب قائمة بين أنقره واليونانيين فإن ماتقوم به اليونان يعتبر عملاً شرعياً تماماً . وأن اليونانيين لم يتعدوا على أي من القواعد المنظمة للحرب في عملهم البحري في البحر الأسود وأن لهم الحق في تنفيذ عملياتهم طالما ظلت عمليات الحرب مستمرة ، كما أن اليونانيين يمتلكون الحق تماماً في المرور بحرية خلال المضايق

---

(٧٤) E7074/76/44. *From F.O. to Indian Office*, London No. 310 July 17, 1922

(٧٥) *From the Earl of Balfour (London) to Mr. Bentinck* Athenes, No. 142 July 28, 1922

(٧٦) *Ibid.*, No. 143 July 28, 1922

حتى البحر الأسود(٧٧) وكان وزير الشؤون الخارجية اليونانية قد كرر مرة أخرى طلب حكومته من أن توافق حكومات الحلفاء على أن تقوم باحتلال إستانبول .

وقد عبر الرد البريطاني عن الدهشة من تقدم اليونانيين بطلب السماح لهم باحتلال إستانبول وتبلغ اليونان عن الإعلانات المتكررة لحكومة صاحب الجلالة بأن الحلفاء مصممون تماماً على عدم الموافقة على مثل هذا الاقتراح(٧٨) . وكان مرد هذا الرفض أن الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا كانت تعلم أن الاحتلال اليوناني لإستانبول سيؤدي إلى تصعيد الموقف في المنطقة تصعيداً خطيراً ، وإذا كان الأتراك قد نظروا إلى احتلال اليونانيين لأزمير على أنه إهانة لاتطاق ، فإنهم سينظرون إلى احتلال اليونانيين لإستانبول عاصمة الأمبراطورية على أنه كارثة وطنية تتضاءل أمامها جميع الكوارث ، وسيحملون السلاح في وجه اليونانيين في إستانبول الأمر الذي يؤدي إلى إشعال حرب في العاصمة ومنطقتها مما يعرض السفن في عبورها البسفور لشتى الأخطار(٧٩) .

وكان المندوب السامي البريطاني في إستانبول قد أبرق لحكومته محذراً بوجود حركة موجهة ضد الحلفاء وأنه يجب إنذار الحكومة اليونانية في الحال ضد أي خطوة يبدو أنها تفكر فيها وأن الموقف على حدود المنطقة المحايدة مع القوات اليونانية المحتشدة يوحي بأنه قد يحدث شيء ما في أية لحظة ويتسع نطاقه إلى حدود بعيدة(٨٠) .

وقد أخذت حدة الموقف في شأن إستانبول تهدأ عن ذي قبل . فقد أكد السفير البريطاني في أثينا لحكومته بأنه بعد التحذيرات الخطيرة التي كررها خمس مرات لوزير الشؤون الخارجية اليوناني وبعد التأكيدات الحتمية التي تلقاها من الوزير اليوناني فإنه يمكنه الاعتقاد بأن الموقف لايعد خطيراً كما كان قبل يومين وأنه بات من غير المعقول أن تخاطر اليونان بالدخول في صدام مع القوات البريطانية والتي هي أملهم الوحيد للخلاص(٨١) . ورغم هذا التطمين بهدوء الحال فإن القيادة في إستانبول كانت ترى أنه يجب اتخاذ إجراءات وقائية واحتياطية وأنه لايكتفي بالرد على الحكومة اليونانية فقط بأنهم لن يسمحوا بتقدم يوناني نحو إستانبول وإنما يجب فرض ضمانات ضد مثل هذا التقدم مثل الإلحاح على انسحاب كل القوات اليونانية التي نقلت حديثاً إلى تراقيا ، وعلى انسحاب القوات اليونانية الباقية لمسافة خمسة كيلو مترات من الحدود وفرض حيدة محددة لإستانبول من خلال قاعدة

---

(٧٧) *From the Earl of Balfour (London) to Mr. Karakham Acting Commissionry for Foreign Affairs,* Moscow, July 28, 1922

(٧٨) *From the Earl of Balfour (London) to Mr. Bentinck* Athenes, No. 146 July 29, 1922

(٧٩) عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ .

(٨٠) *From Mr. Henderson (Const.) to the Earl of Balfour* London. No. 323 July 29, 1922.

(٨١) *From Mr. Bentinck (Athenes) to the Earl of Balfour* London, No. 276 July 30, 1922

الأسطول اليوناني والبعثة اليونانية العسكرية هنا . وفي رأي للمندوب السامي البريطاني في إستانبول بأن التهديد اليوناني لإستانبول ٥٠٪ خدعة و ٥٠٪ خطير(٨٢) .

ويبدو أن هذه المقترحات لم ترق للسفير البريطاني في أثينا وأوضح رأيه في رسالة بعث بها إلى الخارجية البريطانية مشيراً إلى أن الحكومة اليونانية ليس لديها العزم على العمل ضد رغبات حكومة صاحب الجلالة ، وأنه ليس من داع للأخذ بمقترحات قيادة الحلفاء في إستانبول ويرى ألا تعضد حكومة جلالة الملك أي إجراءات قاسية يقترحها أي من الحليفين الفرنسي أو الإيطالي تكون لها طبيعة غير ودية تجاه اليونانيين لأن الحكومة اليونانية تبدو مستعدة وشغوفة بأن تعمل بما تنصحها به حكومة صاحب الجلالة ، وأنها سوف تسحب قواتها من الحدود لو طلبت حكومة صاحب الجلالة ذلك منها(٨٣) . وفي نفس اليوم قام سفراء الدول الحليفة الثلاثة بتسليم وزارة الشؤون الخارجية اليونانية مذكرة مشتركة من حكوماتهم تبلغ فيها الحكومة اليونانية بأنها قد أعطت الأوامر للقيادة المشتركة للحلفاء بأن ترد بالقوة على أية تحركات عسكرية توجه ضد المنطقة المحتلة عسكرياً من قبل قوات الحلفاء(٨٤) .

وقد يجد المتتبع لتصعيد الموقف اليوناني بشأن الرغبة في احتلال إستانبول أن الموقف البريطاني يبدو عليه الغموض فهو يقف مع الحلفاء في التهديد باستعمال القوة ضد اليونانيين إذا هم حاولوا التقدم لاحتلال إستانبول ، إلا أن المدقق لما تتضمنه هذه المواقف والعبارات المعبرة عن هذه المواقف يجد نفسه قد سيطر عليه الاعتقاد بأن البريطانيين لايريدون أن يظهروا مايفكرون فيه بكل الصراحة والوضوح ، فمثلاً نلاحظ أن قائد عام القوات في استانبول والممثل البريطاني فيها يطلبون رأي حكومتهم في أمر حماية شخص السلطان في حالة احتلال اليونانيين لإستانبول في الوقت الذي يستخدمون فيه عبارة بأنهم لايظنون أن شخص السلطان سيتعرض لأي خطر إذا احتل اليونانيون إستانبول إلا في مرحلة الاضطرابات الأولى عند الاحتلال ، وأنه في إمكان قائد القوات أن يرتب أمر حماية السلطان بقوات الحلفاء خلال هذه المرحلة وحتى يصبح اليونانيون في وضع يمكنهم من الاضطلاع بمهام الأمن(٨٥) . وكان رد وزارة الخارجية البريطانية على ذلك بأنه «يجب توفير الحماية الضرورية للسلطان مهما كان نوعها(٨٦) . ومعنى هذا أن هذه الشخصيات البريطانية كانت تعتقد باحتمال احتلال اليونانيين لإستانبول .

---

(٨٢) *From Sir H. Rumbold (Const.) to the Earl of Balfour* London, No. 324 July 30, 1922

(٨٣) *From Mr. Bentinck (Athenes) to the Earl of Balfour* London No. 278 July 31, 1922

(٨٤) *Ibid.*, No. 280 July 31, 1922

(٨٥) *From Sir H. Rumbold (Const.) to the Earl of Balfour,* London (No. 326) Aug. 1, 1922

(٨٦) *From the Earl of Balfour, F.O. (London) to Sir H. Rumbold (Const.)* No. 296, August 3, 1922

أما موضوع الرغبة في احتلال إستانبول فإن الخارجية البريطانية تبلغ مندوبها السامي فيها عن الموافقة على اتخاذ أية إجراءات لصد أي هجوم ولكن يستبعد اتخاذ أي شيء له طبيعة مظاهرة أو اغتصاب أو ضمانات قاسية وأنه لا اعتراض على سحب القوات اليونانية إلى مسافة من الحدود ترى أنها معقولة وأن ذلك يجب أن يكون طلباً وليس أمراً(٨٧) .

وفي صباح الأول من أغسطس (آب) ١٩٢٢م أبلغت الحكومة البريطانية اليونانيين بأن فكرة الاحتلال العسكري اليوناني لإستانبول لن تؤدي إلى إنهاء الحرب الحالية بل ربما ستكون سبباً لإشعال حروب أخرى ، وأنها تشعر بالأسف لأنها غير قادرة بالمرة بقبول أي شكل من أشكال الاحتلال تقوم به اليونان لإستانبول أو للمنطقة المنزوعة السلاح ، وأن أية محاولة تقوم بها قواتها لتنفيذ مثل هذا الاحتلال ستقاوم باستعمال القوة المسلحة(٨٨) . وكان رد الحكومة اليونانية بأنها كانت قد عقدت الأمل على الدول وخاصة بريطانيا للسماح لها باحتلال إستانبول من أجل إنهاء الحرب وطالما أن بريطانيا لم توافق فإنها تأمل في أن تعمل الدول من أجل عقد لواء السلام(٨٩) .

ويبدو أن السفير البريطاني في أثينا أخذ يساوره القلق من موقف حكومته التي قد تدفع إلى اتخاذ قرارات تثير اليونانيين وتغضبهم فهو يؤكد لحكومته عن ثقته التامة بأن الحكومة اليونانية لن تتصرف عكس نصيحة حكومة صاحب الجلالة ، إلا أنه كان يخشى كثيراً من أن يكون الفرنسيون جادين في البحث عن ذريعة لإشاعة الاضطراب على أمل إثارة الشقاق بين بريطانيا واليونان . ونقل لحكومته ماقاله وزير الشؤون الخارجية اليوناني بأن جندياً بريطانياً واحداً يستطيع أن يساند أو يدعم الجيش اليوناني بكامله إلا أن الشعور اليوناني حيال فرنسا يمكن أن يفسر بأن رؤية جندي فرنسي قد تكون سبباً للإثارة(٩٠) . ويرى المندوب السامي البريطاني في إستانبول أن تستغل حكومته الموقف الذي ترتب على امتناع اليونانيين عن القيام بالزحف المباشر على إستانبول كوسيلة فعالة للضغط على الأتراك(٩١) . إلا أنه سبق له أن أحاط حكومته باجتماع عقد يوم ١ أغسطس (آب) في إستانبول ضم قادة الحلفاء لمناقشة الموقف خاصة وأن المجتمعين كانوا يرون أن الوضع لازال خطيراً لأن تقدماً نحو إستانبول بواسطة اليونانيين ربما يبدأ في وقت مبكر جدا وأن قوات الحلفاء الموجودة لاتتعدى أربعة آلاف رجل ، ولو أن هجوماً خطيراً بدأ فإن قوات الحلفاء سوف تتراجع بهدف الدفاع عن موقع مقابل لإستانبول ويغطيها ، وأنه قد تكون هناك حاجة إلى استخدام القوات التركية وأن وزير الحربية

---

(٨٧) *From Sir M. Cheetham Paris tel to the Earl of Balfour*. London, No. 400 July 31, 1922

(٨٨) *From Earl of Balfour, F.O. (London) to Mr. Bentinck*, Athenes, No. 147 Aug. 1, 1922

(٨٩) *From Mr. Bentinck (Athenes) to Earl of Balfour*. London No. 282 August 2, 1922

(٩٠) *From Mr. Bentinck (Athenes) to Earl of Balfour*, London No. 298, Aug. 4, 1922

(٩١) *From Sir H. Rumbold (Const.) to the Earl of Balfour* London No. 335, August 5, 1922

التركي تعهد بالإمداد بألفي جندي تركي وأنه على استعداد لتجهيز عشرين ألف جندي من الاحتياطي خلال أسبوع شريطة أن يمده الحلفاء بالأسلحة(٩٢) .

إلا أن الحكومة البريطانية ردت بأنها مشمئزة بأن تربط اليونان أي عمل بتهديدها باحتلال إستانبول ، وأن اليونان يجب أن تعرف بأن أي تقدم لقواتها نحو إستانبول سوف يقاوم بواسطة قوات الحلفاء المحتلة وربما ينجم عن ذلك أكثر العواقب خطورة لليونان وأن بريطانيا لاتعتقد أن الحكومة اليونانية يمكنها أن تقدم على عمل متهور كهذا ، وأن أي عمل طائش من جانب الحكومة اليونانية في الوقت الحاضر غير مرغوب فيه بشكل كبير(٩٣) .

إلا أن خطاب رئيس الوزراء البريطاني مستر لويد جورج الذي ألقاه في مجلس العموم في ٤ أغسطس (آب) ١٩٢٢م عن الشرق الأدنى أثار المخاوف وكانت له ردود فعل عنيفة لدى المسؤولين في حكومة السلطان بإستانبول ولدى الوطنيين في أنقره وغيرها لأنه جاء في قمة الحشود اليونانية في تراقيا وفي وقت حدث فيه الشد العصبي حول تقدم يوناني نحو إستانبول قد بدأ بالفعل . وقد فسره البعض على أنه إفساح للمجال لنقض بريطانيا قرارها بعدم السماح باحتلال يوناني لإستانبول . وقد عبر ممثلو روسيا وأفغانستان وفارس في أنقره عن الأثر المحزن في العالم الإسلامي الذي سيحدث لو أنه سمح لليونانيين باحتلال إستانبول ، كما وجه الممثلان الروسي والأفغاني إدانة لبريطانيا العظمى على تحريضها اليونانيين على ذلك(٩٤) .

وكان رئيس الوزارة البريطانية قد أوضح في كلمة له أمام مجلس العموم البريطاني بأنه بينما يحرم الحلفاء اليونانيين من مهاجمة إستانبول فإن الترك يتلقون السلاح من أوروبا(٩٥) .

وقد أكد الجنرال هارنجتون Harington(*) بأن قوات الوطنيين الأتراك تعمل على احتلال الشاطيء الآسيوي من البسفور وكذلك شناك ، وطلب إرسال مفرزتين صغيرتين فرنسية وإيطالية وذلك لإظهار عَلَمَيهما في المنطقة المنزوعة السلاح والتي تحتلها القوات البريطانية ، والاتصال بحكومة أنقره وإبلاغها بأنه لن يسمح لقواتها بأي اعتداء على المنطقة المحايدة وفقاً لما سبق أن أرسل إلى الحكومة اليونانية بعدم الاعتداء عليها ثم احتلال إستانبول(٩٦) .

---

(٩٢) E7843/5/44. *From Sir H. Rumbold (Const.) to the Earl of Balfour,* London No. 683 Aug. 1, 1922

(٩٣) E8168/5/44. *From Mr. Bentinck (Athenes) to the Earl of Balfour,* London No. 400 Aug. 3, 1922

(٩٤) E8307/5/44. *From Sir H. Rumbold (Const.) to the Earl of Balfour,* London No. 733 Aug. 15, 1922.

(٩٥) Douglas Dakin, *op. cit.;* p. 235

(٩٦) *From Sir H. Rumbold (Const.) to the Marquess Curzon of Kedleston,* London No. 405 Sept. 10,1922

كما أكد هارنجتون بأن الحالة الراهنة للقوات اليونانية وللمعنويات العسكرية والسياسية فإن التهديد اليوناني لإستانبول لايمكن أن يعتبر جدياً ، ويرى البريطانيون أن الفرنسيين والإيطاليين قد أثاروا ذلك الأمر لتأمين جلاء اليونانيين وقد يخالج نفوسهم بعض الشك في احتمال حدوث تصادم بين الإنجليز واليونانيين ، ومن ناحية أخرى فإن الخوف من احتلال اليونانيين للعاصمة قد تكون ورقة رابحة في المفاوضات التي ستجري قريبا مع حكومة أنقره ، وتعتقد بريطانيا بأن مساعدة اليونان لقوات الحلفاء في إستانبول ومنطقة المضايق قد تكون عاملاً مخففاً إذا ماهدد الكماليون فيما بعد(٩٧) . وكان يبدو واضحاً من اتجاه السياسة البريطانية أنها يمكن أن تتنازل عن كل شيء إلا إستانبول فقد أوضح ذلك وزير الخارجية البريطاني المركيز كرزون كدلستون لممثل بلاده في إستانبول مؤكداً بأن إستانبول يجب أن تظل في يد بريطانيا مهما كلف ذلك من ثمن وبمساعدة من الأسطول إذا كان ذلك ضرورياً(٩٨) .

كما أبرق المركيز كرزون إلى السفير البريطاني في باريس لإبلاغ الحكومة الفرنسية بأن حكومة صاحب الجلالة تتمسك بشدة بالرأي القائل بأنه بينما الإخلاء الكامل للأناضول قد تم وفقاً لما اشترط في باريس ، وكما تقتضيه حقائق الموقف العسكري ، فليس إذاً هناك مايدعو لتغير وجهة نظر الحلفاء بالنسبة للمضايق ولإستانبول وأنه مطلوب من الحكومة الفرنسية والإيطالية أن تصدر إذا لم تكن قد أصدرت الأوامر بالفعل لممثليها العسكرين والسياسيين بالتعاون مع الممثلين البريطانيين في اتخاذ خطوات مناسبة للدفاع المتكامل عن شبه جزيرة غاليبولي والعاصمة التركية ، إن هذه هي المسؤولية التي لاتقبل حكومة صاحب الجلالة التفريط فيها ، ولاتقبل العدول عن تلقي مساعدات حليفتيها ، تلك المساعدة التي هي واثقة من تقديمها(٩٩) .

وحينما تأزم الموقف العسكري في الأناضول وسقطت مدينة أزمير في يد القوات الوطنية التركية التي دخلتها ورفعت العلم العثماني الأحمر عليها ، أرسل ممثل المندوب السامي البريطاني في أزمير برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية يقترح فيها أن تعلن الحكومة البريطانية عن عزمها على الاستيلاء على إستانبول وشبه جزيرة غاليبولي ، لكن المندوب السامي البريطاني في إستانبول السير هـ . رامبولد أسرع في التعقيب على هذا الاقتراح قائلاً بأن الإعلان صراحة عن عزم حكومة صاحب الجلالة على وضع يدها على إستانبول (القسطنطينية) وشبه جزيرة غاليبولي سيكون له رد فعل عكسي وسوف يشعل عداء حكومة أنقره ضد بريطانيا العظمى ، وأن الأتراك هم الآن في وضع

---

(٩٧) *From Marquess Curzon of Kedleston (London) to Sir H. Rumbold Const.* No. 371 Sept. 10, 1922

(٩٨) *From Marquess Curzon of Kedleston (London) to H. Rumbold, Const.* No. 374 Sept. 11, 1922

(٩٩) *From Marquess Curzon of Kedleston (London) to His Majesty Representatives at Paris* No. 265. Sep. 11, 1922

يمكنهم من إنزال عقوبتهم على الرعايا البريطانيين(١٠٠) .

وكان المندوب السامي البريطاني في إستانبول قد أبلغ حكومته بأنه إذا لم توافق فرنسا وإيطاليا على إرسال مفرزتين صغيرتين إلى المناطق المحايدة لإظهار تماسك الحلفاء فإن الانسحاب من هذه المناطق بالاتفاق مع الحلفاء أفضل من أن تنسحب بريطانيا وحدها . وعلى أية حال فإن الانسحاب من شناك أو من المنطقة المحايدة في جزيرة إزميد Ismid بعد اتصال المندوبين السامين للحلفاء الثلاثة بممثلي الوطنيين سيكون له أثر محزن على مكانة دول الحلفاء . وأن إعلان بريطانيا عن تصميمها السيطرة على إستانبول وشبه جزيرة غاليبولي ربما دفع كمال للعمل بسرعة كبيرة لتهديد قوات الحلفاء في مقاطعة شناك وجزيرة إزميد ، وأن خداع مصطفى كمال بالانسحاب من شناك وجزيرة إزميد لن يكون عملاً مأموناً . وقد طرح المندوب السامي البريطاني على حكومته سؤالاً هو : كيف يتسنى لبريطانيا السيطرة على إستانبول وتأكيد حرية المرور في المضايق على كلا الجانبين مالم تسيطر على منطقة من الأرض مقابلة لكل من إستانبول وشبه جزيرة غاليبولي ؟ . أو مالم تحصل على نزع كامل لسلاح المنطقة المحايدة على الجانب الآسيوي ، وتعتمد على الترك في ملاحظة نزع السلاح هذا ؟ ثم يتوقف هذا المندوب السامي ليقول لحكومته إنه لايؤمن بالاعتماد على الترك بأي شكل في هذا الشأن(١٠١) .

وقد اتخذ الجنرال هارنجتون(*) الخطوات اللازمة لضمان أمن وحماية شناك ومنطقة المضايق ، بعد أن وافق الفرنسيون والإيطاليون على رفع أعلامهم ، إلا أن الفرنسيين بادروا في ٢١ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٢م إلى سحب قواتهم إلى إستانبول وتبعهم في ذلك الإيطاليون ، وفتح هذا الإجراء إلى ظهور صراع بين كرزون وزير الخارجية البريطانية وبوانكاريه وزير الخارجية الفرنسي ، إلا أن كرزون وافق على دعوة الأتراك إلى مؤتمر على أساس حصولهم على تراقيا الشرقية وأدرنة وإستانبول حالما يعقد المؤتمر(١٠٢) .

وبعد تقدم القوات التركية إلى المنطقة المحايدة وقبل أن يقع صدام مسلح بين القوات البريطانية والتركية جرت مباحثات تم على أثرها توقيع هدنة في مودانيا Mudenia يوم ١١ أكتوبر (تشرين الأول) تم فيها موافقة الحلفاء على أن تستعيد تركيا سيادتها على تراقيا الشرقية وأدرنة وإستانبول ، والمضايق ، إلا أن استردادها لإستانبول والمضايق يجب أن يتم من خلال عقد معاهدة سلام جديدة

---

(١٠٠) *From Sir H. Rumbold (Const.) to the Marquess Curzon of Kedleston*, London No. 409 Sept. 13, 1922.

(١٠١) *Ibid.*, No. 410 Sept. 13, 1922

(*) قائد عام قوات الحلفاء .

(١٠٢) Douglas Dakin, *op. cit.*, p. 242

بين تركيا والحلفاء . إلا أنه في يوم ١٩ أكتوبر (تشرين الأول) اجتاز رفعت باشا البوسفور ودخل إستانبول مع لجنة تمثل المجلس الوطني الكبير(١٠٣)

ثالثاً : الموقف الفرنسي والإيطالي

أما موقف فرنسا وإيطاليا من تطلع اليونان لاحتلال إستانبول فقد كان موقفاً مختلفاً عن الموقف البريطاني المائع ويتجلى ذلك عندما اقترح المندوبان الساميان الفرنسي والإيطالي بإبقاء السفن اليونانية في ميناء إستانبول رهينة في حالة إقدام القوات اليونانية على الاصطدام بقوات الحلفاء(١٠٤) .

كما أن الصحيفة المسائية الفرنسية شبه الرسمية الطان Temps كتبت في عددها الصادر بتاريخ ٣١ يوليو (تموز) ١٩٢٢م تقول بأنه يجب أن يقوم الحلفاء بعمل مشترك يكون مؤثراً وهو حصار الموانيء اليونانية وإغلاقها بواسطة السفن الحربية البريطانية ، لأن الحكومة اليونانية ستتشجع للمضي في مشاريعها الحالية إذا ضمنت سلامة مواصلاتها البحرية . خاصة وأن القادة اليونانيين لم يتفقوا بعد على سياسة موحدة(١٠٥) .

وفي الوقت الذي تتصاعد فيه التهديدات اليونانية استطلعت الحكومة الفرنسية والإيطالية رأي الحكومة البريطانية حيال إمكانية استخدام القوات التركية في الدفاع عن القسطنطينية وقد كان من رأي الحكومة البريطانية أن ذلك أمر غير مرغوب فيه ، ولكن في حالة الأزمة فإن القرار النهائي متروك لرأي وتقدير الجنرال هارنجتون قائد عام قوات الحلفاء(١٠٦) .

وأخذت الأوضاع في التغير نتيجة المعارك التي اشتد أوارها بين طرفي الصراع الأتراك واليونانيين كما أخذت الانتصارات التي حققها الأتراك على اليونانيين تلقي بظلالها على المواقف والوضع في المنطقة بصفة عامة وعلى إستانبول بصفة خاصة وذلك ماحدث بالفعل فقد أوضح فتحي بك ممثل حكومة أنقره لوزير الخارجية الإيطالية يوم ٧ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٢م بأن الأتراك نظراً للنصر الذي أحرزوه فإن لهم الحق في الزحف على إستانبول . وكان رد الوزير الإيطالي بأنه من الأفضل للأتراك أن يكونوا حذرين جداً ، فقد وجد اليونانيون الحلفاء متحدين في معارضة رغبتهم في الزحف على إستانبول وسيجد الأتراك أيضاً نفس المعارضة من الحلفاء إذا أرادوا نفس المحاولة(١٠٧) .

وفي صباح يوم الرابع عشر من سبتمبر (أيلول) أبلغ السفير البريطاني في باريس حكومته

---

(١٠٣) عبد العزيز الشناوي ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ . وانظر أيضا Brnard Lewis, op. cit., p. 254

(١٠٤) *From Mr. Henderson (Const.) to the Earl of Balfour* London. No. 323 July 29, 1922

(١٠٥) *From Sir M. Cheetham Paris tel to the Earl of Balfour.* London, No. 400, July 31, 1922

(١٠٦) *From the Earl of Balfour (London) to Sir H. Rumbold Constantinople* No. 297 Aug. 4, 1922

(١٠٧) *From Sir Graham (Rome) to the Marquess Curzon of Kedleston,* London No. 270 Sep. 9, 1922

تليفونياً بأن وزير الخارجية الفرنسي المسيو بوانكاريه سلمه رسالة تتضمن اتفاق فرنسا مع بريطانيا على اعتبار أنه من المرغوب فيه تحقيق حيدة المنطقة التي يحتلها الحلفاء في ذلك الوقت في إقليم إستانبول والمضايق ، وأن الحكومة الفرنسية مستعدة للاشتراك مع بريطانيا وإيطاليا في إبلاغ حكومة أنقره أن الحلفاء يتوقعون أن تراعي قواتها هذا الوضع(١٠٨) .

وكانت الصحافة الإيطالية قد أخذت في الآونة الأخيرة توضح صراحة تعاطف الشعب الإيطالي مع النضال التركي المشروع ، حتى إن صحيفة المساجيرو Messageoro الإيطالية كتبت بكل صراحة في عددها الصادر يوم ١٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٢٢م «بأن سياسة التحيز قد أفلست ، وأنه يجب إعادة الحرية إلى إستانبول»(١٠٩) .

رابعاً : رد الفعل الكمالي

وإذا كنا قد تناولنا موقف الدول الأوروبية التي ألحقت الهزيمة بالدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى واحتلت أراضيها ، فماذا كان موقف الوطنيين الترك ؟ يتضح هذا الموقف في لقاء تم بين السفير التركي المعتمد (والممثل لحكومة أنقره) عثمان نظامي باشا والسفير البريطاني في روما أوضح السفير التركي بأن مصطفى كمال قد صمم على استعادة إستانبول وأدرنة بقوة السلاح لو كان ذلك ضرورياً ، لقد وقف وسط جيش مظفر قوامه ٣٠٠,٠٠٠ من الرجال مكسوين بالبهاء ، ورأى أن أي تهديد من جانب الحلفاء بإيقافه على أنه خدعة ليس إلا(١١٠) .

وعاد السفير البريطاني في روما موجهاً النصح لحكومته بشأن إستانبول قائلاً : لقد أثبت اليونانيون أنهم غير نافعين كحراس للمضايق والحل العملي الوحيد هو جعل المضايق والمناطق المحيطة بها محايدة وأن يوكل إلى الأتراك أمر حمايتها كمنتدبين من قبل الحلفاء أو من قبل عصبة الأمم . إن الأتراك يمكن أن يعهد إليهم بالوصاية على تنفيذ الانتداب بأمانة وأن يتولوا الدفاع ضد البلاشفة(١١١) .

إستانبول ونهاية الاحتلال

كانت إستانبول مقر السلطان العثماني والذي يحمل أيضاً لقب خليفة وبعد أن انتهى الكفاح التركي المسلح ضد الغزاة اليونان ، وتم عقد هدنة مودانيا بدأت السياسة تأخذ دورها في ترتيب

---

(١٠٨) *From Paris* No. 463 Sep. 14, 1922 to London

(١٠٩) *From Sir R. Graham (Rome) to the Marquess Curzon of Kedleston,* London No. 273 Sep. 12, 1922

(١١٠) *From Sir R. Graham (Rome) to the Marquess of Kedleston,* London, No. 271 Sep. 10, 1922

(١١١) *Ibid.*, No. 272 Sep. 10, 1922

الأوضاع خاصة وأنه لظروف الاحتلال وسير القتال كان لابد للأتراك من عاصمة تستقطب جهودهم ، وتنطلق منها جيوشهم ، وتوضع فيها خططهم وكانت هذه العاصمة هي أنقره ، ولكن بعد انتهاء الكفاح المسلح وانتهاء الغاية التي من أجلها تبنت أنقره مسؤوليات عاصمة البلاد فماذا سيكون من أمرها؟ وهنا سأل رؤوف بك رئيس الوزراء قائد النصر مصطفى كمال باشا عن الموقف : ففي أنقره تقوم الحكومة الوطنية الإقليمية ، وفي إستانبول تقوم حكومة السلطان ووزرائه . وكان رد مصطفى كمال في اجتماع المجلس الوطني الكبير الذي عقد لأول مرة بعد انتهاء الحرب في أنقره هو : أن السلطنة شيء والخلافة شيء آخر ولابد من الفصل بينهما وإلغاء الأولى بعد خلع وحيد(١١٢) . إذاً لقد بدأ العد التنازلي بالنسبة لعاصمة بني عثمان ولمقر الخلافة وكانت هذه الكلمات من مصطفى كمال هي الضربة الأولى للعاصمة إستانبول .

وفي ٢٤ يوليو (تموز) ١٩٢٣م تم توقيع معاهدة لوزان والتي استعادت بموجبها تركيا سيادتها على إستانبول حيث انتهى احتلال الحلفاء لها(١١٣) . بجلاء قواتهم عنها يوم ٢٣ أغسطس (آب) ١٩٢٣م .

وكانت إستانبول قد تلقت في أول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٣م قرار إلغاء السلطنة ، وبحلول يوم ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٣م كانت تودع سلطانها المخلوع محمد السادس وهو يركب سفينة حربية بريطانية إلى خارج تركيا كلها . وتشهد احتفال تنصيب ابن عمه عبد المجيد خليفة فقط .

ولم تكتمل فرحة العاصمة إستانبول بجلاء جنود الاحتلال عنها واستردادها لحريتها بل إنها مالبثت أن تلقت صدمة أخرى كانت أعنف وأشد عليها حتى من الاحتلال نفسه وذلك حينما صدر قرار تحويل الدولة إلى جمهورية ونقل العاصمة إلى أنقره . أي أنها بهذا القرار قد فقدت صفة لازمتها ونزلت عن رتبة كانت فيها منذ قرون(١١٤) .

وحتى الخلافة لم تستقر هي الأخرى في إستانبول فقد أصدر مصطفى كمال مرسوماً بإلغائها في ٣ مارس (آذار) ١٩٢٤م(١١٥) . ولم يكن هذا هو آخر شيء تفقده العاصمة إستانبول بل إنها مالبثت أن شهدت مجزرة ذبح المؤسسات الإسلامية فيها . فألغى الكُتَّاب الذي كان يُدَرس فيه القرآن الكريم ، والوقف الإسلامي ، والتقويم الهجري ، وألغيت إجازة يوم الجمعة واستبدل به يوم الأحد ، وألغيت التكايا ، وكل القوانين المستمدة أصولها من القرآن والسُنة . بل إنه تم تمزيق حجاب المرأة

---

(١١٢) محمد صبيح ، **أتاتورك** ، (القاهرة : مطبعة عيسى الحلبي ، ١٩٤٥م) ، ص ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(١١٣) روبوفر بير ، تعريب دكتور نور الدين حاطوم ، **تاريخ القرن العشرين** ، (بيروت : دار الفكر الحديث ، ١٩٦٥م) ، ص ١٤٠

(١١٤) وليم لانجر ، **مرجع سابق** ، جـ ٧ ، ص ٢٩٠٠ .

(١١٥) ستيورت دزموند ، **مرجع سابق** ، ص ٢٣٩ .

المسلمة ودفع بها إلى المدرسة ثم إلى السينما ثم إلى المراقص .. الخ . ونحن هنا لايهمنا كثيراً تتبع ذلك ، فهو لايقع ضمن خطوط بحثنا هذا ، وإنما أشرنا إليه إشارة عابرة كأحد ركائز العاصمة السابقة إستانبول التي تكسرت مع ماتكسر وتحطم .

المراجـع

أولا : المراجع العربية

أنيس ، محمد وحراز ، السيد رجب ، **الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر** ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧م .

بروكلمان ، كارل ، **تاريخ الشعوب الإسلامية ، ط ٥** ، تعريب : نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٨م .

توفيق ، عمر كمال ، **تاريخ الدولة البيزنطية** ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية ، ١٩٧٧م .

جرانت ، ا . ج وتمبرلي ، هارولد ، **أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ – ١٩٥٠م** ، تعريب : محمد علي أبو درة ولويس اسكندر ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٨م .

الحريري ، سيد علي ، **كتاب الأخبار السنية في الحروب الصليبية** ، مصر ، المطبعة العمومية ، ١٣١٧هـ .

حسن ، ابراهيم حسن ، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط ٢** ، ثلاثة أجزاء ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٤م .

الدسوقي ، محمد كمال ، **الدولة العثمانية والمسألة الشرقية** ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦م .

الراقد ، محمد عبد المنعم ، **الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي** ، الاسكندرية ، ١٩٧٢م .

رفعت ، محمد ، **تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية** ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٥٩م .

رونوفن ، بيير ، **تاريخ القرن العشرين** ، تعريب د . نور الدين حاطوم ، بيروت ، دار الفكر الحديث ، ١٩٦٥م .

ستيوارت ، دزموند ، **تاريخ الشرق الأوسط الحديث** ، تعريب : زهدي جار الله ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٤م .

السلطان عبد الحميد الثاني ، **مذكراتي السياسية (١٨٩١ – ١٩٠٨)** ، ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٩م .

الشناوي ، عبد العزيز ، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ، جزءان ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠م .

صبيح ، محمد ، **أتاتورك** ، القاهرة ، مطبعة عيسى الحلبي ، ١٩٤٥م .

صدقي ، كامل وحمدي ، عبد الواحد ، **تاريخ حرب الدولة العلية ودولة اليونان** ، مصر ، المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق ، ١٣١٥هـ .

صفوت ، محمد مصطفى ، **المسألة الشرقية ومؤتمر باريس** ، القاهرة ، معهد الدراسات العالية ، ١٩٥٨م .

العريان ، أمين شاكر سعيد وعطا ، محمد مصطفى ، **تركيا والسياسة العربية من خلفاء آل عثمان إلى خلفاء اتاتورك** ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٥٤م .

فرج ، وسام عبد العزيز ، **دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية** ، القاهرة ، مطبعة مصنع اسكندرية للكراس ، ١٩٨٣م .

فريد بك المحامي ، فريد ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، بيروت ، دار النفائس ، ١٩٨١م .

فهمي ، عبد السلام ، **فتح القسطنطينية** ، القاهرة ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٦٩م .

لانجر ، وليم ، **موسوعة تاريخ العالم** ، تعريب الدكتور محمد مصطفى زيادة ، مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٩م .

لبيب ، حسين ، **كتاب تاريخ الأتراك العثمانيين** ، جـ ٣ ، مصر ، مطبعة الواعظ ، ١٩١٧م .

لوتسكي ، **تاريخ الأقطار العربية الحديث** ، موسكو ، دار التقدم ، د . ت .

مجلة المعرفة ، المجلد السادس ، شركة ترادكيم بجنيف ، مصر ، مطابع الأهرام التجارية ، ١٩٧١م .

ويليه ، فرنان ، **الأسس التاريخية لمشكلات الشرق الأوسط** ، تعريب (نجدة هاجر وطارق شهاب) ، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٩٦٠م .

ثانيا : المراجع الأجنبية

Dakin, Douglas; *The Unification of Greece, (1770-1923)*, London: Earnest Benn, 1972.

Hurewitz, J.C.; *Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Record*, **2 Vols**. New York: Octagon Books, 1965.

Lewis, Bernard; *The Emergence of Modern Turkey*, London: Oxford University Press, 1968.

Marriott, J.A.R.; *The Eastern Question*, London: Oxford, at the Charendon Press, 1969.

Miller, William: *The Ottoman Empire and its Successors (1801-1927)* London: Cass, 1966.

Istanbul (Constantinople) in Confrontation with the Foreign Power after the First World War

Ahmad Hussain Al-Uqbi
Associate Professor, History Dept., Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT

During its long history Istanbul had been faced with a lot of greediness and many provocations, then its deeply rooted history, its geographical and strategic situation, and, moreover, its transference from a christian to an Islamic capital from which the message of Islam passed through to the christian European World, made it an aim for the greedy and their conspiracies.

This article lays emphasis to documentarily make clear and indicate the steadfastness of Istanbul in the face of the foreign powers particularly after World War I. Thus, the paper starts dealing with the period prior to the Ottoman opening, then the Ottoman opening, and the threats which it faced afterwards during World War I, where at the threat which it faced became extremely serious, the thing which forced the Minister Said Pasha to suggest to the Sultan Abdul Hamid II to transfer the capital from Istanbul to Bursa.

During World War I an agreement had been reached by the Allies that Istanbul should be given to Russia in its share. However, in 15th March 1917 the Russian Revolution annuled that (part of the agreement). After the signature of the truce of Madros and the Treaty of Sevre the British, French, Italian and Greek forces occupied Istanbul and applied a strict military control on the institutions of the Ottoman capital where the Ottoman Sultan and his government were staying. The people of Istanbul did their best to resist the occupation and the occupation forces answered by more strengthening their grip, and they sent the national leaders into asylum at Malta.

After the War ended Greece started demanding and threatening to occupy Istanbul, the thing which increased the worries of France and Italy. The press and the military people in Greece began to speak about reviving "Greek Constantinople", and The Greeks used Istanbul as a "pressure

card" against the resisting Turks outside the capital. This article lays emphasis to documentarily explain the position of Britain, France and Italy from this Greek threat, and it terminates by finding out the Kamaliam reaction and the end of the occupation of Istanbul with which its status as a capital for the new Turkish state has changed and it became a city which occupied, and still does an important place for both Turks and Muslims.

القسم الإنجليزي

■ ***General***

• A periodical issued by KAU in the fields of Arts and Humanities and annually published by the KAU Scientific Publishing Centre. Original works are published in this periodical. Materials to be sent to:

Editor-in-chief, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University,
P.O. Box 9032, Jeddah 21492, Saudi Arabia.

• All materials are submitted to referees.

• Materials submitted should represent original works not previously published, not being considered for publication elsewhere, and if accepted not to be published in the same form in any language without written consent of the editor-in-chief.

■ ***Typescript***

• TS should be submitted in triplicate, double spaced, on only one side of A4 size paper.
• Leave one inch margins on all sides.
• Consecutively number TS including tables and figures.
• Abstracts, footnotes, tables, captions and references should be submitted in separate sheets.

■ ***Writing***

• Paper should include :
1. Title: Concise and expressive.
2. Author(s) name(s).
3. Affiliation of author(s) as a mailing address.
4. Abstract.
5. Text: to be divided to main sections each with its own heading, according to the method used (*e.g.*, Introduction, Results, Discussion, Conclusion, References), taking into consideration the levels of sub- and sub-sub-headings.

• Two Abstracts, one in English, the other in Arabic, each not exceeding 200 words should be submitted. An abstract should summarize the main facts and conclusions of the work. International rules for Abstract writing should be followed. Abstract should be self-contained and understandable in isolation.

• The metric system and standard abbreviations following (SI), avoiding full stops after abbreviations should be used.

• Footnotes: These should be consecutively numbered through the text. Any source cited for the first time should be given a full reference. When cited later, use the proper cross-reference terms (op. cit., loc. cit., ibid., id.). An alphabetically list of references is mandatory. Some authors are entitled to use Name/Date/Page system. Rules of the usage of this system should be thoroughly followed.

• References: The list of references should be alphabetically arranged according to author(s) surnames. References to the same author(s) should be chronologically arranged. All the bibliographic elements of a references should be complete, following the standard of rules of writing and arrangement. Never use *et al.* in the list. Make sure that all the sources cited in text are listed. References other than those cited in the text should not be listed.

■ ***Tables***

• Tables should be consecutively numbered, each having a short self-explanatory title above. Indicate the position of each in pencil in the margin. Avoid unnecessary or too detailed data.

■ ***Illustrations***

• Original illustrations should be submitted flat in protective envelopes and not folded.

• Indicate, in pencil, the position of each in the margin of the text, and stick a copy of each in the right position of the text.

• Line drawings should be drawn in Indian ink on calc paper, not exceeding 12 × 18 cm or half or double that size.

• Photographs, black & white, should be of high quality glossy original prints of maximum size 13 × 18 cm or half or double that size.

• Coloured figures are not acceptable, unless colours have a scientific indication.

■ ***Proofs***

• Two sets of proofs, one galley and one page proof, have to be checked by the corresponding author, in 72 hours at maximum.

• No alteration is allowed, especially on the page proofs.

■ ***Reprints***

• 50 free reprints per paper will be supplied.

• Additional reprints could be ordered on returning page proofs, according to the rates of the publishing Centre.

IN THE NAME OF ALLĀH,
THE MERCIFUL,
THE MERCY-GIVING

Annual Subscription

- Local : SR 5
- External : $ 5 (including postage)

Subscription

Scientific Publishing Centre, King Abdulaziz University
P.O. Box 1540, Jeddah 21441, Saudi Arabia.

Exchange

Deanship of Library Affairs, King Abdulaziz University
P.O. Box 3711, Jeddah 21481, Saudi Arabia.

Printed at King Abdulaziz University Press

English Section

J. K.A.U.: Arts and Humanities, Vol. 1, pp. 1-10 (1408 / 1988)

Affrication in Najdi Arabic

ABDULAZIZ IBRAHIM AL-SWEEL
Assistant Professor, Department of English,
King Saud University, Riyadh.

ABSTRACT: Native speakers of Najdi Arabic (NA) contra to the claims of the standard theory of generative phonology, seem to rely on lexical listing for the pronunciation of Velar-affricate alternations. The main claim of this theory, that native speakers produce surface forms in accordance with putative underlying representations and phonological rules, is seriously challenged. Evidence from NA seems to support conclusions of previous studies addressing similar questions.

I

Introduction

The essential theme of generative phonology is that native speakers of any language capture the surface regularities of their language by postulating phonetically plausible rules which derive these surface alternants from "unique underlying representations." The native speakers 'construct' their grammar depending mainly on corpuses of data. The work of generative phonologists is geared towards arriving at possible grammars of languages and trying to decide which of these grammars is the most possible to represent the native speaker's "internalized grammar," depending on corpuses of data of the relevant language.

There has been a great deal of argument over this particular point, namely, how accurate is a data-based analysis (internally-based) of a certain linguistic phenomenon in resembling what a native speaker might have in his mind to speak his language. Another type, external evidence, is argued to be needed to explain a certain analysis. The use of this type of linguistic explanation reveals that some internally-based analyses do not represent what speakers really know about their language to speak it. What is more, the adoption of this kind of explanation reveals more about the whole theory of generative phonology.

Recent empirical evidence from historical change and language acquisition (and others) has indicated that speakers do not always account for phonological alternations left by diachronic change by postulating phonetically plausible rules that are identical to the original historical change (see, for example, Skousen, 1973a and b; Zimmer, 1969; Hsieh, 1970, 76; Hale, 1971). On the contrary, historical change shows clearly that it is only occasionally that speakers account for the phonological alternations left by the diachronic change through postulating phonetically plausible rules which are identical to the original historical change (see particularly Skousen, 1973b). The rest of the cases, however, are simply memorized by the speakers.

In this paper an example of a phonological process of Najdi Arabic*, henceforth NA (a dialect of Arabic spoken in the mid-region of the Arab Peninsula) is analyzed on the basis of internal evidence. The shortcoming of such analysis is discussed on the basis of external evidence, and it is shown that an internally plausible analysis is to be abandoned and a less "generative" one is argued to be a better alternative. The case of NA, however, is not a new or isolated incident. Hsieh (1976, p. 2) states "almost no experiments have been reported whose results support the assumption of the phonological process. On the other hand a number of experimenters have uncovered evidence which led them to doubt the psychological reality of at least some phonological rules".

II

In NA the following contrasts have been noticed long ago (cf. Johnstone, 1963)[1]:

1)	a)	Brīdz	'Kettle'	birgan	'kettles'	
		Θidzil	'it m. got heavy'	Yaθgal	'it m. gets heavy'	etc. i.e. g~dz
	b)	Bərcih	'a pool'	brak	'pools'	
		Bicət	'she cried'	bkə	'crying'	etc. i.e. k~c

No generative phonologist will find any difficulty in analyzing this language on the basis of regularity even with this little sample of data. What seems to be going on is exactly what Johnstone describes as a process of affrication i.e. [k] and [g] are affricated to [c] and [dz] in a mirror image fashion (Anderson, 1974). A rule like (2) below would suffice our purpose here:[2]

2)
$$\begin{Bmatrix} k \\ g \end{Bmatrix}_{I} \rightarrow \begin{Bmatrix} C \\ dz \end{Bmatrix}_{I} \Big/ ^{*} \begin{Bmatrix} V \\ +\text{hi} \\ -\text{bk} \end{Bmatrix}$$

This analysis clearly does not lack evidence of support. First the rule is very motivated phonetically. A velar being affricated in the neighborhood of front non-low vowels is a very natural, widely attested case. Simplicity would be a very handy argument for such analysis. Economy is also another available support for an affrication

* The following symbols will be used instead of IPA symbols: 9 for the voiced pharyngeal ɛ and ħ for its voiceless counterpart h. Otherwise, the IPA conventional symbols will be used throughout the paper.

analysis. Two segments, namely, [C] and [dz] are eliminated from the underlying inventory of the language, and are derived via a systematic phonological process from [k] and [g] respectively. An analyst adopting this analysis would argue that it is in complete adherence to the principle of minimizing feature specifications in the phonological component (Halle, 1959).

III

Up to this point our analysis seems to be the most desired one. The troubles, however, begin to show up as soon as we think of the long lists of exceptions that are to be accounted for. Let us consider only a small sample of these lists. This sample is particularly interesting because its examples exhibit the two types of opacity. Kaisse (1979) discusses, specifically, the "why opacity" in (a) and the "why not" type in (b) below:

3)	a)	9irdz (s)	9rug (pl)	'vein'
		9ilc (s)	9luk (pl)	'chewing gum'
	b)	gimar	'moon'	*dzimar
		gisi:r	'short'	*dzisi:r
		malik	'king'	*malic
		hrikih	'movement'	*hricih

Well, on the basis of such exceptions we may resort to devices like "expanding" the environment of our rule (to something like "in the congruity of front vowels" which is exactly what Johnstone describes)[3] to cover the cases of (3a) above, and making the (3b) and cases like them as exceptions. The problem, however, is not as easy as it seems to be. In some cases [C] and [dz] show up "in the congruity" of any vowel.

calb (s)		clab (pl)	'dog'
ħərc	'active m.s.'	can	'if'
9ərdz	'sweated m.s.'		
cud (inn)	'perhaps'	culih	'a small oil stove'

In this case one has to abandon the problem and look for something else more "revealing" to study. Indeed the phenomenon is very interesting and "revealing" at least for the issue we mentioned at the outset, namely, on what basis should we base our analysis of a linguistic phenomenon. Internal explanation is certainly not the optimal option. The analysis of NA given in (II) above should be "formally" a good one. An analysis based on powerful pieces of "internal" evidence i.e., simplicity, economy, phonetic motivation and the like should represent the native speaker's "internalized grammar" of his language. In the following part I will try to show that this is not the case. External evidence will reveal that an analysis of NA based solely on the data may be theoretically plausible but actually nowhere near the truth of what the native speaker actually has in mind.

IV

Using Kiparsky's (1971) expression the analysis we just saw will "flunk" the exam exactly in the same way a NA child will if he had a grammar which contains such rule in his mind. Apart from the numerous problems the analysis will face, such as the distributional facts about [C] and [dz] (i.e., they do not occur in a certain captured environment) and opacity the data exhibit, which in fact can be elevated to a significant linguistic body. Apart from such arguments against this analysis, it may be rejected on a purely external basis.

First, as Skousen (1973a, p. 75) argues "in observing how speakers adapt borrowed words or newly-created words into their language can be used as substantive evidence for regularities." One would expect the following sample of borrowed words to undergo the affrication rule of NA. The argument could be expanded to cover some Classical Arabic (CA) words which are used in the dialect as we will see below (notice that these items were introduced to the language some time ago, mid 19th century).

4)	a)	bikat	*bicat	'a pack of cigarettes'
	b)	tanki	*tanci	'a tank'
	c)	banki	*banci	'my bank'
	d)	miki:nih	*mici:nih	'machine'
	e)	ki:lo	*cilo	'kilo'
	f)	?ingilīzi	*?indzilizi	'an English....'
	g)	zigarih	*zidzarih	'cigarette'

Secondly, the native speakers of the dialect seem to have simply memorized the occurrences of [C], [dz], [k] and [g]. All the people I know (including myself) do not think of /k/ and /g/ when pronouncing words like those in the groups below. I have noticed no "mistakes" people make when these forms are uttered.

5)		A				B	
	i. Kitab	*citab	'he wrote'	citab	*Kitab	'a camel saddle'
	ii. bgirih	*bdzirih	'a cow'	bidzran	*bigran	'too much cows'
	iii. sagi	*sadzi	'my leg'	sadzi	*sagi	'a water stream'
	iv. ħalgi	*ħaldzi	'my throat'	rīdzi	*rīgi	'my spittle'

Finally, one would expect the effect of a psychologically real process to show up automatically in the speech of native speakers. Consider for example the following process.

6) In NA [i] occurs to the exclusion of [a] in non-final open syllables. This general rule is exemplified below for a simple nominal and verbal patterns of the types CVCVC and CVCVVC, corresponding to Classical Arabic (pausal) patterns of the type CaCVC and CaCVVC (see Johnstone, 1967).

7)	nišad	'he asked'
	sima	'sky'
	širib	'he drank'
	micaan	'a place'
	simiin	'fat'
	ṣiḅaaḣ	'morning'

8) Now consider the following borrowed items:

bikat	'a pack of cigarettes'
miki:nih	'machine'
kimar	'a waist girdle to keep one's money'

(a borrowing through Hijazi Arabic [Makkah City] where it is pronounced [kamar] which might be the original pronunciation)

But

9)	karri	'an Indian kind of spice'
	kart	'card'
	kərton	'carton'

With the introduction of this syllable structure constraint (call it non-final open syllable raising), one would expect it to provide new cases for the "affrication" process to apply, if the second "radical" of the relevant word happens to be a [k] or a [g]. In the following we will see to what extent this may be borne out.

First let us say that the SSC (Syllable Structure Constraint) may be stated tentatively as (10) below;

10) #Ci$C ---

where $ = syllable boundary.

Now, Classical Arabic words like the following will be the target of this historical development.

11)	a.	ragad (<CA.raqad)	'he slept'
	b.	ba9i:r	'a camel (generally)'
	c.	jamal	'a camel (male)'
	d.	kabir	'he grew up'
	e.	rakal	'he kicked'
	f.	raga (<CA.raqa)	'he went up'

Now consider the following derivations through the two processes (raising and affrication):

UR.	ragad	ba9i:r	jamal	k9bir	rakal	raga
NFOSR.	rigad	bi9i:r	jimal	kibir	rikal	riga
AFR.	*ridzad	____	____	cibir	*rical	ridza

These examples indicate that the "Affrication rule" is not always productive in the language. If it were, it would have applied to these forms. This comparison between the two processes reveals a very important fact, namely, the difference between a productive psychologically real process of the language and a non-productive one. The same point is supported by the following list of borrowings.

12. a. bikat (<Eng. pack) compare to bicat (<CA. bakat) 'she cried'
    b. miki:nih (Eng. machine) compare to mican (<CA makan) 'a place'
    c) kimar (<?Turkish) compare to kimal (<CA kamal) 'it m.became complete'

The derivations of such forms may go as follows:

U.R.	bakat, bakat	miki:nih, makan	kamar, kamal
NFOSR.	bikat, bikat	miki:nih, mikan	kimar, kimal
AFR.	*bicat, bicat	*mici:nih, mican	*cimar, *cimal

Where:

UR	= Underlying Representation
NFOSR	= Non-Final Open Syllable Rule
AFR	= Affrication rule.

Again, NFOSR applies whenever its environment is met while 'AFR' does not apply to new forms even if its environment is satisfied while its effect, as we saw before is felt where it should not be.

It has been argued in the literature (Kaye, 1974, 1975; Kaisse, 1979) that opaque forms such as these we have in NA help to preserve underlying contrasts which, in fact, might be the reason for some historical alternations in the language. Kenstowicz (to appear), however, goes a step further to argue that such cases serve some "functional" needs in languages. Again, obviously, some historical alternations were utilized for this function. Cases like [kitab] *citab 'he wrote' and [citab] *kitab 'a camel saddle', would fit very nicely in what Kenstowicz argues to serve to prevent 'surface homophony.' NA's rule, also, was "recruited to make particular grammatical categories." The second f. possessive morpheme is always /(V)C/ in NA.

θobik	'your m. cloth'	θobic	'your f. cloth'
9əšak	'your m. dinner'	9əšac	'your f. dinner'
warəkk	'your m. papers'	warəgc	'your f. papers'

The question "what about opaque cases where these functions are not needed?" is still open to all these attempts to preserve the 'generativity' of phonological processes.

V

The following two important conclusions are entailed by the foregoing discussion:

1) One cannot rely on internal evidence alone. Such explanations as simplicity, economy, and other data-based criteria may support a theoretically plausible solution, but when such solution is matched with language reality and speakers' internalized grammar which is supposedly represented by such analysis, one readily realizes the unrevealing nature of such evidence. Functional explanations do not seem to provide the necessary justification either, because if one is to adopt a functional analysis, then we have to find many functions for the alternations we saw, sometimes for every individual item in the language.

2) The analyst should not always be attracted by the generality of the theory of generative phonology. It sometimes does not work with certain phenomena. Even if the corpus of data purports a surface regularity it might not always reflect a regular grammar internalized by the native speaker. This, however, does not mean the claim that the whole theory of generative phonology lacks psychological reality, not because the contrary is evident, but because we yet have to prove it by providing more and stronger cases.

VI

The external evidence as we have seen will not confirm a regular analysis of the NA data, and the possibility we could try will be to assume following most of the externally-based analysis, that there is no rule and native speakers simply have to memorize surface alternations. In the case of NA, since the affrication rule does not seem to be the source of all the occurrences of [C] and [dz], it may not be psychologically real. In words like /ħəlg/ 'throat' /həlgi/ 'my throat and /sadzi/ 'a water stream' and /sagi/ 'my leg', it seems that there is no way for a native child except to learn these words at heart. In other words, items with [C] and [dz] as well as items with [K] and [g] have to be specified in the lexicon of this dialect. Consequently [C] and [dz] must be underlying phonemes of NA.[4]

Historically [C] and [dz] were posited as part of the Proto-Semitic consonantal system. The Proto-Consonantism, as reconstructed by Cantineau and revised by Diakov, and as agreed by most Semitists (Corriente, 1976, p. 75) is as follows:

*/p' – b   t'-d   t² – d²   tˢ – dz   s – r   s – l   k'-g   x –   h – 9   h – ?
↙ (t'-d) ṭ²   ↙ (t² – d²) ṭ²   ↙ (tˢ – dz) tṣ   ↙ (k'-g) ḳ

What concerns us here is the existence of [ts], ([C]) and [dz] in the consonantal system of the Proto-Semitic language. These two sounds merged into Old Arabic /S/ and /Z/ respectively (Corriente, 1976). The point, briefly, is since NA is a decendant of the Semetic language Old Arabic, the Proto-language which one day, had /C/ and /dz/, it should not be surprising for such dialect to retain these two sounds in its restructuring.

VII

Conclusion

One point is clearly evident from the NA case presented briefly here. That is NA native speakers instead of producing surface affricate alternants in accordance with putative underlying velars and an affrication rule, they seem to rely on lexical listing for the pronunciation of velar-affricate alternations. The conclusion that "the theory of generative phonology has a questionable psychological reality "on the basis of cases such as the NA's (see Hsieh, 1976) is not totally fair, and may be a premature one. What we should keep in mind is not to be attracted to this theory and "force" any linguistic phenomenon to abide by its general claims, until a superior alternative theoretical framework is worked out.

Notes

1. It might be necessary to make clear that citing Johnstone's work here doesn't mean that he analyzes the data the way they are analyzed here. In fact, he does not give any analysis. All he does is to speculate the fact that an affrication process exists in the dialect. The purpose of this paper is, partially, to argue for the contrary of such speculation. Thus, this work is one of the first studies of this dialect within the framework of modern linguistics.
2. For the vocal system of the language, the reader is referred to Lehn's (1976) article.
3. I do not know how this may be formally stated in a phonological rule, if this is really different from a mirror image convention.
4. Given Kiparsky's Alternation Condition, it is likely that velars before front non-low vowels which may be deleted or changed are realized as underlying affricates. That is, [C] and [dz] are underlying as well as derived segments (see Kaisse, 1979). In which case the position taken here will be concerned with these underlying affricates only.

Bibliography

Anderson, S. *The Organization of Phonology*, N.Y.: Academic Press, 1974.

Corriente, F., "From Old Arabic to Classical Arabic through the Pre-Islamic." *Journal of Semetic Studies*, XXI no. 1 (1976): 62-98.

Hale, K., "Deep-Surface Disparities in Relation to Analysis and Change: An Australian Example" in Sebesk, T. Hoenigswald, H.M., and Longacre, R., (eds.), *Current Issues in Linguistics Theory*, Vol. II. The Hauge: Mouton (1971).

Halle, M., *The Sound Pattern of Russian*, The Hague: Mouton, 1959.

Hsieh, H.I., "The Psychological Reality of Tone Sandhi Rules in Taiwanese." Papers from the 6th meeting of *CLS*, (1970): 498-503.

————, "On the Unreality of Some Phonological Rules," *Lingua* 38, (1976): 1-19.

Kaisse, E., "On the Stability of Opaque Rules Orderings." Papers from the 12th meeting, *CLS*, (1979).

Kay, J., "Opacity and Recoverability in Phonology." *Canadian Journal of Linguistics* 19 (2), (1974): 135-149.

————, "A Functional Explanation for Rules Ordering in Phonology," *CLS* Functionalism Parasession, (1975).

Kenstowicz, M., "Functional Explanation in Generative Phonology" in Gioyyaerts D.L. (ed.), *Phonology in the 1970's* (Forthcoming).

Kiprasky, P., "Historical Linguistics" in Dingwall, W. (ed.), *A Survey of Linguistic Science, College Park*, M.D. Linguistic Program, University of Maryland, (1971): 576-642.

Lehn, W., "Vowel Contrasts in Najdi Arabic" in Stuart, D. (ed.), *Linguistics Studies in Memory of Richard Slade Harrell*, Georgetown University Press, 1976: 123-131.

Johnstone, T., "The Affrication of 'kaf' and 'gaf' in the Arabic Dialects of the Arabian Peninsula." *Journal of Semetic Studies*, 8, (1963): 210-226.

————, "Aspects of the Syllabication in the Spoken of Arabic of 'Anaiza." *London University School of Oriental and African Studies Bulletin* 30 (1), (1967): 1-16.

Skousen, R., "Evidence in Phonology" in Kisseberth, C. (ed.), *Studies in Generative Phonology*, Linguistic Research, Inc. (1973a): 72-103.

Skousen, R., "On Limiting the Number of Phonological Descriptions" *Glossa*, 7 (2), (1973b): 167-178.

Zimmer, K., "Psychological Correlates of Some Turkish Morpheme Structure Conditions. *Language* 45 (2), (1969): 309-321.

الأصوات المزجية في لهجة نجد

عبد العزيز إبراهيم السويل

أستاذ مساعد – قسم اللغة الانجليزية – كلية الآداب –
جامعة الملك سعود – الرياض

مستخلص البحث

تدعي النظرية النمطية لعلم الفونولوجيا التوالدية عكس مايبدو من جانب المتحدثين باللغة العربية من أهل نجد الذين يعتمدون على سرد المفردات فيما يخص التنوع في نطق الأصوات الاحتكاكية الحلقية . ويقوم ادعاء النظرية على ان أبناء اللغة يخرجون صيغ السطح وفقا لصيغ عميقة مفترضة ، وهذا الأمر محل تساؤل شديد . وهنا تأتي الدلائل التي تؤيد الدراسات السابقة التي عالجت هذه التساؤلات من شواهد مستخلصة من «لهجة نجد العربية» .

J. K. A. U.: Arts and Humanities, Vol. 1, pp. 11-20 (1408/1988)

The Function of Wounds in *The Red Badge of Courage* and *A Farewell to Arms*

ADEL ATA ELYAS
Associate Professor, Department of European Languages, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT: A favourite theme in the American Civil War and later in the World War I was the bitterness against war and army life. Stephen Crane and Ernest Hemingway were foremost among the writers who used the novel to depict the impact of war on their protagonists and show their disgust towards war.

To dramatize the result of war and the military environment, the writers did not set out to write the story of high ranking officers and officials but rather to write the story of an enlisted private joining a small regiment during the American Civil War, *The Red Badge of Courage*, and the story of an enlisted ambulance-driver at the Italian front during World War I, *A Farewell to Arms*. Thus, the two writers turn their protagonists into every man trying to find meaning for any war.

Physical wounds and psychological damage play a vital role in the lives of the two protagonists, and in the development of the novels. This paper is an attempt to explore this theme by focusing particularly upon the conflict and the side effects of such wounds and show how these wounds mark a turning point in the lives of the two heroes, leading Henry Fleming to victory, manhood, heroism, and Frederick Henry to his downfall.

The bitterness against wars and army life became a very important theme in the American Civil War and later in the World War I novel of protest. The writers of this sort of novel used this device to define and portray the impact of war on their heroes and to show their disgust towards any war. Each in his own way dramatized the result of war and the military environment in order to establish his point of view in such circumstances. Ernest Hemingway and Stephen Crane were no exceptions. Hemingway made clear his protest against war in such remarkable novels as *The Sun Also Rises, A Farewell to Arms* and many others. As for the American Civil War, although many writers tried their best to portray its horror and destruction, yet many scholars and critics believe that Stephen Crane's masterpiece, *The Red Badge of Courage* is

beyond doubt the best portrayal ever of that war, even though he himself was still a small boy when the war started.

Stephen Crane's *The Red Badge of Courage* is considered his masterpiece. "One reason for its popularity", as Joseph Katz points out, was "the novelty of a war story told from a private's point of view. Wars in earliest fiction had been fought mainly by officers, gallants, and villains noteworthy men who moved against a background of massed troops. In this novel the higher ranks are themselves only part of the scenery. Perhaps those who had fought in the real war found that this viewpoint brought back to them a sense of what it had really been like: the constant threat of the unknown, the suppression of personality, and the self-doubts."[1]

At the beginning of the novel, we see Henry Fleming or "the youth", in his daily life at the farm with his old mother, longing for battles and for rough army life. Consequently, against his mother's wish, he enlists himself and leaves for the army where he joins the Yankee troops, as "tales of great movements shook the land. They might not be distinctly Homeric, but there seemed to be much glory in them." (*R B C*, 176)[2] So, he joins the army wishing to become a hero. But the monotonous life in camp leads him to concentrate on personal matters and to retreat into his own old ideas of 'Greek-like struggle'. He thinks that now maybe be his real moment of truth will come, maybe he will be a coward.

Before he was physically wounded, the youth was uneasy with himself. Overburdened with a sense of guilt, he began to rationalize the consequences of his escape from his regiment. He was in a state of mental and emotional turmoil. He wished from the bottom of his heart that his army would lose so that such loss might comfort him. The defeat of his army would be a very good excuse for his escape if he had to meet his regiment again. But what if the army won the war? If the army won, he would be lost:

> He had never lost his greed for a victory, yet, he could not but know that a defeat for the army this time might mean many favourable things for him. The blows of the enemy would splinter regiments into fragments. Thus, many men of courage, he considered, would be obliged to desert the colors and scurry like chickens. He would appear as one of them.
>
> (*R B C*, 243)

At times, he considered himself a 'villain' and a coward. He even wished he were dead. He wished that he had a wound, "a red badge of courage". In this context, Scalley Bradley points out that earlier in the story, that Henry Fleming had suddenly realized he was caught in the 'moving box' of his regiment ... His conflict, of course, had been related to his own fear and panic while the battle came closer to him ... On the surface it was a highly realistic, ironic and humorous account of a young boy's struggle with cowardice in the midst of a larger brilliantly rendered scene of battle, disorganized and incoherent: the complete opposite standard descriptions of heroics, bravery and material discipline ... When he realizes that he is in a trap from which he cannot escape, he is outraged and terrified."[3] On his way Henry Fleming

met some retreating soldiers and started to ask them questions about the battle. But most of them ignored him until he caught one of them by the arm, a man who had a vivid face and rolling eyes, who shouted to Henry "Let go of me!" When Henry did not let him go, the soldier struck him down on the head with his rifle butt. Henry's fingers "turned to paste, ... he saw the flaming wings of lightning flash before his vision ... Suddenly his legs seemed to die, he sank writhing to the ground. He tried to arise. In his efforts against the numbing pain he was like a man wrestling with the creatures of the air." (*R B C*, 248) Later he came across a man with a cheery voice who led him back to his regiment which received him in a high mood.

At his regiment's camp, the yo th was really astonished when his friends welcomed and accepted him back. They offered him all kindness and heartfelt sympathy. Thus, under these circumstances, the youth's chance to save himself seemed to be at hand. He simply invented a very good story and a strong alibi:

> I've – I've had an awful time. I've been all over. Way over on th' right. Ter'ble fightin' over there. I had an awful time. I got separated from th' reg'ment. Over on th' right, I got shot. In th' head. I never see sech fightin'. Awful time. I don't see how I could a' got separated from th' regiment. I got shot, too.
>
> (*R B C*, 254)

Henry was glad that his wound saved his pride. In his article "The Psychic Wound of Henry Fleming", Maxwell Geismer points out that:

> It was Henry Fleming's shame at his psychic wound which led him to yearn for the physical wound – a wound which in a deeper psychological sense might also block him from the maturity – the manhood – which he sought in the area of moral values. (And it is almost the first time we are conscious that Crane's anonymous youth had a name at all). Then in swift succession there are those happy omens of his salvation: the "false" wound which he suffers in his struggle with another deserter; the episode of his rescue by the man of the cheery voice and of the warm and strong hand.[4]

The real wound was the turning point in Henry Fleming's life; he skillfully used it as an alibi to achieve glory and manhood. But the other wounds in the story, such as Fleming's psychological wounds, were also very important. Henry Fleming was in continuous conflict with himself after he ran away; he was ashamed of himself. He was outraged, and terrified when he encountered the dead bodies and the retreating soldiers. He suffered a great deal after Jim Conklin's death and he was so angry and terrified that he shook his first in despair and shouted "Hell." So, "the red sun was pasted in the sky like a wafer" as if to record his state of anger, desparation and fear. Later, after seeing his wound the cheery man accepted him without question. Such acceptance indicated also that he might be well received by his regiment. Maybe that was what gave him the idea of inventing his story of being hurt in a fight with the enemy; it was his chance for a reunion with his regiment. This reunion marked another turning point in Fleming's life; it heralds the beginning of redemption and

salvation. To this end R.W. Stallmen stated in his article, "Notes Towards an Analysis of *The Red Badge of Courage,"* that:

> Redeption begins in confession and absolution – in a change of heart. Henry's wounded conscience is not healed until he confesses to himself the truth and opens his eyes to new ways ...; not until he puts on new garments of humanity and loving – kindness for his fellow men. Redemption begins in humanity ... Henry's spiritual change is prolonged process, but it is signalized in moments when he loses his soul in the flux of things; then he courageously deserts himself instead of his fellowmen.[5]

Unlike Crane, Hemingway in *In Our Time, The Sun Also Rises,* and *A Farewell to Arms* deals with man's condition in a society which is upset and disgusted by the violence of war. Hemingway is interested in war for what it does to men at the time, not for what it may do to them afterwards. His aim is to observe those involved in war in a particular situation. His own participation in some of the great wars of the world was a way of gaining real knowledge which helped him gain a better understanding of such a rough predicament.

The period which Hemingway portrays so harshly in *A Farewell to Arms* is the period of World War I, 1914-1918 when, after a long period of peace, Europe was enduring the horror of a long, agonizing war, a war which was destroying everything including man's culture, ideals and hope for a peaceful life. When the United States entered the war, Hemingway, like many American men, volunteered for service in Europe.

In *A Farewell to Arms,* Hemingway described the horror, heartbreak, distress and other psychological damage done to those who are mixed up in war, such as ambulance drivers of whom Frederick Henry, the protagonist, is one. After going through the torment of war, Frederick Henry realizes that man is worth nothing in a big war and that personal courage, heroism, and one's self-confidence in one's ability as a soldier were all useless in the light of ruthless machines. Passini, another fellow ambulance driver at the Italian front, and Frederick Henry's best friend, expresses a similar disgust at such a horrible war:

> "I know it is bad but we must finish it."
> "It does not finish. There is no finish to a war"
> "Yes, there is."
> "War is not won by victory ... one side must stop fighting. Why don't we stop fighting?
> "You are an orator"
> "We think. We read. We are not peasants. We are mechanics. But even the peasants know better than to believe in a war. Everybody hates this war."
> "There is a class that controls a country that is stupid and does not realize anything and never can. That is why we have this war."
> "Also they make money out of it."
> "Most of them don't." said Passini "They are too stupid. They do it for nothing. For stupidity."
>
> (*A F to Arms,* 50-51)[6]

In this manner, Hemingway was aware of what fear could do to men. He saw that war deprived men of their wits and reduced them to the role of animals: Man was no longer himself, but a small part of a very destructive cause; and he became an instrument employed by those who really had started the war and who did not care if others were injured or killed. Frederick Henry, like so many others in that war, was suffering intensely. His failure to find any meaning or value for such an agonizing war led him to think seriously of running away. Frederick Henry realized that this instrument of torture, called war, made him lose the chance to find love and happiness.

Before running away, and to escape momentarily from anguish and despair, Frederick Henry dreams of Catherine, the nurse with whom he falls in love. In his dream he says:

> Maybe she wasn't asleep. Maybe she was lying thinking about me. Blow, blow ye western wind. Well, it blew and it wasn't the small rain but the big rain down that rained. It rained all night. You know it rained down that rain. Look at it. Christ, that my love were in my arms and I in my bed again. That my love Catherine. That my sweet love Catherine down might rain. Blow her again to me. Well, we were in it. Everyone was caught in it and the small rain would not quiet it.
>
> (*A F to Arms*, 197)

The function of the dream is multiple: first, it is the dream itself, which here serves as dramatic relief for Frederick Henry and gives him a sense of security against all odds of war, before he wakes up again to face reality. Then, Hemingway uses the rain in a symbolic way to depict Henry's conflict, suffering and desperation. The "big rain" stands for the general destruction of war, while the "small rain" represents a source of disturbance to Henry's love, "but without ceasing it."

At the Italian front, before the dream and before he had met Catherine Henry and some of his friends, the Italian ambulance drivers were eating in a small "dugout", when the Austrians attacked them. Henry, badly wounded in both legs, was taken to a field hospital and later to another one in Milan. In a dramatic soliloquy, Henry depicts the impact and horror of war:

> Through the other noise I heard a cough, then came the chuh-chuh-chuh-chuh-then there was a flash, as when a blast-furnace door is swung open, and a roar that started white and went red and on and on in rushing wind ... In the jolt of my head I heard somebody crying. I thought somebody was screaming. I tried to move but I could not move. I heard the machine-guns and rifles firing across the river and all along the river. There was a great splashing and I saw the star-shells go up and burst and float whitely and rockets going up and heard the bombs, all this is in a moment ... My legs felt warm and wet and my shoes were wet and warm inside. I knew that I was hit and leaned over and put my hand on my knee. My knee wasn't there.
>
> (*A F to Arms*, 54,55,56)

The function of the wound in *A Farewell to Arms* is as important to the development of the novel as is the wound of Henry Fleming in *The Red Badge of Courage*. Frederick Henry's wound was portrayed ironically. The wound was in the legs and feet, which are the only means for any soldier to use when he wanted to run away. Now Frederick Henry could not run away because he could not even use his own legs. When he was taken to the hospital, he insisted that another doctor operate on his knees as soon as possible, ironically, so that he could walk again and maybe run away. However, after he had regained his health, he realized that it was almost impossible to run away in such circumstances. Thus, he used the wound as an excuse and, unlike Henry Fleming whose wound became his 'alibi' to his return to the battlefield and to heroism, that of Frederick served as his only alibi for escaping the war. In fact, Frederick Henry was not a coward at all, because when he was wounded his main concern was not to save his own life but to save his friends. He wanted to escape that war because of its destruction of human beings and of every living soul as well. There was no glory, no dignity and no morality in any war:

> He was always embarrassed by the words sacred, glorious, and sacrifice. And the things that were glorious had no glory and the sacrifices were like the stockyards at Chicago if nothing was done with the meat except to bury it. There were many words that you could not stand to hear and finally only the names of places had dignity ... Abstract words such as glory, honour, courage, or hallow were obscene beside the concrete names of villages, the number of roads, the names and numbers of regiments and the dates.
>
> (*A F to Arms*, 184-85)

The physical wound plays an important role in Frederick Henry's life, because it would no doubt prevent or delay his escape.

When Frederick Henry was finally cured of his physical wounds, he was released from the hospital. He was sent back to the front and to his former duty as an ambulance driver. Though he was physically cured of his wounds, Frederick Henry was still suffering from psychological and spiritual wounds which were deep enough to last for a long time. Ironically, Henry's job required dealing with all kinds of wounds. He was supposed to help the wounded, but he could not find anyone to help him cure his own wound. He was like a cashier in a bank who had to deal with a lot of money while he himself was penniless. Frederick Henry was blindfolded against reality; he was thinking of himself and of his own safety. Thus, he waited for the right moment, to run away using every possible means of transport to achieve his aim. He even disguised himself in civilian clothes when he was convinced that war was not his game any more:

> I would like to have had the uniform off although I did not care much about the outward forms. I had taken off the stars, but that was for no convenience. It was no point of honor. I was not against them. I was through, I wished them all luck. There were the good ones, and the brave ones, and the calm ones, and the sensible ones, and they deserved it. But it was not my show any more ...
>
> (*A F to Arms*, 232)

In the war there were all kinds of people, and although Frederick Henry wished them luck, he had nothing more to do with them. He neither wanted to destroy others, nor to be destroyed by them. He simply "signed a separate peace." He wanted to live in peace and to share love with the rest of humanity. He was disappointed in man in general; symbolically, the physical wounds had moved to his tender heart, and the wound of his head to his inner thoughts, to his consciousness and to his mind. In other words, life and love were to be destroyed in the name of wars. Wars cannot be obtained or won by "victory", as Passini had said. In fact, war, any war, can only be won by one important thing, namely, by peace. To this end, Richard Hovey points out in wonder:

> "What does Frederick learn from his experiences of love – and of war? He has learned that both of these alienate and destroy. He found in love passing pleasures and transient ecstasies. In the time between love's high moments he knew only a restless, boring emptiness. His reflections at the end of the novel indicate that he regrets having loved."[7]

After Frederick's successful flight, while Catherine was still in labour, he learnt that the baby had been born dead. He could not help thinking of fate and death. He was suffering in vain when he started to think of losing Catherine to death:

> Now Catherine would die. That was what you did. You died. You did not know what it was about. You never had time to learn. They threw you in and told you the rules and the first time they caught you off base they kill you. Or they kill you gratuitously like Aymo. Or gave you the syphylis like Rinaldi. But they kill you in the end. You could count on that. Stay around and they would kill you.
>
> (*A F to Arms*, 327)

Here, Frederick Henry was confronted with death again although he was hundreds of miles away from the battlefields which he has deserted. He realized now, although too late, that he was a loser, and that Catherine was still in danger after losing their baby. In fact, in Hemingway nobody wins: everyone loses in the end and no one can ever escape. In his book *Ernest Hemingway*, P.G. Rama Rao points out that:

> "There is a strange irony in Henry bidding farewell to arms and running to the arms of his beloved, where he expects to find security and comfort, but soon finding himself bidding farewell to those arms also. Henry bids farewell to what he hates most and then to what he loves most too. Henry's belief that he has gained a heavenly happiness turns out to be a mere illusion for the gain becomes a loss and what he really gains is a dreadful misery."[8]

At the end of the story we realize that Frederick Henry is spiritually dead, and that Catherine is safe only because she is dead. Henry brings about his own downfall when he fails to see things as they really are, that is when he fails to realize that nobody can say "a farewell to arms", nor can one "sign a separate peace." One can only learn to take life as it is and to bear the various kinds of responsibilities, though war might destroy everything, including love. Because of his wounds, Frederick Henry tries to disassociate himself from the rest of the world. It is a mistake to be isolated if

you can see the big picture. Thus, everything here is an exercise in isolation from mortality, from one's obligations toward one's fellow human beings, and from the world. This isolation, in fact, marked the downfall of both Frederick Henry and Catherine. In other words, "a man is trapped, Hemingway seem to be saying. He is trapped biologically and he is trapped socially; either way it can only end badly, and there are no other ways."[9]

In a state of war or disillusion man is nothing but a shadow, as life itself is. Both are going to come to an end. William Shakespeare sums up the whole idea through his tragic hero, Macbeth. Macbeth says:

> To-morrow, and to-morrow, and to-morrow
> Creeps in this petty peace from day to day
> To the last syllable of recorded time;
> And all our yesterdays have lighted fools
> The way to dusty death. Out, out, brief candle!
> Life's but a walking shadow, a poor player
> That struts and frets his hour upon the stage,
> And then is heard no more. It is a tale
> Told by an idiot, full of sound and fury,
> Signifying nothing.[10]
>
> (*Macbeth*, V, 5, 19-28)

The whole idea is then that man at war will no doubt suffer in vain while all his efforts and his hopes and illusions for peace or for a better life are wasted. Death is the ultimate end and the final station where the train of life must stop forever.

While Henry Fleming takes advantage of his wound and uses it as an alibi and as an excuse to go back to his regiment and hence to victory and heroism, Frederick Henry's wound, ironically in the legs, makes it impossible for him to run away and enables him to be with Catherine. So he signs a "separate peace" but loses all, Catherine, his love and above all, himself. The wounds in both novels mark a turning point in the lives of their heroes: they lead Henry Fleming to victory and heroism and Frederick to his downfall.

Notes

1. Joseph Katz, ed. *The Portable Stephen Crane* (New York: The Viking Press, 1969), 184-185.
2. *The Red Badge of Courage*, in Stephen Crane, *Three Great Novels* (Greenwich: Fawcett Publications, Inc., 1970). This edition is cited herein. If multiple quotations from a single page appear in sequence, the page notation will follow the final quote (RBC).
3. Scully Bradley, ed. *Stephen Crane The Red Badge of Courage* (New York: W.W. Norton and Company Inc., 1962), 259.
4. *Ibid.*, p. 261.
5. *Ibid.*, p. 252.
6. Ernest Hemingway, *A Farewell to Arms* (New York: Charles Scribner's Sons, 1929). This edition is cited herein. If multiple quotations from a single page appear in sequence, the page notation will follow the final quote. (A F to Arms)
7. Richard B. Hovey, *The Inward Terrain, Hemingway*. (Seattle: University of Washington Press, 1968), 89.
8. P.G. Rama Rao, *Ernest Hemingway: A Study In Narrative Technique* (Ram Nagar, S. Chand and Company Ltd., 1980), 179.
9. William Van O'Connor, ed. *Seven American Modern Novelists* (New York: The New American Library, 1964), 154.
10. Peter Alexander, ed. Macbeth in, *William Shakespeare: The Complete Works* (London: Collins Clear-Type Press, 1964), V, 5, 19-28.

Bibliography

Alexander, Peter, *Macbeth* in *William Shakespeare. The Complete Works*. London: Collins Clearance-Type Press, 1964.

Atkins, John. *Ernest Hemingway: His Work and Personality*. London: Spring Books, 1965.

Baker, Carlos, *Ernest Hemingway: Critiques of Four Major Novels*. New York: Charles Scribner's Sons, 1962.

Benson, Jackson, J. *Hemingway: The Writer's Art of Self-Defense*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1969.

Bradley, Sculley, ed. *Stephen Crane The Red Badge of Courage*. New York: W.W. Norton and Company Inc., 1962.

Cooperman, Stanley, ed. *World War I and the American Novel*. Baltimore: The John Hopkins Press, 1957.

Crane, Stephen, *Three Great Novels*. Greenwich: Fawcett Publications, Inc., 1970.

Graham, John. *The Merrill Studies in A Farewell to Arms*. Ohio: Charles E. Merrill Publishing Company, 1971.

Hemingway, Ernest. *A Farewell to Arms*. New York: Charles Scribner Sons, 1929.

Hovey, Richard B. *Hemingway: The Inward Terrain*. Seattle: Univ. of Washington Press, 1968.

Katz, Joseph, ed. *The Portable Stephen Crane*. New York: The Viking Press, 1969.

O'Connor, William Van, *Seven American Modern Novelists*. New York: The New American Library, 1964.

Rao Rama, P.G. *Ernest Hemingway: A Study in Technique*. Ram Nagar: S. Chand and Company, Ltd., 1980.

دور الجروح الناجمة عن الحروب في روايتي «عصابة الشجاعة الحمراء» و «وداعا للسلاح»

عادل محمد عطا إلياس
أستاذ مشارك – قسم اللغات الأوربية وآدابها – كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة الملك عبد العزيز – جدة

مستخلص البحث

بعد الحرب الأهلية الامريكية وبعد الحرب العالمية الأولى أصبح موضوع الحروب ودمارها وحياة الجيش أثناء الحروب من أهم المواضوعات التي تناولها كتاب القصة في أعمالهم ، إذ أخذ كل كاتب يبين وعلى طريقته الخاصة اهوال تلك الحروب على أبطال رواياته وماتركه من آثار نفسية وجسدية عليهم مظهرا بذلك اشمئزازه من الحروب كافة . وكان كل من ستيفن كرين وارنست همنجواي من جملة هؤلاء الروائيين المتذمرين ، وفي تصويرهما لما تتركه الحروب على الفرد من آثار جسدية ونفسية لم يحاولا معالجة الموضوع بتناولهما قصص البطولة عن كبار الضباط في الجيش بل ركزا جل اهتمامهما وتصويرهما لما يدور في الحروب على شخصيتين من الطبقة الوسطى وهما شخصيتا بطلي الروايتين موضوع بحثنا هذا ، فنجد أن بطل رواية ستيفن كرين «عصابة الشجاعة الحمراء» ويدعى هنري فلمنج ، جندى عادي يتطوع في الحرب الأهلية الامريكية ويتم الحاقه بإحدى الكتائب الصغيرة ليحارب في خطوط المواجهة . وكذلك تطوع فردريك هنري بطل رواية همنجواي «وداعا للسلاح» هو الآخر ولكن للعمل كسائق عربة اسعاف ابان الحرب العالمية الأولى ، ويتم ارساله لممارسة عمله عند خطوط النار الايطالية .

ويلاحظ القارىء أن الجروح والاصابات في الحروب إلى جانب ماتتركه على الجنود من تأثيرات نفسية تقوم بدور حيوي مؤثر في حياة بطلي الروايتين وكذلك في التأثير في تطور مجريات أحداثهما .

ويهدف هذا البحث إلى سبر غور الدور الذي تلعبه تلك الجراح وأثرها في الجندي البسيط وماتتركه عليه من تأثيرات وصراعات نفسية جانبية ، لتخرج بنتيجة حتمية وهي ان لتلك الجراح دورا هاما في قلب حياة ابطال الروايتين رأسا على عقب ، إذ تقود أحدهما إلى البطولة وتدفع بالآخر إلى السقوط الذريع وإلى نهايته كإنسان .

J. K.A.U.: Arts and Humanities, Vol. 1, pp. 21-36 (1408 / 1988)

Language Universals, Universal Grammar and Language Acquisition

ABDEL-HAMID IBRAHIM HUSSEIN
Associate Professor, Chairman of the Department of European Languages, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University.

ABSTRACT: The article deals with the universals in language that are common. A brief historical statement about the rise of syntax as a separate part of logic and how syntax and logic were related within philosophy in the 13th century and then later in the 18th century is followed with a discussion of the idea of universality of grammar and that languages are similar in their deep structure which represents the common characteristics and basic concepts in thought and language. These are realized in the surface structure with forms that represent syntactic and phonological rules of different languages. Structuralists attacked the idea of a universal grammar. However, it is revived in Chomsky's writings in the fifties and sixties of the twentieth century. He considers the two terms: Language Universals" and "Universal Grammar" as equivalent.

The article also deals in detail with Chomsky's theory about language universals that include, among other characteristics, the inborn ability of a child to learn language, whatever the language spoken in the society he is born in. Though languages differ in their surface structures, there are common characteristics among them that are enough to facilitate children's acquisition of language and at the same time set human languages distinct from non-human means of communication.

I. Introduction

Throughout most of the 200 years or so during which traditional grammar was prominent in the Greco-Roman domains of scholarly centres, no clear distinction was drawn, at the theoretical level, between grammar and logic. In particular periods – most notably in the thirteenth and again in the eighteenth centuries – systems of what came to be called *Universal Grammar* were developed, in which the connection between logic and grammar was made explicit and given philosophical justification. In all such cases it was grammar that was subordinated to logic, since the principles of logic were held to be of universal validity.

> Plato "did not distinguish grammar and logic ... Nor were the factors he distinguished in his logical studies universal in languages or language uses, since he was concerned principally with the true and false use of language, and human languages are used for far more than this."[1]
>
> Aristotle accepted the bulk of Plato's ideas and then developed them with further insights of his own. He "had a general theory about what there is to know, how men know it, and how they express it in language. He saw several levels on which language can be studied and distinguished the forms of words and of sentences, the meaning of words in isolation and in constructions and differences between the written and spoken styles of language."[2]

The principles of logic on which grammar was based, and from which Universal Grammar was extracted, were derived mainly from Aristotelian logic and consequently, Greek grammar had its influence on formulating the principles of other grammars. However, this view was criticized by several philosophers including Wilhelm Von Humboldt (1762-1835), who emphasized both the diversity of language-structure and its influence upon the categorization of logic, thought and experience.

Universal grammar was concerned with general features of language structure rather than with particular idiosyncrasies. Universal grammar developed in part in reaction to an earlier descriptivistic tradition.

Grammar should not be merely a record of the data of usage, but, rather, should offer an explanation for such data. It should establish general principles, applicable to all languages and based ultimately on intrinsic properties of the mind, which would explain how language is used and why it has particular properties. The tradition of universal grammar came to an abrupt end in the nineteenth century. Its achievements were very rapidly forgotten, and an interesting but false list of limitations was developed around it. The first on the list was that it was not concerned with the sounds of speech, but only with writing. It was also accused of being based primarily on a prescriptive Latin model; and that its assumptions about language structure have been refuted by modern linguistics. However, phonetics was a major concern of universal grammarians, and our own phonetic theories are based on their findings in the field. Universal grammar made a sharp distinction between what we call 'deep structure' and 'surface structure'. The old deep structure of a sentence was the abstract underlying form which determined the meaning of the sentence; it was supposed to be present in the mind but not necessarily represented directly in the physical signal. The surface structure of a sentence was the actual organization of the physical signal into phrases of varying size, into words of various categories. The fundamental assumption of the universal grammarians was that languages scarcely differed at the level of deep structure which reflected, in their view, the basic properties of thought and conception. This particular point relating deep to surface structures became of interest to modern linguistics only recently.

One result of the introduction of the now fairly clear and well founded distinction between deep and surface structure is that linguistics can go on to study the nature of

deep structure and to provide valuable hints and insights concerning the rules that relate the abstract underlying mental structures to surface forms. What is more, Universal Grammar developed as part of a general philosophical tradition that provides deep and important insights into problems of perception and acquisition of knowledge in general. The study of language should proceed within the framework of what we call 'cognitive psychology'. Language provides the most effective means for studying the nature and mechanisms of the human mind, and that only within this context can we perceive the larger issues that determine the directions in which the study of language should develop.

For various reasons, *Universal Grammar,* in this particularly traditional sense, lost ground in the nineteenth century. "It is certainly true that American 'neo-Bloomfieldian' linguists, who sometimes call themselves 'structuralists,' have been impressed above all by the diversity of languages, and that some of them, like Martin Joos, have gone so far as to declare, as a general proposition of linguistic science, that languages can differ from one another in an arbitrary manner. When they speak of 'universals,' this involves a characterization of a very limited nature, perhaps some statistical observation."[2a] In the late fifties and early sixties of the 20th century, the concept was replaced by *Linguistic Universals*.

However, Noam Chomsky gives life back to the term Universal Grammar, (U.G.), in his writings when he uses it in 'Reflections on Language' saying what leads to our assumption that U.G. and Linguistic Universals are the same:

> Let us define "universal grammar" (U.G.) as the system of principles, conditions, and rules that are elements or properties of all human languages not merely by accident but by necessity – of course, I mean biological, not logical, necessity. Thus UG can be taken as expressing the 'essence of human language'. U.G. will be invariant among humans. U.G. will specify what language learning must achieve, if it takes place successfully. Thus U.G. will be a significant component of LT (H.L.). What is learned, the cognitive structure attained, must have the properties of U.G., though it will have other properties as well, accidental properties. Each human language will conform to U.G.; languages will differ in other, accidental properties. U.G. will specify properties of sound, meaning, and structural organization. We may expect that in all of these domains, U.G. will impose conditions that narrowly restrict the variety of languages.[3]

He explains LT (H.L.) as the learning Theory of Human Language. He says that it is the system of mechanisms and principles employed in the acquisition of knowledge and the acquisition of language. It is the specific cognitive structure that is traditionally called grammar. It is the system of rules and principles that determine both the formal and semantic characteristics of sentences in a particular language. Together with other mechanisms of the mind, the grammar is put to use in speaking and understanding language.

II. What are Linguistic Universals?

It is assumed by Chomsky and his followers that linguistic universals represent

knowledge, or capacities for the acquisition of knowledge brought to the language learning situation by the child. It is only under the assumption that all language universals are implicational universals that one can avoid arbitrary decisions as to what will count as a language. *Language Universals* are realized as features common to all languages that characterize the human species. Consequently, a theory of linguistic structure must incorporate an account of linguistic universals and attribute inferred knowledge of these universals to the child as a language learner. It suggests that a child approaches the linguistic data he is exposed to with the assumption that the data are drawn from a certain previous well-defined language. The child's problem, then, is to decide which of the humanly possible languages is the portion of data he is exposed to in the community he happens to be. Language learning would be impossible to explain, unless this were the case. In other words, that a child actually learns a language, in some cases two, or even three, within the relatively short period that is normal for children, is possible, only by bringing his innate ability for knowledge acquisition in general and language in particular into the learning situation.

As a matter of fact, Chomsky rests his case for the innateness and species-specificity of the language-faculty upon the universality of certain arbitrary formal properties of language structure. However, this should not mean that people who talk the same language have the same linguistic competence. Many details of language acquisition are random or are influenced by temporary details of one's own linguistic experience. But the learner has ample opportunity for revision of learning so that he may be minimally different from his neighbours in the speech community, without necessarily having internalized the same analysis.

The above hypothesis leads to the worthwhile questions about the initial assumptions concerning the nature of language as defined by its features which the child brings to the learning situation. How detailed and specific is the innate knowledge about language is another important question. This linguistic theory attempts, among other things, to develop an account of linguistic universals that cannot be disproved by the great variation among human languages by being too particular; but at the same time, the universals must be sufficiently rich and explicit to account for the miraculous speed and generality of language learning by normal human children. These universals must also account for the remarkable complexity and extensiveness of the grammars the acquisition of which is a part of learning language. Thus linguistic universals present basic facts about language and their speakers. In addition, they provide a set of criteria for determining whether a particular system of communication can properly be called a human language or not. In this way, an important function of linguistic universals is the differentiation between human language and other forms of communication.

Chomsky's following statement in this respect must, however, be taken seriously into consideration. He states that "For the present we cannot come at all close to making a hypothesis about innate schemata that is rich, detailed, and specific enough to account for the fact of language acquisition."[4] What has been achieved in this field

is still too thin and controversial to be reliably built upon; but it seems to be the most acceptable hypothesis, so far presented, so solve some of the problems faced in attempting to explain language acquisition.

We will now outline the motivation for Chomsky's approach to language universals. It does represent a coherent position with regard to language universals research, a position which cannot simply be ignored.

A transformational generative description of the syntax of language maintains that there are relatively concrete, close-to-surface levels of syntactic representation, and levels of representation, removed from the surface, that are considerably more abstract, the deep structures and various intervening levels of representation in between. The existence of a level of abstract deep structure has to be taken into account in discussing the way in which children acquire their first language. However this raises the problem of explaining the manner in which all the rules and constraints needed to move from deep to surface structure, or from surface to deep structure are induced by children. This learnability problem is immediately solved once the innate ability theory is accepted. The crucial abstract rules and constraints of transformational-generative grammar may be innate and as such they are available to the children from birth; they do not have to learn them; they simply use them as befitting their speech community. Accordingly, language universals are those innate linguistic principles which facilitate the child's language-learning task. They can be reached only through investigating relations between abstract principles which underlie and constrain language structure.

The "innateness hypothesis" can be formulated as a Linguistic Theory, the theory of universal grammar being an innate property of the human mind. In principle, we should be able to account for it in terms of human biology. The hypothesis will specify the different domains belonging to the cognitive capacity of the human mind. It will also specify the relations between these faculties and the interactions among them during the maturation period. Alongside with the property of innateness there is the faculty of mind that constructs "common sense understanding." It is a system of beliefs, expectations, and knowledge concerning the nature of behaviour of objects, their place in categories, the organization of these categories and the properties that determine their categorization. The hypothesis will also include principles on which the place and roles of people are determined in the social world. It will also deal with the structure of human actions, human will, human choice and so on. In most cases all such systems and structures are unconscious.

In a relatively short period, so much literature has arisen reflecting a remarkable upsurge of interest in problems of language universals. However, within such literature two major methodological approaches have been adopted. The two approaches can be contrasted on a number of parameters. One approach emphasises that research should be based on an extensive data based on a wide range of languages to be studied. The other approach, however, is satisfied with basing research on an in depth study of a single language. The two approaches also differ in the degree of

abstractness of the analyses required for stating language universals; while the first builds on descriptions of surface structures, the other builds on deep structures of the syntactic analysis. Then the explanations presented by the two approaches for the linguistic universals also differ; the second approach favours the innateness approach for explaining language universals and this is the approach most closely associated with the work of Chomsky and those influenced by him.

To work on language universals on the basis of a single language has theoretical and practical deficiencies. It would seem, then, that the ideal would be to base the study on the investigation of all languages of the world. But this is impossible because of the fact that a considerable number of languages are not available for investigation because they became extinct before being properly recorded. On top of that, present-day languages will change in so many ways that in all probabilities new languages will be born. A third point is that the number of languages spoken today requires a long period of time to have full descriptions of them to the extent that the main task of initiating an investigation of language universals will have to wait a very long time. In practical terms, then, the solution is to base work on language universals on a representative sample of human languages; a sample that is practically manageable, free of bias and which may include representatives of languages of different histories and different genetic families.

Before concluding this section, two points should be mentioned. The first is that universals based on analyses of surface structures are valid because they can be established with a degree of rigour that is not possible with more abstract formulation. They can be integrated into a much broader perspective on human language than is possible with purely formally stated universals, irrespective of abstractness. The second point, which is in a sense counter to the first is the query about the empirical status of universals that require reference to very abstract analyses. It should be stated that an abstract universal is not stronger than the analysis on which it is based. The only language universals that are of empirical interest are those to which counter examples can be constructed.

III. Classification of Linguistic Universals

The writings of transformational-generative-linguists, as represented by the writings of Chomsky divide the features included in the linguistic universals into two sets or categories: FORMAL and SUBSTANTIVE. Substantive universals are categories that comprise items of a particular kind in any language; these are posited as universal from which particular languages draw. The sounds of a particular language, for example, must be drawn from a fixed class of items. They can be described in terms of Jakobson's phonological theory of distinctive features. Distinctive features are small in number and universal in nature. They are universal because the sounds of human languages can be described in these terms, irrespective of the particular language concerned in the description.[5] The same principle can apply to syntax as well as semantics: linguistic substantive universals may include such categories as VERB, NOUN, NOUN PHRASE, DIRECT OBJECT, SUBJECT OF VERB,

MAIN VERB, etc. In other words, substantive universals are the individual elements of which grammars are constructed. Accordingly, substantive universals concern the technical vocabulary for the description of language, and so delimit the class of possible human languages relative to the class of logically possible languages in two ways: either by being present in each individual human language, or by being available for individual languages to select from. Vowels, for example, are a class of phonological items present in each individual human language. Jakobsonian distinctive features, on the other hand, define the total range available to natural languages to select from. Items from outside this range are defined as impossibilities, while it is not necessary that each human language should include all of them. The phonological system of any human language does make use of some of the distinctive features but not necessarily all of them. But it is impossible to use a distinctive feature that is NOT on the list. In this manner, substantive universals may be a category in a given area, that distinguishes what is possible from what is impossible. In combination, the first set that must be present in every language, and the second set, mentioned above, distinguish the necessary characteristics, the possible characteristics and the impossible characteristics of human languages.

A Sample of Substantive Universals:[6]

1 – All languages have both intonational and non-intonational phonological features.

2 – All languages have proper names.

3 – All languages have elements of grammatical rather than lexical meaning.

4 – All languages have first and second person referent elements.

5 – All languages make a basic distinction between topic and comment.

6 – In languages with declarative sentences with nominal subject and object, the subject almost always precedes the object.

7 – If a language has gender, it has number also.

8 – A language never has more gender categories in the plural than in the singular.

9 – No language has 'proper verbs' as well as 'proper nouns'.

10 – All languages seem to be able to express negation and ask questions.

11 – All or most languages have *onomatopoeic* words.

12 – All or most languages seem to have some colour terms (even if only two).

Formal Universals:

"Formal Universals", on the other hand, involve the character of the rules that appear in grammars and the ways in which these rules can be interconnected. That language must have grammars meeting certain abstract conditions, like transformational generative grammars, is a formal linguistic universal, if it can be shown to be a general property of human language. It seems to be widely acceptable now that the syntactic component of all grammars must include transformational rules together with the phrase structure rules. The form of phonological and semantic rules would also have to be taken account of. The existence of well-established formal universals

implies that all languages follow the same pattern but it does not entail that there is any point by point correspondence between particular languages. Nor can it be claimed that every language uses every member of the set. The implication is that languages choose among the members, and that every language will make a possible choice. However, the interaction among the different components of a grammar must also be dealt with under the head of formal universals.

It is necessary here to refer back to the need to distinguish among necessary, possible, and impossible properties of rules of grammar in human language. As an example of a formal universal, it is claimed that "no language can have a formal rule that operates by giving a left-right inversion of a string of arbitrary length... No language could form questions by simply inverting the word order."[7] This is included in a more general formal universal proposed by transformation-generative grammarians that says that transformations are structure-dependent operations, not word-dependent. That is, whole structures have to be moved, not single words. So it seems that formal constraints on syntactic operations are the domain of research on formal universals by transformationists.

If we base our view on logic, the formal universals arrived at so far, form a metatheory which is an abstraction from the properties of all grammars of the languages that have been studied, each individual grammar being considered as a theory of a particular language. But in terms of psychology, the formal universals form a hypothesis about the mental ability of the human being which enables him, as a child in the first place, to acquire natural languages. Since the command of language is one of the highest of the specifically human accomplishments, the study of linguistic universals allows us to draw significant conclusions about the capacity of human intelligence and its underlying neurophysiological processes.

Some formal universals are open to criticism on the ground that there is no possible way of falsifying them. As they are claimed to be testable, they are open to this sort of criticism. However, if a new language turns up in future that contains a class of items which do not fit into any syntactic category previously encountered, we can easily construct a new theory which is adequate simply by adding a new syntactic category that can be used by the language concerned.

Explanation:

Innateness has been previously described as a possible explanation for language universals, and as such, innateness remains empty because it is not subject to any independent verification. It is just a name given to the set of language universals, but a name is not an explanation. It may well be the case that at least some language universals are to be explained ultimately in terms of human genetic predispositions. It is also possible that certain language universals can be correlated with other aspects of human cognitive psychology that are amenable to independent testing. This simply means that the problem has been pushed back. However, any explanation necessarily does that as the explanation given will require explanation. But the criterion for

evaluating progress shows that seemingly disconnected phenomena do have a common explanation.

Another claim is that some universals serve to make language more functional as a communication system particular to humans. But this view is objected to on the grounds that in certain instances language seems to be not a very good tool functionally. Synonymy, homonymy, polysemy and similar features would appear to be a needless luxury; but clearly there are bounds on such seeming luxuries of language both in availability in any one language or in permission to use them.

A further explanation in syntax is that certain language universals make the recovery of the semantic content from the syntactic structure easier. But this needs a lot before deciding for sure the degree of ease or difficulty.

IV. Criterial Universals

As has been mentioned above, the search for linguistic universals may be approached from several directions. In Greenberg's approach, universals are stated primarily in terms of more concrete levels of analysis although they require some degree of abstractness. He accepts universal tendencies as valid statements while Chomsky does not. Universal tendencies mean that the universals exist as observed general features but do have exceptions, while those exceptionless are absolute universals. Later on both tendencies and absolute universals became more acceptable and matters have reached a state where there is no difference in principle between Greenberg's and Chomsky's positions in that respect. Significant are those universals which can be considered critical for language systems in general. Frequently, these turn out to be formal rather than substantive... Theoretically, such features form a defining set against which a given communications system can be, in a definitive way, measured and called a language, and where it can further be called a human-like language.

Hockett developed an applicable set of defining critical universals: in two articles "The Origin of Speech" published in 1960 in *Scientific American* and "The Problem of Universals in Language" published in 1963 in Greenberg's (ed.) *Universals in Language*.

V. Universal Grammar

In Chomsky 1976 and 1979 the term Universal Grammar appears again. It refers to the system of principles which characterize the class of possible grammars by specifying how particular grammars are organized, what the components and their relations are, how the different rules of these components are constructed, how they interact, and so on. It is a sort of metatheory and a set of empirical hypotheses bearing on the biologically-determined language faculty. A particular grammar includes rewriting rules, transformational rules, rules of semantic and phonological interpretation. It seems that there are several components in a grammar, several classes of rules, each having specific properties, linked in a manner determined by the princi-

ples of universal grammar. The theory of Universal Grammar has, as its goal, to determine precisely the nature of each of these components of the grammar and their interaction. Universal Grammar imposes severe restrictions on the variety of possible rule systems.

This means that the permissible rules cannot express in detail how they function, and it also means that the rules tend to overgenerate but it is not possible to include within the rules themselves the restrictions placed on their application. Universal Grammar is not a grammar but rather a theory of grammars, a kind of metatheory or schematism for grammar. On the other hand, deep structure is a technical term pertaining to the particular grammar, and designating a precise stage in the derivation of a sentence.

Chomsky elaborates the concept further by saying that Universal Grammar is the system of principles, conditions, and rules that are elements or properties of all human languages not merely by accident but by biological necessity. He excludes logical necessity and restricts the necessity to the biological domain. As such, Universal Grammar expresses the "essence of human language" and is invariant among human beings. Each human language should necessarily conform to Universal Grammar, but it is equally true that languages do differ. Chomsky assigns difference to other accidental properties not to the "essence". Universal grammar will specify properties of sound, meaning and structural organization and the conditions that restrict the variety of languages.

Chomsky also surmises that there is no structure similar to Universal Grammar in non-human communication. Animals do not have the "capacity for free, appropriate, and creative use of language as an expression of thought, with the means provided by the language faculty, (which) is also a distinctive feature of the human species..."[8] He states that although our knowledge about the neural basis for language is not adequate, specific neural structures play a fundamental role. He goes on to refute his own assumption that Universal Grammar suffices to determine particular grammars. Instead he suggests that the language faculty constructs a grammar in conjunction with other faculties of mind. The language faculty itself provides only an abstract framework, an idealization that does not suffice to determine a grammar.

There is an autonomous system of formal grammar, determined in principle by the language faculty and its component which is Universal Grammar. This formal grammar generates abstract structures that are associated with "logical forms" by further principles of grammar. An actual language may result only from the interaction of several mental faculties, one being the faculty of language. It is not expected to find examples that can be claimed to be the product of the language faculty alone or acts that result solely from the application of linguistic functions. Instead it should be the result of the interaction of several mental faculties. A grammar is "a rich structure of predetermined form, compatible with triggering experience and more highly valued, by a measure that is itself part of universal grammar, than other cognitive structures meeting the dual conditions of compatibility with the structural principles of univer-

sal grammar with relevant experience."[9] In this way, Chomsky states that grammar is not a structure of concepts and principles of high-order composed of simple or lower-order elements by "abstraction", "generalization" or "induction" as was suggested by older learning theories. There are no "simple" or "elementary" components that can be identified and isolated in the system of grammar.

About language faculty Chomsky says that its place within cognitive capacity is a matter for discovery, not stipulation, and that the same applies to the place of grammar within the system of acquired structures. Cognitive structures of different sorts are constructed as a part of a person's maturation process. They interact with grammar and provide the necessary conditions for language use. An integrated study of cognition should try to make these connections precise. In this way such a study may lead to the discovery of further innate properties of mind.

Universal Grammar will specify what language learning must achieve, if it takes place successfully. In this manner, Universal Grammar becomes a significant component of a learning theory specific to human language. The cognitive structure attained or what is learned should encompass the properties of Universal Grammar, though it will have other properties a well. The theory of language is, then, simply that part of human psychology that is concerned with one particular "mental organ", human language. Triggered by appropriate and continuing experience, the language faculty creates a grammar that generates sentences with formal and semantic properties; the knowledge of language, according to common usage of the word knowledge is then knowledge of the sentences generated by this grammar. A person can start using the language he knows by employing other related mental faculties and the structures they produce, beside the language faculty. Language acquisition cannot be a step-by-step process of generalization, association, and abstraction, going from linguistic data to grammar; and the subtlety of our understanding goes beyond what is presented in experience.

VI. Language Acquisition

Two major viewpoints have been competing to explain and account for language acquisition. The rationalist view was applied by Humbolt in 1836 to language learning, being a special case of learning, concluded that no actual language teaching took place; instead it was merely a presentation of the conditions under which language would develop spontaneously in the mind of the learner. Thus the form of a language, or the grammar may be given; however, it would not be available for use without appropriate experience so that the language forming operation is set into process. The other view is in sharp contrast with this rationalist view. It is the empiricist view which has prevailed for a long time saying that language is an accidental structure that has to be taught by conditioning or by drill and explicit explanation. The advocates of this view are Skinner and Neo-Bloomfieldian linguists in general. Within the same group are those who say that language is built by elementary data-processing procedures, but all will agree that language is relatively independent in its struc-

ture of any innate mental faculties. They assume that only the procedures and mechanisms for the acquisition of knowledge constitute an innate property of the mind. The rationalists' speculations, on the other hand, assume that the general form of a system of knowledge is fixed in advance as a disposition of the mind and the function of experience is to cause this general structure to be realized and more fully differentiated.

Within the mentalist viewpoint, a linguistic theory incorporates an account of linguistic universals, and it attributes tacit knowledge of these universals to the child if the theory aims at being adequate to explain and describe, rather than describe only. ('Language learning would be impossible unless this were the case.') It seems that for the present we cannot come close enough to make a hypothesis about innate schemata that is rich, detailed and specific to account for language acquisition. It is the linguistic theory that should develop the account of linguistic universals that will not be disproved by differences among languages, but will account for 'rapidity and uniformity of language learning.' The study of linguistic universals, then, is the study of the properties of any generative grammar for a natural language; while the study of language acquisition may confirm or falsify the universal categories postulated by linguistic theories.

To acquire language, a child must devise a hypothesis compatible with the presented data – a technique for representing input signals, and a way of representing structural information about these signals. That is, he must select from the store of potential grammars a specific one that is appropriate to the data available to him. The store of potential grammars delimits a class of possible hypotheses about language structure and the relevance of each hypothesis to each sentence. The child must also have a method of selecting one of many hypotheses that are allowed and are compatible with the given primary linguistic data. It is logically possible that the data may be rich enough, and the class of potential grammars limited so that no more than a single permitted grammar is compatible with the available data. This seems to be the case with successful language acquisition in mono-lingual communities when no evaluation procedure is necessary as part of linguistic theory.

The linguistic theory, on the other hand, that aims at adequate explanation must contain a universal phonetic theory that defines the notion "possible human language sounds." It must also contain a definition of possible sentence or 'structural description' and a definition of 'generative grammar' capable of generating sentences from sentences, together with containing a way of evaluating alternative proposed grammars.

The primary linguistic data consist of a finite amount of information about sentences, rather restricted in scope and of fairly poor quality. Certain signals in the data will be accepted by the linguistic community as well-formed sentences, while others are rejected as not well-formed. The conditions of use may require certain structured descriptions as a prerequisite for language acquisition. There must be some semantic basis for the acquisition of syntax. It is claimed here that the child has an 'innate

theory of potential structural descriptions that is sufficiently rich and fully developed.' He is able to determine which structural description is appropriate from the real situation. He is also able to do this quite early depending on his 'innate capacity.'

The language-acquisition capacity is also capable of utilizing the primary linguistic data as a basis for language learning by selecting one of the potential grammars and so constructing a theory of language, the sample of which is the primary linguistic data. This particular theory specifies the competence and the knowledge of the language concerned. The child who acquires a language in this way knows a great deal more than what he has learned or induced from the primary data. However, certain kinds of data and experience may be required to trigger the language-acquisition device into operation. This simply means that normal language learning requires use of language in real life situation.

> "Even the simplest of child utterance includes relations that are universal in language. Previously (McNeil, 1966) I have pointed out that the combinations of grammatical classes in the speech of one of R. Brown's subjects perfectly corresponded at 26 months to the abstract definitions of the basic grammatical relations contained in linguistic theory... More recently Bloom (1968) has shown conclusively that the grammatical relations are incorporated into the speech of young children... Different grammatical relations are involved in child speech one or two months *before* words are first combined. The incorporation of grammatical relations in combinatorial speech is merely a continuation of developments that occurred some months before."[10]

McNeil states in the same article that there are those who claim that the underlying structure of sentences is determined by the innate cognitive capacity of the child, and that there is nothing specifically linguistic about this capacity. Others state that linguistic universals do exist precisely because thought structures are universal. But he goes on to express his doubts whether the innate component is a general cognitive component or a specific language component. Chomsky, as late as 1976 and 1979, states that "some intellectual achievements such as language learning, fall strictly within biologically determined cognitive capacity."[11] The biological foundation of language seems to be an established fact in the scientific circles dealing with language acquisition and language learning.

> "By studying the effect of brain damage on speech and comprehension, researchers have obtained invaluable clues to the organization of speech and language in the human nervous system. These language and brain specialists believe that the study of language form and use will reveal principles of brain function and that the study of brain function may support or refute a linguistic theory.[12]

End Notes

1. F.P. Dinneen, *An Introduction to General Linguistics* (Holt, Rinehart and Winston, 1967), p. 79.
2. *Ibid.*, p. 79.

2a. N. Chomsky, *Language and Responsibility* (Sussex: The Harvester Press, 1979), p. 76.

3. ————, *Reflections On Language* (London: Temple Smith, 1976), p. 29.
4. ————, *Aspects of the Theory of Syntax* (Cambridge: M.I.T. Press, 1965), p. 27.
5. See R. Jakobson, C. Fant and M. Halle, *Preliminaries to Speech Analysis: The Distinctive Features and Their Correlates* (Cambridge: M.I.T. Press, 1967).
6. See J.H. Greenberg, (ed.) *Universals of Language*, (Cambridge: M.I.T. Press, 1963).
7. B. Comrie, *Language Universals and Linguistic Typology* (Oxford: Basil Blackwell, 1983), p. 16.
8. Chomsky, (1976), p. 40.
9. *Ibid.*, p. 43.
10. D. McNeil, "Explaining Linguistic Universals", in Morton, J. (ed.) *Biological and Social Factors in Psycholinguistics*, (London: Logos Press Limited, 1971), pp. 53-54.
11. Chomsky, (1976), p. 27.
12. A. Akmajian, R.A. Demers and R.M. Harnish, *Linguistics: An Introduction to Language and Communication* (Cambridge: The M.I.T. Press, 1981).

Bibliography

Akmajian, A., R.A. Demers and R.M. Harnish. *Linguistics: An Introduction to Language and Communication.* Cambridge: The M.I.T. Press, 1981.

Anderson, W.L. & Stageberg, R.C. (eds.) *Intrductory Readings on Language.* New York: Holt, Rinehart and Winston, 1970.

Campbell, B. "The Roots of Language," in Morton, J. (ed.) *Biological and Social Factors in Psycholinguistics.* London: Logos Press Limited, 1971.

Chomsky, N. *Aspects of the Theory of Syntax.* Cambridge: M.I.T. Press, 1965.

———. *Reflections On Language.* London: Temple Smith, 1976.

———. *Language and Responsibility.* Sussex: The Harvester Press, 1979.

Comrie, B. *Language Universals and Linguistic Typology.* Oxford: Basil Blackwell, 1983.

De Cecco, John P. *The Psychology of Language, Thought, and Instruction.* New York: Holt, Rinehart and Winston, 1967.

Dinneen, F.P. *An Introduction to General Linguistics.* New York: Holt, Rinehart and Winston, 1967.

Greenberg, J.H. (ed.) *Universals of Language.* Cambridge: M.I.T. Press, 1983.

Hockett, C.F. "The Origin of Speech". *Scientific American,* No. 203930 (1960).

———. "The Problem of Universals in Language", in Greenberg, J.H. (ed.) *Universals of Language.* Cambridge: M.I.T. Press, 1963.

———. *The State of The Art.* Mouton: The Hague, 1968.

Houston, S. *A Survey of Psycholinguistics.* Mouton: The Hague, 1972.

Jakobson, R., C. Fand and M. Halle. *Preliminaries to Speech Analysis: The Distinctive Features and Their Correlates.* Cambridge: M.I.T. Press, 1967.

Kachru, B.B. (ed.) "Linguistics in the Seventies: Directions and Prospects", *Studies in Linguistic Sciences* Vol. 8, No. 2: University of Illinois (Fall, 1978).

Kluchohn, Clyde. "The Gift of Tongues" in Anderson, W.L. and N.C. Stageberg *Introductory Readings on Language,* (eds.) New York: Holt, Rinehart and Winston, 1970.

Langacker, R.W. "Language and Thought", in Anderson, W.L. and N.C. Stageberg (eds.) *Introductory Readings on Language,* New York: Holt, Rinehart and Winston, 1970.

Lenneberg, E. *Biological Foundations of Language.* New York: Wiley, 1967.

McCawley, J.D. "Language Universals in Linguistic Argumentation" in Kachru, B.B. (ed.) Linguistics in the Seventies: Directions and Prospects, *Studies in Linguistic Science,* Vol. 8, No. 2: University of Illinois: (Fall, 1978).

McNeil, D. "Explaining Linguistic Universals", in Morton J. (ed.) *Biological and Social Factors in Psycholinguistics,* London: Logos Press Limited, 1971.

Morton, J. (ed.) *Biological and Social Factors in Psycholinguistics.* London: Logos Press Limited, 1971.

———. "What Could Possibly be Innate?" in *Biological and Social Factors in Psycholinguistics.* London: Logos Press Limited, 1971.

Vygotsky, L.S. "Language and Thought: The Problem and the Approach, in De Cecco, John P. (ed.) *The Psychology of Language, Thought, and Instruction.* New York: Holt, Rinehart and Winston, 1967.

Whorf, B.L. *Language, Thought and Reality.* Cambridge: M.I.T. Press, 1964.

السمات العالمية للغة .. عالمية النحو واكتساب اللغة

عبد الحميد إبراهيم حسين
أستاذ مشارك - رئيس قسم اللغات الأوربية - كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة الملك عبد العزيز - جدة

مستخلص البحث

يتعرض البحث لموضوع السمات العالمية المشتركة للغات ، ويبدأ بنبذة تاريخية عن نشأة النحو كجزء متصل بعلم المنطق وعلاقتهما بعضهما ببعض من وجهة نظر فلسفية في القرن الثالث عشر ، ثم العودة إلى ذلك في القرن الثامن عشر ، ثم يتعرض للفكرة القائلة بأن النحو عالمي وان معظم لغات العالم تتشابه في مستوى بنائها العميق الذي يعكس الصفات المشتركة في الفكر والمفهوم الأساسيين ، والذي يُتوجُهُ المستوى السطحي بالصيغ التي تعكس القواعد النحوية والصوتية للغات المختلفة ، ورغم هجوم البنيويين من اللغويين على فكرة عالمية النحو ، فإن فكرة السمات العالمية للغة ظهرت في كتابات تشومسكي في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين والذي عد هذا التعبير معادلا لتعبير عالمية اللغة .

ويتناول البحث نظرية تشومسكي التي تعرف السمات العالمية للغة بأنها سمات تشترك فيها كل اللغات ، وتميز النوع البشري عن غيره من الأنواع ، إذ يولد الطفل بمقدرة فطرية كامنة تساعده على اكتساب اللغة التي يجدها مستخدمة في بيئته الاجتماعية ، غير ان هناك ثمة خواص معينة مشتركة في التركيب اللغوي رغم تباين اللغات التي يتحدث بها البشر ، وذلك بعينه هو الذي يسهل مهمة التعليم لدى الأطفال ، كما أنها تفرق في الوقت ذاته بين اللغات البشرية من جانب ، وبين أشكال أو وسائل الاتصال بين غير البشر من جانب آخر .

مجلة
جامعة الملك عبد العزيز
الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ١

١٤٠٨هـ
١٩٨٨م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
ص.ب ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١
المملكة العربية السعودية

Journal of

KING ABDULAZIZ UNIVERSITY

Arts and Humanities

Volume 1

1408 A.H.
1988 A.D.

Scientific Publishing Centre
King Abdulaziz University
P.O. Box 1540, Jeddah 21441
Saudi Arabia.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م١ ، ص ص ١ - ٣٦٢ بالعربية ، ص ص ١ - ٣٦ بالانجليزية
(١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

المحتويات

القسم العربي صفحة

القسم الانجليزي

J. K. A. U.: Arts and Humanities, Vol. 1, pp. 1 - 36 Eng., pp. 1 - 362 Arab. (1408A.H. / 1988A.D.)

Contents

English Section

Arabic Section